UNIVERSAL
LIBRARY

OU_236040

UNIVERSAL
LIBRARY

ما شاء الله كان

الجزء الاول

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التاويل في معاني التنزيل

تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر

الشريعه ومحيي السنه علاء الدين علي بن محمد بن

ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن

فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من

رمضان سنة ٧٢٥ هجريه

تغمده الله برحمته

آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾

﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوي ﴾

﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال في كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل في التفسير) للامام محيي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة التقدم العلمية بمصر

(سنة ١٣٣١ هجريه)

﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوي محمد بن غلام رسول السورتي

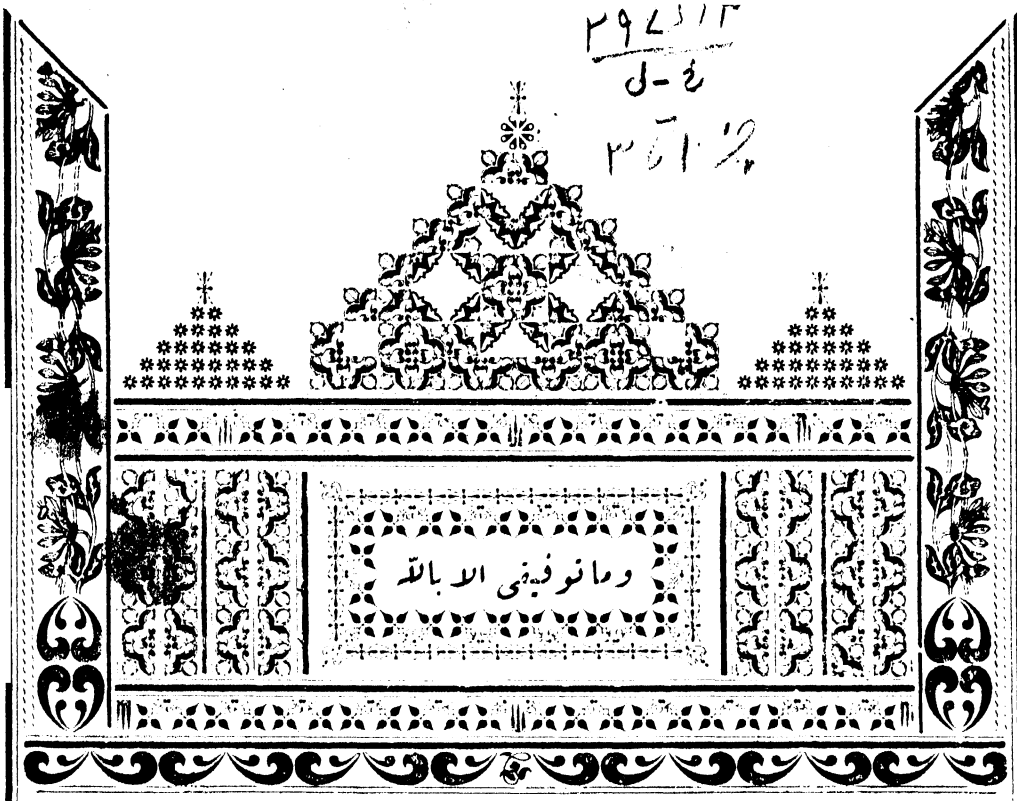
عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية

في (بومباي) حفظهم الله ﴾

1691 ع
٢٩٧ ١٢
ع - ل
٣٦ ١/٢

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ الامام الاجل السيد محيي السنة ناصر الحديث مفتي الشرق والغرب أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي رضي الله عنه وعن والديه الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزة والبقاء والرفعة والعلاء والمجد والثناء تعالى عن الأنداد والشركاء وتقدس عن الأمثال والنظراء والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه وصفيه محمد خاتم الأنبياء وامام الأتقياء عدد ذرات الثرى ونجوم السماء الحمد لله الملك السلام المؤمن المهيمن العلام شارع الأحكام ذي الجلال والاكرام الذي أكرمنا بدين الاسلام ومن علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام عدد ساعات الليالي والأيام وعلى آله وأصحابه عدد نجوم الظلام وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام ﴿ أما بعد ﴾ فان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين و بشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق ومحاسن الافعال وأنزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة بحكماته



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فأحسنه تصويرا ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا وأطلق لسانه فأذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وأنزل عليه كتابا منيرا وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا وألهم حفاظه تلاوة له وتحبيرا وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الأمثال ليزيل جهالة وتحييرا وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا في الصدور محفوظا و بالألسنة متلوا وفي الصحف مسطورا يهدي للتي هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴿ أحمده ﴾ على تواتر انعامه حمدا كثيرا وأتوكل عليه مفوضا أمري اليه ومستجيرا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قائلها مطمئنا مستنيرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ﴿ و بعد ﴾ فان الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين و بشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق ونشر فضله في الآفاق وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه و بالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته و يسر على الألسن قراءته أمر فيه وزجر و بشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الأمثال ليتدبر وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل

حلم بالفلاح لمن تبعه و بالخسار لمن أعرض عنه بعد ما سمعه وأعجز الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله فى مقابلته ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته و يسر على الألسن قراءته أمر فيه وزجر و بشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن أحوال الماضين ليعتبر وضرب فيه الأمثال ليتدبر ودل على آيات التوحيد ليتفكر ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واعلامه ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه ومعرفة خاصه وعامه ثم هو كلام معجز و بحر عميق لانهاية لأسراره علومه ولا ادراك لحقائق معانيه وقد ألف أئمة السلف فى أنواع علومه كتبا كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلق فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم فسألنى جماعة من أصحابى المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين كتابا فى معالم التنزيل وتفسيره فأجبتهم اليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتداء بالماضين من السلف فى تدوين العلم ابقاء على الخلق وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لابد فى كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر المطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقين وتحريضا للمتثبطين فجمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل أرجو أن يكون مفيدا لمن أقبل على تحصيله مزيدا وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حبر هذه الامة

بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته فى قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه فانه أرسخ العلوم أصلا وأسبغها فرعا وفصلا وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين و بالحق ناطقين حتى صنفوا فى سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل الذى صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيى السنة قدوة الأمة وامام الأئمة مفتى الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات فى علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها جامعا للصحيح من الأقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محليا بالأحاديث النبويه مطرزا بالأحكام الشرعيه موشى بالقصص الغريبه وأخبار الماضين العجيبه مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا فى قالب الجمال بأفصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير ولباب التأويل والتحرير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفه فى سائر علومه المؤلفه ولم أجعل انفى تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه أقرب الى تحصيل المراد فما أوردت فيه من الاحاديث النبويه والاخبار المصطفويه على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأحكام الدين عزوته الى مخرجه و بينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر اسم الصحابى الراوى للحديث (خ) وما كان من صحيح أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبى داود والترمذى والنسائى فانى أذكر اسمه بغير علامة ومالم أجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد أخرجه بسنده لا انفرد به قلت روى البغوى بسنده ومارواه البغوى باسناد الثعلبى قلت روى البغوى باسناد الثعلبى وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده فانى اجتهدت فى تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الأصول لابن الاثير الجزرى ثم انى عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة فى هذا الكتاب وأسهل على الطلاب وسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب و ينبغى لكل مؤلف كتابا فى فن قد سبق اليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن

ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبى رباح والحسن البصرى رضى الله عنهما وقتادة وأبى العالية ومحمد بن كعب القرظى وزيد بن أسلم والكلبى والضحاك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان والسدى وغيرهم فأكثرها مما أخبرنى الشيخ أبو سعيد أحمد ابن محمد الشريحى الخوارزمى فيما قرأته عليه عن الاستاذ أبى اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى عن شيوخه أما تفسير عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ترجمان القرآن الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب وقال اللهم فقهه فى الدين وقال أبو اسحاق أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد وس الطرائفى ثنا عثمان بن سعيد الدارمى ثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه عن على بن

أبي ظلخة الوالبي عن عبد الله بن عباس وقال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصر ويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطية حدثني أبي عن جدي عطية عن ابن عباس وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي الصريمي المروزي أنا أبو العباس أحمد بن الحضر الصيرفي أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي (٤) قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ثنا

نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت ﴿وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل﴾ والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ما قصدت واليه أرغب في تيسير ما أردت وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل ان أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

﴿الفصل الأول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه﴾ (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال أو قد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الأهواء أي لا يميل عن الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن

مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو القاسم عبد الرحمن أحمد بن ياسين ابن الجراح الطبري أنا أبو محمد بكر بن مستهل الدمياطي ثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصفاني عن أبي جريج عن عطاء بن أبي رباح وأما تفسير الحسن البصري قال حدثني أبو القاسم الحسن البصري قال حدثني أبو القاسم الحسين ابن محمد بن عبد الله بن الملكيب حدثني أبي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلة المعروف بابن شبوذ المقدسي ثنا سعيد بن محمد ثنا المنهل ابن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن ابن أبي الحسن البصري وأما تفسير قتادة قال أنا أبو محمد عبد الله بن حامد محمد بن الاصبهاني أنا أبو علي حامد بن محمد بن الهروي ثنا أبو يعقوب اسحق بن الحسن بن ميمون الحربي ثنا أبو محمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا أبو القاسم الحبيبي أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر بن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي وأما تفسير أبي العالية واسمه رفيع بن مهران قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن منصور العمركي بن حسن ثنا أبو الحسن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مزيد السرخسي أنا أبو علي الحسن محمد بن موسى الازدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي عالية الرياحي وأما تفسير القرظي قال ثنا أبو القاسم الحسن

ابن محمد بن حبيب عن أبي ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي ثنا رجاء بن عبد الله انا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي وأما تفسير زيد بن أسلم قال أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب الى أحمد بن كامل بن خلف بن محمد بن جرير الطبري حدثهم قال ثنا يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه وأما تفسير الكلبي فقد قرأت بمرو على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال أنا أبو اسحق بن ابراهيم بن أحمد بن (٥) محمد بن معروف الهرمروزي ثنا

عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أي الأعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولا نحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لأن سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الأول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

محمد بن علي الانصاري المفسر ثنا علي بن اسحق وصالح بن محمد السمرقندي قالا ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي نضر عن أبي صالح أنا ذاذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي قال أنا أستاذ اسحق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسين بن محمد السدوسي ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد العمركي بن حسن ثنا جعفر ابن محمد سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك وأما تفسير مقاتل بن حيان قال أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابوري حدثنا بكير ابن معروف البلخي الأزدي ثنا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسن بن محمد السقيطي المعروف بابن أبي رؤية ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرئ هكذا المقرئ أبو محمد قال ثنا أبو محمد حدثني أبي الهذيل بن حبيب أبو صالح الزيداني عن مقاتل بن سليمان وأما تفسير السدي قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله بن مبارك الشعيري ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللياد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن أسباط عن السدي وأما ما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحق فاخبرنيه أبو سعيد الشريحي قال أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق الازهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن اسحق بن راهويه ابن أخت أبي عوانة أنا أبو الحسن محمد بن

أحمد بن البراء العبدى قال قرأت على أبى عبد الله عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه وأنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلى ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردى أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق بن يسار المدنى وأنا أبو سعيد الشريحى قال أبو اسحق الثعلبى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل الانصارى أنا أبو الحسن على بن الفضل الخزاعى أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسن الحرانى أنا النقيلى أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق فهذه أسانيد كثيرا ما تقلته عن هؤلاء الأئمة وهى مسموعة من طرق سواها (٦) تركت ذكرها حذرا من الاطالة وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولا سمعته بغير هذه الاسانيد بعضها فى موضعه من الكتاب ان شاء الله تعالى عز وجل ثم ان الناس كانهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف أعنى الامام الذى اتفقت عليه الصحابة وأن لا يجاوز وا فيما يوافق الخط ما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الأئمة على اختيارهم وقد ذكرت فى الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراآت واختياراتهم على ما قرأته على الامام أبى نصر محمد بن أحمد بن على المقرى المروزى رحمة الله عليه تلاوة ورواية قال قرأت على أبى القاسم ظاهر ابن على الصرفى قال قرأت على أبى بكر أحمد بن الحسين ابن مهران باسناده المذكور فى كتابه المعروف بكتاب العناية وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن نافع ابن عبد الرحمن المدنيان وأبو معبد عبد الله بن كثير الدارى المكى وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامى وأبو عمرو زبان العلاء المازنى العطار وأبو محمد بن يعقوب بن اسحق الا الحضرمى البصريان وأبو بكر عاصم بن أبى النجود الاسدى وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى الكوفيون فاما أبو جعفر فانه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبى هريرة وغيرهما وهم قرأوا على أبى بن كعب وأما نافع فانه قرأ على أبى جعفر القارى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج قرأ على أبى هريرة وقرأ أبو هريرة على أبى بن كعب وأما عبد الله بن كثير فانه قرأ على مجاهد بن جبير وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب وقرأ أبى بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن عامر فانه قرأ على المغيرة بن أبى

﴿ الفصل الثانى فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتى القرآن فنسيه ولم يتعهده ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية من قال فى القرآن برأيه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة أى منزلا من النار * عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله بغير علم قال العلماء النهى عن القول فى القرآن بالرأى انما ورد فى حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع فى المقاصد الفاسدة ليغر وا بذلك الناس وان كان القول فى القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بأن تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعانى والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل فى النهى والوعيد الوارد فى ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا فى معانيه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التى حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفى رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسى (قوله بئسما لأحدكم) أى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذى أنساه اياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسى هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أى خروجا من صدور الرجال وفى معناه تفلتا من الابل فى عقلها أى تخلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه

شعاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان وأما عاصم فانه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فاقرأ على زر بن حبيش وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود وأما حمزة فانه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان بن مهران الأعمش وعمدان بن الأعين وغيرهم وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي وقرأ سليمان بن الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله وقرأ عمدان على أبي الاسود الدئلي وقرأ أبو الاسود الدئلي على عثمان وعلي وأما الكسائي فانه قرأ على حمزة وأما يعقوب فانه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني (٧) وقرأ سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها وما ذكرت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث وأعرضت عن ذكر المناكير ومالا يليق بحال التفسير فارجو أن يكون مباركا على من أراده وبالله التوفيق

﴿ فصل في فضائل القرآن وتعليمه ﴾ أنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي ابن الجعد أنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة قلت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهال عن شعبة أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد حموية السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن حزيم الشاشي أنا أبو محمد عبد بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الاعور عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما اني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

الا لقى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿ الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف ﴾ (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الي أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا فقال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الا نصاري فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر براءة فألحقتها في سورتها قال فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها

الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن أى لم يتوقفوا فى قبوله وانه كلام الله تعالى اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور قال أبو عيسى هذا الحديث لا نعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول والحرث فى مقال أنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعانى (٨) أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا اسحق بن عيسى

اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها فى سورتها فى المصحف قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الىّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أى لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التى كانت باليمامة فى زمن أبى بكر الصديق وهى وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قرّاء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهى فى عداد أرض نجد (قوله استحرّ القتل) أى كثر وينسب المكروه الى الحرّ والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهى ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة (قوله يغازى أهل الشأم) أى مع أهل الشأم فى فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت بارمين بن لمطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها سميت باسمه وأذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك فى ضبطها وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة) أو مع أبى خزيمة الانصارى وفى الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم ان المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى وهما قضيتان فأما المذكور فى الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عثمان وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور فى الحديث الثانى فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علىّ بن أبى طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذى كتب بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول

قال سمعت ابن لهيعة يقول ثنا مسرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا جعفر بن عوف أنا ابراهيم بن مسلم عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن الكثرة الرد فاتلوه فان الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما انى لا أقول الم ولكن الألف واللام والميم رواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعا أنا أبو جعفر أحمد ابن أبى أحمد بن مقوية أنا الشريف أبو القاسم على بن محمد بن على الحسنى الحرانى فيما كتب الى أنا أبو بكر محمد الواحد ابن الحسين بن عبد الله الاجرى ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الصدلى ثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ثنا على بن عاصم عن ابراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه أنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن باويه الأصفهانى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضى الزهرى بمكة أنا محمد بن اسمعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن دواد الهاشمى ثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهرى عن عامر بن واثلة أبى الطفيل ان نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي قال استخلفت عليهم ابن أبزى قال ومن ابن أبزى قال مولى من موالينا قال عمر فاستخلفت عليهم مولى فقال يا أمير المؤمنين انه رجل قارئ القرآن عالم بالفرائض قاض بالكتاب فقال عمر أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع بالقرآن أقواما و يضع به آخرين صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب أنا يعقوب بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن سعد الترابي أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلثمائة أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير (٩) يعني ابن عبد الحميد عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياني ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيى ثنا عبد الله ابن أبي حميد عن أبي الحاكم الهذلي عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الانجيل المائين وأعطيت مكان الزبور المثاني وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأعطاني ربي المفصل نافلة غريب

﴿ فصل في فضائل تلاوة القرآن ﴾ أنا عبد الواحد بن أحمد بن المليحي أنا أبو محمد أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران صحيح وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الاسناد الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد بن عبد الله حنيد العباس بن حمزة ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا أبان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها

الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان الاستظهار لا لاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي أخرجاه في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه و يرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين لحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيأ والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبي بكر فدعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخروا شيأ أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه و يعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين و يقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ و بقي فيها ما بقي ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند

طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها صحيح أخرجه البخارى عن قتيبة عن أبى عوانة عن قتادة أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عاصم يعنى ابن بهدلة عن ذر عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقال يعنى لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها قال أبو عيسى (١٠) هذا حديث صحيح حسن أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا النضر ابن شميل ثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن كثير عن أبى سلام عن أبى أمامة انه حدثه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اقرأ القرآن فانه يأتى شافعا لأصحابه اقرأ الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة صحيح أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الزياتى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر العنوى ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوين وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كانهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وان

الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق * ثم نون والقلم * ثم يا أيها المزمل * ثم المدثر * ثم تبت يدا أبى لهب * ثم اذا الشمس كورت * ثم سبح اسم ربك الاعلى * ثم والليل اذا يغشى * ثم والفجر * ثم والضحى * ثم ألم نشرح * ثم والعصر * ثم والعاديات * ثم انا أعطيناك الكوثر * ثم ألهاكم التكاثر * ثم أرأيت الذى * ثم قل يا أيها الكافرون * ثم الفيل * ثم قل هو الله أحد * ثم والنجم * ثم عبس * ثم سورة القدر * ثم سورة البروج * ثم التين * ثم لايلاف قريش * ثم القارعة * ثم القيامة * ثم الهمزة * ثم المرسلات * ثم ق * ثم سورة البلد * ثم الطارق * ثم اقتربت الساعة * ثم ص * ثم الاعراف * ثم الجن * ثم يس * ثم الفرقان * ثم فاطر * ثم مريم * ثم طه * ثم الواقعة * ثم الشعراء * ثم النمل * ثم القصص * ثم سورة بنى اسرائيل * ثم يونس * ثم هود * ثم يوسف * ثم الحجر * ثم الانعام * ثم والصافات * ثم لقمان * ثم سبأ * ثم الزمر * ثم المؤمن * ثم السجدة * ثم حم عسق * ثم الزخرف * ثم الدخان * ثم الجاثية * ثم الاحقاف * ثم الذاريات * ثم الغاشية * ثم الكهف * ثم النحل * ثم نوح * ثم ابراهيم * ثم الانبياء * ثم قد أفلح المؤمنون * ثم تنزيل السجدة * ثم الطور * ثم الملك * ثم الحاقة * ثم سأل سائل * ثم عم يتساءلون * ثم النازعات * ثم اذا السماء انفطرت * ثم اذا السماء انشقت * ثم الروم * ثم العنكبوت واختلفوا فى آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقاة وأما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بها سورة البقرة * ثم الانفال * ثم آل عمران * ثم الاحزاب * ثم الممتحنة * ثم النساء * ثم اذا زلزلت الارض * ثم الحديد * ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم الرعد * ثم سورة الرحمن * ثم هل أتى على الانسان * ثم الطلاق * ثم لم يكن * ثم الحشر * ثم النحل * ثم الناس * ثم اذا جاء نصر الله والفتح * ثم النور * ثم الحج * ثم اذا جاءك المنافقون * ثم المجادلة * ثم الحجرات * ثم التحريم * ثم الصف * ثم الجمعة * ثم التغابن * ثم الفتح * ثم التوبة * ثم المائدة * ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

﴿ فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل فى ذلك ﴾ (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول

الله القرآن يأتى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى فيقول ما أعرفك فيقول له أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلتك وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بم كسينا هذا فيقول لهما بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هزا كان أو ترتيلا غريب أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الزياتى ثنا

حميد بن زنجويه ثنا أيوب الدمشقي ثنا اسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة أخبرنا الامام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيحب أحدكم اذا رجع الى أهله ان يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم يا رسول الله قال فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان

الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءتي التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه (قوله فكدت أساوره في الصلاة) أي أواثبه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلأنه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال بآية احكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد أيضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر

صحيح أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الاسود ثنا ابن لهيعة عن زبان هو ابن فائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل به أنا أحمد ابن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البولي ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن حثيمة عن رجل ان عمران ابن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون الناس به رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الأعمش عن حثيمة عن الحسن عن عمران بن حصين قال وقال محمد بن اسماعيل هو حثيمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو حثيمة بن عبد الرحمن

﴿ فصل ﴾

في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن حزيم الشاشي ثنا أبو محمد عبيد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري

ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حموية أنا ابراهيم بن خزيم انا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطعي ثنا أبو عمران الجوني عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال وأي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا أعلم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة قال حماد قلت لابي أيوب ما معنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه فجعل يتفكر فقلت هو ان ترى له وجوها فتهاب الاقدام عليه فقال هو ذاك قال شيخنا الامام رحمه الله قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيأ من غير علم فاما التأويل وهو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ماقبلها وما بعدها غير مخالف الكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل وأصل التفسير من التفسرة وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها واشتقاق التأويل من الأول وهو الرجوع يقال أولته فاول أي صرفته فانصرف أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم البراني أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي بالله ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان عن ابن هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ويروى لكل حرف حد ولكل حد مطلع واختلفوا في تأويله قيل الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر ما حدث عن أقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير ان نفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم وقيل معنى الظاهر والبطن التلاوة والتفهم يقول لكل آية ظاهر وهو ان تقرأها كما أنزلت قال

فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبي أرسل الي أن اقرأ على حرف واحد فرددت اليه أن هون على أمتي فرد الي الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هون على أمتي فرد الي الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما أنظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه وير وى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني مالا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

﴿ فصل في معنى التفسير والتأويل ﴾ فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم (القول في الاستعاذة) ولفظها المختار أعوذ

بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله ألتجئ اليه وأمتنع به مما أخشاه من عاذ يعوذ والشيطان أصله من شطن أى تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل أى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الأولى) اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكى عن عطاء وجوبها سواء كانت فى الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والأمر للوجوب وأن النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة وأجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولأبى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدرى أى صلاة هى قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يلقيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ فى قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الأدلة (المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال أحمد الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث أبى سعيد وقال الثورى والأوزاعى الاولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل وانه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بان الشيطان عدو مبين فى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله أعلم

﴿ تفسير سورة الفاتحة ﴾

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة

الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة وقوله لكل حرف حد أراد به من حد فى التلاوة والتفسير لا يجاوز ففى التلاوة لا يجاوز المصحف وفى التفسير لا يجاوز المسموع وقوله لكل حد مطلع أى مصعد يصعد اليه من معرفة علمه ويقال المطلع الفهم وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر فى التأويل والمعانى مالا يفتح على غيره وفوق كل ذى علم عليم وما توفيقى الا بالله العزيز الحكيم

﴿ سورة الفاتحة ﴾

ولها ثلاثة أسماء معروفة فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثانى سميت فاتحة الكتاب لانه تعالى بها افتتح القرآن

وهو قول أكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فأول ذلك فاتحة الكتاب) سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثاني سورة الحمد) سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث أم القرآن) وأم الكتاب سميت بذلك لانها أصل القرآن وأم كل شئ أصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع السبع المثاني) سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها أنزلت مرتين (الخامس الوافية) سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس الكافية) سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

﴿فصل في ذكر فضلها﴾ (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة أي صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة انا أحيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وربما قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (قوله فهي خداج) أي ناقصة (قوله فغمز ذراعي) أي كبس ساعدي بيده (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة إلى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل (قوله حمدني عبدي ومجدني) أي أثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوض الى عبدي) وجه مطابقة هذا القوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى

وأم الكتاب لانها أصل القرآن منها بدئ ما القرآن وأم الشئ أصله ويقال لمكة أم القرى لانها أصل البلاد دحيت الارض من تحتها وقيل لانها مقدمة وامام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في الصحف وبقراءتها في الصلاة والسبع المثاني لانها سبع آيات باتفاق العلماء وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقال مجاهد سميت مثاني لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فدخرها لهم وهي مكية على قول الاكثرين وقال مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والاول أصح انها مكية لان الله تعالى من على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكية فلم يكن يمن عليه بما قبل نزولها

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله بسم الله الباء زائدة يخفض ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله أو قل بسم الله وأسقطت الالف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وطولت الباء قال القطيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم كان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عزوجل وقيل لما أسقطوا الالف ردوا طول الالف على الباء ليكون دالا على سقوط الالف ألا ترى انه لما كتب الالف في اقرأ باسم ربك ردت الباء الى صيغتها ولا يحذف الالف اذا أضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى أخبر ان اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وأراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون السميات وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك ثم يقال للتسمية أيضا اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى فان قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه قيل هو تعليم للعباد كيف يستفتحون القراءة واختلفوا في اشتقاقه قال المبرد من البصريين هو مشتق من السمو وهو العلو فكانه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه لا تحته وقال ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكانه علامة لمعناه وعلامة للمسمى والاول أصح لانه يصغر على سمي ولو كان من السمت لكان يصغر على وسيم كما يقال في الوعد وعيدو يقال في تصغيره سميت ولو كان من الوسم ليقل وسمت قوله تعالى (الله) قال الخليل وجماعة هو اسم علم خاص لله عزوجل لا اشتقاق له كأسماء الاعلام للعباد مثل زيد وعمرو وقال جماعة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل من ألهه الاهة اى عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما ويذرك والاهتك أى عبادتك معناه انه المستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله

فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتي هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ باسم الله أو باسم الله أبدأ أو أقرأ وانما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الألف طلبا للخفة وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الألف المحذوفة وأثبتت الألف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عزوجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوى والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وأيضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضا فقوله فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بأن معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمى وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من ألهه يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والاهتك أى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يوله ون اليه أى يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم في بلايا تنوبني * فألفيتكم فيها كرائم محتد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أى سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاه فأبدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتخير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقى الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقى الله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه

الله قال الله عز وجل وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق قال المبرد هو من قول العرب ألهت الى فلان أى سكنت اليه قال الشاعر

* ألهت اليها والحوادث جمة * فكان الخلق يسكنون اليه و يطمئنون بذكره يقال ألهت اليه أى فزعت اليه وقال الشاعر

* ألهت اليها والركائب وقف * وقيل أصل الاله ولاه فأبدلت الواو باله همزة مثل وشاح واشاح اشتقاقة من الوله لان العباد

يدل على الذات و باقى الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذوا الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا و رحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

﴿فصل فى حكم البسملة﴾ وفيه مسئلتان (الاولى) فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء فى ذلك فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى هذا القول عن على بن أبى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعى ومالك وأبو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هى بعض آية فى سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة المفروضة وللشافعى قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج فى الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى أولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا وأما حجة من ذهب الى اثباتها فى أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال هى فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفى رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله فى مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطنى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى و بسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطنى فى رجال اسناده كلهم ثقات و روى موقوفا وروى الدارقطنى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم فى افراده عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ أغفا اغفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقى

يولهون اليه أى يفزعون اليه فى الشدائد و يلجؤن اليه فى الحوائج كما يوله كل طفل الى أمه وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك قوله (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر واختلفوا فيهما منهم من قال هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذوا الرحمة وذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين وقال المبرد هو انعام بعد انعام وتفضل بعد تفضل ومنهم من فرق بينهما فقال للرحمن معنى العموم وللرحيم معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعافى فى الآخرة والعفو فى الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل فى الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن من يصل رحمته الى الخلق على العموم والرحيم من يصل رحمته اليهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمن فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ والرحيم عام اللفظ خاص المعنى والرحمة

ارادة الله الخير لاهله وقيل هى ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق فهى على الاول صفة ذات احسن

وعلى الثانى صفة فعل واختلفوا فى آية النسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة الى انها ليست من فاتحة الكتاب ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز الى انها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور فانما

كتبت للفصل وذهب جماعة الى انها من الفاتحة ومن كل سورة الا سورة التوبة وهو قول الثورى وابن المبارك والشافعى فى قول لانها كتبت فى المصحف بخط سائر القرآن واتفقوا على ان الفاتحة سبع آيات والآية الاولى عندمن يعدها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء الآية الاخيرة صراط الذين ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها الحمد لله رب العالمين وابتداء الآية الاخيرة غير المغضوب عليهم

أحسن ما احتج به أصحابنا فى ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة مار ويناه فى جمع الصحابة كتاب الله عز وجل فى المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم منهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التى بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت فى المصحف لم تقرأ وروى الشافعى عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية فى القرآن وفى أفراد البخارى من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجمع الصحابة على اثباتها فى المصاحف وانهم طابوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان يزيد وا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن فى أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين ﴿المسئلة الثانية فى حكم الجهر بالبسملة والاسرار﴾ اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها فى الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة فى الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة فى الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهرى وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلى بن الحسين وسالم ابن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعى وهو أحد قولى ابن وهب صاحب مالك ويحكى ايضا عن ابن المبارك وأبى ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبى وابراهيم النخعى وقتادة والاعمش والثورى واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وانس وعلى بن أبى طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد فى صريح الاسرار بها عن النبى صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهى رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهى فى الصحيح وهى معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطنى بسنده عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطنى اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطنى وقال ليس فى روايته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفى رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطنى وقال صحيح ليس فى اسناده مجروح واخرجه

واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت فى المصحف بخط القرآن وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائى أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم وأنا الربيع بن سليمان أنا الشافعى أنا عبد المجيد عن ابن جريج أخبرنى أبى عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم هى أم القرآن قال أبى وقرأها على سعيد ابن جبير حتى ختمها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال سعيد قرأها على وابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال ابن عباس فذخرها لكم فما أخرجها لاحد قبلكم ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازى أنا زاهر ابن أحمد ثنا أبو الاسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك انه قال قمت وراء أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان كلهم كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم اذا

 افتتح الصلاة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم وقال الشعبى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب فى بدء الامر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها فكتب بسم الله حتى نزلت

قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب مثلها قوله (الحمد لله) لفظه خبر كأنه يخبر عن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة يقال حمدت فلانا على ما أسدى الى من نعمة وحمدته على علمه وشجاعته والشكر لا يكون الا على النعمة والحمد أعم من الشكر اذ لا يقال شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا قال الله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وقال اعملوا آل داود شكرا يعنى اعملوا الأعمال لأجل الشكر فشكرا مفعولا له وانتصب باعملوا قوله (لله) اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد قوله (رب العالمين الرحمن الرحيم) فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار رب الدار ويقال رب الشئ اذا ملكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أتمها وأصلحها فهو رب مثل طب وبر فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق وهو الرب معرفا انما يقال رب كذا مضافا لان الألف واللام للتعميم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه واختلفوا فى العالمين قال ابن عباس هم الجن والانس لانهم مكلفون بالخطاب قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة ومجاهد والحسن جميع المخلوقين قال الله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما واشتقاقه من العلم والعلامة سمو به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيد هم أربع أمم الملائكة والانس والجن والشياطين مشتق على من العلم ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلفوا فى مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وقال مقاتل ابن حيان لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البحر وأربعون ألفا فى البر وقال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء وقال كعب الأحبار ولا يحصى عدد العالمين أحد الا الله قال وما يعلم جنود ربك الا هو

الرحمن الرحيم) فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار رب الدار ويقال رب الشئ اذا ملكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أتمها وأصلحها فهو رب مثل طب وبر فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق وهو الرب معرفا انما يقال رب كذا مضافا لان الألف واللام للتعميم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه واختلفوا فى العالمين قال ابن عباس هم الجن والانس لانهم مكلفون بالخطاب قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة ومجاهد والحسن جميع المخلوقين قال الله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما واشتقاقه من العلم والعلامة سمو به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيد هم أربع أمم الملائكة والانس والجن والشياطين مشتق على من العلم ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلفوا فى مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وقال مقاتل ابن حيان لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البحر وأربعون ألفا فى البر وقال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء وقال كعب الأحبار ولا يحصى عدد العالمين أحد الا الله قال وما يعلم جنود ربك الا هو

الترمذى وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة أى لا يماثل اسناده ما فى الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما فى الصحيح وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبى السرى العسقلانى قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما ألوى أن أقتدى بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما ألوى أن أقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطنى وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات * قلت وفى الباب أحاديث وادلة وايرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الأمر أى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد أعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالأركان فعلا والحمد ضد الذم واللام فى لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعنى انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشئ أى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشئ مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف فى مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم فى البحر وأربعمائة فى البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البر ومثلهم فى البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحراء انفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم * فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * قلت هو من باب تعنتهم فى كفرهم ومبالغتهم فى مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا * فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم فى البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية * قلت ليعلم ان العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها

قوله (مالك يوم الدين) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرأ الآخرون ملك قال قوم معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها وقيل المالك هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله قال أبو عبيدة مالك أجمع وأوسع لانه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالك الشئ الا وهو يملكه وقد يكون ملك الشئ ولا يملكه وقال قوم ملك أولى لان كل ملك ملك وليس كل ملك ملكا ولانه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس وملك الناس قال ابن عباس ومقاتل والسدي ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقال قتادة الدين الجزاء ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعا كما يقال كما تدين تدان قال محمد بن كعب القرظي ملك يوم لا ينفع فيه الا الدين وقال يمان بن رياب الدين القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل وقيل الدين الطاعة أي يوم الطاعة وانما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها لان الاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر الا له قال الله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال والامر يومئذ لله وقرأ أبو عمرو الرحيم ملك بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكنا أو متحركا الا ان يكون الحرف الاول مشددا أو منونا أو منقوصا أو مفتوحا أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فانه لا يدغمها وادغام المتحرك يكون في الادغام الكبير وافقه حمزة في ادغام المتحرك في قوله بيت طائفة والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا وأدغم التاء فيما بعدها من الحروف وافقه حمزة برواية رجاء وخلف والكسائي

على خلقه * قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الأعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الأشياء ولانه لا يكون ملكا لشئ الا وهو يملكه وقد يكون مالكا لشئ ولا يملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل * فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها * قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة * قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) أي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا * فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه * قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فأنا أستعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) أي أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك ومعناه

الا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والزاي ولا ادغام لسائر القراء الا في أحرف معدودة قوله (إياك) اياك كلمة ضمير خصت بالاضافة الى المضمر ويستعمل مقدما على الفعل فيقال اياك أعني واياك أسأل ولا يستعمل مؤخرا الا منفصلا فيقال ما عنيت الا اياك قوله (نعبد) أي نوحدك ونطيعك خاضعين والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده يقال طريق معبد أي مذلل (واياك نستعين) نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة فلهذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم) اهدنا ارشدنا وقال علي وأبي بن كعب ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود اليك أي دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء

من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة الصراط وصراط قرىء بالسين رواه رويس عن يعقوب وهو الاصل سمى سراطا لانه يسرط السابلة ويقرأ بالزاى وقرأ حمزة باشمام الزاى وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر هو الاسلام وهو قول مقاتل وقال ابن مسعود هو القرآن وروى عن على مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن جبير طريق الجنة وقال سهل بن عبد الله طريق السنة والجماعة وقال بكر بن عبد الله المزنى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية والحسن رسول الله وآله وصاحباه وأصله فى اللغة الطريق الواضح (صراط الذين أنعمت عليهم) أى منعت عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة منعت عليهم بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الانبياء عليهم السلام وقيل هم كل من ثبته الله على الايمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكر الله تعالى فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل ان غيروا دينهم وقال عبد الرحمن هم النبى ومن معه وقال أبو العالية هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال عبد الرحمن بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وقال شهر بن

حوشب هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته قرأ حمزة عليهم ولديهم واليهم بضم هاآتها ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعا الا قوله بين أيديهن وأرجلهن وقرأ الآخرون بكسرهما فمن ضم الهاء ردها الى الاصل لانها مضمومة عند الانفراد ومن كسرها فلاجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبعا فى الوصل اذا لم يلقها ساكن فان لقيها ساكن فلا يشبع ونافع بخير ويضم ورش عند ألف القطع واذا تلقته ألف وصل وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة ضم الهاء والميم حمزة والكسائى وكسرهما أبو عمر وكذلك يعقوب اذا انكسر ما قبلها والآخرون يقرؤن بضم الميم وكسر الهاء لاجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل قوله (غير المغضوب عليهم) يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب هو ارادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة يقال ضل الماء فى اللبن اذا هلك وغاب وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف عليها كما يقال فلان غير محسن ولا مجمل فاذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا لا يجوز فى الكلام عندى سوى عبد الله ولا زيد وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه صراط من أنعمت عليهم لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقال سهل بن عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والسنة للقارى ان يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة (آمين) مفصولا عن الفاتحة بسكتة وهو مخفف ويجوز ممدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو طابع الدعاء وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم الخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد بن القاضى

دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول أى الذين منعت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذى وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

﴿ فصل فى آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان ﴾ (الاولى) السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين

وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا أنا أبو بكر أحمد بن حسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه صحيح

﴿ فصل في فضل فاتحة الكتاب ﴾ أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكتاني أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الله الوهاب ثنا خالد بن مخلد القطواني حدثني محمد بن جعفر بن أبي كثير هو أخو اسمعيل بن جعفر عن ابن العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي ابن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال تعال يا أبي فعجل أبي في صلاته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك يا أبي ان تجيبني اذ دعوتك ألبس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أبي لا جرم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوني الا أجبتك وان كنت مصليا قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها فقال أبي نعم يا رسول الله فقال لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي السورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرأ في صلاتك فقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وانها هي السبع من المثاني التي أناني الله عز وجل هذا حديث حسن صحيح أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد النرابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الاحوص عن عمار بن ذريق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ اسمع نقضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا أعطيته صحيح أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن انه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة اني أحيانا أكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال

آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال في القصر * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده به يدفع عنهم الآثام (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم ﴿المسألة الثانية في حكم الفاتحة﴾ اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة الى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسيء صلاته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أبو داود وأجيب عن حديث الاعرابي بأنه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

اقرأ أيها القارئ في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي ولعبدي ماسأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني و بين عبدي فلعبدي ماسأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ماسأل صحيح

﴿ سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي (٢٢) وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال أبو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سر وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وقال جماعة معلومة المعاني فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص الكاف من كاف والهاء من هادو الياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل في المص أنا الله الملك الصادق وقال الربيع بن أنس في الم الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد وقال محمد بن كعب الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال معنى الم أنا الله اعلم ومعنى المص أنا الله أعلم وأفصل ومعنى الر انا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم وأرى قال الزجاج وهذا حسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولهم *قلت لها قفي فقالت لي قاف* أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى انك تقول المر وحمن فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها وقال قتادة هذه الحروف أسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد هي أسماء السور و بيانه ان القائل اذا قال قرأت المص عرف السامع انه قرأ السورة التي افتتحت بالمص وروى عن ابن عباس انها أقسام وقال الأخفش انما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة ومبادي أسمائه الحسنى

﴿ تفسير سورة البقرة ﴾

قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

﴿ فصل في فضلها ﴾ (م) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كأنهما غمامتان أو غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتي كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال أبطل اذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم) قيل ان حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها. وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني

قوله (ذلك الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمر أى هذا ذلك الكتاب قال القراء كان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد فلما أنزل الله القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك أن أنزله عليك فى التوراة والانجيل وعلى لسان النبيين من قبلك وهذا للتقريب وذلك للتبعيد وقال ابن كيسان ان الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سورا كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال ذلك الكتاب يعنى ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق وهذا الدرهم ضرب فلان أى مضروبه وأصل الكتاب الضم والجمع ويقال للجند كتيبة لاجتماعها وسمى الكتاب كتابا لأنه جمع حرف الى أحرف قوله تعالى (لا ريب فيه) أى لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه لقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق أى لا ترفثوا ولا تفسقوا قرأ ابن كثير فيه بالاشباع فى الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلا ما لم يلها ساكن ثم ان كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء وان كان غيرها يشبعها بالضم واوا ووافقه حفص فى قوله فيه مهانا فاشبعه قوله تعالى (هدى للمتقين) يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائى زاد حمزة والكسائى عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفى أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين هدى للمتقين أى هو هدى أى رشد وبيان لاهل التقوى وقيل هو نصب على الحال أى هاديا تقديره لا ريب فيه فى هدايته للمتقين والهدى ما يهتدى به الانسان للمتقين أى للمؤمنين قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثنى عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت قال كعب وذلك التقوى وقال شهر بن حوشب المتقى الذى يترك ما لا بأس به حذرا لما به بأس وقال عمر بن

المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفى فقالت قاف * لا تحسبى انا نسينا الايجاف

قولها قاف أى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع فى السير قال ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هى أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الأعظم ألا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى أقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فائتوا بسورة من مثله وفى آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الأحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجىء به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الأحرف المنزلة فى أوائل السور أربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقيها فى مواضعها ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى (ذلك الكتاب) أى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل أن ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى أن أنزله على النبى الذى هو من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن (لا ريب فيه) أى لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى أى لا ترتابوا فيه * فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه * قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف

عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل هو اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقال ابن عمر التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من أحد وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أولا نهم هم المنتفعون بالهدى قوله تعالى (الذين يؤمنون) موضع الذين خفض نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون و يترك همزه أبو عمرو ورش والآخرون يهمزونه وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن الا أحرفا معدودة وحقيقة الايمان التصديق بالقلب قال الله تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالأركان فسمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه والاسلام هو الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وذلك لان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن و يكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر وقد اختلف جواب النبي صلى الله عليه وسلم عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد التوبة الزراد البخاري أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هرون أنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال كان أول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد الجهني فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة قلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه ما يقول هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر داكتنفوا ٣ أي (٢٤) أحاطوا فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه سيكل الكلام الى

فقلت أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا أناس يتفقرون هذا العلم و يطلبونه يزعمون ان لا قدر انما الأمر أنف قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم اني منهم برىء وانهم مني براء والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله و بالبعث بعد الموت والجنة والنار و بالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاخبرني عن الساعة فقال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال صدقت قال فاخبرني عن أماراتها قال ان تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدري من الرجل قال قلت الله ورسوله أعلم قال ذلك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة الا عرفته فيها الا في صورته هذه قال الفراء فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل الاسلام في هذا الحديث اسما لما ظهر من الأعمال والايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الأعمال ليست من الايمان وتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال ذلك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم والدليل على ان الأعمال من الايمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاة ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشير بن موسى ثنا خلف بن الوليد عن جرير الرازي عن سهل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن

وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هدا لا ريب في هدايته والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور و بعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه و بين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا و بين العدو فكأن المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه و بين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم * فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون * قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب

ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان قيل الايمان مأخوذ من الأمان فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن العباد من عذابه (بالغيب) والغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب كما قيل للعادل عدل وللزائر زور والغيب ما كان مغيبا من العيون قال ابن عباس الغيب ههنا كل ما أمرت بالايمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب ههنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن الآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج الوحى نظيره أعنده علم الغيب وقال ابن كيسان بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به فقال عبد الله ان أمر محمد كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن أحد قط ايمانا أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يومنون بترك الهمزة وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة الا فى أنبئهم وينبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو كلها الا أن يكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسؤهم وتسؤكم وان نشأ ننسأها ونحوها أو يكون خروجا من لغة الى أخرى نحو مؤصدة ورئيا ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل الا تؤوى وتؤويه ولا يترك من عين الفعل الا الرؤيا وبابه الا ما كان على وزن فعل

بالغيب) أى يصدقون بالغيب وأصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى والايمان فى لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالأركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان أو كمال الايمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمى أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الأدلة والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى وأثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا تزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق أبى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الأمة وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الأعمال من الايمان ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه فى الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشئ واماطة الأذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيى ينزجر باستحيائه عن المعاصى فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمى المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن (ق) عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها اذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من أشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام الى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فأخذوا ليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقى أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما

قوله (ويقيمون الصلوة) أى يديمونها ويحافظون عليها فى مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها يقال قام بالأمر وأقام الأمر اذا أتى به معطيا بحقوقه والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ الوحد كقوله تعالى نبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق يعنى الكتب والصلاة فى اللغة الدعاء قال الله تعالى نصل عليهم أى ادع لهم وفى الشريعة اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء وقيل فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية ان الصلاة من الله فى هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء

قوله (ومما رزقناهم) أى أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد وأصله فى اللغة الحظ والنصيب (ينفقون) يتصدقون قال قتادة ينفقون فى سبيل الله وطاعته وأصل الانفاق الاخراج عن اليد والملك ومنه نفاق السوق لانه يخرج فيه السلعة عن اليد ومنه نفقت الدابة اذا خرجت روحها فهذه الآية فى المؤمنين من مشركى العرب قوله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) يعنى القرآن (وما أنزل من قبلك) من التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالون وأهل البصرة ويعقوب كل مد يقع بين كل كلمتين والاخرون يمدونها وهذه الآية فى المؤمنين من أهل الكتب قوله (وبالآخرة) أى بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا (هم يوقنون) أى يستيقنون انها كائنة من الايقان وهو العلم وقيل الايقان واليقين علم عن استدلال ولذلك لا يسمى الله موقنا ولا علمه يقينا اذ ليس علمه عن استدلال قوله (أولئك) أى أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحوهم والكاف للخطاب كما فى حرف ذلك (على هدى) أى رشد وبيان وبصيرة (من ربهم وأولئك هم المفلحون) الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار ويكون الفلاح بمعنى البقاء أى باقون فى النعيم المقيم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمى الزراع فلاحا لانه يشق الأرض وفى مثل الحديد بالحديد يفلح أى يشق فهم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة

بارزا أى ظاهرا وقوله أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك وأشراط الساعة علاماتها التى تظهر قبلها قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد بمنزلة سيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهى الصغار من أولاد الضأن والمعنى انه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن أحد قط أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون (ويقيمون الصلوة) أى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام أركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم وأصله من صليت العود اذا ليته فكأن المصلى يلين ويخشع وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية (ومما رزقناهم) أى أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب (ينفقون) أى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التى هى للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله (وبالآخرة) يعنى وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها (هم يوقنون) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة (أولئك) أى الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) أى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أى الناجون الفائزون

قوله (ان الذين كفروا) يعني مشركي العرب قال الكلبي يعني اليهود والكفر هو الجحود وأصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمي الزراع كافرا لانه يستر الحب بالتراب فالكافر يستر الحق بجحوده والكفر على أربعة انحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر به وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر ابليس وكفر اليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وأما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في ان من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قوله

الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم أن الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها والكفر على أربعة أضرب كفر انكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الأنواع كفر وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود (سواء عليهم) أي متساو لديهم (أأنذرتهم) أي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الأزلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل

(سواء عليهم) متساو لديهم (أأنذرتهم) خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في أأنذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرون يليّنون الثانية (أم) حرف عطف على الاستفهام (لم) حرف جزم لا يلي الا الفعل لان الجزم يختص بالافعال (تنذرهم لا يؤمنون) وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال (ختم الله) أي طبع الله (على قلوبهم) فلا تعي خيرا ولا تفهمه وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال أهل السنة اي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الاولي فيهم وقال المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها (وعلى سمعهم) أي على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وأراد على اسماعهم كما قال على قلوبهم وانما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى ابصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام غشاوة أي غطاء فلا يرون الحق وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذلك كل ألف بعدها راء مجرورة في الاسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يكرر فيه الراء كالقرار ونحوه زاد الكسائي امالة جبارين والجوار والجاروماوا كم ومن أنصاري ونسارع وبابه وكذلك يميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل أو كانت علما للتأنيث اذا كان قبلها راء فعلم التأنيث مثل الكبرى والأخرى ولام الفعل مثل ترى وافترى يكسرون الراء منها

(ولهم عذاب عظيم) أي في الآخرة وقيل القتل والاسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يعني الانسان ويشق عليه قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقيل لظهوره من قولهم آنست أي أبصرت وقيل لانه يستأنس به (وباليوم الآخر) أي يوم القيامة قال الله تعالى (وما هم بمؤمنين يخادعون الله) أي يخالفون الله وأصل الخداع في اللغة الاخفاء ومنه

المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر والخداع من الله في قوله وهو خادعهم أي يظهر لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة وقيل أصل الخداع الفساد معناه يفسدون ما أظهروا من الايمان بما أضمروا من الكفر وقوله وهو خادعهم أي يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم اليه من عذاب الآخرة فان قيل ما معنى قوله يخادعون الله والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة قيل قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعافيت فلانا وطارقت النعل وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله أي أولياء الله وقيل ذكر الله ههنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم (والذين آمنوا) أي ويخادعون بآية المؤمنين بقولهم اذا رأوهم آمنا وهم غير مؤمنين (وما يخدعون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وما يخادعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقرأ الباقون وما يخدعون على الأصل (الا أنفسهم) لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى (وما يشعرون) أي لا يعلمون انهم يخدعون أنفسهم وان وبال خداعهم يعود عليهم (في قلوبهم مرض) شك ونفاق وأصل المرض الضعف سمي الشك في الدين مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله تعالى وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالامالة وزاد حمزة

على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الأسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر *وسميت انسانا لانك ناسي*وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) أي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى رد على المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفى عنهم الايمان بالكلية (يخادعون الله والذين آمنوا) أي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر وأصله في اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة * فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة * قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع * فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله * قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجري عليهم أحكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن (وما يخادعون الا أنفسهم) أي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين أنفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (وما يشعرون) أي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعني ان الآيات كانت تنزل تترى أي آية بعد آية فكلما كفروا

امالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق والآخرون لا يميلونها (ولهم عذاب أليم) مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) ما للمصدر أى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر وقرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين واذا قيل قرأ الكسائى قيل وغيض وجىء وحيل وسيق وسيئت بروم أوائلهن الضم ووافق أهل المدينة فى سيء وسيئت ووافق ابن عامر فى سيق وحيل وسيء وسيئت لان أصلها قول بضم القاف وكسر الواو ومثل قتل وكذلك فى اخوانه فأشير الى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة والباقون يكسر أوائلهن استثقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها الى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها (واذا قيل لهم) يعنى للمنافقين وقيل لليهود أى قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا فى الارض) بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل معناه لا تكفروا والكفر أشد فسادا فى الدين (قالوا انما نحن مصلحون) يقولون هذا القول كذبا كقولهم آمنا وهم كاذبون (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان (ولكن لا يشعرون) أى لا يعلمون انهم مفسدون لانهم يظنون ان الذى هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب (واذا قيل لهم) أى للمنافقين وقيل لليهود (آمنوا كما آمن الناس) عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار (قالوا أنؤمن كما آمن)

بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) أى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر وقرئ بالتخفيف أى بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (واذا قيل لهم) يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا فى الارض) أى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا انما نحن مصلحون) يعنى يقولونه كذبا (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) يعنى فى الأرض بالكفر وهو أشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب (واذا قيل لهم) يعنى المنافقين وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس) يعنى المهاجرين والأنصار وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمنى أهل الكتاب والمعنى أخلصوا فى ايمانكم كما أخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أى الجهال * فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء * قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا انهم هم السفهاء) يعنى الجهال وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعنى انهم كذلك * قوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والأنصار (قالوا آمنا) كايمانكم (واذا خلوا) أى رجعوا وقيل هو من الخلوة (الى) قيل بمعنى الباء أى (بشياطينهم) وقيل بمعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة من بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السواد بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع لهم وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم (قالوا انا معكم) أى على دينكم

السفهاء أى الجهال فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قيل انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم كذلك والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم ثوب سفيه أى رقيق وقيل السفيه الكذاب الذى يتعمد بخلاف ما يعلم قرأ أهل الكوفة والشام السفهاء الا بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا

فى كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والآخرون يحققون الاولى ويلينون الثانية فى المختلفتين طلبا للخفة فان كانتا متفقتين مثل هؤلاء ان وأولياء أولئك وجاء أمر ربك قرأ أبو عمرو البزى عن ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والقواس ويعقوب بتحقيق الاولى وتليين الثانية وقرأ قالون بتليين الاولى وتحقيق الثانية لان ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار (قالوا آمنا) كايمانكم (واذا خلوا) رجعوا ويجوز أن يكون من الخلوة و(الى) بمعنى الباء أى بشياطينهم وقيل الى بمعنى مع كما قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم (شياطينهم) أى رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له والشيطان المتمرد العاتى من الجن والانس ومن كل شىء وأصله البعد يقال بيرشطون أى بعيدة العمق سمى الشيطان شيطانا لامتداده فى الشر وبعده من الخير وقال مجاهد الى أصحابهم من المنافقين والمشركين (قالوا انا معكم) أى على دينكم

(انما نحن مستهزؤن) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما نظهر من الاسلام قرأ أبو جعفر مستهزؤن و يستهزؤن وقل استهزؤا وليطفؤا وليواطؤا و يستنبؤنك وخاطين وخاطون ومتكين ومتكون فالون والمنشون بترك الهمزة فيهن (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لانه بمقابلته كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها قال ابن عباس هو ان يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم و ردوا الى النار وقيل هو ان يضرب للمؤمنين نور يمشون على الصراط فاذا وصل المنافقون اليه حيل بينهم و بين المؤمنين كما قال الله تعالى وحيل بينهم و بين ما يشتهون وقال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وقال الحسن معناه الله يظهر المؤمنين على

نفاقهم (و يمدهم) يتركهم و يمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة الا ان المد كثيرا ما يأتي في الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في المد ونمد له من العذاب مدا وقال في الامداد وأمددناكم بأموال و بنين وأمددناهم بفاكهة (في طغيانهم) أي في ضلالتهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ومنه طغى الماء (يعمهون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) بالايمان (فما ربحت تجارتهم) أي استبدلوا الكفر أي ما ربحوا في تجارتهم أضاف الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها كما تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك (وما كانوا مهتدين) من الضلالة وقيل مصيبين في تجارتهم (مثلهم) شبههم وقيل صفتهم والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة (كمثل الذي) يعني الذين بدليل سياق الآية ونظيره والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (استوقد) أوقد نارا (فلما أضاءت) النار (ما حوله) أي حول المستوقد وأضاء لازم ومتعد يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره وهو ههنا متعد (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس ونزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة

(انما نحن مستهزؤن) أي بمحمد وأصحابه بما يظهر لهم من الاسلام انا من من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن اني لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم و ردوا الى النار (و يمدهم) أي يتركهم و يمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير (في طغيانهم) أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (أولئك) يعني المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا الكفر بالايمان وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر * فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى * قلت جعلوا التمكن منه كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء (فما ربحت تجارتهم) أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالهم * قوله عز وجل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر و يصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع بها (فلما أضاءت) يعني النار (ما حوله) يعني حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) * فان قلت كيف وحد أولا ثم جمع ثانيا * قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في

مفازة

خائفا متحيرا فكذلك المنافقون باظهار كلمة الايمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين وتوارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم فى القبر وقيل فى القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وقيل ذهاب نورهم باظهار عقيدتهم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فضرب النار مثلا ثم لم يقل أطفأ الله نارهم لكن عبر بذهاب النور عنه لان النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم وقال مجاهد اضاءة النار اقبالهم الى المسلمين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى المشركين والضلالة وقال عطاء ومحمد بن كعب نزلت فى اليهود وانتظارهم خروج النبى صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال (صم) أى هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا فكانهم لم يسمعوا (بكم) خرس عن الحق لا يقولونه أو انهم لما ابطنوا خلاف ما أظهروا فكانهم لم ينطقوا بالحق (عمى) أى لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له (فهم لا يرجعون) عن الضلالة الى الحق (أو كصيب) أى كاصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين بمعنى ان شئت مثلهم بالمستوقد وان شئت باهل الصيب وقيل أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى أو يزيدون بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى الى الأسفل فهو صيب فعيل من صاب يصوب أى نزل (من السماء) أى من السحاب وقيل هى السماء بعينها والسماء كل ما علاك فاظلك وهى من أسماء الاجناس يكون واحدا وجمعا (فيه) أى فى الصيب وقيل فى السماء أى فى السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى السماء منفطر به وقال اذا السماء انفطرت (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) وهو الصوت الذى يسمع من السحاب (وبرق) وهو النار التى تخرج منه قال على وابن عباس وأكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضا رعد والبرق اسم ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب الرعد ملك يزجر السحاب فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهى الصواعق وقيل الرعد صوت انحراق الريح بين السحاب والاول أصح (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت من يسمعها أو يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على

مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ خمدت ناره فبقى فى ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم فى القبر أو على الصراط * فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة * قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور أبلغ الاشياء فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة فى الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه فى الآخرة الا حيرة وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضىء بالنار مستضىء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو فى ظلمته فكانهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد تلو بهم كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه (بكم) أى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم أذن

(فهم لا يرجعون) أى عن ضلالهم ونفاقهم * قوله تعالى (أو كصيب) أى كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب (من السماء) أى من السحاب لان كل ما علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من أبخرة الارض فأبطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم أن المطر ليس من أبخرة الأرض كما زعم الحكماء (فيه) أى الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذى يسمع من السحاب (وبرق) يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة

من يشاء روى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك قوله (حذر الموت) أى مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أى عالم بهم وقيل جامعهم قال مجاهد يجمعهم فيعذبهم وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الا أن يحاط بكم أى تهلكوا جميعا ويميل أبو عمرو والكسائى الكافرين فى محل النصب والخفض ولا يميلان أول كافر به (يكاد البرق) أى يقرب يقال كاد يفعل اذا قرب ولم يفعل (يخطف أبصارهم) يختلسها والخطف استلاب بسرعة (كلما) كل حرف جملة ضم الى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناهما متى ما (أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة وسواد فى ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته توقده فهذا مثل ضربه الله (٣٢) للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر القرآن لانه حياة الجنان كما ان المطر

من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (حذر الموت) أى مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أى عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم (يكاد البرق) أى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة (كلما) أى متى ما جاء (أضاء لهم) يعنى البرق (مشوا فيه) أى فى اضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الأرض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصابعهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما أضاء لهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا أظلم عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) أى بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة (ان الله على كل شئ قدير) أى هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه * قوله عز وجل (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لأهل مكة

ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه لان الايمان عندهم كفر والكفر موت يكاد البرق يخطف أبصارهم أى القرآن يبهر قلوبهم وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصابعهم فى آذانهم يعنى ان المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين جامعهم يعنى لا ينفعهم هربهم لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى ان المنافقين اذا ظهروا كلمة الايمان آمنوا فاذا ما تواعادوا الى الظلمة وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا أظلم عليهم يعنى رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أى وقفوا كما قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) أى بأسماعهم (وأبصارهم) الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذى لهم بمنزلة السمع والبصر (ان الله على كل شئ قدير) قادر قرأ ابن عامر وحمزة شاء وجاء حيث كان بالامالة قوله تعالى (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة وهو ههنا عام الا من حيث انه لا يدخله الصغار والمجانين

ويا أيها

(اعبدوا) وحدوا قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد (ربكم الذي خلقكم) والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) أي وخلق الذين من قبلكم (لعلكم تتقون) لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى أي ادعوه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب (الذي جعل لكم

يا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى (الذي خلقكم) أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) أي وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج وهما أي كل منهما من الله واجب (تتقون) أي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها (وأنزل من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات (رزقا لكم) أي وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل (وأنتم تعلمون) يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها أندادا لله وأنه واحد خالق لجميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له * قوله تعالى (وان كنتم في ريب) أي ان كنتم في شك لان الله تعالى علم أنهم شاكون (مما نزلنا على عبدنا) أي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي مثل القرآن وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أمي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل ألا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فأتوا بقرآن مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدى العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة وهم النظم والنثر دون الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم

فراشا) أي بساطا وقيل مناما وقيل وطاء أي ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والجعل ههنا بمعنى الخلق والسماء بناء سقفا مرفوعا (وأنزل من السماء) أي من السحاب (ماء) وهو المطر (فأخرج به من الثمرات) من ألوان الثمرات وأنواع النبات (رزقا لكم) طعاما لكم وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله وقال أبو عبيدة الند الضد وهو من الاضداد والله تعالى بريء من المثل والضد (وأنتم تعلمون) انه واحد خالق هذه الأشياء (وان كنتم في ريب) أي وان كنتم في شك لأن الله تعالى علم انهم شاكون (مما نزلنا) يعني القرآن (على عبدنا) محمد (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر من آسارت أي أفضلت حذفت الهمزة وقيل السورة اسم للمنزلة

الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي مثل القرآن ومن صلة كقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقيل الهاء في مثله راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أمي لا يحسن الخط والكتابة (وادعوا شهداءكم) أي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها

(من دون الله) وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمد صلى الله عليه وسلم تقوله من تلقاء نفسه فلما تحداهم عجزوا فقال (فان لم تفعلوا) فيما مضى (ولن تفعلوا) أبدا فيما بقى وانما قال ذلك لبيان الاعجاز وان القرآن كان معجزا لنبي صلى الله عليه وسلم حيث عجزوا عن الاتيان بمثله قوله (فاتقوا النار) أي فآمنوا واتقوا بالايمان النار (التي وقودها الناس والحجارة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لانها أكثرانتها باوقيل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (أعدت) هيئت (للكافرين) قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا) أي اخبر والبشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وعملوا الصالحات أي اخلصوا الاعمال كما قال فليعمل عملا صالحا أي خاليا عن الرياء قال معاذ العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص (أن لهم جنات) جمع الجنة والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت بها لاجتنانها وتسترها بالاشجار وقال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أي المياه في الانهار لان النهر لا يجري وقيل من تحتها أي بامرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي بأمري والانهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه ومنه النهار وفي الحديث أنها رالجنة تجري في غير أخدود وقيل

من دون الله) أي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الأمر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم انها آلهة وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أي فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقى وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي الذراري وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) أي فآمنوا واتقوا بالايمان النار (التي وقودها) أي حطبها (الناس والحجارة) قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابا بهم في نار جهنم (أعدت) أي هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أي أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أي أخلصوا الاعمال يعني عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخيل والفردوس ما فيه كرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث ان أنهار الجنة تجري في غير أخدود أي في غير شق والخد الشق (كلما رزقوا) أي أطعموا (منها) أي من الجنة (من ثمرة رزقا) أي طعاما (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي في الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى (وأتوا به) أي بالرزق (متشابها) قال ابن عباس مختلفا في الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها

وقيل (كلما) متى ما (رزقوا) أطعموا (منها) أي من الجنة (من ثمرة) أي ثمرة ومن صلة (رزقا) طعاما (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) وقيل رفع على الغاية قال الله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد قيل من قبل في الدنيا وقيل الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا انها الاولى (وأتوا به) رزقا (متشابها) قال ابن عباس ومجاهد والربيع متشابها في الالوان مختلفا في الطعوم وقال الحسن وقتادة متشابها أي يشبه بعضها بعضا في الجودة أي كلها خيار لا رذالة فيها وقال محمد بن كعب يشبه ثمر الدنيا غير انها أطيب وقيل متشابها في الاسم مختلفا في الطعم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسامي أنا أبو حامد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد ابن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البزي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس طعامهم الجشاء ورشحهم المسك قوله تعالى (ولهم فيها) في الجنان (أزواج) نساء وحوار يعني من الحور العين (مطهرة) من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر قال ابراهيم النخعي في الجنة جماع ماشئت ولا ولد وقال الحسن هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل مطهرة عن مساوى الأخلاق (وهم فيها خالدون) دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها أنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف العزيزي أنا محمد بن اسمعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درّي في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة من يدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر بن أبي كثير الهمذاني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية ابن عمر عن أبي اسحاق عن حميد أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد

وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء و رشح كرشح المسك و في رواية و رشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شئ كما أن النفس لا يشغل عن شئ قوله طعامهم جشاء يعني أن فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (ولهم فيها) أي في الجنات (أزواج) أي من الحور العين (مطهرة) يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل في الجنة جماع ماشئت ولا ولد (وهم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درّي في السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب و رشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء و في رواية ولكل واحد منهم

ابن مسلم أنا أبو بكر الجوربذي أنا أحمد بن الفرج الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المغافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل من مشمر للجنة وان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ و ريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة و زوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبد في دار سليمة وفاكهة خضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله و روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا اسحق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعيد عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا ليس فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين ينادين بصوت لم يسمع الخلائق مثله نحن الخالدات فلا نبيد أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له و رواه أبو عيسى عن هناد و أحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعا وقال هذا حديث غريب أنا اسمعيل ابن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن مسلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا

قوله تعالى (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر مثل هذه الاشياء فأنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي أى لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا يذكر شبها ما بعوضة ماصلة أى مثلا بالبعوضة و بعوضة نصب بدل عن المثل والبعوض صغار البق سميت بعوضة لانها كانت بعض البق فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أى فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أى وأجهل (فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (فيعلمون أنه) يعنى المثل هو (الحق) الصدق من ربهم (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال والقطع ثم أجابهم (فقال يضل به كثيرا) من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون ضلالا (ويهدى به) أى بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين فيصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل وقيل هو الهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا هلك (وما يضل به الا الفاسقين) يعنى الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها قال الله تعالى ففسق عن أمر ربه أى خرج ثم وصفهم فقال

زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن أبى موسى الأشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا * عن أبى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس و يخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوى * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذى (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به و يذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله فى وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هى بصلة بل هى للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه فى غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه فى جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما فى الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشئ الصغير الحقير وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون أنه) يعنى ضرب المثل (الحق) يعنى الصدق (من ربهم) الثابت الذى لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة فى العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى بهذا المثل (يضل به كثيرا) أى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (و يهدى به كثيرا) يعنى المؤمنين يصدقونه و يعلمون انه حق (وما يضل به الا الفاسقين)

(الذين ينقضون) يخالفون و يتركون وأصل النقض الكسر (عهد الله) أمر الله الذى عهد اليهم يوم الميثاق بقوله ألست بربكم قالوا بلى وقيل أراد به العهد الذى أخذه على النبيين وسائر الامم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وقيل أراد به العهد الذى عهد اليهم فى التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم و يبينوا نعته (من بعد ميثاقه) توكيده والميثاق العهد المؤكد (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم و بجميع الرسل عليهم السلام لانهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون لا نفرق بين أحد من رسله وقيل أراد به الارحام (و يفسدون فى الارض) بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم و بالقرآن (أولئك هم الخاسرون) المغبونون ثم قال لمشركى العرب على وجه التعجب (كيف تكفرون بالله) بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان ثم ذكر الدلائل فقال (وكنتم أمواتا) نطفا فى أصلاب آبائكم (فأحياكم) فى الارحام والدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث ثم (اليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قرأ يعقوب ترجعون كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) للحى لكى تعتبروا وتستدلوا وقيل الكى تنتفعوا (ثم استوى الى السماء) قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف أى ارتفع الى السماء وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين أى أقبل على خلق السماء وقيل قصد لانه خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء (فسواهن سبع سموات) خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع (وهو بكل شئ عليم) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائى وقالون وهو وهى بسكون الهاء اذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام زاد الكسائى وقالون ثم هو وقالون أن يصل هو قوله تعالى (واذ قال ربك) أى وقال ربك واذ زائدة وقيل معناه واذكر اذ قال ربك وكذلك كل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله واذ واذا حرفا توقيت الا ان اذ للماضى واذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى واذ يمكر بك يريد واذ مكر واذا جاء اذا مع الماضى كانت معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة واذا جاء نصر الله أى يجىء

يعنى الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) أى يخالفون و يتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب (عهد الله) أى أمر الله وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) أى من بعد عقده وتوكيده وفى معنى هذا العهد أقوال أحدها انه الذى أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى الثانى المراد به الذى أخذه على أحبار اليهود فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم و يبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل فى كتابه من الآيات الدالة على توحيده (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التى أمر الله بوصلها (و يفسدون فى الارض) يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أى المغبونون وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركى العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعنى نطفا فى أصلاب آبائكم (فأحياكم) يعنى فى الارحام والدنيا (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا لتنتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر فى عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الازهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض أولا ثم عمد الى خلق السماء * فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها * قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء و بسط جرم الارض بعد ذلك * فان قلت هذا مشكل أيضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو * قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم (فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا تصدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات * قوله تعالى (واذ قال ربك) أى

(للملائكة) جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة والألوك وهي الرسالة فقلب فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها الى اللام فقيل ملك وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم ابليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى الارض فطردوا الجن الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة فاعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لأني أكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده (اني جاعل في الارض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة ههنا آدم سماه خليفة لانه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه خليفة الله في أرضه لاقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصي (ويسفك الدماء) بغير حق كما فعل بنو الجان فقاسوا الشاهد على الغائب والا فهم ما كانوا يعلمون الغيب (ونحن نسبح بحمدك) قال الحسن نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد ابن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا جينان بن هلال أنا وهيب

أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن ابن الصامت عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام قال أفضل ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده وقيل ونحن نصلي بامرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة (ونقدس لك) أي نثني عليك بالقدس والطهارة عما لا يليق بعظمتك وجلالك وقيل ونطهر أنفسنا لطاعتك وقيل ونتزهك واللام صلة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه (قال) الله (اني أعلم ما لا تعلمون) من المصلحة

واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول أوجه (للملائكة) جمع ملك وأصله مألك من المألكة والالوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الارض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجنّ فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجنّ الأرض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجنّ الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لأني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده (اني جاعل في الارض خليفة) أي اني خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم اليّ فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) أي بالمعاصي (ويسفك الدماء) أي بغير حق كما فعل الجن * فان قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول * قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب وقيل انهم لما رأوا ان آدم خلق من أخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك * فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض * قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدس لك) أصل التقديس التطهير أي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال اني أعلم ما لا تعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه

المصلحة والحكمة مالا تعلمون وقيل أعلم ان فيهم من يعبدنى و يطيعنى وهم الانبياء والأولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس وقيل أعلم انهم يذنبون و يستغفرون فأغفرلهم

﴿ فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام ﴾ قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب * وأما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض انى خالق منك خليقة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذى أرسلك الّا أن لا تأخذ منى شيأ فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك منى فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فأتنى بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتنى بقبضة من الأرض فلما أتاها قالت له الارض أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لا تأخذ منى شيأ فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها وما لحها وحلوها ومرّها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عزوجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الأرض و بما رد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لأخلقن مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم أخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمرّ عليه و يقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل علىّ لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل فى جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عزوجل لها ادخلى كرها وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى أن وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك ياأبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل فى جسده تسعة أبواب سبعة فى رأسه وهى الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله و يجد لذة المطعومات بها و بابين فى أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم و يبصر بشحم و ينطق بلحم و يعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ما هو فلما

فيه وقيل انى أعلم ان فى ذريته من يطيعنى و يعبدنى من الانبياء والاولياء والصلحاء وقيل انى أعلم ان فيكم من يعصينى وهو ابليس وقيل انى أعلم انهم يذنبون وأنا أغفرلهم قرأ أهل الحجاز والبصرة انى أعلم بفتح الياء وكذلك كل ياء اضافة استقبلها ألف مفتوحة الا فى مواضع معدودة و يفتحون فى بعض مواضع عند الالف المضمومة والمكسورة وعند غير الالف و بين القراء فى تفصيله اختلاف

قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان ومايكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل صنعة كل شئ قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة (ثم عرضهم على الملائكة) انما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص

رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود * قوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعني تعجيزا لهم (أنبؤني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) يعني تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) أي انى لم أخلق خلقا الا كنتم أفضل منه وأعلم (قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) أي انك أجل من أن نحيط بشئ من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) أي بخلقك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أي في أمرك وله معنيان أحدهما انه القاضي العدل والثاني الحكم للامر كي لا يتطرق اليه الفساد (قال) يعني الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يعني يا ملائكتي (اني أعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبدون) يعني قول الملائكة أتجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية * قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع

قلذلك قال عرضهم (فقال أنبؤني) أخبروني (بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) انى لا أخلق خلقا الا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة اقرارا بالعجز (قالوا سبحانك) تنزيها لك (لا علم لنا الا ما علمتنا) معناه انك أجل من أن نحيط بشئ من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) بخلقك (الحكيم) في أمرك والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للامر كي لا يتطرق اليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم (قال) الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شئ وذكر الحكمة التي لاجلها خلق (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله تعالى (ألم أقل لكم) يا ملائكتي (اني أعلم غيب السموات والارض) ما كان منهما ومايكون لانه قد قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو واني بفتح الياء وكذلك يفتحون كل ياء اضافة استقبلها ألف قطع مفتوحة الا أحرفا معدودة ويفتح نافع وعمرو عند الالف المكسورة أيضا الا أحرفا معدودة ويفتح نافع عند المضمومة الا أحرفا معدودة والآخرون لا يفتحون الا في أحرف معدودة (وأعلم ما تبدون) قال الحسن وقتادة يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها (وما كنتم تكتمون) قولكم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال لامر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لا يتماسك لانه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرأيتم ان فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع أمر ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط علي لاعصينه فقال الله تعالى وأعلم ما تبدون يعني ما يبديه الملائكة من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية وقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قرأ

أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ قل رب أحكم بالحق بضم الباء وضمه النحاة جدا ونسبوه الى الغلط فيه واختلفوا فى ان هذا الخطاب مع أى الملائكة فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الارض والاصح انه مع جميع الملائكة لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقوله اسجدوا فيه قولان الاصح ان السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فى قوله عز وجل وخروا له سجدا ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان انحناء فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وقيل معنى قوله اسجدوا لآدم أى الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل (فسجدوا) يعنى الملائكة (الا ابليس) وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى أى يئس واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ولانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولان له ذرية ولا ذرية للملائكة والاول أصح لان خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله كان من الجن أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون فى الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلى أهل الجنة وقيل ان فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس كان منهم والدليل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية قوله (أبى) أى امتنع فلم يسجد (واستكبر) أى

الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعنى الملائكة وفى هذا السجود قولان أصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره والقول الثانى ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفى هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمى به لانه أبلس من رحمة الله أى يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبى) أى امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى فى علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله وفى رواية يا ويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار * قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما أسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حى فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الى وأسكن اليك واختلفوا فى الجنة التى أمر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه لو كانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى هى دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى كيف شئتما ومتى

 تكبر عن السجود لآدم (وكان) أى وصار (من الكافرين) وقال أكثر المفسرين وكان فى سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الغرابى أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادى أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى أنا جرير ووكيع وأبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فأطاع فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وذلك ان آدم لم يكن له فى الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصير اء شقه الايسر وسميت حواء لانها خلقت من حى خلقها الله عز وجل من غير ان أحس به آدم ولا وجد له ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط فلما ذهب من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال لها من أنت قالت زوجتك خلقنى الله لك تسكن الى وأسكن اليك (وكلا منها رغدا) واسعا كثيرا (حيث شئتما)

كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) يعنى بالأكل قال بعض العلماء وقع النهى على جنس من الشجر وقال آخرون على شجرة مخصوصة واختلفوا فى تلك الشجرة قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هى السنبلة وقال ابن مسعود هى شجرة العنب وقال ابن جريج شجرة التين وقال قتادة شجرة العلم وفيها من كل شئ وقال على شجرة الكافور (فتكونا) فتصيرا (من الظالمين) أى الضارين بانفسكما بالمعصية وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه (فأزلهما) استزل (الشيطان) آدم وحواء أى دعاهما الى الزلة وقرأ حمزة فازالهما أى نحاهما الشيطان فيمال من شطن أى بعد سمى به لبعده عن الخير وعن الرحمة (عنها) عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم وذلك ان ابليس أراد أن يدخل ليوسوس الى آدم وحوّاء فمنعته الخزنة فاتى الحية

وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ابليس ان تدخله فى فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وقال الحسن انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لوان خلدا فاغتنم ذلك منه الشيطان فاتاه الشيطان من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدى آدم وحواء وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا له ما يبكيك قال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما فاغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه وقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وماظنا ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر فادته اليها فاكل قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس وقتادة قال الله عز وجل لآدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصد ثم درس ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله قال سعيد بن جبير عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فانى أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وأدميتها فى الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما أكلتها فتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى

شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعنى للاكل قيل انما وقع هذا النهى عن جنس الشجرة وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس هى السنبلة وقيل الكرمة وقيل هى شجرة التين وقيل هى شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس فى ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعنى ان أكلتما من هذه الشجرة ظالمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى أن لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة * فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم * قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم * قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أى استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى فى سورة طه (عنها) أى الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) يعنى من النعيم وذلك ان ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة فى فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فاغترا وماظنا ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفى رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حواء قال فانى أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع

(وقلنا اهبطوا) انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدو) أراد العداوة التى بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس قال الله تعالى ان الشيطان لكما عدو مبين أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد بن الصفار حدثنا منصور الرمادى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لا أعلمه الا رفع الحديث انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية أو مخافة ثأر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة فى الحديث ماسالمناهن منذ حاربناهن وروى انه نهى عن ذوات البيوت روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد أسلموا فان رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان قوله تعالى (ولكم فى الارض مستقر) موضع قرار (ومتاع) بلغة ومستمتع (الى حين) الى انقضاء آجالكم (فتلقى) تلقى والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (آدم من ربه كلمات) قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء وقرأ ابن كثير آدم بالنصب كلمات برفع التاء يعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته واختلفوا فى تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظى هى قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين وقال عبيد ابن عمير هى ان آدم قال يارب أرأيت ما أتيت أشيأ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شيأ قدرته على قبل أن تخلقنى قال الله تعالى لا بل شيأ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته قبل أن تخلقنى فاغفر لى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودى عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالا لو أن دموع جميع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع آدم جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغنى ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قوله (فتاب عليه) فتجاوز عنه

الاكرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) أى انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدو) يعنى العداوة التى بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التى بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ماسالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس منى وفى رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذى كأنه قضيب فضة (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفى رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم فى الارض مستقر) أى موضع قرار (ومتاع) أى بلغة ومستمتع (الى حين) أى الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل (فتلقى آدم) أى فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أى كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هى لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أرحم الراحمين وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشيأ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شيأ قدرته على قبل أن تخلقنى قال بل شيأ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أى فتجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذى

(انه هو التوّاب) يقبل توبة عباده (الرحيم) بخلقه قوله تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الأرض (فاما يأتينكم) أى فان يأتكم يا ذرية آدم (منى هدى) أى رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قرأ يعقوب فلا خوف بالفتح فى كل القرآن والآخرون بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم فى الدنيا ولا هم يحزنون فى الآخرة (والذين كفروا) جحدوا (وكذبوا بآياتنا) بالقرآن (أولئك أصحاب النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى (يا بنى اسرائيل) يا أولاد يعقوب ومعنى اسرائيل عبد الله وايل هو الله تعالى وقيل صفوة الله وقرأ أبو جعفر اسرايل بغير همزة (اذكروا) احفظوا والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وقيل أراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان فى الشكر ذكرا وفى الكفران نسيانا قال الحسن ذكر النعمة شكرها (نعمتى) أى نعمى لفظها واحد ومعناها جمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (التى أنعمت عليكم) أى على أجدادكم واسلافكم قال قتادة هى النعم التى خصت بها بنو اسرائيل فلق البحر وانجاؤهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام عليهم فى التيه وانزال المن والسلوى وانزال التوراة فى نعم كثيرة لا تحصى وقال غيره هى جميع النعم التى لله عز وجل على عباده (وأوفوا بعهدى) بامتثال أمرى (أوف بعهدكم) بالقبول والثواب قال قتادة ومجاهد أراد بهذا العهد ما ذكر فى سورة المائدة ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى أن قال لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقال

كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التوّاب) أى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتوّاب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده (الرحيم) أى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توّابا بأنه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الأربعة وقيل ان الهبوط الأوّل من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الأوّل ولكم فى الأرض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوّاء كأنه قال وان أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى يا ذرية آدم اما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) يعنى فيما يستقبلهم (ولا هم يحزنون) أى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة (والذين كفروا) أى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أى يوم القيامة (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى اشكروا نعمتى وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرّة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرّد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان أصول النعم كلها منه وأما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المنّ والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة * فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها * قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (وأوفوا بعهدى) أى امتثلوا أمرى (أوف بعهدكم) أى بالقبول والثواب وأصل العهد

حفظ

الحسن هو قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فهو شريعة التوراة وقال مقاتل هو قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وقال الكلبى عهد الله الى بنى اسرائيل على لسان موسى انى باعث من بنى اسماعيل نبيا أميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذى يأتى به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى أمر محمد صلى الله عليه وسلم

(وايای فارهبون) فخافونی فی نقض العهد واثبت یعقوب الیاءات المحذوفة فی الخط مثل فارهبون فاتقون واخشون والاخرون یحذفونها علی الخط (وآمنوا بما أنزلت) یعنی القرآن (مصدقا لما معکم) أی موافقا لما معکم من التوراة فی التوحید والنبوة والأخبار ونعت النبی صلی الله علیه وسلم نزلت فی کعب بن الاشرف وأصحابه من علماء الیهود ورؤسائهم (ولا تکونوا أول کافر به) أی بالقرآن یرید من أهل الکتاب لان قریشا کفرت قبل الیهود بمکة معناه ولا تکونوا أول من کفر بالقرآن فتتابعکم الیهود علی ذلک فتبوءوا بآثامکم وآثامهم (ولا تشتروا) أی ولا تستبدلوا (بآیاتی) ببیان صفة محمد صلی الله علیه وسلم (ثمنا قلیلا) أی عوضا یسیرا من الدنیا وذلک ان رؤساء الیهود وعلماءهم کانت لهم مأکلة یصیبونها من سفلتهم وجهالهم یأخذون کل عام منهم شیئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم ان بینوا صفة محمد صلی الله علیه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلک المأکلة فغیروا نعته وکتموا اسمه فاختاروا الدنیا علی الآخرة (وایای فاتقون) فاخشونی (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أی لا تخلطوا یقال لبس الثوب یلبس لبسا ولبس علیه الامر یلبس لبسا أی خلط یقال لا تخلطوا الحق الذی أنزلت علیکم من صفة محمد صلی الله علیه وسلم بالباطل الذی تکتبونه بأیدیکم من تغییر صفة محمد صلی الله علیه وسلم والاکثرون علی انه أراد لا تلبسوا الاسلام بالیهودیة والنصرانیة وقال مقاتل ان الیهود أفروا ببعض صفة محمد صلی الله علیه وسلم وکتموا بعضا لیصدقوا فی ذلک فقال ولا تلبسوا الحق الذی تغیرون بالباطل یعنی بما تکتمونه فالحق بیانهم والباطل کتمانهم وتکتموا الحق أی لا تکتموه یعنی نعت محمد صلی الله علیه وسلم (وأنتم تعلمون) انه نبی مرسل

حفظ الشیء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمی الموثق الذی تلزم مراعاته عهدا وقیل أراد بالعهد جمیع ما أمر الله به من غیر تخصیص ببعض التکلیف دون بعض وقیل أراد به ما ذکر فی سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله میثاق بنی اسرائیل و بعثنا منهم اثنی عشر نقیبا الی قوله لا کفرن عنکم سیآتکم فهذا قوله أوف بعهدکم وقیل هو قوله واذ أخذنا میثاقکم ورفعنا فوقکم الطور خذوا ما آتیناکم بقوة یعنی شریعة التوراة وقیل هو قوله واذ أخذنا میثاق بنی اسرائیل لا تعبدون الا الله وقیل أراد بهذا العهد ما أثبته فی کتب الانبیاء المتقدمة من وصف محمد صلی الله علیه وسلم وانه مبعوث فی آخر الزمان وذلک ان الله عهد الی بنی اسرائیل علی لسان موسی علیه الصلاة والسلام انی باعث من بنی اسمعیل نبیا أمیا فمن تبعه وصدق النور الذی یأتی به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرین اثنین وهو قوله واذ أخذ الله میثاق الذین أوتوا الکتاب لتبیننه للناس یعنی أمر محمد صلی الله علیه وسلم وصفته (وایای فارهبون) أی فخافون فی نقضکم العهد (وآمنوا بما أنزلت) یعنی بالقرآن (مصدقا لما معکم) یعنی ان القرآن موافق لما فی التوراة من التوحید والنبوة والاخبار ونعت النبی صلی الله علیه وسلم فالایمان بمحمد صلی الله علیه وسلم والقرآن تصدیق للتوراة لان التوراة فیها الاشارة الی نعت النبی صلی الله علیه وسلم وانه نبی مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فی التوراة ومن کذبه وکفر به فقد کذب التوراة وکفر بها (ولا تکونوا أول کافر به) الخطاب للیهود نزلت فی کعب بن الاشرف ورؤساء الیهود والمعنی ولا تکونوا یامعشر الیهود أول من کفر به * فان قلت کیف جعلوا أول من کفر به وقد سبقهم الی الکفر به مشرکو العرب من أهل مکة وغیرهم * قلت هذا تعریض لهم والمعنی کان یجب أن تکونوا أول من آمن به لانکم تعرفون صفته ونعته بخلاف غیرکم وکنتم تستفتحون به علی الکفار فلما بعث کان أمر الیهود بالعکس وقیل معناه ولا تکونوا أول کافر به من الیهود فیتبعکم غیرکم علی ذلک فتبوؤا بأثامکم وآثام غیرکم ممن تبعکم علی ذلک (ولا تشتروا) أی ولا تستبدلوا (بآیاتی) أی ببیان صفة محمد صلی الله علیه وسلم التی فی التوراة (ثمنا قلیلا) أی عوضا یسیرا من الدنیا لان الدنیا بالنسبة الی الآخرة کالشیء الیسیر الحقیر الذی لا قیمة له والذی کانوا یأخذونه من الدنیا کالشیء الیسیر بالنسبة الی جمیعها فهو قلیل القلیل فلهذا قال الله تعالی ولا تشتروا بآیاتی ثمنا قلیلا وذلک ان کعب بن الاشرف ورؤساء الیهود وعلماءهم کانوا یصیبون المآکل من سفلتهم وجهالهم وکانوا یأخذون منهم فی کل سنة شیأ معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بینوا صفة محمد صلی الله علیه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلک المآکل فغیروا نعته وکتموا اسمه واختاروا الدنیا علی الآخرة وأصروا علی الکفر (وایای فاتقون) أی فخافون فی أمر محمد صلی الله علیه وسلم والتقوی قریب من معنی الرهبة والفرق بینهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوی جعل النفس فی وقایة مما تخاف * قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أی ولا تکتبوا فی التوراة ما لیس فیها فیختلط الحق المنزل بالباطل الذی کتبتم وقیل معناه ولا تخلطوا الحق الذی أنزل علیکم من صفة محمد صلی الله علیه وسلم فی التوراة بالباطل الذی تکتبونه بأیدیکم من تغییر صفته وقیل لا تخلطوا صفة محمد صلی الله علیه وسلم التی هی الحق بالباطل أی بصفة الدجال وذلک انه لما بعث رسول الله صلی الله علیه وسلم حسده الیهود وقالوا لیس هو الذی ننتظره وانما هو المسیح بن داود یعنی الدجال وکذبوا فیما قالوا (وتکتموا الحق وأنتم تعلمون) یعنی ان محمدا صلی الله علیه وسلم نبی مرسل وفیه تنبیه لسائر الخلق وتحذیر من مثله فصار هذا الخطاب وان کان خاصا فی الصورة لکنه عام فی المعنی فعلی کل أحد أن لا یلبس الحق بالباطل ولا یکتم الحق لما

(وأقيموا الصلوة) يعني الصلاة الخمس بمواقيتها وحدودها (وآتوا الزكوة) أدوا زكاة أموالكم المفروضة فهي ماخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر وقيل من تزكى أي تطهر وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لان فيها تطهيرا وتنمية للمال (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن من أركان الصلاة ولان صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع وكانه قال صلوا صلاة ذات ركوع قيل واعادته بعد قوله وأقيموا الصلاة لهذا أي صلوا مع الذين في صلواتهم ركوع فالاول مطلق في حق الكل وهذا في حق أقوام مخصوصين وقيل هذا حث

على اقام الصلاة جماعة كانه قال لهم صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالايمان (أتأمرون الناس بالبر) أي بالطاعة نزلت في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق وقيل هو خطاب لاحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة ثم خالفوا وغيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه (وأنتم تتلون الكتاب) تقرؤن التوراة فيها نعته وصفته (أفلا تعقلون) انه حق فتتبعونه والعقل مأخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد به ركبة البعير فيمنعه عن الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا علي بن عبد الله أنا سفيان الاعمش عن أبي وائل قال قال أسامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وقال شعبة عن الاعمش فيطحن بها كما يطحن الحمار

فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (وأقيموا الصلوة) يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها (وآتوا الزكوة) أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعده قوله وأقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة * قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقريع مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم أثبت على دينه فان أمره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا للمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله وو بخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون أنفسكم) أي وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعني تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (أفلا تعقلون) يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس أولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد أن تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه قوله فتندلق أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي باسنده عن أنس

برحاه (واستعينوا) على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة (بالصبر والصلوة) على تمحيص محو الذنوب أراد حبس النفس عن المعاصي وقيل أراد بالصبر الصبر على أداء الفرائض وقال مجاهد الصبر الصوم ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر وذلك لان الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة وقيل الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها (وانها) ولم يقل وانهما رد الكناية الى كل واحد منهما أي وان كل خصلة منهما كما قال كلتا الجنتين آتت أكلها اى أكل كل واحد منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر وانه لكبير و بالصلاة وانها لكبيرة فحذف أحدهما اختصارا وقال المورج رد الكناية الى الصلاة لانها أعم كقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد الكناية الى الفضة لانها أعم وقيل رد الكناية الى الصلاة لان الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول داخل في رضى الله عزوجل وقال الحسين بن الفضل رد الكناية الى الاستعانة (لكبيرة) أي لثقيلة (الا على الخاشعين) يعني المؤمنين وقال الحسن الخائفين وقيل المطيعين وقال مقاتل بن حيان المتواضعين وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فالخاشع ساكن الى طاعة الله تعالى (الذين يظنون) يستيقنون فالظن من الاضداد يكون شكا و يقينا كالرجاء يكون أمنا وخوفا (انهم ملاقو) معاينو (ربهم) في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل المراد من اللقاء الصيرورة اليه (وانهم اليه راجعون) فيجزيهم باعمالهم (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانكم وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأنبياء. (واتقوا يوما) واخشوا عقاب يوم (لا تجزى نفس) لا تقضى نفس (عن نفس شيئا) أي حقا لزمها وقيل لا تغني وقيل لا تكفي شيئا من الشدائد

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس و يحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول و يقتدى * بالقول منك و ينفع التعليم

قوله عزوجل (واستعينوا بالصبر والصلوة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي اذا أهمه أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه نعي له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعني الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) أي ثقيلة (الا على الخاشعين) يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه وأما الخاشع الذي يرجو لها ثوابا و يخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه (الذين يظنون) أي يستيقنون وقيل يعلمون (أنهم ملاقو ربهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة (وأنهم اليه راجعون) يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم * قوله عزوجل (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) انما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأني فضلتكم على العالمين) يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وا كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) أي واخشوا عذاب يوم (لا تجزى) أي لا تقضى (نفس عن نفس شيئا) يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس

(ولا تقبل منها شفاعة) قرأ ابن كثير وأبو عمرو و يعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة وقرأ الباقون بالياء لان الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة فالتذكير على المعنى والتأنيث على اللفظ كقوله تعالى قد جاءتكم موعظة من ربكم وقال فى موضع آخر فمن جاءه موعظة من ربه أى لا تقبل منها شفاعة اذا كانت كافرة (ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء وسمى به لانه مثل المعدى العدل والعدل المثل (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (واذ نجيناكم) أى اسلافكم وأجدادكم فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم (من آل فرعون) اتباعه وأهل دينه وفرعون هو الوليد ابن مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) يكلفونكم و يذيقونكم (سوء العذاب) أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السائمة فى البرية وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون و يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليه الجزية قال وهب كانوا أصنافا فى أعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت أعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها و نقلها وطائفة

عن نفس يوم القيامة ولا تردعنها شيأ مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) أى فى ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية وهو مماثلة الشئ بالشئ (ولا هم ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب * قوله عزوجل (واذ نجيناكم) أى واذكروا اذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم (من آل فرعون) أى من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) أى يكلفونكم و يذيقونكم (سوء العذاب) أى أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال أصنافا صنف يبنون و يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافا فى أعمال فرعون فذوو القوة يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها و نقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن و يطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدى ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان و ينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عزوجل (يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم) أى يتركونهن أحياء وذلك ان فرعون رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك و زوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل و وكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل فى طلب موسى اثنى عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببنى اسرائيل فتذبح صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها و ولد موسى فى السنة التى يذبح فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أى اختبار وامتحان والبلاء

ينقلون الحجارة وطائفة يبنون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن و يطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان و ينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون أبناءكم) فهو مذكور على وجه البدل من قوله يسومونكم سوء العذاب (و يستحيون نساءكم) يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى فى منامه كان نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى فيها ولم يتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك يطلق فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل وجمع القوابل فقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت و وكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل فى طلب موسى عليه السلام اثنى عشر ألف صبى وقال وهب بلغنى انه ذبح فى طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد ثم أسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع فى بنى اسرائيل فتذبح صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبحون فيها و ولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قيل البلاء المحنة أى فى سومهم اياكم سوء العذاب محنة عظيمة وقيل البلاء النعمة أى فى انجائى اياكم منهم نعمة عظيمة فالبلاء يكون بمعنى النعمة و بمعنى الشدة فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة

(واذ فرقنا بكم البحر) قيل معناه فرقنا لكم وقيل فرقنا البحر بدخولكم اياه وسمى البحر بحرا لاتساعه ومنه قيل للفرس بحر اذا اتسع فى جريه وذلك انه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببنى اسرائيل من مصر ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا فى بيوتهم الى الصبح وأخرج الله تعالى كل ولد زنا فى القبط من بنى اسرائيل اليهم وكل ولد زنا فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى رجع كل الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا حتى طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفا وعن عمرو بن ميمون قال كانوا ستمائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادى أنشدا الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام الا أخبرنى به ومن لم يعلم به فصمت أذناه عن قولى وكان يمر بين الرجلين ينادى ولا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطينى كل ما سألتك فابى عليها وقال (٤٩) حتى أسأل ربى فامره الله تعالى بايتائها سؤلها فقالت انى عجوز كبيرة لا أستطيع المشى فاحملنى وأخرجنى من مصر هذا فى الدنيا وأما فى الآخرة فأسألك ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه فى جوف الماء فى النيل فادع الله حتى يجسر عنه الماء فدعا الله تعالى فجسر عنه الماء ودعا ان يؤخر طلوع الفجر الى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام ففعل موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقتهم وهرون على مقدمتهم وندر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم ان لا يخرجوا فى طلب بنى اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون فى طلب بنى اسرائيل وعلى مقدمة عسكره هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقال محمد بن كعب رضى الله عنه كان فى عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات وكان فرعون فى الدهم وقيل كان فرعون فى سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الاعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا قال الله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم ينفلق فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله تعالى الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء شبكات كالطيقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر

يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة *قوله عز وجل (واذ فرقنا بكم البحر) أى فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه ﴿ ذكر سياق القصة ﴾ وذلك انه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى ببنى اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعير واحلى القبط لتبق لهم أولئك يتبعوهم لاجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكل ولد زنا كان فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى اسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشدا الله كل من يعلم أين قبر يوسف الا أخبرنى به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولى فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطينى كل ما أسألك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربى فأمره أن يعطيها سؤلها فقالت انى عجوز لا أستطيع المشى فاحملنى معك وأخرجنى من مصر هذا فى الدنيا وأما فى

(فأنجيناكم) من آل فرعون والغرق (وأغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم (٥٠) حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وخرج ميكائيل من البحر وهم أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو على طرف بحر من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اساف وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى (وأنتم تنظرون) الى مصارعهم وقيل الى هلاكهم (واذ واعدنا) هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم عافاك الله وعاقبت اللص وطارقت النعل وقال الزجاج كان من الله الأمر ومن موسى القبول فلذلك ذكر بلفظ المواعدة وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة واذ وعدنا من الوعد موسى اسم عبري معرب وهو بالعبرانية الماء والشجر سمي به لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين المعجمة سينا في العربية (أربعين ليلة) أي انقضاءها ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن بالليل دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر والهلال انما يهل بالليل وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء وخلق الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وذلك ان بني اسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيي ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامري وكان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه ميخا وقال سعيد بن جبير كان من أهل كرمان وقال ابن عباس اسمه

الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب ومائة ألف ألف حراب ومائة ألف ألف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضرب به وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فأنجيناكم) يعني من فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله (وأنتم تنظرون) يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى * قوله عز وجل (واذ واعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجيء الميقات (موسى) اسم عبري معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موشى لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى (أربعين ليلة) أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة

موسى بن ظفر وقال قتادة كان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة ورأى موضع قدم الفرس تخضر من ذلك وكان منافقا فأظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس علم ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام قال عكرمة ألقى في روعه انه اذا ألقى في شئ غيره حي وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حلية كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلى في أيدي بني اسرائيل فلما فصل موسى قال السامري لبني اسرائيل ان الحلى التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه وقال السدي ان هرون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفيرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلى صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب أثر فرس جبرائيل عليه السلام فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون فخار خورة وقال السدي كان يخور ويمشي فقال السامري هذا الهكم وإله موسى فنسي أي فترك ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبدوه الا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح وقال الحسن كلهم عبدوه الا هرون وحده فذلك قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل) أي الها (من بعده)

وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الأشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال العلماء لما أنجى الله بني اسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل ماحرا وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقى في روعه انه اذا ألقى في شئ حي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الألواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلى في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلى الذي استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى أخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا الهكم والله موسى فنسي أي فترك ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعني الها (من بعده) أي من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) أي من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها وضدها الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر

أظهر ابن كثير وحفص الذال من أخذتم وانخذت والآخرون يدغمونها (وأنتم ظالمون) ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم (من بعد ذلك) من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي اليكم قيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية قال الحسن شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث قال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعد تلك النعمة وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر حكي ان موسى عليه السلام قال الهي أنعمت على النعم السوابغ وألهمتني بالشكر وانما شكري اياك نعمة منك قال الله تعالى يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شئ من علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فمني وقال داود سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة

قوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قال مجاهد هو التوراة أيضا ذكرها باسمين وقال الكسائى الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة يعنى الكتاب الفرقان أى المفرق بين الحلال والحرام وقال يمان بن ريان أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم (لعلكم تهتدون) بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) ضررتم بأنفسكم (باتخاذكم العجل) الها قالوا فأى شئ نصنع قال (فتوبوا) فارجعوا (الى بارئكم) خالقكم قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعنى ليقتل البرىء منكم المجرم (ذلكم) أى القتل (خير لكم عند بارئكم) فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله تعالى قالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فكشفت عن ألوف من القتل يروى عن على رضى الله عنه انه قال كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك ان أدخل القاتل والمقتول فى الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) أى فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم عبادة فتجاوز عنكم (انه هو التواب) القابل للتوبة (الرحيم) بهم قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وذلك ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا

على ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر * وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى أنعمت على النعم السوابغ وأمرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذى لا فوقه علم حسبى من عبدى أن يعلم ان ما به من نعمة فمنى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالاحسان والافضال * قوله عزوجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الأعداء والواو أصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) يعنى الها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) أى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعنى ليقتل البرىء منكم المجرم * فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل * قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل * فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى أن يقتل التائب من الردة اما عاما فى حق الكل أو خاصا فى حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل من حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فما يمكنهم المضى لأمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون الله و بكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عزوجل (فتاب عليكم) أى فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) أى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عزوجل (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أى لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) أى عيانا وذلك ان الله عزوجل أمر موسى أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من

موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل فى الغمام وقال للقوم ادنوا فدنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخرّوا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة وذلك ان العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم ان المراد منه العيان (فأخذتكم الصاعقة) أى الموت وقيل نار جاءت من السماء فاحرقتهم (وأنتم تنظرون) أى ينظر بعضكم الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون والنظر يكون بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلا رجلا بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أحيينا كم والبعث اثارة الشئ عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث (من بعد موتكم) قال قتادة أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام) فى التيه تقيكم حر الشمس والغمام من الغم وأصله التغطية والترسى السحاب غماما لانه يغطى وجه الشمس وذلك انهم لم يكن لهم فى التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى فارسل الله تعالى غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضىء لهم الليل اذا لم يكن لهم قمر (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى) أى فى التيه والاكثرون على ان المنّ هو الترنجبين وقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق قال الزجاج جملة المنّ ما يمنّ الله به من غير تعب أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج لكل انسان منهم صاع فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه بعث الله سحابة فمطرت السمانى فى عرض ميل وطول رمح فى السماء بعضه على بعض وقال المؤرخ السلوى العسل فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت

عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال أفعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم الصاعقة) قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جموعا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخرّوا صعقين (وأنتم تنظرون) أى ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلا رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أى أحيينا كم (من بعد موتكم) أى لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعنى فى التيه يقيكم حرّ الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضىء لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) أى فى التيه والاكثرون على ان المنّ هو الترنجبين وقيل هو شئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وأصل المنّ هو ما يمنّ الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شئ أنبته الله من غير سعى أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المنّ الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها بحتا فى العين وقيل ان تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المنّ ينزل على أشجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المنّ بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا

(كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) حلالات (مارزقناكم) ولا تدخروا لغد ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فقال الله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة فى الدنيا ولا حساب فى العقبى أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر قوله تعالى (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها ومنه المقرأة للحوض لأنها تجمع الماء قال ابن عباس رضى الله عنهما هى أريحاء وهى قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق (٥٤) وقيل بلقاء وقال مجاهد بيت المقدس وقال الضحاك هى الرملة والاردن وفلسطين وتدمر

وقال مقاتل ايليا وقال ابن كيسان الشام (وكلوا منها حيث شئتم رغدا) موسعا عليكم (وادخلوا الباب) يعنى بابا من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب (سجدا) أى ركعا خضعا منحنين وقال وهب فاذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى (وقولوا حطة) قال قتادة حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) من الغفر وهو الستر فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ نافع بالياء وضمها وفتح الفاء وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء وفى الاعراف قرأ جميعا ويعقوب بالتاء وضمها وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء (وسنزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا (فبدل) فغير (الذين ظلموا)

اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أى حلالات (مارزقناكم) أى ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر * قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وما ظلمونا) أى وما بخسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى * قوله عز وجل (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح أريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الأربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية أريحاء قال ادخلوا من أى باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) أى حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) أى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدل) أى فغير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) أى قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطا ناسمقاثا أى حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على أستاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) أى يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى * قوله عز وجل (واذ استسقى موسى لقومه) أى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى أن يستسقى لهم

أنفسهم وقالوا (قولا غير الذى قيل لهم) وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حطا ناسمقاثا أى حنطة حمراء ففعل استخفافا بأمر الله تعالى وقال مجاهد طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا أن يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذى قيل لهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا اسحق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة فى شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى (واذ استسقى موسى) طلب للسقيا (لقومه) وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال.

(فقلنا اضرب بعصاك) وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى عليه السلام قال مقاتل اسم العصا بنعته قوله تعالى (الحجر) اختلفوا فيه قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أى حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول الى السبط الذى أمر أن يسقيهم وقال الآخرون كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل كان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقال عطاء كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان الحجر رخاما وقيل كان من الكذان فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستى (٥٥) كل يوم ستمائة ألف وقال سعيد

ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أى حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط وكانوا اثنى عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر أربعة وجوه فى كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر بثوبه فأتاه جبريل وقال ان الله يأمرك أن ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعنى على عدد أسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست أى عرقت وانفجرت أى سالت (قد علم كل أناس مشربهم) أى موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) أى وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العيث أشد الفساد فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجم الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لانه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة * فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد * قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها فى كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) أى فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الأنواع لانها تعين على تقوية الشهوة أولانهم ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الأطعمة التى لا توجد الا

ابن جبير هو الحجر الذى وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففر بثوبه ومر به على ملأ من بنى اسرائيل حين رموه بالادرة فلما وقف أتاه جبرائيل فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه ووضعه فى مخلاته قال عطاء كان يضربه موسى اثنتى عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدى المرأة فيعرق تفجر الانهار ثم يسيل وأكثر أهل التفسير يقولون انبجست وانفجرت واحد وقال أبو عمرو بن العلاء انبجست عرقت وانفجرت أى سالت فذلك قوله تعالى (فانفجرت) أى فضرب فانفجرت أى سالت (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الاسباط (قد علم كل أناس مشربهم) موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره فى شربه (كلوا واشربوا من رزق الله) أى وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتيكم بلا مشقة (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) والعثى أشد الفساد يقال عثى يعثى عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى وانما قال على طعام واحد وهما اثنان لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحدا (فادع لنا) فسل لاجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقال عطاء الحنطة وقال القتيبى رحمه الله تعالى الحبوب التى تؤكل كلها وقال الكلبى الثوم (وعدسها وبصلها

قال) لهم موسى عليه السلام (أتستبدلون الذى هو أدنى) أخس وأردأ (بالذى هو خير) أشرف وأفضل وجعل الملتقطة أدنى فى القيمة وان كانت هى خيرا من المن والسلوى أو أرادانها أسهل وجودا على العادة ويجوز ان يكون الخير راجعا الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم (اهبطوا مصرا) يعنى فان أبيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون والاول أصح لانه لو أراده لم يصرفه (فان لكم ما سألتم) من نبات الارض (وضربت عليهم) جعلت عليهم والزموا (الذلة) الذل والهوان قيل بالجزية وقال عطاء بن السائب هو الكستيج والزنار وزى اليهودية (والمسكنة) الفقر سمى الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا مياسير كانهم فقراء وقيل الذلة هى فقر القلب فلا ترى فى أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود (وباؤا بغضب من الله) رجعوا ولا يقال باء الا بالشر وقال أبو عبيدة احتملوا وأقروا به ومنه الدعاء أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى أى أقر (ذلك) أى الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) تهر دنافع بهمز النبى وبابه فيكون معناه المخبر من أنبأ ينبئ ونبأ ينبئ والقراءة (٥٦) المعروفة ترك الهمزة وله وجهان أحدهما هو أيضا من الانباء تركت الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال والثانى هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهى المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الاصل (بغير الحق) أى بلا جرم فان قيل فلم قال بغير الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق قيل ذكره وصفا للقتل والقتل تارة يوصف بالحق وتارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قال رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان حكمه ينقسم الى الجور والحق ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى أول النهار وقامت سوق بقتلهم فى آخر النهار (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا به لقولهم انا هدنا اليك أى ملنا اليك وقيل لانهم هادوا أى تابوا عن عبادة العجل وقيل لانهم مالوا عن دين الاسلام وعن دين موسى عليه السلام وقال أبو عمرو بن العلاء لانهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركت حين آتى الله موسى التوراة والنصارى سموا به لقول الحواريين نحن أنصار الله وقال مقاتل لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل لاعتزائهم الى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام (والصابئين) قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة واليا قون بالهمزة وأصله الخروج يقال صبا فلان أى خرج من دين الى دين آخر وصبأت النجوم اذا خرجت من مطالعها وصبأ ناب البعير اذا خرج فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين الى دين قال عمر بن الخطاب وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر تحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم قال مجاهد هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس وقال الكلبى هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم ويحجون مذاكيرهم وقال قتادة هم قوم يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيأ قال عبد العزيز بن يحيى انقرضوا

فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة (قال) يعنى موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أى الذى هو أخس وأردأ وهو الذى طلبوه (بالذى هو خير) يعنى بالذى هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعنى ان أبيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) أى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وألزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) أى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أحدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود (وباؤا) أى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) أى الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التى فى التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبى معناه المخبر من أنبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) أى بغير جرم * فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره * قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان حكمه ينقسم الى حق وجور * يروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا فى أول النهار وقامت الى سوق بقلها فى آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) أى ذلك القتل والكفر بما عصوا أمرى (وكانوا يعتدون) أى يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمى * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك أى ملنا اليك وقيل هادوا أى تابوا عن عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها (والصابئين) أصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم

(من آمن بالله واليوم الآخر) فان قيل كيف يستقيم قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية ان الذين آمنوا قيل اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم أراد بقوله ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك قالوا وهذا ان الايمان لزماهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالاسلام لامة محمد صلى الله عليه وسلم والصابؤن زمن استقامة أمرهم من آمن أي من مات منهم وهو مؤمن لان حقيقة الايمان (٥٧) بالموافاة ويجوز ان يكون الواو مضمرا

أي ومن آمن بعدك يا محمد الى يوم القيامة وقال بعضهم ان المذكورين بالايمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان (وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) وانما ذكر بلفظ الجمع لان من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم) عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) وهو الجبل بالسريانية في قول

ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيأ والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في أول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا * قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما أنه أراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفطرة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في أول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابؤن فكأنه تعالى قال هؤلاء المطلوبون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أي في ايمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة * قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم ان يعملوا باحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه

بعضهم وهو قول مجاهد وقيل ما من لغة في الدنيا الا في القرآن وقال الاكثرون ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى قرآنا عربيا وانما هذا وأشباهه وفاق وقع بين اللغتين وقال ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وذلك ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه ان يقبلوها ويعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها للآصار والأثقال التي هي فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل قامة الرجل كالظلة وقال لهم ان لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفع الله فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم

(خذوا) أى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) أعطيناكم بقوة بجد واجتهاد ومواظبة (واذكروا) وادرسوا (ما فيه) وقيل احفظوا واعملوا (لعلكم تتقون) لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سنة فى اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا (ثم توليتم) أعرضتم (من بعد ذلك) من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى بالامهال والادراج وتأخير العذاب عنكم (لكنتم) لصرتم (من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل من المعذبين فى الحال كانه رحمهم بالامهال قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) أى جاوزوا الحد وأصل السبت القطع قيل سمى يوم السبت بذلك لان الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل لان اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه انهم كانوا من زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأنها حتى لا يرى الماء لكثرتها فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يرى شئ منها فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الأنهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل كانوا يسوقون الحيتان الى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الاحد وقيل كانوا ينصبون الحبائل والشخوص يوم الجمعة ثلاث

السلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) أى قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) أى ما أعطيناكم (بقوة) أى بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) أى ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) أى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) أى أعرضتم (من بعد ذلك) أى من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أى بالامهال (لكنتم من الخاسرين) أى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى * قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) أى جاوزوا الحد (فى السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها أنهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا ففعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف أمسك ولم ينه وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغيروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث

ويخرجونها يوم الاحد فعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا على الذنب وقالوا ما ندرى السبت الا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وأثروا وكثر مالهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وغيروا بذلك سنين ولعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميع قردة لها أذناب يتعاوون قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا قال الله تعالى

(فقلنا لهم كونوا قردة) أمر تحويل وتكوين (خاسئين) مبعدين مطرودين قيل فيه تقديم وتأخير أى كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات والخسأ الطرد والابعاد وهو لازم ومتعد يقال خسأته خسئا فخسأ خسوأ مثل رجعته رجعا فرجع رجوعا (فجعلناها) أى جعلنا عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أى عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع وأصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون انكالا (لما بين يديها) قال قتادة أراد بما بين يديها يعنى ما سبق من الذنوب أى جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد (وما خلفها) ما حضر من الذنوب التى أخذوا بها وهى العصيان بأخذ الحيتان وقال أبو العالية والربيع عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم وما الثانية بمعنى من وقيل جعلناها أى جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أى القرى التى كانت مبنية فى الحال وما خلفها وما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناها وما خلفها أى ما أعدلهم من العذاب فى الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها أى لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم فى السبت (وموعظة للمتقين) للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفعلون مثل فعلهم قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة هى الانثى من البقر يقال هى مأخوذة من البقر وهو الشق سميت به لانها تبقر الارض أى تشقها للحراثة والقصة فيه انه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى قال الكلبى وذلك قبل نزول قسامة فى التوراة (٥٩) فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين

ثلاث ولم يتوالدوا * قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعنى عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أى عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها أى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهى الانثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

﴿ ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك ﴾ قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) أى نحن نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعنى موسى (أعوذ بالله) أى أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أى المستهزئين بالمؤمنين وقيل

لهم بدعائه فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) أى تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه قرأ حمزة هزوا وكفوا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتثقيل ويترك الهمزة حفص (قال موسى أعوذ بالله) امتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أى من المستهزئين بالمؤمنين

وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لان الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة وذلك انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى تكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع الله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى فقالت أيها الفتى البار بوالدتك اركبنى فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بالله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف

برّه بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتنى ان لا أنقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها وقال الملك فانى أعطيتك اثنى عشر على ان لا تستأمرها فابى الفتى (٦٠) ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ذلك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبعها الا بملء مسكها دنانير فامسكها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فمازالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على برّه بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أى ماسنها (قال) موسى (انه يقول) يعنى فسأل الله تعالى فقال انه يعنى ان الله تعالى يقول (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التى لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا والبكر الفتية الصغيرة التى لم تلد قط وحذفت الهاء منهما للاختصاص بالاناث كالحائض (عوان) وسط نصف (بين ذلك) أى بين السنين يقال عونت المرأة تعوينا اذا زادت على الثلاثين قال الأخفش العوان التى نتجت مرارا وجمعها عون (فافعلوا ما تؤمرون) من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقال قتادة صاف وقال الحسن الصفراء السوداء والاول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قانئ وأخضر ناضر وأبيض يقق للمبالغة (تسر الناظرين) اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها

من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى أى بقرة كانت فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت له أمه يوما يا بنى ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع الله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بأمه اركبنى فانه أهون عليك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له أمه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف برّه بأمه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى أمى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ورجع الفتى الى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى أعطيتك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال له الملك اذهب الى أمك فقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فأمسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة لذلك الفتى على برّه بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أى ماسنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أى لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) أى نصف (بين ذلك) أى بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) أى من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول أصح لانه يقال أصفر فاقع وأسود حالك (تسر الناظرين) أى يعجبهم حسنها

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أسائمة أم عاملة (ان البقر تشابه علينا) ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر وقال الزجاج أى جنس البقر تشابه أى التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدى اليه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الأبد (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) مذللة بالعمل يقال رجل ذلول بين الذل ودابة ذلولة بينة الذل (تثير الأرض) تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى ليست بسانية (مسلمة) بريئة من العيوب (لا شية فيها) لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء لا عيب فيها قال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالبيان التام الشافى الذى لا اشكال فيه وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها الا مع الفتى فاشتروها بمل مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها وقيل وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها قوله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) هذا أول القصة وان كان مؤخرا فى التلاوة واسم القتيل عاميل (فادّارأتم فيها) أصله تدارأتم فأدغمت التاء فى الدال وأدخلت الألف مثل قوله أثاقلتم قال ابن عباس ومجاهد معناه فاختلفتم وقال الربيع بن أنس تدافعتم أى يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تكتمون) فان القاتل كان يكتم القتل قوله عز وجل (فقلنا اضربوه) يعنى القتيل (٦١) (ببعضها) أى ببعض البقرة واختلفوا فى ذلك البعض قال ابن عباس رضى الله عنه وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقتل وقال مجاهد وسعيد بن جبير بعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق ثانيا وهو البعث وقال الضحاك بلسانها وقال الحسين بن الفضل هذا أدل بها لانه آلة الكلام وقال الكلبى وعكرمة بفخذها الأيمن وقيل ببعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه أى عروق العنق تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيى الله الموتى) يعنى يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى * فان قلت كان حق هذه القصة

حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أى سائمة أو عاملة (ان البقر تشابه علينا) أى التبس واشتبه أمرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) أى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) أى ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) أى تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى ليست بسانية والسانية هى التى تستسقى الماء من البئر لسقى الارض (مسلمة) أى بريئة من العيوب (لا شية فيها) أى لا لون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالبيان التام الذى لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بمل مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أى وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا * قوله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادّارأتم فيها) قال ابن عباس أى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج ما كنتم تكتمون) أى مظهر ما كتمتم من أمر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعنى القتيل (ببعضها) أى ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو أصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب انهم كانوا مخيرين فى ذلك البعض وانهم اذا ضربوه بأى جزء منها أجزأ وحصل المقصود وانه ليس فى القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضمار تقديره فضربوه فحيى وقام باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيى الله الموتى) يعنى يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) أى تمنعون أنفسكم عن المعاصى * فان قلت كان حق هذه القصة

قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اضمار تقديره فضربت فحيى (كذلك يحيى الله الموتى) كما أحيا عاميل (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) قيل تمنعون أنفسكم من المعاصى أما حكم هذه المسئلة اذا وجد فى الاسلام قتيل فى موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان واللوث ان يغلب على القلب صدق المدعى بان اجتمع جماعة فى بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب ان القاتل فيهم أو وجد قتيل فى محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب انهم قتلوه فادعى الولى على بعضهم يحلف المدعى خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الأولياء جماعة توزع الايمان عليهم ثم بعد ما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم الى وجوب القود وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد وان لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم هل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر الدم وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعى وقال اذا وجد قتيل فى محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعى عند وجود اللوث ما أخبرنا به عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبى حثمة ان عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا الى خيبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله ابن سهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرئكم يهود بخمسين يمينا فقالوا يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده وفي لفظ آخر فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده قال بشير بن يسار قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربدلنا وفي رواية لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربدلنا وجه الدليل من الخبران النبي صلى الله عليه وسلم بدأ أيمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث وهو ان عبد الله بن سهل وجد قتيلا في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الانصار وأهل خيبر وكان يغلب على القلب انهم قتلوه واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تقوى جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه قوله (ثم قست قلوبكم) أي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك)

أن يقدم ذكر القتيل أولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب * قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خيانتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح أولا ثم عقبه بذكر القتل * فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء * قلت الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال أن يتوهم متوهم أن موسى عليه السلام انما أحياه بضرب من السحر والحيلة فاذا أحيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك * فان قلت هلا أمروا بذبح غير البقرة * قلت الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من أعظم القربين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذه صاحبها من ثمنها

﴿ فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت ﴾ وذلك أنه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم أو وجد قتيل في محلة أو قرية وكلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني أنه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداءة بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روى عن سهل ابن أبي خيثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة أبناء مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو أحدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بأيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) أي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك)

أي

من بعد ظهور الدلالات قال الكلبي قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله لم يكونوا قط أعمى قلبا ولا أشد تكذيبا لانبيهم منهم عند ذلك

(فهى) فى الغلظة والشدة (كالحجارة أو أشد قسوة) قيل أو بمعنى بل أو بمعنى الواو كقوله مائة ألف أو يزيدون أى بل يزيدون أو هو بزيدون وانما لم يشبهها بالحديد مع انه أصلب من الحجارة لان الحديد قابل للين فانه يلين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى الاسباط (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) أراد به عيونا دون الأنهار (وان منها لما يهبط) ينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) وقلو بكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود فان قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى قيل الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه ومذهب أهل السنة والجماعة ان الله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر الآية فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله سبحانه وتعالى ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى أخاف ان تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الى يا رسول الله أخبرنا الامام أبو على الحسين ابن محمد القاضى ثنا السدى أبو الحسين محمد بن حسن العلوى أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابورى أنا محمد بن اسماعيل الصائغ أنا يحيى بن أبى بكر أنا ابراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وانى لاعرفه الآن هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن ابى بكر وصح عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال هذا جبل يحبنا ونحبه وروى عن أبى هريرة يقول صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال بينما رجل يسوق بقرة اذ عيى فركبها فضربها فقالت انا لم نخلق لهذا انما خلقنا لحراثة الارض فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم وقال بينما رجل فى غنم له اذ عدا الذئب على شاة منها فادركها صاحبها فاستنقذها فقال الذئب فمن لها يوم السبع أى يوم القيامة يوم لا راعى لها غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم وصح عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اهدأ أى اسكن فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد صحيح أخرجه مسلم أنا عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن على الصابونى أنا أبو الحسن على بن اسحاق بن هشام الرازى أنا محمد أيوب بن ضريس وهو بجلى الرازى أنا محمد بن الصباح عن الوليد بن أبى ثور عن السدى عن عبادة بن أبى يزيد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحن حنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكنت قال مجاهد لا ينزل حجر من الاعلى الى الاسفل الا من خشية الله ويشهد لما قلنا قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون

أى من بعد ظهور الدلالات التى جاء بها موسى وقيل هى اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة (فهى) يعنى القلوب فى الغلظ والشدة (كالحجارة) أى كالشئ الصلب الذى لا تخلخل فيه (أو) قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أى و (أشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب * قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى لاسقى الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التى هى دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله) أى ينزل من أعلى الجبل الى أسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وأنها لا تمتنع عما يريد منها وقلو بكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع * فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى * قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع فى الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء

قوله عز وجل (وما الله بغافل) بساه (عما تعملون) وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبتها تعملون بل يجازيكم به قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرون بالتاء قوله عز وجل (أفتطمعون) أفترجون يا محمد واصحابه (أن يؤمنوا لكم) تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) يعني التوراة (ثم يحرفونه) يغيرون ما فيها من الاحكام (من بعد ما عقلوه) علموه كما غيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (وهم يعلمون) انهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا بعد ما سمعوا كلام الله الى قومهم رجع الناس الى قولهم وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فهذا تحريفهم وهم يعلمون انه الحق قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا) قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم اذا لقوا المؤمنين المخلصين (قالوا آمنا) كايمانكم (واذا خلا) رجع (بعضهم الى بعض) كعب ابن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا أو غيرهم من رؤساء اليهود لاموهم على ذلك (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما قص الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق والفتاح القاضي وقال الكسائي بما بينه لكم من العلم بصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وقال الواقدي بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ونظيره لنفتحن عليهم بركات من السماء والارض أي أنزلنا وقال أبو عبيدة بما من الله عليكم وأعطاكم (ليحاجوكم به) ليخاصموكم به يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولوا قد أقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك انهم قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه حق ثم قال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به يعني لتكون لهم الحجة عليكم

الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة * قوله عز وجل (أفتطمعون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون (أن يؤمنوا لكم) أي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فانهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة (من بعد ما عقلوه) أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) أي فساد مخالفته ويعلمون أيضا انهم كاذبون * قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعني كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك و (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) أي ليخاصمكم أصحاب محمد صلى

(عندربكم) فى الدنيا والآخرة وقيل انهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم (أفلا تعقلون) قوله عز وجل (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون) يخفون (وما يعلنون) يبدون يعنى اليهود وقوله تعالى (ومنهم أميون) أى من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة جمع أمى منسوب الى الام كانه باق على ما انفصل من الام لم يعلم كتابة ولا قراءة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا أمة أمية أى لا نكتب ولا نحسب وقيل هو منسوب الى أم القرى وهى مكة (لا يعلمون الكتاب الا أمانى) قرأ أبو جعفر أمانى بتخفيف الياء كل القرآن حذف احدى الياءين تخفيفا وقراءة العامة بالتشديد وهو جمع الامنية وهى التلاوة قال الله تعالى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى قراءته قال أبو عبيدة الا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤنه من كتاب وقيل يعلمونه حفظا وقراءة لا يعرفون معناه

صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبى حق فى كتابكم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبى حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) أى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) أى ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعنى اليهود (أن الله يعلم ما يسرون) أى ما يخفون (وما يعلنون) أى ما يبدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) أى من اليهود (أميون) أى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمى وهو المنسوب الى أمه كأنه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا أمانى) جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

أى تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الا مانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) أى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة وأصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل وادى فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كان لهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا

قال ابن عباس يعنى غير عارفين بمعانى الكتاب وقال مجاهد وقتادة الا كذبا وباطلا قال الفراء الا أمانى الاحاديث المفتعلة قال عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت أى ما كذبت وأراد بها الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها الى الله من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وغيره وقال الحسن وأبو العالية هى من التمنى وهى أمانيهم الباطلة التى يتمنونها على الله عز وجل مثل قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فعلى

هذا لا يكون بمعنى لكن أى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وان هم) وما هم (الا يظنون) يعنى وما يظنون الا ظنا وتوهما لا يقينا قاله قتادة والربيع وقال مجاهد يكذبون قوله عز وجل (فويل) قال الزجاج ويل كلمة تقولها العرب لكل واقع فى هلكة وقيل هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور وقال ابن عباس شدة العذاب وقال سعيد بن المسيب ويل وادى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت ولذابت من شدة حرها أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشيد ابن سعد عن عمرو بن الحارث انه حدث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الويل وادى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فهو كذلك (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم

ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) وذلك ان احبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة القامة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤا ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته ويكذبونه قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم) يعني كتبوه بانفسهم اختراعا من تغيير نعته صلى الله عليه وسلم (وويل لهم مما يكسبون) من المآكل ويقال من المعاصي وقالوا يعني اليهود (لن تمسنا النار) ان تصيبنا النار (الا أياما معدودة) قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب واختلفوا في هذه الايام فقال ابن عباس ومجاهد كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام وقال قتادة وعطاء يعنون أربعين يوما التي عبد فيها آباؤهم العجل وقال الحسن وأبو العالية قالت اليهود ان ربنا

عتب علينا في أمرنا فاقسم الله ليعذبنا أربعين يوما فلن تمسنا النار الا أربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذيبا لهم (قل) يا محمد (أتخذتم عند الله) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل (عهدا) موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) وعده قال ابن مسعود عهدا بالتوحيد يدل عليه قوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قوله لا اله الا الله (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) ثم قال (بلى) و بلى و بل حرف استدراك ومعناها نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل (من كسب سيئة) يعني الشرك (وأحاطت به خطيئته) قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع والاحاطة الاحداق بالشئ من جميع نواحيه قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة هي الشرك يموت عليه

في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (ليشتروا به) أي بما كتبوا (ثمنا قليلا) أي المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا) أي لن تصيبنا (النار الا أياما معدودة) أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في أمر فاقسم ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) أي يا محمد لليهود (أتخذتم عند الله عهدا) أي موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) أي وعده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاطت به خطيئته) أي احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) * فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا * قلت أجاب بعضهم بأن الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من أفعال الايمان فلهذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون الا الله) أي أمر الله تعالى

وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة به ان يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لان الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته وتقدمت منه سيئة وهي الشرك والمؤمن وان عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبا ارتفعت حتى يغشى القلب وهي الرين قال الكلبي أو بقته ذنوبه بدليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم أي تهلكوا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) في التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون الا الله) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء والآخرون بالتاء كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا معناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان صار الفعل مرفوعا وقرأ أبي بن

كعب لا تعبدوا على النهى (و بالوالدين) اى وصينا هم بالوالدين (احسانا) برا بهما وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى (وذي القربى) أى و بذى القرابة والقربى مصدر كالحسنى (واليتامى) جمع يتيم وهو الطفل الذى لا أب له (والمساكين) يعنى الفقراء (وقولوا للناس حسنا) صدقا وحقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه و بينوا صفته ولا تكتموا أمره هذا قول ابن عباس وسعيد ابن جبير وابن جريج ومقاتل وقال سفيان الثورى مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والمعاشرة بحسن الخلق قرأ حمزة والكسائى و يعقوب حسنا بفتح الحاء والسين أى قولا حسنا (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم)

تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (و بالوالدين احسانا) أى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى و يوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما أن يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف برّ الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذى خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا (وذى القربى) أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره و يتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه و ينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه و بينوا صفته ولا تكتموها قاله ابن عباس الوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) أى أعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أى كاعراض آبائكم * قوله عزوجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أى بهذا العهد انه حق (وأنتم تشهدون) يعنى أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء اليهود (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من دياركم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع أسير (تفدوهم) أى بالمال وهو استنقاذهم

أعرضتم عن العهد والميثاق (الا قليلا منكم) وذلك ان قوما منهم آمنوا (وأنتم معرضون) كاعراض آبائكم قوله عزوجل (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تسيؤا جوار من جاوركم فتلجؤهم الى الخروج بسوء جواركم (ثم أقررتم) بهذا العهد انه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون بالقبول قوله عزوجل (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء وهؤلاء للتنبيه (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم) بتشديد الظاء أى تتظاهرون ادغمت التاء فى الظاء وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الظاء

فحذفوا احدى التاءين التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى ولا تعاونوا ومعناهما جميعا تتعاونون والظهير العون (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) قرأ حمزة أسرى وهما جمع أسير ومعناهما واحد (تفدوهم) بالمال وتنقذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائى و يعقوب تفادوهم أى تبادلوهم أراد مفاداة الاسير بالاسير وقيل معنى القراءتين واحد ومعنى الآية قال السدى ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه وبما قام من

بالشراء وقرئ تفادوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الأسير بالأسير ومعنى الآية ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم و بنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا أمرنا أن نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحى أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم أسارى تفادوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتال وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسرائهم فأعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) قال مجاهد يقول ان وجدته فى يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يامعشر اليهود (الا خزى) عذاب وهوان (فى الحيوة الدنيا) فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الجلاء والنفى من منازلهم الى أذرعات وأريحا من الشام (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهو عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالتاء قوله عز وجل (أولئك الذين اشتروا) استبدلوا (الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف) يهون (عنهم العذاب ولا هم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله عز وجل قوله تعالى (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (وقفينا) وأتبعنا (من بعده بالرسل) رسولا بعد رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الدلالات الواضحات وهى ما ذكر الله فى سورة آل عمران والمائدة وقيل أراد الانجيل (وأيدناه) قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال والآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب والرعب واختلفوا فى روح القدس قال الربيع وغيره أراد الروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله أضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا أى الى نفخ فيه نحو بيت الله وناقة الله كما قال فنفخنا فيه من روحنا و روح منه وقيل أراد بالقدس الطهارة يعنى الروح الطاهرة سمى روحه قدسا لانه لم تتضمنه أصلاب

ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون فى حرب سنين فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم و بنو النضير مع حلفائهم واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وان كان الأسير من عدوهم فتعيرهم العرب و يقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا انا أمرنا أن نفديهم فيقولون فلم تقاتلوهم قالوا انا نستحى أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير و نظمها وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم أسارى تفادوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتال وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسرائهم فأعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) قال مجاهد يقول ان وجدته فى يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يامعشر اليهود (الا خزى) عذاب وهوان (فى الحيوة الدنيا) فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الجلاء والنفى من منازلهم الى أذرعات وأريحا من الشام (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهو عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالتاء قوله عز وجل (أولئك الذين اشتروا) استبدلوا (الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف) يهون (عنهم العذاب ولا هم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله عز وجل قوله تعالى (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (وقفينا) وأتبعنا (من بعده بالرسل) رسولا بعد رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الدلالات الواضحات وهى ما ذكر الله فى سورة آل عمران والمائدة وقيل أراد الانجيل (وأيدناه) قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال والآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب والرعب واختلفوا فى روح القدس قال الربيع وغيره أراد الروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله أضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا أى الى نفخ فيه نحو بيت الله وناقة الله كما قال فنفخنا فيه من روحنا و روح منه وقيل أراد بالقدس الطهارة يعنى الروح الطاهرة سمى روحه قدسا لانه لم تتضمنه أصلاب

الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من أمر الله تعالى قال قتادة والسدى والضحاك روح القدس جبريل عليه السلام وقيل وصف جبريل بالقدس أى بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا وقال الحسن القدس هو الله و روحه جبريل قال الله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام انه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الى السماء وقيل سمى جبريل عليه السلام روحا للطافته ولمكانته من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الله تعالى الاعظم الذى كان يحيى به الموتى و يرى الناس العجائب وقيل هو الانجيل جعل له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه سبب لحياة القلوب وقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام فقالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما يقص علينا من الانبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) تكبرتم وتعظمتم عن الايمان (ففريقا) طائفة (كذبتم) مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم (وفريقا تقتلون) أى قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع أغلف وهو الذى عليه غشاوة معناه عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول قال مجاهد وقتادة نظيره قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهى قراءة الاعرج وهى جمع غلاف أى قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج الى علمك قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبى معناه أوعية لكل علم فهى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه خير لوعته وفهمته قال الله عز وجل (بل لعنهم الله) طردهم الله وأبعدهم عن كل خير

والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله و بيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الأعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وأيدناه أى قويناه بجبريل وذلك انه أمر أن يكون مع عيسى و يسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما يقص علينا من أخبار الانبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) أى تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع أغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف. والمعنى ان قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل أوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) أى طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) أى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم * قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) أى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى

(بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) قال قتادة معناه لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود أى فقليلا يؤمنون ونصب قليل على الحال وقال معمر لا يؤمنون الا بقليل مما فى أيديهم و يكفرون بأكثره أى فقليل يؤمنون ونصب قليلا بنزع الخافض وما صلة على قولهما وقال الواقدى معناه لا يؤمنون لا قليلا ولا كثيرا كقول الرجل الآخر ما أقل ما تفعل كذا أى لا تفعله أصلا (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق) موافق (لما معهم) يعنى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) على مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون اذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وارم

(فلما جاءهم ما عرفوا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من غير بنى اسرائيل وعرفوا نعته وصفته (كفروا به) بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم) بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال معناه بئس الذى اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل الاشتراء ههنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أى اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار (أن يكفروا بما أنزل الله) يعنى القرآن (بغيا) أى حسدا وأصل البغى الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد والبغى الظلم وأصله الطلب والباغى طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلبا لازالة نعمة الله تعالى عنه (أن ينزل الله من فضله) أى النبوة والكتاب (على من يشاء من عباده) محمد صلى الله عليه وسلم قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتخفيف الا فى سبحان الذى فى موضعين وننزل من القرآن وحتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فان ابن كثير يشددهما وشدد البصريون فى الانعام على ان ينزل آية زاد يعقوب تشديد بما ينزل فى النحل ووافق حمزة والكسائى فى تخفيف وينزل الغيث فى سورة لقمان وحمسق والآخرون يشددون الكل ولم يختلفوا فى تشديد وما نتزله الا بقدر فى الحجر (فباؤا) رجعوا

مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) أى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) أى جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم) أى بئس شيئا اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله يعنى القرآن (بغيا) أى حسدا (ان ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) أى فرجعوا (بغضب على غضب) أى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) أى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة وما أنزل على أنبيائهم (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من أهلها (ان كنتم مؤمنين) أى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء * قوله عزوجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وأنتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى استجيبوا وأطيعوا أى فيما أمرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى

(بغضب على غضب) أى مع غضب قال ابن عباس ومجاهد الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال قتادة الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال السدى الاول بعبادة العجل والثانى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) مخز يهانون فيه قوله عزوجل (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعنى القرآن (قالوا نؤمن بما أنزل علينا)

يعنى التوراة يكفينا ذلك (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه من الكتب كقوله عزوجل فمن ابتغى وراء أمرك ذلك أى سواه وقال أبو عبيدة بما بعده (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا) نصب على الحال (لما معهم) من التوراة (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أى قتلتم (أنبياء الله من قبل) ولم أصله لما حذفت الألف فرقا بين الخبر والاستفهام كقولهم فيم وبم (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء عليهم السلام قوله عزوجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد انطلاقه الى الجبل (وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والاجابة سمعا على المجاز لانه سبب للطاعة والاجابة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وقيل سمعنا بالاذن وعصينا بالقلوب قال أهل المعانى انهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتساعا

(وأشربوا في قلوبهم في العجل بكفرهم) أي حب العجل أي معناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كاشراب اللون لشدة الملازمة يقال فلان أشرب اللون اذا اختلط بياضه بالحمرة وفي القصص ان موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قوله عز وجل (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله عز وجل قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله يعني الجنة (خالصة) أي خاصة (من دون الناس فتمنوا الموت)

أي فاريدوه أو اسألوه لان من علم ان الجنة مأواه حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني (ان كنتم صادقين) في قولكم وقيل فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الاعمال وأضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون باليد فاضيف الى اليد اعماله وان لم يكن لليد فيها عمل (والله عليم بالظالمين ولتجدنهم) اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود (أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بالاول أي واحرص من الذين أشركوا وقيل تم الكلام بقوله على حياة ثم ابتدأ ومن الذين أشركوا أراد بالذين أشركوا المجوس قال أبو العالية والربيع سموا مشركين لانهم يقولون بالنور والظلمة (يود) يريد ويتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) يعني تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم يقولون عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) مباعده (من العذاب) من النار (أن يعمر) أي طول عمره لا يبعده من العذاب يقال زحزح لازم ومتعد يقال زحزحته فتزحزح

أمرك وقيل انهم لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى في النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئس ما يأمركم به ايمانكم) أي بأن تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) أي بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أي فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وأنها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمني (ان كنتم صادقين) أي في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) أي لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعني من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود (أحرص الناس على حياة) أي حياة متطاولة والحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا * فان قلت الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر * قلت أفردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس (يود أحدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أي يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أي تعمير ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال أي عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) أي بمباعده (من العذاب) أي النار (أن يعمر)

(والله بصير بما يعملون) قرأ يعقوب بالتاء والباقون بالياء قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان حبرا من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدو نا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وانه عادانا مرارا كان أشد ذلك علينا ان الله تعالى أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدونا لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة وعكرمة والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود فكان اذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم فقالوا له ما في أصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون (٧٢) بنا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وانا نطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا

أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) أي لا يخفى عليه خافية من أحوالهم * قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدو نا ولو كان ميكائيل لا منا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا ان الله أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممره عليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في أصحاب محمد أحب الينا منك وانا نطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا لمن صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل ومكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد أن من كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهذا كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقر أرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر والأقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) أي بأمره (مصدقا) أي موافقا (لما بين يديه) أي لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين في الآية

أسألكم لاني شاك في ديني وانما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل قال عمر فاني أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فانه عدو لجبريل

الاولى

ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقر أرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أصلب من الحجر فقال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل (فانه) يعني جبريل (نزله) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد (باذن الله) بأمر الله (مصدقا) موافقا (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) قوله عز وجل (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله وملائكته تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة للتفضيل والواو فيهما بمعنى أو يعني من كان عدوا لأحد هؤلاء فانه عدو للكل لان الكافر بالواحد كافر بالكل

(فان الله عدو للكافرين) قال عكرمة جبرو ميك واسراف هي العبد بالسريانية وال وايل هو الله تعالى ومعناهما عبد الله وعبد الرحمن وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن قنديل قال حسان وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة والاشباع بوزن سلسبيل وقرأ أبو بكر بالاختلاس وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز وميكائيل قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز قال جرير عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد * وبجبرئيل وكذبوا ميكال

وقال آخر ويوم بدر لقينا كم لنا مدد * فيه مع النصر جبريل وميكال

وقرأ نافع وأهل المدينة بالهمزة والاختلاس بوزن ميكاعل وقرأ الآخرون بالهمزة والاشباع بوزن ميكاعل

الأولى ان من كان عدو الجبريل لأجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدو الله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد بين في هذه الآية ان كل من كان عدو الاحد هؤلاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فأما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر أعظم منه. وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياء الله وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبرو وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها) أي وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (أوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهد فأنزل الله هذه الآية أوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد أظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) أي طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعني اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلا * قوله عز وجل (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان)

قال ابن صوريا ما جئتنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها الا الفاسقون) الخارجون عن أمر الله عز وجل (أو كلما) واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام (عاهدوا عهدا) يعني اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج اليهم محمد كفروا به قال ابن عباس رضي الله عنهما لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وعهد اليهم في محمد ان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا عهدا في محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي أوكلما عوهدوا فجعلهم مفعولين وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله

عليه وسلم وبين اليهود ان لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير دليله قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم (نبذه) طرحه ونقضه (فريق) طوائف (منهم) من اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) يعني التوراة وقيل القرآن (كأنهم لا يعلمون) قال الشعبي كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها وقال سفيان بن عيينة أدرجوها في الحرير والديباج وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم (واتبعوا) يعني اليهود (ما تتلوا الشياطين) أي ما تلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلوا أي تقرأ قال ابن عباس رضي الله عنه تتبع وتعمل به وقال عطاء تحدث وتتكلم به (على ملك سليمان)

أى فى ملكه وعهده وقصة الآية ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس انما ملكهم سليمان بهذا فعلموها فاما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان وأما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذا حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان هذا قول الكلبى وقال السدى كانت الشياطين تصعد الى السماء فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون فى الارض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا فى كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا فى بنى اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان فى الناس وجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال لا أسمع أحدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسى وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكن ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا فى الناس ان سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل فى عذر سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر وقيل لم يكن سليمان كافرا يسحر ويعمل به (ولكن الشياطين كفروا) قرأ ابن عباس رضى الله عنه والكسائى وحمزة ولكن خفيفة النون والشياطين رفع وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون والشياطين نصب وكذلك ولكن الله أهل قتلهم ولكن الله رمى ومعنى لكن نفى الخبر الماضى واثبات المستقبل (يعلمون الناس السحر) قيل معنى السحر العلم والحذق بالشئ قال الله تعالى وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك أى العالم والصحيح ان السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الامم ولكن العمل به كفر حكى عن الشافعى رضى الله عنه انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه اياه فاذا تلقاه منه بتعليمه اياه استعمله فى غيره وقيل انه يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الآدمى على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب والاصح ان ذلك تخييل قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى لكنه يؤثر فى الابدان بالامراض والموت والجنون وللكلام تأثير فى الطباع والنفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما يحم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التى تؤثر فى الابدان

وهو قولهم ان سليما ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أى على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر فى زمانه فمنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فأنكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعنى بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال ألا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فأنزل الله تعالى وما كفر سليمان يعنى ان سليمان كونه نبيا ينافى كونه ساحرا كافرا ثم بين الله تعالى ان الذى برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعنى ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمى السحر سحرا لخفاء سببه فلا يفعل الا فى خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أى ما صرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه هذا أصله من حيث اللغة وأما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هى المؤثرة فى قلب الاعيان وروى عن الشافعى أنه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر فى الهواء وهذا القول ضعيف عند

قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين ببابل) أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين أي ألهما وعلما فالانزال بمعنى الالهام والتعليم وقيل واتبعوا ما أنزل على الملكين وقرأ ابن عباس والحسن الملكين بكسر اللام وقال ابن عباس هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن علجان لان الملائكة لا يعلمون السحر وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الألسنة بها عند سقوط

صرح نمرود أي تفرقها قال ابن مسعود بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند والقراءة المعروفة على الملكين بالفتح فان قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة قيل له تأويلان أحدهما انهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه والتعليم بمعنى الاعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما والتأويل الثاني وهو الاصح ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما فيكفر به ومن سعد يتركه فيبقى على الايمان ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا فقيها بتلاء المعلم والمتعلم ولله أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم قوله عز وجل (هاروت وماروت) هما اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين الا انهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة

أهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لذلك لا أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان وأما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن له قدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف أخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هي المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روى عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ * قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين) أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم أي ما ألهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه أن الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام * فان قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر * قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما ويجري للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد أديا ما أمرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني (ببابل) قيل هي بابل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان * وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا

في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وقال الكلبي قال الله تعالى لهم اختاروا ثلاثة

فاختاروا عزا وهوهاروت وعزايا وهوماروت غيراسمهما لما قارفا الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم الى الارض وأمرهما أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة فى قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا به الى السماء قال قتادة فأمر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت من أهل فارس وكانت ملكة فى بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الأشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفى أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة ففزنيا فلما فرغا آهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال بعضهم جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجا لها فقال أحدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فقال وهل لك ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها عن نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لى على زوجى فقضيا لها ثم سألاها نفسها فقالت لا الا أن تقتلا

فقال أحدهما أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لنا صنما نعبده ان أنتما صليتما معى عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول وقال صاحبه مثله فصليا معها فسخت شهابا قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والكلبى والسدى انها قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الأكبر قالت فأنتما بعد ركى حتى تعلماني فقال أحدهما لصاحبه علمها فقال انى أخاف الله قال فانصرفت الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلما هاذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا وذهب بعضهم الى انها وهى الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى أقسم الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتى فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبى عليه السلام فاخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان واختلفوا فى كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال عطاء بن أبى رباح رؤسهما مصوبة تحت أجنحتهما وقال قتادة كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد جعلا فى جب ملئ نارا وقال عمر بن سعد منكوسان يضربان بسياط الحديد وروى ان رجلا قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من أنت قال رجل من الناس قالا من أى أمة قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل وبم استبشارتكما قالا انه بقى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن ادريس عليه السلام غيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم فى الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغيرا اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا فى أول يوم وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها

فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفى أثرها زوجها فراودها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال دلك أن تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لى صنما أعبده ان أنتما صليتما معى عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فسخت شهابا وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فأنتما بعد لكما حتى تعلماني اياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال انى أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى أقسم الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبى عليه السلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العباد مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

﴿فصل فى القول بعصمة الملائكة﴾ أجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلا واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بألفاظ متقاربة عن على بن أبى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون وأهل الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه

(وما يعلمان من أحد) أى أحدا ومن صلة (حتى) ينصحاه أولا (يقولا انما نحن فتنة) ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أى لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وأصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا أذبتهما بالنار ليتميز الجيد من الردئ وانما وحد الفتنة وهما اثنان لان الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع وقيل انهما يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدى فان أبى الا التعلم قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع فى السماء فذلك نور المعرفة وينزل شئ أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى قال مجاهد ان هاروت وماروت لا يصل اليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان فى كل مسألة اختلافة واحدة (فيتعلمون منهما ما يفرقون (٧٨) به بين المرء وزوجه) وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل

الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا فى الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان فى القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثانى انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من أشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها فى قوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا) يعنى وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولا (انما نحن فتنة) أى ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أى لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا ان السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله (وما هم) يعنى السحرة (بضارين به) أى بالسحر (من أحد) أى أحدا (الا باذن الله) أى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) أى اختار السحر (ماله فى الآخرة من خلاق) يعنى ماله نصيب فى الجنة (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) * فان قلت كيف أثبت الله لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخرا فى قوله لو كانوا يعلمون * قلت قد علموا أن من اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو أنهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر ومأثمهم (لمثوبة من عند الله) أى لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول هذه

يعلمون يعنى اليهود وقيل كلاهما فى اليهود ولكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا الآية

(ولو أنهم آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) اليهودية والسحر (لمثوبة من عند الله خير) لكان ثواب الله اياهم خيرا لهم (لو كانوا يعلمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) وذلك ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله من المراعاة أى ارعنا سمعك أى فرغ سمعك لكل منا يقال أرعى الى الشئ وأرعاه وراعاه أى أصغى اليه واستمعه وكانت هذه اللفظة سبابا قبيحا بلغة اليهود وقيل كان معناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل هى من الرعونة كانوا اذا أرادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا بمعنى يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين فرحوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها

سعد بن معاذ فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى لا تقولوا راعنا لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) أي انظر الينا وقيل انتظرنا وتأن بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قال مجاهد معناه فهمنا (واسمعوا) ما تؤمرون به وأطيعوا (وللكافرين) يعني اليهود (عذاب أليم) قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب) وذلك ان المسلمين كانوا اذا قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعونا اليه بخير مما نحن عليه ولو ددنا لو كان خيرا فأنزل الله تكذيبا لهم ما يود الذين أي ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود (ولا المشركين) جره بالنسق على من (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أي خير ونبوة ومن صلة (والله يختص برحمته) بنبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) والفضل ابتداء احسان بلا علة وقيل المراد برحمة الاسلام والهداية وقيل معنى الآية ان الله تعالى بعث الانبياء من ولد اسحق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم وأما المشركون فانما لم يقع بودهم لانه جاء بتفضيحهم وعيب

آلهتهم فنزلت الآية فيه قوله عزوجل

الآية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك وفرّغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة اذا أرادوا أن يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) أي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) أي ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخيروا الخطاب به صلى الله عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها وان سألوه يسألوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعني اليهود (عذاب أليم) أي مؤلم (ما يود) أي ما يحب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود (ولا المشركين) يعني عبدة الأوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدّلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوّة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعونا اليه بخير مما نحن فيه ولو ددنا لو كان خيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعني انه تعالى يختص بنبوّته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعني أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عزوجل (ما ننسخ من آية أو ننسأها) الآية وسبب نزولها أن المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما أخبر الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر وأنزل ما ننسخ من آية أو ننسها فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية والنسخ في اللغة شيئان أحدهما بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني يكون بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية وهذا على وجوه أحدها ان يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للاقارب وآية عدة الوفاة بالحول وآية التخفيف في القتال وآية المتحنة ونحوها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ما ننسخ من آية ما نثبت خطها ونبدل حكمها ومنها ان يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم ومنها ان يرفع أصلا عن المصحف وعن القلوب كما روى عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها وقيل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكما ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما ان القبلة نسخت من بيت المقدس الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى أربعة أشهر وعشر ومصابرة الواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثنين ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء والنسخ انما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار أما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أي نرفعها وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساخ وله وجهان أحدهما نجعله في المنسوخ

أخبره بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فأنزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

﴿ فصل في حكم النسخ ﴾ هو في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها أنه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه أحدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا ﴿ مسئلة ﴾ قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد انه تعالى هو الآتي والمأتي به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث أجاب الشافعي رضي الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في أصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوه أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن أبي أمامة بن سهل أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم * روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا

والثاني ان نجعله في المنسوخ نسخة لك يقال نسخت الكتاب أي كتبته وأنسخته غيري اذا جعلته نسخة له أو ننسها أي ننسها عن قلبك وقال ابن عباس رضي الله عنهما نتركها لا ننسخها قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوه فتركهم وقيل ننسها أي نأمر بتركها يقال أنسيت الشئ اذا أمرت بتركه فيكون النسخ الاول من رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء يكون نسخا من غير اقامة غير مقامه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو ننسأها بفتح النون الاول والسين مهموزا أي نؤخرها فلا نبدلها يقال نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله في معناه قولان أحدهما نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم والقول الثاني قال سعيد بن المسيب وعطاء أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة أو ننسأها أي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزل

أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخارى نحوه والوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر ونسأها أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نأت بخير منها) أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أى فى المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثر أما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) أى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يا محمد أنى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يعنى أنه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وأن الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعنى يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) أى مما سوى الله (من ولى) أى قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) أى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم يأمركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على أعدائكم * قوله عز وجل (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك أن موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة فنى الآية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) أى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى

فى المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو أسهل فى العمل وما نسخ الى الاشق فهو فى الثواب أكثر (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) من النسخ والتبديل لفظه استفهام ومعناه تقرير أى انك تعلم (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم) يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) مما سوى الله (من ولى) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب قوله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود حين قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى أم تريدون يعنى أتريدون فالميم صلة وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) سأله قومه أرنا الله جهرة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما ان موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة فنيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين (ومن يتبدل الكفر بالايمان) يستبدل الكفر بالايمان (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ وسط الطريق وقيل قصد السبيل

قوله تعالى (ودّ كثير من أهل الكتاب) الآية نزلت فى نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة اما أنا فقد رضيت بالله ربا و بمحمد نبيا و بالاسلام دينا و بالقرآن اماما و بالكعبة قبلة و بالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب أى تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود (لو يردونكم) يامعشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا حسدا) نصب على المصدر أى يحسدونكم حسدا (من عند أنفسهم) أى من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق (فاعفوا) فاتركوا (واصفحوا) وتجاوزوا فالعفو المحو والصفح الاعراض وكان هذا قبل آية القتال (حتى يأتى الله بأمره) بعذابه القتل والسبى لبنى قريظة والجلاء والنفى لبنى النضير قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة هو أمره بقتالهم فى قوله قاتلوا المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون وقال ابن كيسان بعلمه وحكمه فيهم حكم لبعضهم بالاسلام ولبعضهم بالقتل والسبى والجزية (ان الله على كل شئ قدير وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا) تسلفوا (لانفسكم من خير) طاعة وعمل صالح (تجدوه عند الله) وقيل أراد بالخير المال كقوله تعالى ان ترك خيرا وأراد من زكاة أو صدقة تجدوه عند الله التمرة واللقمة مثل أحد (ان الله بما تعملون بصير) قوله (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) أى يهوديا قال الفراء حذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية وقال الاخفش الهود جمع هائد مثل عائذ وعوذ وحائل وحول (أو نصارى) وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية وقيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى

الظاهر وأخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل * قوله عز وجل (ودّ كثير من أهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا و بمحمد رسولا و بالاسلام دينا و بالقرآن اماما و بالكعبة قبلة و بالمؤمنين اخوانا ثم انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى ودّ أى تمنى كثير من أهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردّونكم) أى يامعشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) أى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) أى يحسدونكم حسدا وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها و ربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لما روى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فاذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله (من عند أنفسهم) أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا و بغيا (فاعفوا واصفحوا) أى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بأمره) أى بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو أمر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد (ان الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر و زجر عن المعاصى * قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين

(تلك أمانيهم) أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق (قل) يا محمد (هاتوا) أحضروا (برهانكم) حجتكم على ما زعمتم (ان كنتم صادقين) ثم قال ردا عليهم (بلى من أسلم وجهه) أي ليس كما قالوا بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من أسلم وجهه (لله) أي أخلص دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله وأصل الاسلام الاستسلام والخضوع وخص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه (وهو محسن) في عمله وقيل مؤمن وقيل مخلص (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب) وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب قيل معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني آباءهم الذين مضوا (مثل قولهم) قال مجاهد يعني عوام النصارى وقال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شئ من الدين وقال عطاء أم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم انه ليس على شئ (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) يقضي بين الحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من الدين قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر) الآية نزلت في طوطوس بن اسبسيانوس الرومي وأصحابه وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابا الى ان بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال قتادة والسدي هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى لطوطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم قال السدي من أجل انهم قتلوا يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم بعض اليهود على معاونة بختنصر البابلي المجوسي فأنزل الله تعالى ومن أظلم أي أكفر ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس وحاربه أن يذكر

النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله (تلك أمانيهم) أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق (قل) يعني يا محمد (هاتوا برهانكم) أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) أي ليس الامر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض في السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعته من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن أي في عمله لله (فله أجره عند ربه) أي ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أي في الآخرة (ولا هم يحزنون) أي على ما فاتهم من الدنيا * قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعني وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وأن التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) أي يقضي (بينهم يوم القيامة) يعني بين الحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمر الدين * قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر

(فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما لم يدخلها يعنى بيت المقدس بعد عمارتها رومى الا خائفا لو علم به قتل وقال قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا مستنكرا لو قدر عليه لعوقب قال سيدى اخيفوا بالجزية وقيل هذا خبر بمعنى الأمر أى أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد منهم الا خائفا من القتل والسبى أى ما ينبغى لهم (لهم فى الدنيا خزى) عذاب وهوان قال قتادة هو القتل للحربى والجزية للذمى قال مقاتل والكلبى تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو النار وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد نزلت فى مشركى

مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا فى خرابها أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعنى أهل مكة يقول افتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت فى الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم لهم فى الدنيا خزى الذل والهوان والقتل والسبى والنفى قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيث ما توجهت به راحلته أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته فى السفر حيث ما توجهت به وقال عكرمة نزلت فى تحويل القبلة قال أبو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة عيرت اليهود المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد والحسن لما نزلت وقال ربكم ادعونى أستجب لكم قالوا

فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى ومن أظلم أى ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربيه أن يذكر فيها اسمه أى يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل ان بختنصر المجوسى من أهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى أو نصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار وقيل ان الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس أو المسجد الحرام * قلت يجوز أن يجىء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين * فان قلت أى القولين أرجح * قلت رجح الطبرى القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل أن النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الازمنة محال * قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله

أين ندعوه فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب ملكا وخلقا فأينما تولوا فثم وجه الله يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي هناك وجه الله قال الكلبي فثم الله يعلم و يرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أي الا هو وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله والوجه والوجهة والجهة القبلة وقيل رضا الله تعالى (ان الله واسع) أي غني يعطي من السعة قال الفراء الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شئ قال الكلبي واسع المغفرة (عليم) بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا) قرأ ابن عامر قالوا بلا واو وقرأ الآخرون وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه وعظم نفسه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا قوله تعالى (بل له ما في السموات والارض) عبيدا وملكا (كل له قانتون) قال مجاهد وعطاء والسدي مطيعون وقال عكرمة ومقاتل مقرون له بالعبودية

عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهنالك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله أي يريدون بالتوجه اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) أي بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شئ ﴿مسئلة تتعلق بحكم الآية﴾ وهي أن المسافر اذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل و يصلي الى الجهة التي أدى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال * قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ما في السموات والأرض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعني أن

وقال ابن كيسان قائمون بالشهادة وأصل القنوت القيام قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة الى أن حكم الآية خاص وقال مقاتل هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الناس وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لان لفظ كل يقتضي الاحاطة بالشئ بحيث لا يشذ منه شئ ثم سلكوا في الكفار طريقين فقال مجاهد يسجد ظلالهم لله على كره منهم قال الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال وقال السدي هذا يوم القيامة دليله وعنت الوجوه للحي القيوم وقيل قانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له

قوله عز وجل (بديع السموات والارض) أى مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق (واذا قضى أمرا) أى قدره وقيل أحكمه وأتقنه وأصل القضاء الفراغ ومنه قيل لمن مات قضى عليه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء الله وقدره لانه فرغ منه تقديرا وتدبيرا (فانما يقول له كن فيكون) قرأ ابن عامر كن فيكون بنصب النون فى جميع المواضع الا فى آل عمران كن فيكون الحق من ربك وفى سورة الانعام كن فيكون قوله الحق وانما نصبها لان جواب الامر بالفاء يكون منصوبا وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل كيف قال فانما يقول له كن والمعدوم لا يخاطب قيل قال ابن الانبارى معناه فانما يقول له أى لاجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب وقيل هو وان كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس رضى الله عنهما اليهود وقال مجاهد النصارى وقال قتادة مشركو العرب (لولا) هلا (يكلمنا الله) عيانا بانك رسوله وكل ما فى القرآن لولا فهو بمعنى هلا الا واحدا وهو قوله فلولا انه كان من المسبحين معناه فلو لم يكن (أو تأتينا آية) دلالة علامة على صدقك قال الله تعالى (كذلك قال الذين من قبلهم) أى كفار الامم الخالية (مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى أشبه بعضهم بعضا فى الكفر والقسوة وطلب المحال (قد بينا الايات لقوم يوقنون انا أرسلناك بالحق) أى بالصدق كقوله ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى انه لحق أى صدق قال ابن عباس رضى الله عنهما بالقرآن دليله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان بالاسلام وشرائعه

أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقرّون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرّون له بالوحدانية وقيل قانتون أى مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء فى حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلكوا فى الكفار طريقين أحدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثانى ان هذه الطاعة تكون فى يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضى ذلك * قوله عز وجل (بديع السموات والارض) أى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الأشياء أى يحدثها مما لم يكن (واذا قضى أمرا) أى قدره وأراد خلقه وقيل اذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) أى اذا أحكم أمرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده * فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون * قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام فى قوله له لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب (لولا) أى هلا (يكلمنا الله) أى عيانا بانك رسوله (أو تأتينا آية) أى دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) أى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلته فأخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) أى الدلالات على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص أهل الايقان بالذكر لانهم هم أهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل (انا أرسلناك بالحق) أى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل أرسلناك (بالحق بشيرا) أى مبشرا لاوليائى وأهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) أى منذرا ومخوّفا لاعدائى

دليله قوله عز وجل وقل جاء الحق وقال مقاتل معناه لم نرسلك عبثا انما أرسلناك بالحق كما قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق قوله عز وجل (بشيرا) أى مبشرا لاوليائى وأهل طاعتى بالثواب الكريم (ونذيرا) أى منذرا مخوفا لاعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الاليم قرأ نافع ويعقوب

(ولا تسأل) على النهى قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت هذه الآية وقيل هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فانه فوق ما تحسب وليس على النهى وقرأ الآخرون ولا تسأل بالرفع على النفى بمعنى ولست بمسؤل عنهم كما قال الله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب (عن أصحاب الجحيم) والجحيم معظم النار قوله عزوجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة و يطمعونه انه ان أمهلهم اتبعوه فانزل الله تعالى هذه الآية معناه انك وان هادنتهم فلا

يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا

لا عدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم (ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهى قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وقرئ ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفى والمعنى انا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسؤلا عمن كفر (عن أصحاب الجحيم) أى عن أهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عزوجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة و يطمعونه انه ان أمهلهم تبعوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى أمر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم (قل) أى يا محمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى يصح أن يسمى هدى (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم) يعنى أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى البيان بأن دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى يلى أمرك و يقوم بك (ولا نصير) أى ينصرك و يمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت أهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى اياكم أخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولا نصير * قوله عزوجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله و يحرمون حرامه و يعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه و يقفون عنده و يكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبروه وتفكروا فى معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) أى يصدقون به فان قلنا ان الآية فى أهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم

ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا فى القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية والملة الطريقة (ولئن اتبعت أهواءهم) قيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك (بعد الذى جاءك من العلم) البيان بان دين الله هو الاسلام والقبلة قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا

أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا وقال قتادة وعكرمة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) قال الكلبى يصفونه فى كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس والهاء راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون هى عائدة الى الكتاب واختلفوا فى معناه فقال ابن مسعود رضى الله عنهما يقرؤنه كما أنزل ولا يحرفونه و يحلون حلاله و يحرمون حرامه وقال الحسن يعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه و يكلون علم ما أشكل عليهم الى عالمه وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه قوله (أولئك يؤمنون به

ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قرأ ابن عامر ابراهام بالالف فى بعض المواضع وهو ثلاثة وثلاثون موضعا جملته تسعة وتسعون موضعا وهو اسم أعجمى ولذلك لا يجرى عليه الصرف وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر ابن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقيل بابل وقيل كوثى وقيل كسكر وقيل حران ولكن أباه نقله الى أرض بابل بارض نمروذ ابن كنعان ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والامر وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا واختلفوا فى الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم فقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها ابراهيم فكتب له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى عشر فى براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشر فى سورة المؤمنين فى قوله قد أفلح المؤمنون الآيات وقوله الا المصلين فى سأل سائل وقال طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما ابتلاه الله تعالى بعشرة أشياء وهى الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى البدن تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من نتف الاظافر وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال الوقار قال يارب زدنى وقارا قال مجاهد هى الآيات التى بعدها فى قوله عز وجل انى جاعلك للناس اماما الى آخر القصة وقال الربيع وقتادة مناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكواكب والقمر والشمس فاحسن فيها النظر وعلم ان ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها قال سعيد بن جبير هو قول ابراهيم واسماعيل اذ يرفعان البيت ربنا تقبل منا الآية فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال يمان بن رباب هن محاجة قومه قال الله تعالى وحاجه قومه الى قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم وقيل هى قوله الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر الآيات فأتمهن قال قتادة أدّاهن قال الضحاك قام بهن وقال يمان

لان فى التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أى يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أيادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من أيدى عدوكم فى نعم كثيرة أنعمت بها عليكم (وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرّرها فى أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ) وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بنى اسرائيل المبدلين كتابى المحرّفين له خافوا عذاب يوم لا تجزى فيه نفس عن نفس شيأ (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) أى لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه ردّ على اليهود فى قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) أى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم * قوله عز وجل (واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ) ابراهيم اسم أعجمى ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهى أرض نمروذ الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى فانهم مقرّون بفضله ويتشرّفون بالنسبة اليه وانهم من أولاده وأما العرب فى الجاهلية فانهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرّفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم أمورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما أوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا فى تلك الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هى ثلاثون سهما من شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة

فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل أحد قبل ابراهيم فأما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما أمر وابه من الدين خصوصا نبينا محمد اصلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة أيضا فى سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفى رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهى لنا سنة واتفقت العلماء على انها من الملة وأما معانيها فقد قيل أما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم أو يوفرون شواربهم أو يوفرون هما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهى العقد التى فى ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجمع من الوسخ فى الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء فى وجوبه فذهب الشافعى الى أن الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا فى الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم للآلة التى يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدنى وقارا أخرجه مالك فى الموطأ وقيل فى الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات أوحاها اليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أى أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيأ واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله فى سياق الآية انى جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحى الالهى وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) أى يقتدى بك فى الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به (قال ومن ذريتى) أى قال ابراهيم واجعل من ذريتى وأولادى أئمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) أى لا يصيب (عهدى) أى نبوتى وقيل الامامة (الظالمين) يعنى من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع

عمل بهن قال الله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) يقتدى بك فى الخير (قال) ابراهيم (ومن ذريتى) أى ومن أولادى أيضا فاجعل أئمة يقتدى بهم (قال) الله تعالى (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) قرأ حمزة وحفص باسكان الياء والباقون بفتحها أى من كان منهم ظالما لا يصيبه قال عطاء بن أبى رباح عهدى رحمتى وقال السدى نبوتى وقيل الامامة قال مجاهد ليس لظالم أن يطاع فى ظلمه ومعنى الآية لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ولدك وقيل أراد بالعهد الامان من النار وبالظالم المشرك كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن قال الله تعالى (واذ جعلنا البيت) يعنى الكعبة

(مثابة للناس) مرجعا لهم قال مجاهد وسعيد بن جبير يثوبون اليه من جانب ويحجون قال ابن عباس رضى الله عنهما معاذا وملجأ وقال قتادة وعكرمة مجمعا (وأمنا) أى مأمنا يأمنون فيه من ايذاء المشركين فانهم ما كانوا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا على بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (واتخذوا) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسر الخاء على الامر (من مقام ابراهيم مصلى) قال عمان المسجد كله مقام ابراهيم وقال ابراهيم النخعى الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى فى المسجد يصلى اليه الائمة وذلك الحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدى قال قتادة ومقاتل والسدى أمروا بالصلاة عند مقام ابراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وافقت الله فى

ثلاث أو واقفنى ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم يصلى فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله عز وجل آية الحجاب قال وبلغنى معاتبة النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن ان انتهين أو ليبدلنه الله خيرا منكن فأنزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن الآية ورواه محمد بن اسمعيل أيضا عن عمرو بن عون أنا هشام عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال قال عمر رضى الله عنه وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أتى ابراهيم اسمعيل وهاجر وضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى ضيافة وسألها عن عيشهم فقالت نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم فجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه قال ذلك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجىء الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم وسألها عن عيشهم فقالت نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا أو شعيرا أو تمرا فقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن

الحرم (مثابة للناس) أى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وامنا) أى موضعا ذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد أن ينصب القتال والحرب فى الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه أى لا يقطع شوك الحرم وأراد به مالا يؤذى منه أما ما يؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أى لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلى مقصور الرطب من النبات الذى يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج

الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثرا صاعد رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ماروا ه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة فقال هل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابراهيم النبى أبى وأنت العتبة أمرنى ان أمسكك وروى عن سعيد ابن جبير أيضا عن ابن عباس قال ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله تعالى أمرنى بأمر تعيننى عليه قال أعينك عليه قال ان الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وفى الخبر الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ولولا مسته يدى المشركين لأضاءا ما بين المشرق والمغرب

قالت اللحم قال وماشرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه وفى رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنى بامر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن أبنى بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وفى رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة قام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا فى قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التى هى الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أى أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما قيل انما سمى اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول فى دعائه اسمع يا ايل وايل بالسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتى) يعنى الكعبة أضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أى ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعنى الدائرين حوله (والعاكفين) يعنى المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعنى الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعنى أهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة بمكة أفضل * قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) أى ذا أمن يأمن فيه أهله وانما دعا ابراهيم له بالأمن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجاب اليه شئ من النواحى فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فاقصده جبارا لا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة * قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن الى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين أحدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى أسكنت من ذريتى

قوله عز وجل (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أى أمرناهما وأوصينا اليهما قيل سمى اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتى) يعنى الكعبة أضافه اليه تخصيصا وتفضيلا أى ابنياه على الطهارة والتوحيد وقال سعيد بن جبير وعطاء طهراه من الاوثان والريب وقول الزور وقيل بخراه وخلقاه قاله يمان بن رباب قرأ أهل المدينة وحفص بيتى بفتح الياء ههنا وفى سورة الحج وزاد حفص فى سورة نوح (للطائفين) الدائرين حوله (والعاكفين) المقيمين المجاورين (والركع) جمع راكع (السجود) جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبى ومقاتل الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة قال عطاء ومجاهد وعكرمة الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة أفضل (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) يعنى مكة وقيل الحرم (بلدا آمنا) أى ذا أمن يأمن فيه أهله

(وارزق اهله من الثمرات) انما دعا بذلك لانه كان بوادغيرذى زرع وفى القصص ان الطائف كانت من بلاد الشام باردن فلما دعا ابراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الذى هى الآن فيه فمنها أكثر ثمرات مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) دعا للمؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر فأمتعه) قرأ ابن عامر فأمتعه خفيفا بضم الهمزة والباقون مشددا ومعناهما واحد (قليلا) أى سأرزق الكافر أيضا قليلا الى منتهى أجله وذلك ان الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل (ثم أضطره) أى ألجئه فى الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) أى المرجع يصير اليه قال مجاهد وجد عند المقام كتاب فيه أنا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض وحففتها بسبعة أفلاك حنفاء أتيها رزقها من ثلاثة سبل مبارك لها فى اللحم والماء قوله عز وجل (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) قال الرواة ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من بواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى تصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الحجر وكان أبيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال ابن عباس رضى الله عنه حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتيا مكة فطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحجفة هذا قول على والحسن وقال ابن عباس بعث الله به سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى فى ظلها الى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودى منها ابراهيم أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابرهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل يعنى أسسه واحدتها قاعدة وقال الكسائى جدر البيت قال ابن عباس انما بنى البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعد من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتنى بأحسن من هذا فمضى اسمعيل يطلبه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى بنى فى السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة فى الارض بحياله على قدره ومثاله وقيل أول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم أظهره

بوادغيرذى زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثانى انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعاهات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى لابراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم (وارزق أهله من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعنى ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص أن ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة فى ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدى الظالمين صار ذلك تأديبا له فى المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق فى الدنيا يستوى فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فأمتعه) أى سأرزق الكافر أيضا (قليلا) أى فى الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم أضطره) أى ألجئه وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير) أى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل)

وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء وأصحاب السير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوّقت عليه كتطويق الحفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى أن وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الأول فذلك قوله تعالى واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي أس البيت وقيل جدرة من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتني بأحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فأخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمدّ ابراهيم واسمعيل بسبعة أملاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) أي لدعائنا (العليم) يعني بنياتنا * قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك * فان قلت الاسلام اما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب * قلت فيه وجهان أحدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال (ومن ذرّيتنا) أي من أولادنا (أمة) أي جماعة (مسلمة) أي خاضعة منقادة (لك) وانما أدخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى أعلمه ما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرّية بالدعاء * فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وأرنا) أي علمنا وبصرنا (مناسكنا) أي شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا

اللهلا براهيم حتى بناه (ربنا تقبل منا) فيه اضمار أي ويقولان ربنا تقبل منا بناءنا (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك (ومن ذريتنا) أي أولادنا (أمة) جماعة والامة اتباع الانبياء (مسلمة لك) خاضعة لك (وأرنا) علمنا وعرفنا قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة وأصله أرئنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى الراء ومن سكنها قال ذهبت الهمزة فذهبت حركتها (مناسكنا) شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مواضع حجنا وقال مجاهد مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات

(وتب علينا) تجاوز عنا (انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) أى فى الامة المسلمة من ذرية ابراهيم واسمعيل وقيل فى أهل مكة (رسولا منهم) أى من رسلا منهم أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوى حدثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس البلخى أنا الامام أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى أنا محمد بن المكى أنا اسحاق بن ابراهيم أنا ابن أخى ابن وهب أنا عمى أنا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى عن هلال السلمى عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم بأول أمرى أنا دعوة ابراهيم و بشارة عيسى و رؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام وأراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا ان يبعث فى بنى اسمعيل رسولا منهم قال ابن عباس كل الأنبياء من بنى اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين (يتلوا) يقرأ (عليهم آياتك) كتابك يعنى القرآن والآية من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل هى جماعة حروف يقال خرج القوم بأيتهم أى بجماعتهم (و يعلمهم الكتاب) يعنى القرآن

وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما و بعث جبريل فأراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أى تجاوز عنا (انك أنت التواب) أى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جواز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بأن العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو أو ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما أعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لأولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى الامة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام و يكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله و يكون هو أشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم بأول أمرى أنا دعوة ابراهيم و بشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم و بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (يتلو عليهم) أى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ما توحيه اليه وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (و يعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم ما فى القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره (والحكمة) أى و يعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى تردع عن الجهل والخطأ وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم بأحكام الله تعالى التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى و يعلمهم ما فى القرآن من الاحكام والحكمة وهى ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة

(والحكمة) قال مجاهد فهم القرآن وقال مقاتل مواعظ القرآن وما فيه من الاحكام قال قتيبة هى العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل هى السنة وقيل هى الاحكام والقضاء وقيل الحكمة الفقه قال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى

حكمة (ويزكيهم) أى يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل بأخذ الزكاة من أموالهم وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ من التزكية وهى التعديل (انك أنت العزيز الحكيم) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقال الكلبى المنتقم بيانه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام وقيل المنيع الذى لا تناله الايدى ولا يصل اليه شئ وقيل القوى والعزة القوة قال الله تعالى فعززنا بثالث قالوا أى قوينا وقيل الغالب قال الله تعالى اخبارا وعزنى فى الخطاب أى غلبنى ويقال فى المثل من عز بز أى من غلب سلب (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فانزل الله عز وجل ومن يرغب عن ملة ابراهيم أى يترك دينه وشريعته يقال رغب (٩٦) فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا تركه وقوله من لفظه استفهام ومعناه التقريع والتوبيخ يعنى ما يرغب عن ملة ابراهيم (الا من سفه نفسه) قال ابن عباس من خسر نفسه وقال الكلبى ضل من قبل نفسه وقال أبو عبيدة أهلك نفسه وقال ابن كيسان والزجاج معناه جهل نفسه والسفاهة الجهل وضعف الرأى وكل سفيه جاهل وذلك ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف ان الله خلقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الاخبار ان الله تعالى أوحى الى داود اعرف نفسك واعرفنى فقال يارب كيف أعرف نفسى وكيف أعرفك فاوحى الله اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء وقال الاخفش معناه سفه فى نفسه ونصبه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الفراء نصب على التفسير وكان الاصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة الايمان ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا أى ضاق ذرعى به (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اخترناه فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى أى مع الانبياء فى الجنة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناه فى الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين (اذ قال له ربه أسلم) أى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وقال الكلبى أخلص دينك وعبادتك لله وقال عطاء أسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض أمورك اليه (قال أسلمت لرب العالمين) أى فوضت قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين ألقى فى النار

(ويزكيهم) أى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية أى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أى صلبة قوية (الحكيم) أى العالم الذى لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم أى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم أى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بأن الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف أعرف نفسى وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) أى اخترناه (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى الفائزين وقيل مع الانبياء فى الجنة (اذ قال له ربه أسلم) أى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم (قال أسلمت لرب العالمين) أى قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل

(ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بالالف وكذلك في مصاحفهم وقرأ الباقون ووصى مشددا وهما لغتان مثل نزل ونزّل معناه ووصى بها ابراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه قال الكلبي ومقاتل يعني كلمة الاخلاص لا اله الا الله قال أبو عبيدة ان شئت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابراهيم وان شئت رددتها الى الوصية أي وصى ابراهيم بنيه الثمانية اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب سمي بذلك لانه والعيص كانا توأمين فتقدم عيصر في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى أيضا يعقوب بنيه الاثني عشر (يا بني) معناه أن يا بني (ان الله اصطفى) اختار (لكم الدين) أي دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)

الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوّض أمرك اليه قال أسلمت أي فوّضت أمري لرب العالمين قال ابن عباس رضي الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار * قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية أولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشيق وشوخ وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوّجها ابراهيم حين وفاة سارة * فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل أمرهم * قلت لان لفظ الوصية أوكد من لفظ الأمر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) أي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدّم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشجرودان ونفتالي وجادوآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين) أي اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت على الانسان وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه في الصحيحين * قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى أم كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت أي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده وأولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعني يعقوب (لبنيه) يعني لأولاده الاثني عشر (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون (من بعدي) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الأوثان والنيران فقال انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي ما تعبدون من بعدي

مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام معناه داوموا على الاسلام حتى لا يصادفكم الموت الا وأنتم مسلمون وعن الفضيل بن عياض رحمه الله انه قال الا وأنتم مسلمون أي محسنون بربكم الظن أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل قوله تعالى (أم كنتم شهداء) يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضورا

(اذ حضر يعقوب الموت) أي حين قرب يعقوب من الموت قيل نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود وقال الكلبي لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الاوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل (اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي) قال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى خيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال يا رب انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي

(قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) وكان اسمعيل عمالهم والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما قال النبي صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا علي أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وذلك انهم قتلوه (الها واحدا) نصب على البدل من قوله الهك وقيل نعرفه الها واحدا (ونحن له مسلمون تلك أمة) جماعة (قد خلت) مضت (لها ما كسبت) من العمل (ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني يسئل كل عن عمله لا عن عمل غيره قوله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب (٩٨) ودينا أفضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقالت النصارى نبينا أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل أفضل الكتب ودينا أفضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فقال تعالى (قل) يا محمد (بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كانه يقول اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على ملة ابراهيم فحذف على فصار منصوبا (حنيفا) نصب على الحال عند نحاة البصرة وعند نحاة الكوفة نصب على القطع أراد به بل ملة ابراهيم الحنيف فلما أسقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قال مجاهد الحنيفة اتباع ابراهيم فيما أتى به من الشريعة الى كالقبائل صار بها اماما للناس قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم وقال سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج المختتن وقال الضحاك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج واذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات واقامة المناسك (وما كان من المشركين) ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) يعني القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) وهو عشر صحف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطا واحدهم سبط سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب من بني اسرائيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط أنبياء ولذلك قال وما أنزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء

(قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان أكبر من اسحق وأدخله في جملة الآباء وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم أبا والخالة أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا علي أبي (الها واحدا ونحن له مسلمون) أي مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (أمة قد خلت) أي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لها ما كسبت) يعني من العمل (ولكم) يعني يا معشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) أي من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره * قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب ودينا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فأنزل الله عز وجل (قل) يعني يا محمد (بل ملة ابراهيم) يعني اذا كان لابد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمي كل من حج أو اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعني قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا آمنا بالله أي صدقنا بالله (وما أنزل الينا) يعني القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) يعني وآمنا بما أنزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل

(وماأوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وماأوتى) أعطى (النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) أى نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله الآية (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) أى بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثله شئ أى ليس هو كشئ وقيل معناه فان آمنوا بجميع ما آمنتم به أى أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم وقيل معناه فان آمنوا مثل ما آمنتم والباء زائدة كقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة وقال أبو معاذ النحوى معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم (فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق) أى فى خلاف ومنازعة قاله ابن عباس وعطاء يقال شاق مشاقة اذا خالف كان كل واحد أخذ فى شق غير شق صاحبه قال الله تعالى لا يجرمنكم شقاقى أى خلافى وقيل فى عداوة دليله قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله أى عادوا الله (فسيكفيكهم الله) يا محمد أى يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى باجلاء بنى النضير وقتل بنى قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) باحوالهم قوله تعالى (صبغة الله) قال ابن عباس فى رواية الكلبى وقتادة والحسن دين الله وانما سماه صبغة لانه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل لان المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الاول وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ صاحبه بالدم وقال ابن عباس هى ان النصارى اذا ولد لاحدهم ولد فاتت عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم أصفر يقال له المعمودية وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان فاذا فعلوا به ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما يفعله النصارى وهو نصب على الاغراء يعنى الزموا دين الله قال الأخفش هى بدل من قوله ملة ابراهيم (ومن أحسن من الله صبغة) دينا وقيل

كالقبائل فى العرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط أنبياء (وماأوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وماأوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا أيضا بالتوراة والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجميع من عند الله وأن جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق (لا نفرق بين أحد منهم) أى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية * قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) أى بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ أى ليس مثله شئ وقيل فان أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما هم فى شقاق) أى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال وأصله من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) أى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى ودو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو اخبار بغيب فهو معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لأحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) أى دينا وقيل

(ونحن له عابدون) مطيعون (قل) يامحمد لليهود والنصارى (أتحاجوننا في الله) أي في دين الله والمحاجة المجادلة في الله لاظهار الحجة وذلك بانهم قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا ودينا أقدم فنحن أولى بالله منكم فقال الله قل أتحاجوننا في الله (وهو ربنا وربكم) أي نحن وأنتم سواء في الله فانه ربنا وربكم

(ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لكل واحد جزاء عمله

فكيف تدعون انكم أولى بالله (ونحن له مخلصون) وأنتم به مشركون قال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما قال الله تعالى (أم تقولون) يعني أتقولون صيغة استفهام ومعناه التوبيخ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى قل أتحاجوننا في الله وقال بعده قل أأنتم أعلم أم الله وقرأ الآخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل) يامحمد (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) وقد أخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم) أخفى (شهادة عنده من الله) تعالى وهي علمهم بان ابراهيم و بنيه كانوا مسلمين وان محمدا صلى الله عليه وسلم حق و رسول أشهدهم

تطهير الانه يطهر من أوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أي مطيعون (قل) يعني يامحمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وأمركم باتباعهم (أتحاجوننا في الله) أي أتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي أمرنا ان نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا أقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا في الله (وهو ربنا وربكم) أي ونحن وأنتم في الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني ان لكل أحد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) أي نخلص الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف * قوله عز وجل (أم تقولون) يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) يعني أتزعمون أن ابراهيم و بنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يامعشر اليهود والنصارى على ابراهيم و بنيه (قل) يامحمد (أأنتم أعلم) يعني بدينهم (أم الله) أي الله أعلم بذلك وقد أخبران ابراهيم و بنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعني أخفى (شهادة عنده من الله) وهي علمهم بأن ابراهيم و بنيه كانوا مسلمين وان محمدا أحق بنعته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعني من كتمانكم الحق فيما ألزمكم به في كتابه من ان ابراهيم و بنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعني ابراهيم و بنيه (لها ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) أي جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني أن كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود وان يتكل على فضل الآباء وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) أي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك في باب الدين أعظم لان العادل عن الامر الواضح في أمر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا تردد على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا (ما ولاهم) يعني أي شئ صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها)

يعني الله عليه في كتبهم (وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كرره تأكيدا قوله تعالى (سيقول السفهاء) الجهال (من الناس ما ولاهم) أي شئ صرفهم وحولهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة فقالوا المشركي مكة قد تردد على محمد أمره فاشتاق

الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم فقال الله تعالى (قل لله المشرق والمغرب) ملكا والخلق عبيده (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا) نزلت فى رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء لقد علم محمدا اناعدل بين الناس فقال معاذا اناعلى حق وعدل فأنزل الله تعالى وكذلك أى وهكذا وقيل الكاف للتشبيه وهى مردودة على قوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا أى كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدلا خيارا قال الله تعالى قال أوسطهم أى خيرهم وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها وقال الكلبى يعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى الدين أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو معشر ابراهيم بن محمد بن الحسين الوراق أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فما ترك شيأ الى يوم القيامة الا ذكره فى مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل وأطراف الحيطان قال أما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقى من يومكم هذا ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هى آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى قوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم قال ابن جريج قلت لعطاء ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) معدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الماضية ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ماجاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الله الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا اسحق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الاعمش أخبرنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شئ أن يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدى من يشاء) يعنى من عباده (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابراهيم عليه السلام * قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه أحدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثانى انه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هدينا كم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الامور أوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى أمر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمدا اناأعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فأنزل الله تعالى هذه الآية * وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هى آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى * وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعنى عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول الكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد

قوله تعالى (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) اى تحويلها يعنى بيت المقدس فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل أن يكون المفعول الثانى للجعل محذوفا على تقدير وما جعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة وقيل معناه التى أنت عليها وهى الكعبة كقوله تعالى كنتم خير أمة أى أنتم (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قيل ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قيل أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد معناه لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل الا لنعلم أى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة (ممن ينقلب على عقبيه) فيرتد وفى الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه وقال أهل المعانى معناه الا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كانه سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم وقد يأتى لفظ الاستقبال بمعنى الماضى كما قال الله تعالى فلم تقتلون أنبياء الله أى فلم قتلتهم (وان كانت) أى وقد كانت أو تولية القبلة وقيل الكناية راجعة الى القبلة وقيل الى الكعبة قال الزجاج وان كانت التحويلة (لكبيرة) ثقيلة شديدة (الا على الذين هدى الله) أى هداهم الله قال سيبويه وان تأكيد شبيه باليمين ولذلك دخلت اللام فى جوابها (وما كان الله ليضيع ايمانكم) وذلك ان حيى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات على اشد الضلالة فقال المسلمون انما الهدى ما أمر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول الى الكعبة من المسلمين أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤف مشبعا على وزن فعول لان أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها وأبو جعفر يا بين الهمزة وقرأ الآخرون

صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أى رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا * قوله عز وجل (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وما جعلنا صرفك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلى وحزبى وأوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك أتباعه عن أمره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لانه تعالى سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أى يطيعه فى أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) أى يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) أى وقد كانت (لكبيرة) يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجهه اليها قبل التحويل وهى بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى لا يضيع أجورهم والرأفة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرأفة

بالاختلاس على وزن فعل قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا * كفعل الواحد الرؤف الرحيم والرأفة أشد الرحمة قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) هذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك) أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) أي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ ذاك انه يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره)

أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا بمعنى انه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها أعم وأشمل * قوله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك في السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك) أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) أي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ ذاك انه يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره)

من بر أو بحر شرق أو غرب (فولوا وجوهكم شطره) عند الصلاة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد ابن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا اسحق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة أخبرنا عبد الواحد

المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عمرو بن خالد أخبرنا زهير أخبرنا أبو اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ماقدم المدينة نزل على أجداده أوقال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أوسبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كماهم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما تولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك وقال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين وأهل قباء وصل اليهم الخبر في صلاة الصبح أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس (١٠٤) عن عبد الله بن دينار ان عبد الله بن عمر قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ماهو الا شئ تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعني أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية على ماتقول فأنزل الله تعالى هذه الآية (ماتبعوا قبلتك) يعني الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا

أي نحو البيت وتلقاءه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مابين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما قوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ماهو الا شئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعني أمر القبلة (الحق من ربهم) ثم هددهم فقال (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وحمزة والكسائي بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وقرأ الباقون بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى قالوا ائتنا بآية على ماتقول فقال الله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب (بكل آية) معجزة (ماتبعوا قبلتك) يعني الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لان اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر المخزومي عن عثمان الاخنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبلة مابين المشرق والمغرب وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه الى القبلة

(ولئن اتبعت أهواءهم) مرادهم الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة (من بعد ما جاءك من العلم) من الحق في القبلة (انك اذا لمن الظالمين) قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعني يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون أبناءهم) من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام ان الله قد أنزل

النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت أهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أي في أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أدواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم (كما يعرفون أبناءهم) أي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون في ذلك (وان فريقا منهم) أي من علماء أهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعني ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) أي الذين يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) أي من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك * فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي * قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وجهة) أي ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) أي مستقبلها والمعنى ان لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها أي مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها أي مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الأمر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب (أينما تكونوا) يعني أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لأهل الطاعة

على نبيه الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمر كيف ذلك فقال أشهد انه رسول حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت (وان فريقا منهم ليكتمون الحق) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ثم قال (الحق من ربك) أي هذا الحق خبر مبتدأ مضمر وقيل رفع باضمار فعل أي جاء الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين قوله تعالى (ولكل وجهة) أي لاهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه (هو موليها) أي مستقبلها ومقبل عليها يقال وليته وليت اليه اذا أقبلت عليه وليت عنه اذا أدبرت عنه قال مجاهد هو موليها وجهه وقال الاخفش هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الامم الى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو مولاها أي المستقبل مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) أي الى الخيرات يريد بادروا بالطاعات والمراد المبادرة الى القبول (أينما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (ان الله على كل شئ قدير)

قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وانما كرره لتأكيد النسخ (لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا) اختلفوا في تأويل هذه الآية ووجه قوله الا فقال بعضهم معناه حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم قريش واليهود فاما قريش فتقول رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة آبائه فكذلك يرجع الى ديننا وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بانه حق الا انه يعمل برأيه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون ما درى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله الا الذين ظلموا وهم مشركو مكة وحجتهم انهم قالوا لما صرفت قبلتهم الى الكعبة ان محمدا قد تحير في دينه (١٠٦) وسيعود الى ملتنا كما عاد الى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحا وقوله الا الذين ظلموا يعني لا حجة لاحد عليكم الا مشركي قريش فانهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وموضع الذين خفض كانه قال سوى الا الذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء قوله تعالى (منهم) يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل كما قال الله تعالى مالهم به من علم الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق الا أن تظلمني قال أبو روق لئلا يكون للناس يعني لليهود لكم عليكم حجة وذلك انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فحوله الله تعالى اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحول أنت فلما حول اليها ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا يعني الا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق وقال أبو عبيدة قوله الا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين ظلموا أيضا لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر

وكل أخ مفارقة أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

معناه والفرقدان أيضا يتفرقان فمعنى الآية فتوجهوا الى الكعبة لئلا يكون للناس يعني لليهود عليكم حجة فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة ابراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود (فلا تخشوهم) في انصرافكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فاني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشوني ولأتم نعمتي عليكم) عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم فتتم به لكم الملة الحنيفية وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على

والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعني التوجه اليه (للحق من ربك) أي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة * قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة أبيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركي قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) أي الا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشوني) أي احذروا عقابي ان أنتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم (ولأتم نعمتي عليكم) أي ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم

الاسلام قال سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم الا ان يدخل الجنة (ولعلكم تهتدون) لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم) هذه الكاف للتشبيه ويحتاج الى شئ يرجع اليه فقال بعضهم يرجع الى ما قبلها معناه ولأتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم قال محمد بن جرير ردا على ابراهيم عليه السلام بدعوتين احداهما قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد اجابة الدعوة الثانية بان يجعل من ذريته أمة مسلمة يعنى كما أجبت دعوته ببعث الرسول كذلك أجبت دعوته بان أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقال مجاهد وعطاء والكلبى هى متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى أذكركم معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى وهذه الآية خطاب لاهل مكة والعرب يعنى كما أرسلنا فيكم يامعشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) قيل الحكمة السنة وقيل مواعظ القرآن (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) من الاحكام وشرائع الاسلام (فاذكرونى أذكركم) قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وقال سعيد بن جبير اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وقيل اذكرونى

لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولأتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بأن يجعل فى ذريته أمة مسلمة والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يامعشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) أى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (أذكركم)

فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء يا نه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبى أخبرنا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد بن القاضى وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة الكشميهنى قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقى أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية عن الحسن عن أنس قال انى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أناه لى هذه العشر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم وان دنوت منى شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الى هرولت اليك وان هرولت الى سعيت اليك وان سألتنى أعطيتك وان لم تسألنى غضبت عليك أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الريانى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الاوزاعى أخبرنا اسمعيل بن عبد الله عن أبى الدرداء عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا عبد الرحمن أبى شريح أنا أبو القاسم البغوى أخبرنا على بن الجعد أخبرنا اسمعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكونى عن عبد الله بن بشير المازنى قال جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

أى بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء وقال أهل المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى بالاخلاص أذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الىّ شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة قوله عزوجل أنا عند ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفرو بالقبول والاجابة اذا دعا و بالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله وأنا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد قوله وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه الملأ أشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لا نبى فيهم قوله وان تقرب الىّ شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من أحاديث الصفات و يستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه و برّه وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان أتانى يمشى فى طاعتى أتيته هرولة أى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحرّكت بى شفتاه (ق) عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا فيه و بقوا وهم يذكرون الله تعالى و يقال تفرّد الرجل اذا انفقه واعتزل * وقوله تعالى (واشكروا لى) يعنى بالطاعة (ولا تكفرون) أى بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره * قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلانها تجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض و بالصلوات الخمس فى مواقيتها على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) أى بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعمير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى أخو سعد ابن أبى وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بنى غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بنى الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر و يزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام و رافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهى أمهما كان الناس يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل

يارسول الله أى الأعمال أفضل قال ان لا تفارق الدنيا الا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى قوله تعالى (واشكروا لى ولا تكفرون) يعنى واشكروا لى بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين) بالعون والنصرة (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) نزلت فى قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات

(بل أحياء ولكن لا تشعرون) كما قال فى شهداء أحد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع قوله تعالى (ولنبلونكم) أى ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام لجواب القسم المحذوف تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لاظهار المطيع من العاصى لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به (بشئ من الخوف) قال ابن عباس يعنى خوف العدو (والجوع) يعنى القحط (ونقص من الاموال) بالخسران والهلاك (والانفس) يعنى بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) يعنى الجوائح فى الثمار وحكى عن الشافعى انه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص من الاموال أداء الزكاة والصدقات والانفس الامراض والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل ثمرة قلبه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياتى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا الحسن ابن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبى سنان قال دفنت ابنى سنانا وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدى فأخرجنى فقال ألا أبشرك حدثنى الضحاك عن عروة عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله للملائكته أقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال عبدى قالوا استرجع وحمدك قال ابنوا له بيتا

الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم ظلما لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر ان من قتل فى سبيل الله فانه حى بقوله تعالى (بل أحياء) وانما أحياهم الله عز وجل فى الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم فى قبورهم فى البرزخ وكذا العصاة يعذبون فى قبورهم * فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهى فى قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات * قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما وردان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى فى علم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) أى لا ترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخبارى اياكم به * فان قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة فى قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر * قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل فى سبيل الله قدمات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله تعالى بقوله بل أحياء بانهم فى نعيم دائم * قوله عز وجل (ولنبلونكم) أى ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصى لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدوثها (بشئ) انما قال بشئ ولم يقل بأشياء لئلا يوهم ان أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقى فلما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع وقيل معناه بشئ قليل من هذه الأشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعنى خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم فى القلب (والجوع) يعنى القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعنى بالهلاك والخسران (والأنفس) أى ونقص من الأنفس بالموت أو القتل (والثمرات) يعنى الجوائح فى الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة فى الاشجار وحكى عن الشافعى رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات يعنى موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكته أقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * فان قلت ما الحكمة فى تقديم تعريف هذا الابتلاء فى قوله ولنبلونكم * قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا فى المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله انه مبتلى عباده فعند ذلك يتميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان فى حال الابتلاء أشد اخلاصا لله منه فى حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال

فى الجنة وسموه بيت الحمد (و بشر الصابرين) على البلايا والرزايا وصفهم فقال (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله) عبيدا وملكا (وانا اليه راجعون) فى الآخرة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر الزياتى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محاضر بن الموزع أخبرنا سعيد عن عمرو بن كثير أنا أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت أم سلمة لما توفى أبو سلمة عزم الله لى فقلت اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها فأخلف الله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحد فى المصيبة ما أعطى هذه الامة يعنى الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع الى قوله تعالى فى قصة فقد يوسف عليه السلام يا أسفى على يوسف (أولئك) أهل هذه الصفة (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) صلوات أى رحمة فان الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيدا وجميع الصلوات أى رحمة (وأولئك هم المهتدون) الى الاسترجاع وقيل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة والثواب قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقد وردت أخبار فى ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد السرخسى أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة انه قال سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى

أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزياتى أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال جاءت امرأة بها لمم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله لى أن يشفينى قال ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان شئت فاصبرى ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب على أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبى نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروى أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبى النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشد الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا ابتلى على قدر ذلك وان كان فى دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشى على الارض وماله ذنب أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزياتى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح قال حدثنى الليث حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو على اسمعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل

تعالى (و بشر الصابرين) يعنى عند نزول البلاء والمعنى و بشر يا محمد الصابرين على امتحانى بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة) أى نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) أى عبيد أو ملك (وانا اليه راجعون) يعنى فى الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قيل ما أعطى أحدا ما أعطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لا عطى يعقوب عليه السلام ألا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا أسفا على يوسف وقيل فى قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس أى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى أى اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد أى عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعنى

المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا اسمعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمرو بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن ان أصابه خير حمد الله وشكر وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر في كل أمر حتى يؤجر في اللقمة يرفعها الى في امرأته قوله تعالى

(ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة ونوى والمروة الحجر الرخو وجمعها مروات وجمع الكثير مرو مثل تمرة وتمرات وتمر وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي السعي ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه أصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربات يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر والمراد بالشعائر ههنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعا (فمن حج البيت أو اعتمر) فالحج في اللغة القصد والعمرة الزيارة وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أي لا اثم عليه وأصله من جنح أي مال عن القصد (أن يطوف بهما) أي يدور بهما وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان اساف ونائلة وكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لاجل الصنمين فاذن الله فيه وأخبر انه من شعائر الله واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال الثوري وأصحاب

الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

﴿فصل﴾ في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) أي قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك (أو اعتمر) أي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا اثم عليه وأصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف بهما) أي يدور بهما

الراى على من تركه دم واحتج من اوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائى الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعى أخبرنا عبد الله بن نوفل العائذى عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيص عن عطاء بن أبى رباح عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى بنت أبى تجزاة اسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعى حتى لأقول انى لأرى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب

عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه انه قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيأ الا يطوف بهما قالت عائشة كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما أنزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية وقال عاصم قلت لانس بن مالك أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول نبدأ بما بدأ الله تعالى به فبدأ بالصفا وقال كان اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك وقال كان اذا نزل من الصفا مشى حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى يسعى حتى يخرج منه قال مجاهد رحمه الله حج موسى عليه السلام على جمل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى السعى وهو يلبى فيقول لبيك اللهم لبيك فقال الله تعالى لبيك عبدى أنا معك وسامع لك وناظر اليك فخر موسى عليه السلام ساجدا

﴿ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن فى السعى بينهما وأخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفى رواية قال كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وأبو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شىء عليه واختلفت الرواية عن أحمد فى ذلك فروى عنه ان من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه انه لا شىء فى تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى أن يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب أو غير واجب فحجة الشافعى ومن وافقه فى أن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى بنت أبى تجزاة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعى حتى لأقول انى لأرى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه الدارقطنى (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيأ أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ

قوله تعالى (ومن تطوع خيرا) قرأ حمزة والكسائى بالياء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك الثانية فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا بمعنى يتطوّع ووافق يعقوب فى الاول وقرأ الباقون بالتاء وفتح العين فى الماضى وقال مجاهد معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة وقال مقاتل والكلبى فمن تطوع أى زاد فى الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحجة الواجبة

الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم والأمر للوجوب ومن القياس أن السعى أشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات ثم انه تعالى أكد ذلك بقوله (ومن تطوّع خيرا) فبين انه تطوّع وليس بواجب وأجيب عن الأول بأن قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا أنه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضى أن يكون المراد من هذا التطوّع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيأ آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوّع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوّع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوّع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم (فان الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى بنيته وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصوّر النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أريد به انه المجازى على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت فى علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت فى التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبى هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيأ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) يعنى فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعنى الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) أى يبعدهم من رحمته وأصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصى بنى آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) أى ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (وأصلحوا) يعنى الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعنى ما كتموا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أى أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التوّاب) أى

عليه وقال الحسن وغيره أراد سائر الاعمال يعنى فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات (فان الله شاكر) مجاز لعبده بعمله (عليم) بنيته والشكر من الله تعالى أن يعطى لعبده فوق ما يستحق يشكر اليسير ويعطى الكثير قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) نزلت فى علماء اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرهما من الاحكام التى كانت فى التوراة (أولئك يلعنهم الله) وأصل اللعن الطرد والبعد (ويلعنهم اللاعنون) أى يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم واختلفوا فى هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وقال قتادة هم الملائكة وقال عطاء الجن والانس وقال الحسن جميع عباد الله قال ابن مسعود ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته

 وقال مجاهد اللاعنون البهائم تلعن عصاة بنى آدم اذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بنى آدم ثم استثنى فقال (الا الذين تابوا) من الكفر (وأصلحوا) أسلموا وأصلحوا الاعمال فيما بينهم وبين ربهم (وبينوا) ما كتموا (فأولئك أتوب عليهم) أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التوّاب) الرجاع بقلوب عبادى المنصرفة عنى الى

(الرحيم) بهم بعداقبالهم علىّ (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة) أى لعنة الملائكة (والناس أجمعين) قال أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فان قيل فقد قال والناس أجمعين والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه قيل يلعن نفسه فى القيامة قال الله تعالى و يلعن بعضكم بعضا وقيل انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه (خالدين فيها) (١١٤) مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) لا يمهلون ولا

المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الىّ (الرحيم) يعنى بهم بعداقبالهم علىّ * قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون * فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين * قلت فيه أوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) أى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما أضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

﴿ فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم ﴾ قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا ومؤكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه فى الصحيح * قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد فى ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعنى لا شريك له فى ألوهيته ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد فى أفعاله لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبهه شئ من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعنى انه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فأنزل الله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع ورده الى التفكر فى آياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان أفعاله ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولامتنع فى أفعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها قوله

يؤجلون وقال أبو العالية لا ينظرون فيعتذروا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون قوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الاخلاص والواحد الذى لا نظير له ولا شريك له أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزيانى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر ابن ابراهيم وأبو عاصم عن عبد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد انها قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان فى هاتين الآيتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحى القيوم قال أبو الضحى لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول ان الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل (ان فى خلق السموات والارض) ذكر السموات بلفظ الجمع والارض ان بلفظ الواحد لان كل سماء من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية فى السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر والنبات

قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما فى الذهاب والمجىء يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده نظيره قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة والليالى جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار فى الذكر لانه أقدم منه قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (والفلك التى تجرى فى البحر) يعنى السفن واحده وجمعه سواء فاذا أريد به الجمع يؤنث وفى الواحد يذكر قال الله تعالى فى الواحد والتذكير اذ أبق الى الفلك المشحون وقال فى الجمع والتأنيث حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة والفلك التى تجرى فى البحر

ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء هى سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة ومايرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء ومايرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثانى قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم والآية فى الليل والنهار ان انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التى تجرى فى البحر) أى السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات لطلب الارباح والآية فى ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وأيضا فان الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين وأحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الأخطار فى الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعنى المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمى سماء لان كل ما علاك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فأحيا به) أى بالماء (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها وجدوبتها (وبث فيها) أى فرق فيها (من كل دابة وتصريف الرياح) قرأ حمزة والكسائى الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ريح فى القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا فى جمعها وتوحيدها الا فى الذاريات الريح العقيم اتفقوا على توحيدها وفى

الآية فى الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة لا ترسب تحت الماء (بما ينفع الناس) يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات والمكاسب وأنواع المطالب (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعنى المطر قيل أراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء فى السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء فى السماء ثم ينزل من السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض (فأحيا به) أى بالماء (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها وجدوبتها (وبث فيها) أى فرق فيها (من كل دابة وتصريف الرياح) قرأ حمزة والكسائى الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ريح فى القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا فى جمعها وتوحيدها الا فى الذاريات الريح العقيم اتفقوا على توحيدها وفى

الحرف الاول من سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع والقراء مختلفون فيها والريح يذكر ويؤنث وتصريفها انها يتصرف الى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها انها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضى ما هبت ريح الا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة فى ثلاث من الرياح فى الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهى الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية أربعة للرحمة وأربعة للعذاب فاما التى للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التى للعذاب فالعقيم والصرصر فى البر والعاصف والقاصف فى البحر

(والسحاب المسخر) أى الغيم المذلل سمى سحابا لانه ينسحب أى يسير فى سرعة كانه يسحب أى يجر (بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا قال وهب بن منبه ثلاثة لا يدرى من أين تجىء الرعد والبرق والسحاب قوله تعالى (ومن الناس) يعنى المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) أى أصناما يعبدونها (يحبونهم كحب الله) أى يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم فى المحبة (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى أثبت وأدوم على حبه من المشركين لانهم

لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى قال قتادة ان الكافر يعرض عن معبوده فى وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فى الفلك فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله فى السراء والضراء والشدة والرخاء قال سعيد بن جبير ان الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه فى الدنيا على رؤية الأصنام ان يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدى الكفار ان كنتم أحبائى فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها فينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى يحبهم ويحبونه قوله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء الذين

ريح الالشفاء سقيم أو ضده وقيل البشارة فى ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هى الريح العقيم التى أهلكت بها عادا فلا بشارة فيها والآية فى الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهى مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) أى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب والآية فى ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) أى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) أى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس) يعنى المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) يعنى أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام أنداد بعضها لبعض وليست أنداد الله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند أو له مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله تعالى (يحبونهم) أى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلانا أى جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة (كحب الله) أى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثانى أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى أثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن أصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرىء بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى أشركوا فى شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما وقرىء بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم (اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) معناه لو رأى

وجواب لو ههنا محذوف ومثله كثير فى القرآن كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الآية يعنى لكان هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم فى شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما قيل معناه قل يا محمد أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أى أشركوا فى شدة العقاب لرأيت أمرا فظيعا ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أى لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم قوله تعالى (اذ يرون) قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها (العذاب أن القوة لله جميعا

وأن الله شديد العذاب) أى بان القوة لله جميعا معناه لرأوا وأيقنوا ان القوة لله جميعا وقرأ أبو جعفر و يعقوب ان القوة وان الله بكسر الالف على الاستئناف والكلام تام عند قوله اذ يرون العذاب مع اضمار الجواب (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) هذا فى يوم القيامة حين يجمع الله القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض هذا قول أكثر المفسرين وقال السدى هم الشياطين يتبرأون من الانس (وتقطعت بهم) أى عنهم (الاسباب) أى الصلات التى كانت بينهم فى الدنيا من القرابات والصداقات وصارت مخالطتهم عداوة وقال ابن جريج الارحام كما قال الله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ وقال السدى يعنى الاعمال التى كانوا يعملونها فى الدنيا كما قال الله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وأصل السبب ما يوصل به الى الشئ من ذريعة أو قرابة أو مودّة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو أن لنا كرّة) أى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك) أى كما أراهم العذاب كذلك (يريهم الله) وقيل كتبرئ بعضهم من بعض يريهم الله (أعمالهم حسرات ندامات (عليهم) جمع حسرة قيل يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوا وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقال ابن كيسان انهم أشركوا بالله الاوثان رجاء أن تقربهم الى الله عزوجل فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا قال السدى ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون و يتحسرون (وما هم بخارجين من النار) قوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة و بنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذى أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحلّ الذى هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال و يعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأثموا به ولا تتبعوا آثاره و زلاته والمعنى احذروا أن تتعدّوا وأما أحل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هى النذور فى المعاصى وقيل هى المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدوّ مبين) أى ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هى فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعنى بالاثم والسوء

الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوّة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وأن الله شديد العذاب) * قوله عزوجل (اذ تبرأ) أى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاوّل (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادّون عليها وأصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة أو قرابة أو مودّة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو أن لنا كرّة) أى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى من المتبوعين (كما تبرأوا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) أى كما أراهم العذاب يريهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) لانهم أيقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدّة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيآت التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون و يتحسرون (وما هم بخارجين من النار) * قوله عزوجل (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة و بنى مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال ما أحله الشرع طيبا قيل ما يستطاب و يستلذ والمسلم يستطيب الحلال و يخاف الحرام وقيل الطيب الطاهر (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائى وحفص و يعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره و زلاته وقيل هى النذر فى المعاصى وقال أبو عبيدة هى المحقرات من الذنوب وقال الزجاج طرقه (انه لكم عدوّ مبين) بين العداوة وقيل مظهر العداوة وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره اياه حتى أخرجه من الجنة وأبان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال (انما يأمركم بالسوء) أى بالاثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوأ ومساءة أى أحزنه وسوأنه فساء أى حزنته فحزن

(والفحشاء) المعاصي وماقبح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء روى باذن عن ابن عباس قال الفحشاء من المعاصي مايجب فيه الحد والسوء من الذنوب مالا حد فيه وقال السدي هي الزنا وقيل هي البخل (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم الحرث والانعام قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور وروى عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أي ماوجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أفضل وأعلم منا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا (قالوا بل نتبع ما ألفينا) أي ماوجدنا (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وقيل معناه واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ماحرموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والهاء والميم عائدتان الى الناس في قوله تعالى يا أيها الناس كلوا قالوا بل نتبع قرأ الكسائي بل نتبع بادغام اللام في النون وكذلك يدغم لام هل و بل في التاء والثاء والزاء والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في الثاء والسين ما ألفينا

ماوجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل قال تعالى (أولو كان آباؤهم) أي كيف يتبعون آباؤهم وآباؤهم (لا يعقلون شيأ) الواو في أولو واو العطف ويقال لها أيضا واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أيتبعون آباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيأ لفظه عام ومعناه الخصوص أي لا يعقلون شيأ من أمور الدين لانهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع) والنعيق والنعق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وقيل مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع (الا دعاء) صوتا (ونداء) فأضاف المثل الى الذين كفروا والدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى واسأل القرية معناه كما ان البهائم تسمع من صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك انما يسمع صوتك وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت فيكون لمعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناعق وهو فاش في كلام العرب يقبلون ذلك يقبلون الكلام لايضاح المعنى عندهم يقولون فلان تخافك كخوف الاسد أي كخوفه الاسد وقال تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وانما العصبة لتنوء بالمفاتيح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء لاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة عبادتها الا العناء والبلاء كما قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في عاء الاوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع صوتا يقال له الصدا لا يفهم منه شيء فمعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق لا دعاء ونداء

ما يسوء صاحبه ويخزيه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وما قبح من قول أو فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان * قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني في تحليل ماحرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيأ) يعني لا يعلمون شيأ من أمر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت

(صم) تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعقل كأنه أصم (بكم) عن الخير لا يقولونه (عمى) عن الهدى لا يبصرونه (فهم لا يعقلون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد وعبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك

(واشكروا لله) على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) ثم بين المحرمات فقال (انما حرم عليكم الميتة) قرأ أبو جعفر الميتة كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح (والدم) أراد به الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى أو دما مسفوحا واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فاحلها أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الحوت والجراد والدمان أحسبه قال الكبد والطحال (ولحم الخنزير) أراد به جميع أجزائه فعبر عن ذلك باللحم لانه معظمه (وما أهل به لغير الله) أي ما ذبح للاصنام والطواغيت وأصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل وقال الربيع بن أنس وغيره وما أهل به لغير الله قال ما ذكر عليه اسم غير الله (فمن اضطر) بكسر النون وأخواته عاصم وحمزة ووافق أبو عمرو الا في اللام والواو ومثل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ويعقوب الا في الواو ووافق ابن عامر في التنوين والباقون كلهم بالضم فمن كسر قال لان الجزم يحرك الى الكسر ومن ضم فلضمه أول الفعل نقل حركتها الى ما قبلها وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر الى أكل الميتة أي أحوج وألجئ اليه (غير) نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير لا يصلح في موضعها الا في حال واذا صلح في موضعها الا في استثناء (باغ)

الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمى) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم أي عن النطق بالحق عمي أي عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك قوله أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن أكل المستلذ من المطاعم فأباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعني على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) أي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه المنعم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها * قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت بأكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فانه أراد بلحمه جميع أجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما أهل به لغير الله) يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت وأصل الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعني الى أكل الميتة وأحوج اليها (غير باغ) أصل البغي الفساد

ولا عاد) أصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ترامى الى الفساد وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوانا اذا ظلم واختلفوا في معنى قوله غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ أي غير خارج على السلطان ولا عاد متعد عاص بسفره بان خرج لقطع الطريق أو لفساد في الارض وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقالوا لا يجوز للعاصي بسفره ان يأكل الميتة اذا اضطر اليها ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب جماعة الى ان البغي والعدوان اجعان الى الأكل واختلفوا في تفصيله فقال الحسن وقتادة غير باغ باكله من غير اضطرار ولا عاد أي لا يعدو لشبعه وقيل غير باغ أي غير طالبها وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له فيأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه وقال مقاتل بن حيان غير باغ أي مستحل لها ولا عاد أي متزود منها وقيل غير باغ أي غير مجاوز للقدر الذي أحل له ولا عاد أي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع مع

(ولا عاد) أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) أي فأكل فلا اثم عليه أي فلا حرج في أكلها (ان الله غفور) أي لما أكله في حال الضرورة (رحيم) يعني حيث رخص لعباده في ذلك

﴿فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل﴾ الاولى في حكم الميتة أجمعت الامة على تحريم أكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح وأما الجراد فلما روى عن ابن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن أبي بكر الصديق وأبي أيوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله ما أخذته وما وجدته ميتا وروى مالك أن ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا يذكى ذكاة مثله بأن يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل ﴿المسئلة الثانية في حكم الدم﴾ اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال * روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم ﴿المسئلة الثالثة في الخنزير﴾ أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره ﴿المسئلة الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله﴾ من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الأوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم * وروى عن علي بن أبي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا اذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿المسئلة الخامسة في حكم المضطر﴾ المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام اما باكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيأ البتة فان التحريم يرتفع

في تناول المحرم عند الضرورة (فلا اثم عليه) فلا حرج عليه في أكلها (ان الله غفور) لمن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص للعباد في

ذلك قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبى المبعوث منهم ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فلما نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته فلم يتبعوه فأنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته (ويشترون به) أى بالمكتوم (ثمنا قليلا) أى عوضا يسيرا يعنى المآكل التى يصيبونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما كان يفضى ذلك بهم الى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه انه يصير نارا فى بطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل أراد به انه يكون عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان (ولا يزكيهم) أى لا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) قال عطاء والسدى هو ما الاستفهام معناه ما الذى صبرهم على النار وأى شئ صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قال الحسن وقتادة والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذى يقربهم الى النار وقال الكسائى فما أصبرهم على عمل أهل النار أى ما أدومهم عليه (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) يعنى ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك فى محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أى لان الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وقيل معناه ذلك أى فعلهم الذى يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله من أجل ان الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم

مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء فى قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فأما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه وأما المخمصة فلا يخلوان كانت دائمة فلا خلاف فى جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعى قولان أحدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثانى يأكل قدر الشبع وبه قال مالك ﴿المسئلة السادسة فى قوله غير باغ ولا عاد﴾ قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أى معتد يعنى العاصى بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصى بسفره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعى لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى أن البغى والعدوان يرجعان الى الأكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل فى معنى قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أى غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فأنزل الله ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما أنزل الله من الكتاب (ويشترون به) أى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) أى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) أى ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أى وجيع يصل ألمه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما أصبرهم على النار) أى ما الذى صبرهم وأى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وأنكروه وقيل معناه

(وان الذين اختلفوا في الكتاب) فآمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق بعيد) اي في خلاف وضلال بعيد قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) قرأ حمزة وحفص ليس البرّ بنصب الراء والباقون برفعها فمن رفعها جعل البر اسم ليس وخبره في قوله ان تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل ان تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه الى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية فقال قوم عني بها اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانت تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم ان البر في ذلك فأخبر الله تعالى ان البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا لقول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون المراد بها المؤمنون وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال ليس البر أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك (ولكن البر) ماذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك ولكن البر قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقون بتشديد النون ونصب البر قوله تعالى (من آمن بالله) جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موقع المصدر جعله خبر اللبر كانه قال ولكن البر الايمان بالله والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وأنشد الفراء

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى

ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل نبات اللحية خبر اللفتى وقيل فيه اضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذكر الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى هم درجات عند الله أي ذوو درجات على وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى والعاقبة للتقوى أي للمتقي والمراد من البر ههنا الايمان والتقوى (واليوم الآخر والملائكة) كلهم (والكتاب) يعني الكتب المنزلة (والنبيين) أجمع (وآتى المال) أعطى المال (على حبه) اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير انها راجعة الى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبته المال قال ابن مسعود ان تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا موسى ابن اسمعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة أخبرنا أبو هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان

فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرّفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا في الكتاب) يعني اختلفوا في معانيه وتأويله فحرّفوها وبدّلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق) أي خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن الحق * قوله عز وجل (ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لأهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البرّ في ذلك فأخبر الله تعالى ان البرّ ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البرّ أن تولوا وجوهكم أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البرّ) يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقرّبة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البرّ فقال تعالى (من آمن بالله) أي ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدوّنا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني أجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعني من أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى أي وآتى المال

(ذوى القربى) اهل القرابة أخبرنا أبو عمان سعيد بن اسمعيل الضبى أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى أخبرنا أبو العباس المحبوبى أخبرنا أبو عيسى الترمذى أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة عن عاصم الاحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سليمان بن عامر يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة قوله تعالى (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قال مجاهد يعنى المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل قال النبى صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (والسائلين) يعنى الطالبين أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبى نجيد الانصارى وهو عبد الرحمن بن نجيد عن جدته وهى أم نجيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا السائل ولو بظلف محرق وفى رواية قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجدى شيأ الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه قوله تعالى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين قاله أكثر المفسرين وقيل عتق النسمة وفك الرقبة وقيل فداء الاسارى (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وأعطى الزكاة (والموفون بعهدهم) فيما بينهم وبين الله عزوجل وفيما بينهم وبين الناس (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا ونذروا أوفوا واذا عاهدوا أوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا أدوا واختلفوا فى رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديرهم الموفون كانه عد أصنافا ثم قال هم والموفون كذا وقيل رفع على الابتداء والخبر يعنى وهم الموفون ثم قال (والصابرين) وفى نصبها أربعة أوجه قال أبو عبيدة نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب ان تغير الاعراب اذا طال الكلام والنسق ومثله فى سورة النساء والمقيمين الصلوة وفى سورة المائدة والصابئون والنصارى وقيل معناه أعنى الصابرين وقيل نصبه نسقا على قوله ذوى القربى أى وأتى الصابرين وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون افراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام ويصيرونه فالمدح كقوله تعالى والمقيمين الصلوة والذم كقوله تعالى ملعونين أينما ثقفوا قوله تعالى (فى البأساء) أى الشدة والفقر (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) أى القتال والحرب أخبرنا المطهر بن على بن عبد الله الفارسى أخبرنا أبو ذر محمد بن ابراهيم الصالحانى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوى أخبرنا على بن الجعد أخبرنا زهير عن أبى اسحق عن حارثة بن مضرب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه يعنى اذا اشتد الحرب

على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى أهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائى (ق) ان ميمونة رضى الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله انى أعتقت وليدتى قال أوقد فعلت قالت نعم قال أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعنى الطالبين المستطعمين * عن على بن أبى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطأ عن أم نجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيأ أعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطأ عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما أراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى (وأقام الصلوة) يعنى المفروضة فى أوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون بعهدهم) يعنى ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا أنجزوا واذا نذروا أوفوا واذا حلفوا برّوا فى أيمانهم واذا قالوا صدقوا فى أقوالهم واذا ائتمنوا أدوا (والصابرين فى البأساء) أى فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب بأسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى

(أولئك الذين صدقوا) فى ايمانهم (وأولئك هم المتقون) محارم الله قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) قال الشعبى والكلبى وقتادة نزلت هذه الآية فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبيل الاسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام قال قتادة ومقاتل بن حيان كانت بين بنى قريظة والنضير وقال سعيد بن جبير كانت بين الاوس والخزرج قالوا جميعا وكان لاحد الحيين على الآخر طول فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وبالرجلين منا أربعة رجال منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا قوله كتب عليكم القصاص أى فرض عليكم القصاص (فى القتلى) والقصاص المساواة والمماثلة فى الجراحات والديات وأصله من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله ثم بين المماثلة فقال (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى وتقتل الانثى اذا قتلت بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا

حر بعبد ولا والد بولد ولا مسلم بذمى ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع ابن سليمان أنا الشافعى أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبى عن أبى جحيفة قال سألت عليا رضى الله عنه هل عندك عن النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير ولا يقتل مؤمن بكافر وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقاد بالولد الوالد وذهب الشعبى والنخعى وأصحاب الرأى الى ان المسلم يقتل بالكافر الذمى والى ان الحر يقتل بالعبد والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم يقتل الذمى وتقتل الجماعة بالواحد روى عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعا ويجرى القصاص فى الاطراف كما يجرى فى النفوس الا فى شئ واحد وهو ان الصحيح السوى يقتل بالمريض والزمن وفى الاطراف لو قطع يد اشلاء أو ناقصة بالاصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة وذهب أصحاب الرأى الى ان القصاص فى الاطراف لا يجرى الا بين حرين أو حرتين ولا يجزى بين الذكر والانثى ولا بين العبد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين الطرف فى القصاص مقيس على النفس أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عبد الله بن منيرة انه سمع عبد الله بن بكر السهمى أخبرنا حميد عن أنس بن النضر أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فابوا فعرضوا الارش فأبوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس بن النضر يارسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول

الله عليه وسلم قوله احمر البأس أى اشتد الحرب ونتقى به أى نجعله وقاية لنا من العدو (أولئك الذين صدقوا) أى أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم (وأولئك هم المتقون) * قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أوائلك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فأنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم أى فرض عليكم القصاص فى القتلى * فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبى حنيفة والرواية الثانية عن أحمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالأنثى) ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين

الله صلى الله عليه وسلم يا أنس كتاب الله القصاص فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره قوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد وقوله من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالاخ المقتول والكنايتان في قوله له ومن أخيه ترجعان الى من وهو القاتل وقوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا يسقط القود لان شيأ من الدم قد بطل قوله تعالى (فاتباع بالمعروف) أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه (وأداء اليه باحسان) أي على المطلوب منه أداء الدية بالاحسان من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيماله وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولي الدم اذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال قوم لا دية له الا برضى القاتل وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد بن اسمعيل ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلا فأهله بين خيرتين ان أحبوا قتلوا وان أحبوا أخذوا العقل قوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة وذلك ان القصاص في النفس والجراح كان حتما في التوراة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص فخير الله هذه الامة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفا منه ورحمة

المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الأسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي الى أن المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الأحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي الى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ أي تعاونوا واجتمعوا عليه * وقوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له أخ لانه لا بسه من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيأ من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) أي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه (وأداء اليه باحسان) أي على القاتل أداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيماله وعليه وقيل في تقدير الآية واذا عفا ولي الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الأول أن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثاني أنه تعالى أثبت الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من أخيه شيء وأراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا أن الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر * وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان

(فمن اعتدى بعد ذلك) فقتل الجانى بعد العفو وقبول الدية (فله عذاب اليم) وهو ان يقتل قصاصا قال ابن جريج يتحتم قتله حتى لا يقبل بعد العفو وفى الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل لان الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وقال فى آخر الآية فمن عفى له من أخيه شئ وأراد به اخوة الايمان فلم يقطع الاخوة بينهما بالقتل قوله تعالى (ولكم فى القصاص حيوة) أى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه و بقاء من هم بقتله وقيل فى المثل القتل أنفى للقتل وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا حيى فى الآخرة واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (ياأولى الالباب لعلكم تتقون)

أى تنتهون عن القتل مخافة القود قوله تعالى (كتب عليكم) أى فرض عليكم (اذا حضر أحدكم الموت) أى جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والامراض (ان ترك خيرا) أى مالا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير (الوصية للوالدين والاقربين) كانت الوصية فريضة فى ابتداء الاسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال ثم نسخت بآية الميراث أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن مخمش الزيادى أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص التاجر أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذ بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الاقارب الذين يرثون و بقى وجوبها فى حق الذى لا يرثون من الوالدين والاقارب وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس من أوصى بقوم سماهم وترك ذوى قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت الى ذوى قرابته وذهب الاكثرون الى أن الوجوب صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق الذين لا يرثون أخبرنا أبو حسن السرخسى أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عند رأسه

القصاص حيا فى التوراة وكان فى شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخيرالله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو أو قبول الدية (فله عذاب أليم) وهو أن يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة * قوله عز وجل (ولكم فى القصاص حيوة) أى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه و بقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح و ربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (ياأولى الالباب) أى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص * قوله عز وجل (كتب) أى فرض وأوجب (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعنى مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذى تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روى ان رجلا قال لعائشة انى أريد أن أوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية) أى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان أهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث و بما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه النسائى والترمذى نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث و بقى وجوبها فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول

قوله تعالى (بالمعروف) يريد يوصى بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير قال ابن مسعود الوصية للاخل فالاخل اى الاحوج فالاحوج أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن على بن رحيم الشيبانى أخبرنا أحمد بن حازم بن أبى عروة أخبرنا عبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثورى عن سعيد بن ابراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءنى النبى صلى الله عليه وسلم يعودنى فقلت يارسول الله أوصى بمالى كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس بايديهم فقوله

يتكففون الناس أى يسألون الناس الصدقة باكفهم وعن ابن أبى مليكة ان رجلا قال لعائشة رضى الله عنها انى أريد أن أوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا شئ يسير فاترك لعيالك وقال على رضى الله عنه لأن أوصى بالخمس أحب الى من أن أوصى بالربع ولان أوصى بالربع أحب الى من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقال الحسن البصرى رضى الله عنه يوصى بالسدس أو الخمس أو الربع وقال الشعبى انما كانوا يوصون بالخمس أو الربع قوله تعالى (حقا) نصب على المصدر وقيل على المفعول أى جعل الوصية حقا (على المتقين) المؤمنين قوله تعالى (فمن بدله) أى غير الوصية من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود (بعد ماسمعه) أى بعد ما سمع قول الموصى

الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى أخرجه الجماعة قوله ماحق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لا يدرى متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) أى بالعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت يارسول الله انى قد بلغ بى من الوجع ماترى وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى أفأتصدق بثلثى مالى قال لا قلت فالشطر يارسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير انك ان تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كأنه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال فى الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على ابن أبى طالب لأن أوصى بالخمس أحب الى من أن أوصى بالربع ولأن أوصى بالربع أحب الى من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس أو بالخمس أو الربع (حقا) أى ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أى على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) أى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما فى الكتابة أو فى قسمة الحقوق أو الشهود بان يكتموا الشهادة أو يغيروها وانما ذكر الكتابة فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة أى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به (بعد ماسمعه) أى من الموصى وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) أى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما أوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل المبدل (فمن خاف) أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (او اثما) أى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصيته اما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته

ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة وقيل الكناية راجعة الى الايصاء كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه ردا الكناية الى الوعظ (فانما اثمه على الذين يبدلونه) والميت برئ منه (ان الله سميع) لما أوصى به الموصى (عليم) بتبديل المبدل أو سميع لوصيته عليم بنيته قوله تعالى (فمن خاف) أى علم كقوله تعالى فان خفتم ألا يقيما حدود الله أى علمتم (من موص) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد كقوله تعالى ماوصى به نوحا ووصينا الانسان وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد كقوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم من بعد وصية يوصى بها أو دين (جنفا) أى جورا وعدولا عن الحق والجنف الميل (أو اثما) أى ظلما وقال السدى وعكرمة والربيع الجنف الخطأ والاثم العمد (فأصلح بينهم

فلا اثم عليه) واختلفوا فى معنى الآية قال مجاهد معناها أن الرجل اذا حضر مريضا وهو يوصى فرآه يميل اما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمر بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصى له والورثة وقال الآخرون انه أراد به انه اذا أخطأ الميت فى وصيته أو جار متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والى أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه أى لا حرج عليه (ان الله غفور رحيم) وقال طاوس جنفه توجيهه وهو أن يوصى لبنى بنيه يريد بنيه أو ولد ابنته أو لزوج ابنته يريد بذلك ابنته وقال الكلبى كان الأولياء والأوصياء يقضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآية وان استغرق المال كله ولم يبق للورثة شئ ثم نسخها قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا الآية قال ابن زيد فعجز الموصى ان يوصى للوالدين والأقربين كما أمر الله تعالى وعجز الوصى ان يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض روى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية الى قوله غير مضار قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) أى فرض وأوجب والصوم والصيام فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السماء كأنها وقفت وأمسكت عن السير سريعة ومنه قوله تعالى فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام وفى الشريعة الصوم وهو الامساك عن الاكل والشرب والجماع مع النية فى وقت مخصوص (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والأمم واختلفوا فى هذا التشبيه فقال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم أراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان وليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من

وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه أراد به اذا أخطأ الميت فى وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولى أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) أى فلا حرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) أى لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية ان لا تمضى أو ينقص بعضها أو يوصى لغير أهلها أو يحيف فى الوصية ونحو ذلك *قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والأمم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى فى الزمن الاول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان وليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر

فربما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاروا أربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا فيه عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبى لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذى قبله حتى صاروا الى خمسين يوما فذلك قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم (لعلكم تتقون) يعنى بالصوم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تتقون تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع

(أياما معدودات) قيل كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان قبل بدر شهر وأيام قال محمد بن اسحق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين انها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل المراد من قوله أياما معدودات شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياما على الظرف أي في أيام معدودات وقيل على التفسير وقيل على هو خبر ما لم يسم فاعله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة) أي فأفطر فعدة (من أيام أخر) أي فعليه عدة والعدد والعدة واحد من أيام أخر أي غير أيام مرضه وسفره وأخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه) اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم الى ان الآية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا و بين أن يفطروا أو يفتدوا خيرهم

كسر النفس وترك الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (أياما معدودات) أي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) أي فأفطر (فـ)عليه (عدة من أيام أخر) يعني غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) أي يطيقون الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا و بين أن يفطروا و يفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر و يفتدي فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر و يفتدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام و بين أن يفطر و يفتدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوّقونه بضم الياء وفتح الطاء و بالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما

الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له في أن يفطر و يفدي ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين أن يصوم و بين أن يفطر و يفدي ثم نسخ بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون وذهب جماعة الى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها أي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم أن يفطروا و يطعموا مكان كل يوم مسكينا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الآية محكمة

قوله تعالى (فدية طعام مسكين) قرأ أهل المدينة والشام مضافا وكذلك فى المائدة كفارة طعام مساكين أضاف الفدية الى الطعام وان كان واحدا لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقولهم مسجد الجامع ورسيع الأول وقرأ الآخرون فدية وكفارة منونة طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام وآخرون على التوحيد فمن جمع نصب النون ومن وحد خفض النون ونونها والفدية الجزء ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد هذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء أهل العراق عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر وقال بعضهم نصف صاع من قمح أو صاع من غيره وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يقتوته يومه الذى أفطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خيرله) أى زاد على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر قال مجاهد وعطاء وطاوس وقيل من زاد على القدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مد فهو خيرله (وأن تصوموا خير لكم) فمن ذهب الى النسخ قال معناه الصوم خيرله من الفدية وقيل هذا فى الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه فهو خيرله من أن يفطر ويفدى (ان كنتم تعلمون) واعلم انه (١٣٠) لا رخصة لمؤمن مكلف فى افطار رمضان الا لثلاثة أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة والثانى عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء أما الذى عليه القضاء والكفارة فالحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما فانهما تفطران وتقضيان وعليهما مع القضاء الفدية وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقال قوم لا فدية عليهما وبه قال الحسن وعطاء وابراهيم النخعى والزهرى واليه ذهب الاوزاعى والثورى وأصحاب الرأى وأما الذى عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء وأما الذى عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذى لا يرجى زوال مرضه ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال (شهر رمضان) رفعه أعظم على معنى هو شهر رمضان وقال الكسائى كتب عليكم شهر رمضان وسمى الشهر شهرا لشهرته وأما رمضان فقد قال مجاهد هو من أسماء الله تعالى يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله والصحيح انه اسم للشهر سمى به من الرمضاء وهى الحجارة المحماة وهم كانوا يصومونه فى الحر الشديد وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة قوله تعالى (الذى أنزل فيه القرآن) سمى القرآن قرآنا لانه يجمع السور والآى والحروف وجمع فيه القصص والامر والنهى والوعد والوعيد وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمزة فيقال قريت الماء فى الحوض اذا جمعته وقرأ ابن كثير القرآن بفتح الراء غير مهموز وكذلك كان يقرأ الشافعى ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل روى عن مقسم عن ابن عباس انه سئل عن قوله عز وجل شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة وقد نزل فى سائر الشهور وقال عز وجل وقرآنا فرقناه فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم قال داود بن أبى هند قلت للشعبى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أما كان ينزل فى سائر الشهور قال بلى ولكن كان جبرائيل كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم فى

فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من أفطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خيرله) يعنى زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعا وعليه مد فهو خيرله (وأن تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا أيها المطيقون وتتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى (ان كنتم تعلمون) يعنى ان الصوم خيرا لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما فى الصوم من المعانى الموروثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لأحد من المسلمين المكلفين فى افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعى وذهب أهل الرأى الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعنى وقت صيامكم شهر رمضان سمى الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا أظهره شهره وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمى الشهر شهرا باسم الهلال وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهى الحجارة المحماة فى الشمس وقيل انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذى أنزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال

رمضان ما أنزل الله اليه فيحكم الله ما يشاء و يثبت ما يشاء و ينسيه ما يشاء و روى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان و يروى في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل الانجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الزبور على داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها قوله تعالى (هدى للناس) من الضلالة وهدى في محل النصب على القطع لان القرآن معرفة وهدى نكرة (و بينات من الهدى) أي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والاحكام (والفرقان) أي الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فمن كان مقيما في الحضر فادركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر

أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض و يجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم و روى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعني من الضلال (و بينات من الهدى والفرقان) * فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله و بينات من الهدى بعد قوله هدى للناس * قلت انه تعالى ذكر أولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكأنه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال و بينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فأدركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أجرى أوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في أمر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير

روى عن علي رضي الله عنه انه قال يجوز له الفطر و به قال عبيدة السلماني لقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه أي الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء الى انه اذا انشأ السفر في شهر رمضان جاز له ان يفطر ومعنى الآية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله ومن يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو منصور عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة ابن مسعود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه فكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أباح

الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم ان هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب أهل الظاهر الى ان ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال انه وجعت أصبعي هذه وقال الحسن وابراهيم النخعي هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعدا وذهب الاكثرون الى انه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة وفي الجملة انه اذا أجهده الصوم فافطر وان لم يجهده فهو كالصحيح وأما السفر فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم الا ما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء احتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصوم في السفر وذلك عند الآخرين في حق من يجهده الصوم فالاولى له ان يفطر والدليل ما أخبرناه عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا

محمد بن عبد الرحمن الانصاري قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسين بن علي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا هذا صائم فقال ليس من البر الصوم في السفر والدليل على جواز الصوم ما حدثنا الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفرايني أخبرنا أبو عوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم واختلفوا في أفضل الأمرين فقالت طائفة الفطر في السفر أفضل من الصوم روي ذلك عن ابن عمر واليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي وذهب قوم الى ان الصوم أفضل وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقالت طائفة أفضل الأمرين أيسرهما عليه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو قول مجاهد وقتادة وعمر ابن عبد العزيز ومن أصبح مقيما صائما ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له ان يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم وقالت طائفة له ان يفطر وهو قول الشعبي وبه قال أحمد أما المسافر اذا أصبح صائما فيجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم صام الناس معه فقيل له يا رسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه ان ناسا صاموا فقال أولئك العصاة واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر فقال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة الى مسيرة يومين وهو قول الشافعي رحمه الله وذهب جماعة الى مسيرة ثلاثة أيام وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر) نابحة الفطر في المرض والسفر (ولا يريد بكم العسر) قرأ أبو جعفر العسر واليسر ونحوهما بضم السين وقرأ الآخرون بالسكون وقال

المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

﴿فصل﴾ في حكم الآية وفيه مسائل ﴿الاولى﴾ اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال أحدهما وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس أو زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي اذا أجهده الصوم أفطر والا فهو كالصحيح ﴿المسئلة الثانية﴾ الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر أخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن أنس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجاه في الصحيحين ﴿المسئلة الثالثة﴾ اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أي سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام ﴿المسئلة الرابعة﴾ اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثنائه جاز له أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان أحب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة ﴿المسئلة الخامسة﴾ اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم أفضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل الامرين أيسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿المسئلة السادسة﴾ يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة من أيام أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع أولى وفيه أيضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه أيضا ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي الا في شعبان ذاك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) أي التسهيل في هذه العبادة وهي اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) أي وقد نفى عنكم الحرج في أمر الدين قيل ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحب

الشعبي ماخير رجل بين امرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحبهما الى الله عز وجل (ولتكملوا العدة) قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الاخرون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والواو في قوله تعالى ولتكملوا واو النسق واللام لام كي تقديره ويريد لكي تكملوا العدة أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم وقال عطاء ولتكملوا العدة أي عدد أيام الشهر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين الا أن يوافق ذلك صوما كان يصومه أحدكم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم افطروا (ولتكبروا الله) ولتعظموا الله (على ماهداكم) أرشدكم الى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر بها الا من كان حاجا وذكره التلبية (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني اسمعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد النجيبي المصري بها المعروف بابن النجاش قيل له أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد ابن زياد المقبري البصري بمكة المعروف بابن الاعرابي أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي اسحق العنزي أخبرنا علي بن حجر بن اياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس انه قد أظلكم شهر عظيم وفي رواية قد أظلكم بالعطاء أطل أشرف شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة أي المساهمة وشهر يزاد فيه الرزق ومن فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء ومن أشبع صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار أخبرنا

الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) أي عدد الايام التي أفطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل أراد عدد أيام الشهر (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فأكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعي واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الأضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله ولتكبروا الله أي ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ما هداكم) أي أرشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادى أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا ابراهيم بن عبد الله ابن عمر بن بكير الكوفى أخبرنا وكيع عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم (١٣٤) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا محمد بن مطرف حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائى أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام أى رب انى منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن رب انى منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان وله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قال يهود أهل المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الضحاك سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وفيه اضمار كأنه قال فقل لهم انى قريب منهم بالعلم لا يخفى على شئ كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم

﴿فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه﴾ (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أى شدت بالاغلال (ق) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * قوله ايمانا واحتسابا أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد فى رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه أحد أو قاتله فليقل انى صائم * قوله كل عمل ابن آدم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى لى وان كانت جميع الأعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم أبلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند أحدكم * قوله الصيام جنة أى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى * قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن أبى أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية أى العمل أفضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له أخرجه النسائى * قوله عز وجل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى أى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما

بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتبعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمرو باثبات الياء فيهما في الوصل والباقون يحذفونها وصلا ووقفا وكذلك اختلف القراء في اثبات اليا آت المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة وأثبت يعقوب جميعها وصلا ووقفا واتفقوا على اثبات ما هو مثبت في الخط وصلا ووقفا (فليستجيبوا لي) قيل الاستجابة بمعنى الاجابة أي فليجيبوا لي بالطاعة والاجابة في اللغة الطاعة واعطاء ما سئل فالاجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة وقيل فليستجيبوا لي أي ليستدعوا مني الاجابة وحقيقته فليطيعوني (وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) لكي يهتدوا فان قيل فما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع وقوله ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجاب قلنا اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعا هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما تقديرهما أجيب دعوة الداعي ان شئت كما قال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء أو أجيب دعوة الداعي ان وافق القضا أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه ان لم يسأل محالا

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد سمعاني أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان ربيعة بن يزيد حدثه عن أبي ادريس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يستجيب الله لاحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا وما الاستعجال يا رسول الله قال يقول قد دعوت ربي قد دعوت ربي قد دعوت ربي فلا أراك تستجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء وقيل هو عا

اما ان يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأله (ق) عن أبي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي أسمع دعاء عبدي الداعي اذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعاه وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع أجاب الله دعوته * فان قلت انا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم * قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه اذا لم يسأل اثما أو محالا ورابعها ان معناها عام أي أسمع وهو معنى الاجابة المذكورة في الآية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم * وقوله تعالى (فليستجيبوا لي) يعني اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما اني أجبتهم اذا دعوني لحوائجهم والاجابة في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) أي لكي يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

﴿فصل في فضل الدعاء وآدابه﴾ (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني

ومعنى قوله أجيب أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة فاما اعطاء المنية فليس بمذكور فيها وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة وقيل معنى الآية انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه به سوأ والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا ابن ثوبان وهو محمد بن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وقيل ان الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاءه من يجيب مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل اعطاء من لا يحبه لانه يبغض صوته وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في

فاغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبأنه حق على ما يليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع اليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف عنه من الشر مثلها مالم يدع بأثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله أكثر أخرجه الترمذى قوله الله أكثر معناه الله أكثر اجابة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وله عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيأ أحب اليه من أن يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وله عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم مالم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بأثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر أى يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة أى لا تكن فى دعائك ربك متردد ابل اعزم وجد فى المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح * قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان فى ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلى العشاء الاخيرة أو يرقد قبلها فاذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر الى الله والبك من هذه الخطيئة انى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل فى عمر وأصحابه أحل لكم ليلة الصيام أى أبيح لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى سكن لكم ودليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وقيل سمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه وقال الربيع بن أنس هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قال أبو عبيدة وغيره يقال للمرأة هى لباسك وفراشك وازارك وقيل اللباس اسم لما يوارى الشئ فيجوز ان يكون كل واحد

حيى كريم يكنى كلما ذكر فى القرآن من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عنى به الجماع وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء قال أهل التفسير كان فى ابتداء الأمر اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلى العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فاذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخطيئة انى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل فى عمر وأصحابه أحل لكم ليلة الصيام أى أبيح لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى سكن لكم ودليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وقيل سمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه وقال الربيع بن أنس هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قال أبو عبيدة وغيره يقال للمرأة هى لباسك وفراشك وازارك وقيل اللباس اسم لما يوارى الشئ فيجوز ان يكون كل واحد

في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما ستر لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الأمانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) أي محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر (فالآن باشروهن) أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيأ سخنا فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله طليحا أي مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال أعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو في الأفق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا انما يعني بهما الليل والنهار أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل

المحفوظ وقال معاذ بن جبل وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) نزلت في رجل من الانصار اسمه أبو صرمة بن قيس بن صرمة وقال عكرمة أبو قيس بن صرمة وقال الكلبي أبو قيس صرمة ابن أنس بن صرمة وذلك انه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لاهله قدموا الطعام فأرادت المرأة ان تطعمه شيأ سخنا فأخذت تعمل له سخينة وكان في الابتداء من صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه اذا هو به قد نام وكان قد أعيا وكل فأيقظته فكره ان يعصي الله ورسوله فأبى أن يأكل فأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا قيس مالك أصبحت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض (من الخيط الاسود) يعني بياض النهار من سواد الليل سميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل قوله من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعده (من الفجر) فعلموا انما يعني بهما الليل والنهار أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل

صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض

أخبرنا حجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال أسود والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت انظر اليهما والى الليل فلا يستبين لي فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما ذلك سواد الليل و بياض النهار أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن الشهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر وعن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر فجران كاذب وصادق فالكاذب يطلع أولا مستطيلا كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ثم يغيب فيطلع بعده الفجر (١٣٨) الصادق مستطيرا ينتشر سريعا في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب

على الصائم أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا هناد بن يوسف بن عيسى قال أخبرنا وكيع عن ابي هلال عن سواد ابن حنظلة عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق قوله تعالى (ثم أتموا الصيام الى الليل) فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد الى غروب الشمس واذا غربت حصل الفطر أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسمعيل اخبرنا الحميدي اخبرنا سفيان الثوري اخبرنا هشام بن عروة قال سمعت أبي

فعلموا انه انما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل و بياض النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل * فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل * قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو أول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل يعني منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا الان قوله تعالى (ثم أتموا الصيام الى الليل) أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أجاب أصحاب الشافعي عنه بأن هذا انما ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله أهدي لنا حيس قال أرنيه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف * قوله عز وجل (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة له على

يقول سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم قوله تعالى (ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد) العكوف هو الاقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الاقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي اخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسمعيل اخبرنا عبد الله بن يوسف اخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكفت ازواجه من بعده والآية نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى اهله خرج اليها فجامعها أو احتاج فرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك ليلا ونهارا حتى فرغوا من اعتكافهم فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف اما مادون سبيل

سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى أهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

﴿فصل فى حكم الاعتكاف﴾ الاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى ومالك وأحمد يجوز فى سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون فى المساجد الا ان المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿فروع* الاول﴾ يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعى ماروى عن ابن عمر قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه فى الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم فى الليل ﴿الفرع الثانى﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى وأقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى وأحب أن يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبى حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿الفرع الثالث﴾ الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسد به وأما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول أبى حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها يناولها رأسه زاد فى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان أخرجاه فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها ههنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه * وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميزله عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) أى فلا تأتوها ولا تغشوها * فان قلت فى الآية اشكالان أما الاول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجميع فلا تقربوها الاشكال الثانى هو انه تعالى قال فى هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى آية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال فى آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع فى

الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قولى الشافعى كما لا يبطل به الحج وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا كالصوم وأما اللمس الذى لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف أدنى الى رأسه فارجله وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى تلك الاحكام التى ذكرها فى الصيام والاعتكاف حدود الله أى ما منع الله عنها قال السدى شروط الله وقال الشهر بن حوشب فرائض الله وأصل الحد فى اللغة المنع ومنه يقال للبواب حداد لانه يمنع الناس من الدخول وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها (فلا تقربوها) أى فلا تأتوها

(كذلك) هكذا (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) لكي يتقوها فينجوا من العذاب قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قيل نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب والاكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة (وتدلوا بها الى الحكام) أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها الى الحكام وأصل الادلاء ارسال الدلو واقاؤه في البئر يقال أدلى دلوه اذا أرسله ودلاه يدلوه اذا أخرجه قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه آثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية لا تخاصم وأنت ظالم قال الكلبي هو ان يقيم شهادة الزور وقوله وتدلوا في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه ولا تدلوا بها الى الحكام وقيل معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه الى الحكام قال قتادة لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وأنت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لأقضي لك واني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني الا أن أقضي لك بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه فانما أقطع له قطعة من النار قوله تعالى (لتأكلوا فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه (وأنتم تعلمون) انكم مبطلون

حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) أي معالم دينه وأحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافي الوافي (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب * قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له وأصل الباطل الشيء الذاهب

﴿ فصل ﴾ أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الأول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) أي وتلقوا أمور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لأقضي لك واني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني الا أن أقضي لك بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض وفي رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب انه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها قوله سمع جلبة خصم يعني أصوات خصم قوله ألحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان أي اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) اي طائفة وقطعة (من اموال الناس بالاثم) يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وانتم تعلمون) يعني انكم على الباطل * قوله عز وجل

قوله تعالى (يسألونك عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة فأنزل الله تعالى يسألونك عن الاهلة وهى جمع هلال مثل رداء وأردية سمى هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبى اذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية (قل هى مواقيت للناس والحج) جمع ميقات أى فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والافطار وآجال الديون وعدد النساء وغيرها فلذلك خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) قال أهل التفسير كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم فى دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة ابن التابوت على أثره من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحلوا بينهم وبين السماء شئ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الانصار من بنى سلمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الانصارى وانا أحمسى يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر البيوت والغيوب والجيوب والعيوب وشيوخا بكسر أوائلهن لما كان الياء وقرأ الباقون بالضم على الاصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى جيوب بكسر الجيم وقرأ أبو بكر وحمزة العيوب بكسر

وجل (يسألونك) أى يا محمد (عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم وآجارهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) أى وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الأشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (ق) عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفى رواية كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم فى دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على أثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا أحمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الانصار من بنى سلمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحمسى فقال الانصارى وانا أحمسى يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر البيوت والغيوب والجيوب والعيوب وشيوخا بكسر أوائلهن لما كان الياء وقرأ الباقون بالضم على الاصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى جيوب بكسر الجيم وقرأ أبو بكر وحمزة العيوب بكسر

العين (ولكن البر من اتقى) أى البر بر من اتقى (وأتوا البيوت من أبوابها) فى حال الاحرام (واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الاسلام أمر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية وقال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت فى القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله اقتلوا المشركين فصارت هذه الآية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين قريب من سبعين آية وقوله (ولا تعتدوا) أى لا تبدؤهم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال المقاتلين ومعنى قوله ولا تعتدوا أى لا تقتلوا النساء والصبيان

فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على أثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى أحمسى فقال الانصارى وأنا أحمسى يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعنى فى حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبى موسى الاشعرى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع ابن أنس هذه أول آية نزلت فى القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا * قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تعتدوا أى ولا تنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لا تعتدوا أى لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صدّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لا تفى قريش بما قالوا ويصدّوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فأنزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) * قوله عز وجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أى حيث وجدتموهم وأدركتموهم فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى أمر بالجهاد فى الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفى هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من ديارهم (والفتنة أشدّ من القتل) يعنى ان شركهم بالله أشدّ وأعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يؤدّى الى الظلم وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود

والشيخ الكبير والرهبان ولا من ألقى اليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد أخبرنا أبو الحسن السرخسى اخبرنا زاهر بن احمد اخبرنا ابو بكر ابن محمد بن سهل القهستانى المعروف بأبى تراب اخبرنا محمد بن عيسى الطوسى انا يحيى بن بكير انا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا قال اغزوا باسم الله وفى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تعتدوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا ولا شيخا كبيرا وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية فى صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفا وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة العام القابل ثلاثة ايام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز

رسول الله وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفى قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فأنزل الله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله يعنى محرمين الذين يقاتلونكم يعنى قريشا ولا تعتدوا فتبدؤا بالقتال فى الحرم محرمين (ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) قيل نسخت الآية الاولى بهذه الآية وأصل الثقافة الحذق والبصر بالامر ومعناه واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وذلك انهم أخرجوا المسلمين من مكة فقال أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من ديارهم (والفتنة أشد من القتل) يعنى شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتالكم اياهم فى الحرم والاحرام

(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) قرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا بنى فلان وانما قتلوا بعضهم وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا فى ابتداء الاسلام كان لا يحل بدايتهم بالقتال فى البلد الحرام ثم صار منسوخا بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا قول قتادة وقال مقاتل بن حبان قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم أى حيث أدركتموهم فى الحل والحرم صارت هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها آية السيف فى براءة فهى ناسخة منسوخة وقال مجاهد وجماعة هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) عن القتال والكفر (فان الله غفور رحيم) أى غفور لما سلف رحيم بالعباد (وقاتلوهم) يعنى المشركين (حتى لا تكون فتنة) أى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثنى الا الاسلام فان أبى قتل (ويكون الدين) أى الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبد شئ دونه قال نافع جاء رجل الى ابن عمر فى فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك ان تخرج قال يمنعنى ان الله حرم دم أخى قال ألا تسمع ماذكره الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فقال يا ابن أخى ولان أعتبر بهذه الآية ولا أقاتل أحب الى من أن أعتبر بالآية التى يقول الله عز وجل فيها ومن يقتل مؤمنا متعمدا قال ألم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الاسلام قليلا وكان الرجل يفتن فى دينه اما يقتلونه أو يعذبونه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون ان تقاتلوهم حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وعن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عمر كيف ترى فى قتال الفتنة فقال هل تدرى ما الفتنة كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس قتالكم كقتالهم على الملك (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فلا عدوان) فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس يدل عليه قوله تعالى أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على أى فلا سبيل على وقال أهل المعانى العدوان الظلم أى فان أسلموا فلا تهب ولا أسر ولا قتل الا على الظالمين الذين بقوا على الشرك وما يفعل باهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلما وسماه عدوانا على طريق المجازات والمقابلة كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الكافر ظالما لانه يضع العبادة فى غير موضعها قوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت هذه الآية فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك ورجع فى العام المقبل فى ذى القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذى القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن

فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت أن الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل أن يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) أى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم الا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) أى وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر باصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) أى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لما وضعه العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن

ذا القعدة الذى صددتم فيه عن البيت سنة ست (والحرمات قصاص) جمع حرمة وانما جمعها لانه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل وقيل هذا فى أمر القتال معناه ان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فيه (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) قوله تعالى (وأنفقوا فى سبيل الله) أراد به الجهاد وكل خير هو فى سبيل الله ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء فى قوله تعالى بايديكم زائدة يريد ولا تلقوا أيديكم أى أنفسكم الى التهلكة عبر عن الأنفس بالأيدى كقوله تعالى بما كسبت أيديكم أى بما كسبتم وقيل الباء فى موضعها وفيه حذف أى ولا تلقوا أنفسكم بايديكم الى التهلكة أى الهلاك وقيل التهلكة كل شئ يصير عاقبته الى الهلاك أى ولا تأخذوا فى ذلك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه والعرب لا تقول للانسان التى بيده الا فى الشر واختلفوا فى تأويل هذه الآية فقال بعضهم هذا فى البخل وترك الانفاق يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة بترك الانفاق فى سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس فى هذه الآية انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم انى لا أجد شيأ وقال السدى فيها انفق فى سبيل الله ولو عقالا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا تقل ليس عندى شئ وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حبان لما أمر الله تعالى بالانفاق قال رجال أمرنا بالنفقة فى سبيل الله ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد فيها لا يمنعنكم من نفقة فى حق خيفة العيلة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد ابن الحسن الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن على بن دحيم الشيبانى أخبرنا أحمد بن حازم ابن أبى غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطى أخبرنا واصل مولى أبى عيينة عن بشار بن أبى سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غضيف قال أتينا أبا عبيدة نعوده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق نفقة فاضلة فى سبيل الله فبسبعمائة ومن أنفق نفقة وقيل على أهله فالحسنة بعشر أمثالها وقال زيد بن أسلم كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان يقطع بهم واما ان يكونوا عيالا فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقى بيده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش أو بالمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد قال أبو أيوب الانصارى نزلت فينا معشر الانصار وذلك ان الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى أهلنا وأموالنا فاقمنا فيها فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فالتهلكة الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد فما زال أبو أيوب مجاهدا فى سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها قسطنطينية فى زمن معاوية فتوفى هناك ودفن فى أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به وروى عن أبى عمران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلمانى الالقاء بالتهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال أبو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فيأس من رحمة الله فيهلك فى اليأس فنهاهم الله تعالى عن ذلك قال الله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وقفتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) أى بالقتال (فاعتدوا عليه) أى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) قوله عز وجل (وأنفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا لله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالأيدى الانفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس أنفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض

(وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قرأ علقمة وابراهيم النخعي وأقيموا الحج والعمرة لله واختلفوا في اتمامهما فقال بعضهم هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وابراهيم النخعي ومجاهد وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير وللحج تحللان وأسباب التحلل ثلاثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيآن من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الاول وبالثلاث حصل التحلل الثاني وبعد تحلل الاول يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء وبعد الثاني يستبيح الكل وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق قال سعيد بن جبير وطاوس تمام الحج والعمرة ان تحرم بهما مفردين مستأنفين من دويرة أهلك وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله قال ان تحرم بهما من دويرة أهلك ومثله عن ابن مسعود قال قتادة تمام العمرة ان تعتمر في غير أشهر الحج فان كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي تمتعه وعليه فيها الهدى ان وجده أو الصيام ان لم يجد الهدى وتمام الحج ان يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عما ترك دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقال سفيان الثوري اتمامهما ان تخرج من أهلك لهما ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى قال عمر بن الخطاب الوفد كثير والحاج قليل وانفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير واليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه وذهب قوم الى انها سنة وهو قول جابر وبه قال الشعبي واليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله على معنى أتموهما اذا دخلتم فيهما أما ابتداء الشروع فيهما فتطوع واحتج من لم يوجبها بما روى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن العمرة أواجبة هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم والقول الاول أصح ومعنى قوله وأتموا الحج والعمرة لله أي ابتدوهما فاذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالابتداء والاتمام أي أقيموهما كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل أي ابتدؤه وأتموه أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وقال ابن عمر ليس من خلق الله أحد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا كما قال الله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع واتفقت الامة على انه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد أن يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر وصورة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال

وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما أن ينقطع بهم واما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه في التهلكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد (ت) عن أبي عمران واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام أبو أيوب الانصاري فقال أيها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم رد علينا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الأموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقال حديث غريب صحيح مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان أنفقنا فنهلك فنهوا أن يجعلوا أنفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة (وأحسنوا) أي بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا في الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه وأحسنوا في أداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) أي يثيبهم على احسانهم * قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل

العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب جماعة الى ان الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بحج وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فاما من أهل بالعمرة فحل وأما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلن يحلوا حتى كان يوم النحر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ننوي الا الحج ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة وروى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج وذهب قوم الى ان القران أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النميري أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد قال قال أنس بن مالك أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لبيك بحجة وعمرة وذهب قوم الى ان التمتع أفضل وهو قول أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أشواط ومشى أربعا فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى وساق الهدى من الناس وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الامام رضي الله عنه قد اختلف الرواة في احرام النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزا ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه فيجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا وأريد انه أمر ببنائها وكما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما أمر برجمه واختار الشافعي الافراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي في اختلاف الاحاديث الى التمتع وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب ثم السنة ثم ما لا أعلم فيه خلافا يدل على ان التمتع بالعمرة الى الحج وافرادا لحج والقران واسع كله أي التمتع والافراد والقران وقال من قال انه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على ما يعرف من أهل العلم الذين أدركوا دور رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدا لا يكون مقيما على الحج الا وقد ابتدأ احرامه بالحج قال شيخنا الامام ومما يدل على انه كان متمتعا ان الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عائشة أخبرته عن النبي

اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما أن تخرج من أهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

﴿ فصل واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا ﴾ (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي أصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وأبو حنيفة حجة من أوجب العمرة ما روى في حديث الضبي

الضبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي وانى أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي بأطول من هذا وجه الدليل أنه أخبر عن وجوبهما عليه وصوّبه عمر بن أنه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم * وروى عن ابن عباس انها كقرينها في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة أخرجه النسائي والترمذي وزاد ومامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ماروى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم أخرجه الترمذي وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج ابن أرطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتي بأعمالها فاذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي الى أن الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ماروى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال أهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج مفردا وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة الى أن القران أفضل يدل عليه ماروى عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه في الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى أن التمتع أفضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا أو قارنا

صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه قال شيخنا الامام وماروى عن جابر انه قال خرجنا لا ننوي الا الحج لا ينافي التمتع لان خروجهم كان لقصد الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج الى ان أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله متعة

قوله تعالى (فان أحصرتم) اختلف العلماء فى الاحصار الذى يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع يمنعه عن الوصول الى البيت الحرام والمضى فى احرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يبيح له التحلل وبه قال ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير واليه ذهب سفيان الثورى وأهل العراق وقالوا ان الاحصار فى كلام العرب هو حبس العلة أو المرض وقال الكسائى وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال منه أحصر فهو محصر وما كان من حبس عدو أو سجن يقال منه حصر فهو محصور وانما جعل ههنا حبس العدو احصارا قياسا على المرض اذا كان فى معناه احتجوا بما روى عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل قال عكرمة فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر الا حصر العدو وروى معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعى وأحمد واسحاق وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد وقال ثعلب تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره العدو اذا منعه عن السير هو محصر واحتجوا بان نزول هذه الآية فى قصة الحديبية وكان ذلك حبسا من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى فى سياق الآية فاذا أمنتم والأمن يكون من الخوف وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو وتأوله بعضهم على انه انما يحل بالكسر والعرج اذا كان قد شرط ذلك فى عقد الاحرام كما روى ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس والهدى بشاة وهو المراد من قوله تعالى فما استيسر من الهدى ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم لان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب قوم الى ان المحصر يقيم على احرامه ويبعث بهديه

وهى ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان أولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا أمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما قال بنى فلان داره وأريد به انه أمر ببنائها وكما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما أمر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فأما جابر فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو أضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذ بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير فى أصح القولين وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق أو التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى (فان أحصرتم) أصل الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول أهل العراق واختلف القول فى المحصر اذا لم يجد هديا فى قول لا بدل له فيتحلل والهدى فى ذمته الى ان يجده والقول الثانى له بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ففى قول عليه صوم التمتع وفى قول تقوم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاما فيتصدق به فان عجز عن الاطعام صام عن كل مد من الطعام يوما كما فى فدية الطيب واللبس فان المحرم اذا احتاج الى ستر رأسه لحر أو برد أو الى لبس قميص أو مرض فاحتاج الى مداواته بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فان لم يجد يقوم الشاة بدراهم والدراهم يشترى بها طعاما فيتصدق به فان عجز صام عن كل مد يوما ثم المحصر ان كان احرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض فى ذمته وان كان بحج تطوع فهل عليه القضاء اختلفوا فيه فذهب جماعة الى انه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعى وذهب قوم الى ان عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبى والنخعى وأصحاب الرأى

قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) أى فعليه ما تيسر من الهدى ومحله رفع وقيل ما فى محل النصب أى فاهد ما استيسر والهدى جمع هدية وهى اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه وما استيسر من الهدى شاة قاله على بن أبى طالب وابن

السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فان أحصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه و بين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر فهو محصر فان حبس فى دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى أنهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال أحمد بن يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس أقوى من أحصر وقيل الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا فى المنع الباطن وأما قوله فان أحصرتم فمحمول على الأمرين و بحسب اختلاف أهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبى حنيفة و يدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثنى الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لأبى هريرة وابن عباس فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس و به قال مالك والليث والشافعى وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان فى قصة الحديبية فى سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبى صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل و يدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فاذا أمنتم والأمن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه و يدل على جواز الاشتراط فى الاحرام ما روى عن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولى لبيك اللهم لبيك محلى من الارض حيث تحبسنى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فذهب الشافعى وأحمد واسحق اذا اشترط فى الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل و يخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومعنى الآية فان أحصرتم دون تمام الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لانه أقرب الى اليسر ومحل ذبح هدى المحصر حيث أحصر واليه ذهب الشافعى لان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة الى أنه يقيم على احرامه و يبعث بهديه الى الحرم و يواعده ان يذبحه هناك ثم يحل فى ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبى حنيفة والقول الثانى محل ذبحه حيث أحصر سواء كان فى الحل أو فى الحرم ومعنى محله يعنى حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعى وأحمد و يدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخارى * قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم

عباس لانه أقرب الى اليسر وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) اختلفوا فى المحل الذى يحل المحصر ببلوغ هديه اليه فقال بعضهم هو ذبحه بالموضع الذى أحصر فيه سواء كان فى الحل أو فى الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه فيه أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن اسمعيل أخبرنا عبد الله ابن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرنى الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة فى قصة الحديبية قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت أم سلمة يا نبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما

رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا أى ازدحاما غما وقال بعضهم محل هدى المحصر الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم قوله تعالى (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم ما دام لكم حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض أو لاذى فى الرأس من هوام أو صداع

(ففدية) فيه اضمار أى فحلق ففعليه فدية نزلت فى كعب بن عجرة آنا آخبرنا عبد الواحد المليحى آخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى آخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبى بشر ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال حدثنى عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقمله يسقط على وجهه فقال أيؤذيك هوامك قال نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم انهم يحلون بها وهم على طمع ان يدخلوا مكة فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطعم فرقا بين ستة مساكين أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام قوله تعالى ففدية (من صيام) أى ثلاثة أيام (أوصدقة) أى ثلاثة آصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أونسك) واحدتها نسيكة أى ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة أيتها شاء ذبح فهذه

الفدية على التخيير والتقدير ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق وكل هدى أوطعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم الا هديا يلزم المحصر فانه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء قوله تعالى (فاذا أمنتم) أى من خوفكم وبرأتم من مرضكم (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى) اختلفوا فى هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير الى ان معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من احرام بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك فتلك العمرة لى السنة المقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام القابل وقال بعضهم معناه فاذا أمنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقضوا عمرتكم وأخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم فى أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وهو قول علقمة وابراهيم النخعى وسعيد بن جبير وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق فى أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالا بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه فى الاحرام الى احرامه بالحج ولوجوب هدى التمتع أربع شرائط أحدها ان يحرم بالعمرة فى أشهر الحج والثانى ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الثالث ان يحرم بالحج فى مكة ولا يعود الى الميقات لاحرامه الرابع أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدى وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعدما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنايات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الاضحية

فى حال الاحرام الا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية فى كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لى والقمل يتناثر على وجهى فقال أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أواطعم ستة مساكين أوانسك نسيكة لا أدرى باى ذلك بدأ وفى رواية قال فى نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أونسك وذكر نحوه وفى أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره وفى أخرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى ان الوجع بلغ منك ما أرى أوما كنت أرى ان الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أواطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) أى صوم ثلاثة أيام (أوصدقة) يعنى اطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أونسك) واحدتها نسيكة أى ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح أوصام أو تصدق وكل هدى أوطعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء * قوله تعالى (فاذا أمنتم) يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا أمنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فاذا أمنتم وقد أحللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى أشهر الحج ثم أحللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق فى أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالا حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج الثالث أن يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعا الخامس أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم

قوله تعالى (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى صوموا ثلاثة أيام يصوم يوم قبل التروية و يوم التروية و يوم عرفة ولو صام قبله بعد ما أحرم بالحج جاز ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم الى جواز صوم الثلاثة فى أيام التشريق يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والاوزاعى وأحمد واسحاق قوله تعالى (وسبعة اذا رجعتم) أى صوموا سبعة أيام اذا رجعتم الى أهليكم و بلدكم فلو صام السبعة قبل الرجوع الى أهله لا يجوز وهو قول أكثر أهل العلم روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز ان يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج وهو المراد من الرجوع المذكور فى الآية قوله تعالى (تلك عشرة كاملة) ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون الى الحساب فكانوا يحتاجون الى فضل شرح و زيادة بيان وقيل فيه تقديم وتأخير يعنى فصيام عشرة أيام ثلاثة فى الحج وسبعة اذا رجعتم فهى عشرة كاملة وقيل كاملة فى الثواب والاجر وقيل كاملة فيما أريد به من اقامة الصوم بدل الهدى وقيل كاملة بشروطها وحدودها

ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية و يوم التروية و يوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم فى أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق و به قال مالك وأحمد وهو أحد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رجعتم الى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس و به قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله و به قال أبو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل أن يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله أن العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى أكملوها ولا تنقصوها (ذلك) أى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم و به قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضرو المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن و يلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضرو المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدى أو بدله على المتمتع وهو الآفاقى فأما المكى اذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه ولا بدل له لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى و بدل على ذلك ما أخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت و بالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدى فجمعوا بين نسكين فى عام بين الحج والعمرة فان الله أنزل فى كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ومن فاته الحج وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر فانه يتحلل بعمل العمرة وعليه القضاء من قابل والفدية وهى على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقران أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن سليمان بن يسار ان هنادبن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كنا نظن ان هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر اذهب الى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا ان كان معكم ثم احلقوا واقصروا ثم ارجعوا فاذا كان العام القابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجع

وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى فأكملوها ولا تنقصوها (ذلك) أى هذا الحكم (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) واختلفوا فى حاضرى المسجد الحرام فذهب قوم الى انهم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم و به قال طاوس وقال ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقال عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم أهل الميقات فما دونه وهو قول أصحاب الرأى ودم القران كدم التمتع والمكى اذا قرن أو تمتع فلا هدى عليه قال عكرمة سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج

(واتقوا الله) فى أداء الأوامر (واعلموا ان الله شديد العقاب) على ارتكاب المناهى قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) أى وقت الحج أشهر معلومات وهى شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوّال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه فمن قال عشر عبر به عن الليالى ومن قال تسع عبر به عن الأيام فان آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع وانما قال أشهر بلفظ الجمع وهى شهران وبعض الثالث لأنها وقت والعرب تسمى الوقت تاما بقليله وكثيره فيقول أتيتك يوم الخميس وانما أتاه فى ساعة منه ويقولون زرتك العام وانما زاره فى بعضه وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لان معنى الجمع ضم شئ الى شئ فاذا جاز ان يسمى الاثنان جماعة جاز ان يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال فقد صغت قلوبكما أى قلباكما وقال عروة بن الزبير وغيره أراد بالأشهر شوّالا وذا القعدة وذا الحجة كاملا لانه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمى والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى فكانت فى حكم الحج (فمن فرض فيهن الحج) أى فمن أوجب على نفسه الحج بالاحرام والتلبية وفيه دليل على ان من أحرم بالحج فى غير أشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وإليه ذهب الاوزاعى والشافعى وقال سعيد ينعقد احرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد لها فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما انه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد احرامه عن الفرض وذهب جماعة إلى انه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك والثورى وأبى حنيفة رضى الله عنه وأما العمرة فجميع أيام السنة لها وقت الا ان يكون متلبسا بالحج وروى عن أنس أنه كان بمكة فكان اذا حم رأسه خرج فاعتمر

المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزئ فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فان الله أنزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال أبو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم أجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من أجل عكرمة فانه لم يرو عنه فى صحيحه وعندى ان البخارى انما أخذه من مسلم * وقوله تعالى (واتقوا الله) أى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه * قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعنى أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهى شوّال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى وأبى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على أن يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس أشهر الحج شوّال وذو القعدة وعشرة أيام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول أن يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان أشهر الحج شوّال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول أن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الأهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها * فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبى حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا * قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا أشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوّال وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعنى فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية فى انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة

قوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق) قرأ ابن كثير وأهل البصرة فلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين فيهما وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى ولا جدال في الحج وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين واختلفوا في الرفث قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وابراهيم النخعي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا فقلت له أترفث وأنت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النساء قال طاوس الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن وقال عطاء الرفث قول الرجل للمرأة في حال الاحرام اذا حللت أصبتك وقيل الرفث الفحش والقول القبيح اما الفسوق فقد قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار وأخذ الاشعار وما أشبهها (١٥٣) وقال ابراهيم وعطاء ومجاهد هو السباب بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقال الضحاك هو التنابز بالألقاب بدليل قوله تعالى ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيار أبو الحكم قال سمعت أبا حازم يقول سمعت أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه قوله تعالى (ولا جدال في الحج) قال ابن مسعود وابن عباس الجدال ان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وهو قول عمرو بن دينار

لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في أشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت أترفث وأنت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل أن يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو أن يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان أمر الحج قد استقر على

وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا وقال القرظي كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا أتم من حجكم وقال هؤلاء حجنا أتم من حجكم وقال مقاتل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج فهذا جدالهم وقال ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم ان موقفه موقف ابراهيم فكانوا يجادلون فيه وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب فقال جل ذكره ولا جدال في الحج أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض قال مجاهد معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء قال أهل المعاني ظاهر الآية نهي ومعناها نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله

تعالى لا ريب فيه أى لا ترتابوا (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أى لا يخفى عليه فيجازيكم به قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت فى ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا أى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب (واتقون ياأولى الالباب) ياذوى العقول قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا على ابن عبد الله أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنه قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج قرأ ابن عباس كذا وروى عن أبى أمامة التيمى قال قلت لابن عمر انا قوم نكرى فى هذا الوجه يعنى الى مكة فيزعمون ان لا حج لنا فقال ألستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت بلى قال أنت حاج جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن غيرها الذى سألتنى عنه فلم يجبه بشئ حتى نزل جبريل بهذه الآية ليس عليكم جناح أى حرج أن تبتغوا فضلا أى رزقا من ربكم يعنى بالتجارة فى مواسم

ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقيل معناه ولا شك فى الحج انه فى ذى الحجة فابطل النسىء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهى أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا فى الحج وانما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه فى الحج وان كان اجتناب ذلك فى كل الأحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال فى الحج أسمج وأفظع منه فى غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أى لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وهو الذى يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهى عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط النفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهى أنه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره وأخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده فى الدنيا فكيف يكون فى العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت فى أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أى ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر فى الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة وفى هذا المعنى قال الاعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

(واتقون) أى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (ياأولى الألباب) ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) أى حرج (أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية أن تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا قال الازرقى هى بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذى القعدة وثمانية أيام من أول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن أبى أمامة التيمى قال كنت رجلا أكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له ياأبا عبد الرحمن انى رجل أكرى فى هذا الوجه وان أناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فى أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن

الحج (فاذا أفضتم) دفعتم والافاضة دفع بكثرة وأصله من قول العرب أفاض الرجل ماءه أى صبه (من عرفات) هى جمع عرفة جمعت عرفة بما حولها وان كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق واختلفوا فى المعنى الذى لأجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم عليه السلام المناسك و يقول أعرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمى اليوم يوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى لما أذن ابراهيم فى الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات فكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمى ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف أى قرب الى جمع فسمى المزدلفة وروى عن أبى صالح عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روى يومه أجمع أى فكر أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان فسمى اليوم يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى اليوم يوم عرفة وقيل سمى بذلك لعلو الناس فيه على جباله والعرب تسمى ما علا عرفة ومنه سمى عرف الديك لعلوه وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته الحج و يدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة و يمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف و يتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها و بين العشاء بمزدلفة (ق) عن أسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيأ * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه

غيرها لان الحج بدون التجارة أفضل وأكمل * وقوله تعالى (فاذا أفضتم) أى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك و يقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما أهبط وقع بالهند وحوّاء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما أذن فى الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأبى من أبى أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته الحج و يدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة و يمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف و يتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها و بين العشاء بمزدلفة (ق) عن أسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيأ * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه والدماء ولا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فيكون طيبة قوله تعالى (فاذكروا الله) بالدعاء والتلبية (عند المشعر الحرام) وهو ما بين جبلى المزدلفة من مرمى عرفة الى المحسر وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر الحرام وسمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام من المنع فهو ممنوع ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء والافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر قال طاوس كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد ان تطلع الشمس و يقولون أشرق ثبير كيما نغير فأخر الله هذه وقدم هذه أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد انه سمعه يقول دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة يا رسول الله قال الصلاة أمامك

فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيأ وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الايلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ان أسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة الى منى قال فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين أي وما نظنك الا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كناية عن غير مذكور قوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قال أهل التفسير كانت قريش وخلفاؤها ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه يتعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع مع سائر الناس وأخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين قال وقوله تعالى من حيث أفاض الناس من جمع أي ثم أفيضوا من جمع الى منى وقالوا لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف يسوغ ان يقول فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات والاول قول أكثر أهل التفسير وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس وقال الكلبي هم أهل اليمن وربيعة وقال الضحاك الناس ههنا ابراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى أم يحسدون الناس وأراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون لسان قومه وقال الزهري الناس ههنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس

من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان أسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى. فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ودفع قبل أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم أجده في الاصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى أحكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ما قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم أشرق ثبير ادخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير أي ندفع للنحر يقال أغار اذا أسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين * قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان أحدهما انه خطاب لقريش

بالياء وقال هو آدم نسى عهد الله حين أكل من الشجرة أخبرنا عبد الواحد المليحى اخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه انه قال سئل اسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حين دفع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا سعيد ابن أبى مريم أخبرنا ابراهيم ابن سويد حدثنى عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب قال أخبرنى سعيد بن جبير مولى واثلة الكوفى حدثنى ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه اليهم وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع قوله تعالى (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم) أى فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم أى ذبائحكم يقال نسك الرجل ينسك نسكا اذا ذبح نسيكته وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) بالتكبير والتحميد والثناء عليه (كذكركم آباءكم) وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج ووقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها فأمرهم الله بذكره وقال

(أو أشد ذكرا) وسئل ابن عباس عن قوله فاذكروا الله كذكركم آباءكم فقيل قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه قال ابن عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب لله اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما وقوله تعالى أو أشد ذكرا يعني بل أشد أي وأكثر ذكرا (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (وماله في الآخرة من خلاق) من حظ ونصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة حسنة الجنة والحور العين أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقرئ أخبرنا حياة وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك انه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر وقال السدي وابن حبان في الدنيا حسنة رزقا حلالا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد ابن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه فاطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال هكذا عجلت منية قلت بواكيه قل تراثه وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عوف في هذه الآية من آتاه الله الاسلام فريقين والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمش الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قد صار مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله اياه فقال يا رسول الله كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي اسحاق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الداغولي أخبرنا محمد بن مسكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخبرنا عبد الوهاب بن محمد المكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن

كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) أي بل أشد ذكرا وقيل أو بمعنى الواو أي وأشد ذكرا أي وأكثر ذكرا اللآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) يعني ان المشركين كانوا يسألون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم الفئة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش * قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم وقوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لان من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر وقوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدينار ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وماله في الآخرة من خلاق) أي وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين

الاسود ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قوله تعالى (أولئك لهم نصيب) حظ (مما كسبوا) من الخير والدعاء بالثواب والجزاء (والله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعى صدر ولا الى روية ولا فكر قال الحسن أسرع من لمح البصر وقيل معناه اتيان القيامة قريب لان ما هو آت لا محالة فهو قريب قال الله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب قوله تعالى (واذكروا الله) يعنى التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الاوقات (فى أيام معدودات) الأيام المعدودات هى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله دراهم معدودة والأيام المعلومات عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر هذا قول أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق وعن على قال المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقال محمد بن كعب هما شئ واحد وهى أيام التشريق وروى عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى أيام التشريق التكبير واختلفوا فيه فروى عن عمر وعن عبد الله بن عمر انهما كانا يكبران بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفى المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفى الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية والتكبير أدبار الصلاة مشروع فى هذه الأيام فى حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا فى قدره فذهب قوم الى انه يبتدئ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة

فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا فى الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل ان الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنة فى الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ أو تسأله اياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود (أولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال ومالهم فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا أى لكل فريق من هؤلاء (نصيب) أى حظ (مما كسبوا) يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على أن يحاسب جميع الخلائق فى أقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة أو ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل فى معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى أدبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى أيام معدودات) يعنى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات

ويختم بعد العصر من آخر أيام التشريق يروى ذلك عن عمر وعن على رضى الله عنهما وبه قال مكحول واليه ذهب أبو يوسف رضى الله عنه وذهب قوم الى انه يبتدئ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من يوم النحر يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة رضى الله عنه وقال قوم يبتدئ عقيب صلاة (١٦٠) الظهر من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر أيام التشريق يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعى فى أحد قوليه قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من بعد صلاة الظهر ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثا نسقا وهو قول أهل المدينة واليه ذهب الشافعى وقال ومازاد من ذكر الله فهو حسن وعند أهل العراق يكبر اثنين يروى ذلك عن ابن مسعود قوله تعالى (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) أراد ان من نفر الحاج فى اليوم الثانى من أيام التشريق فلا اثم عليه وذلك انه على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من أيام التشريق ويرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة بسبع حصيات ورخص فى ترك البيتوتة لرعاء الابل وأهل سقاية الحاج ثم كل من يرمى اليوم الثانى من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر وقوله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى لا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله ومن تأخر حتى ينفر فى اليوم الثالث فلا اثم عليه فى تاخيره وقيل معناه فمن تعجل فقد ترخص فلا اثم عليه بالترخص ومن تأخر فلا اثم عليه بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر كما روينا من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع أى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهذا قول على وابن مسعود

لقلتهن وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن أبى طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى أخرجه البخارى بغير اسناد وأجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى أدبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل يبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى أصح أقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن أبى طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعى ومازاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق * وقوله تعالى (فمن تعجل فى يومين) أى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من أيام التشريق (فلا اثم عليه) أى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى أيام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى * فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو أن الذى أتى بافعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه

قوله تعالى (لمن اتقى) أى لمن اتقى أن يصيب فى حجه شيأ نهاه الله عنه كما قال من حج فلم يرفث ولم يفسق قال ابن مسعود انما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى فى حجه وفى رواية الكلبى عن ابن عباس معناه لمن اتقى الصيد لا يحل له ان يقتل صيدا حتى تنقضى أيام التشريق وقال أبو العالية ذهب أثمة ان اتقى فيما بقى من عمره (واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون) تجمعون فى الآخرة يجزيكم بأعمالكم قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا) قال الكلبى ومقاتل وعطاء نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه أبى وسمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسه و يظهر الاسلام و يقول انى لأحبك و يحلف بالله على ذلك وكان منافقا

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه فنزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا أى تستحسنه و يعظم فى قلبك و يقال فى الاستحسان أعجبنى كذا وفى الكراهية والانكار عجبت من كذا (و يشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قول الاخنس المنافق والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أى شديد الخصومة يقال لددت يا هذا وأنت تلد لددا ولدادة فاذا أردت انه غلب على خصمه قلت لده يلده لدا يقال رجل ألد وامرأة لداء وقوم لد قال الله تعالى و تنذر به قوما لدا قال الزجاج اشتقاقه من لديدى العنق وهما صفحتان وتأويله انه فى أى وجه أخذ من يمين أو شمال فى أبواب الخصومة غلب والخصام مصدر خاصمه خصاما ومخاصمة قاله أبو عبيدة وقال الزجاج هو جمع خصم يقال خصم وخصام وخصوم مثل بحر و بحار و بحور قال الحسن ألد الخصام أى كاذب القول قال قتادة شديد التقوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة و يعمل بالخطيئة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله تعالى الألد الخصم (واذا تولى) أى أدبر وأعرض عنك (سعى فى الارض) أى عمل فيها وقيل سار فيها ومشى (ليفسد فيها) قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين (و يهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس كان بينه و بين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فاحرق زروعهم وأهلك مواشيهم قال مقاتل خرج الى الطائف مقتضيا ما له على عزيم فاحرق له كدسا وعقر له أتانا والنسل نسل كل دابة والناس منهم وقال الضحاك واذا تولى أى ملك الامر وصار واليا سعى فى الارض قال مجاهد فى قوله عز وجل واذا تولى سعى فى الارض قال اذا ولى يعمل بالعدوان والظلم

يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه * قلت فيه أجوبة أحدها انه تعالى لما أذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة و بين انه لا اثم عليه فى الامرين فان شاء عجل وان شاء أخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الأمرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير (لمن اتقى) أى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيأ مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط أن لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله (واتقوا الله) أى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا أنكم اليه تحشرون) أى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا) نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه أبى وانما سمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه أشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن أختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال انى سأخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يجالسه و يظهر الاسلام و يقول انى لأحبك و يحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الأخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أى يروقك وتستحسنه و يعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا (و يشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة و يعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) أى أدبر وأعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) أى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (و يهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه و بين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم

فاحرق له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه اذا تولى أي صار واليا وملك الأمر سعى في الأرض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيأ ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) أي خف الله في سرك وعلانيتك (أخذته العزة بالاثم) أي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) أي كافية له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) أي الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من أكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى اذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته قالت ففغلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين مني أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ زاد في رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه أي مارسوه وأرادوا به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف

فامسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) أي لا يرضى بالفساد وقال سعيد بن المسيب قطع الدراهم من الفساد في الارض قوله (واذا قيل له اتق الله) أي خف الله (أخذته العزة بالاثم) أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالاثم أي بالظلم والعزة التكبر والمنعة وقيل معناه أخذته العزة للاثم الذي في قلبه فأقام الباء مقام اللام قوله (فحسبه جهنم) أي كافيه (ولبئس المهاد) أي الفراش قال عبد الله بن مسعود ان من أكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر بن الخطاب اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله عز وجل قوله تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) أي لطلب رضا الله تعالى

العنقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير وقال أهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى أفلح الانصارى وذكر نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى فقام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثدى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم يعنى سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى بنسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فأنزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما أجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهى بهذين من أصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا أنفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيب بن سنان الرومى وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركى قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان فى كنانته وقال والله لا تصلوا الىّ وأرم بكل سهم معى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلى قالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيم نزلت هذه الآية نزلت فى المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله لأشرين نفسى لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عباس رضى الله عنهما أرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشرى نفسى لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله

(والله رؤف بالعباد) روى عن ابن عباس والضحاك ان هذه الآية نزلت فى سرية الرجيع وذلك ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علمائك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الانصارى قال أبو هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت الى قومها بمكة وقالت قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فركب سبعون رجلا منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدفد فاحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال اللهم انى قد حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فارسل الله رجلا من الدبر وهى الزنابير فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمى حمى الدبر فقالوا دعوه حتى تمسى فتذهب عنه فتأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالعزالى فبعث الله الوادى غديرا فاحتمل عاصما به فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركا أبدا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه ان الدبر منعته عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم فى حياته وأسر المشركون خبيب بن عدى الانصارى وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما الى مكة فاما خبيب فابتاعه بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأبيهم وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها فاعارته فدرج بنى لها وهى غافلة فاراع المرأة الا خبيب قد أجلس الصبى على فخذه والموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب أتخشين أى أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان الغدر ليس من شأننا فقالت المرأة بعدوا لله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب فى يده وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزقا رزقه الله خبيبا ثم انهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل وأرادوا ان يصلبوه فقال لهم خبيب دعونى أصلى ركعتين فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة فركع ركعتين ثم قال لولا ان تحسبوا أن ما بى جزع لزدت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم أنشأ يقول

فلست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان فى الله مصرعى وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

فصلبوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثدى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه وذلك قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم يعنى سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب ان محمدا عندنا الآن بمكانك ونضرب عنقه وانك فى أهلك فقال والله ما أحب ان محمدا صلى الله عليه وسلم الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحد كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا واذا حول الخشبة أربعون رجلا من المشركين نائمون نشاوى فانزلاه فاذا هو رطب يثنى لم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وساروا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الأرض فقال الزبير ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمى صفية

فقال عمرا انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فذكر المفسرون أن المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن أى باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى فى الدار الآخرة وهذا البيع هو أن يبذل نفسه فى طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشترى والثمن هو ثواب الله تعالى فى الآخرة ابتغاء مرضات الله أى طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد)

بنت عبد المطلب وضباعة بنتي المقداد بن الأسود أسد ان رابطتا يد الفتيان عن شبليهما فان شئتم تأخذوهما وان شئتم تأخذوكم فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا أنفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم صهيب انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم ان تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال فقال له أبو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى فقال له صهيب وبيعك فلا تخسر قال صهيب ماذا لي فقال قد أنزل الله فيك وقرأ هذه الآية وقال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته ثم قال يا معشر قريش لقد علمتم اني لمن أرماكم رجلا والله لا أضع سهما مما في كنانتي الا في قلب رجل منكم وايم الله لا تصلون الي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل ذلك فانزل الله

أي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته انه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام * وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود وتعجبنا فترى أن نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ما وسعه الا اتباعي قوله أتتهوكون أي تتحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية أي لا تحتاج الى شئ وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لان أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بأجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل أن يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للاسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعني الشيطان * فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح

هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيمن نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى أن يقولها فقال المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك وكان علي اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وقال أبو الخليل سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري

نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة ان رجلا قال يا رسول الله أي الجهاد أفضل قال أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) قرأ أهل الحجاز والكسائي السلم ههنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها وفي سورة الانفال بالكسر وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم بالكسر حمزة وأبو بكر نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام قال مجاهد في أحكام أهل الاسلام وأعمالهم كافة أي جميعا وقيل ادخلوا في الاسلام الى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة الى غيره وأصل السلم السلم من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام ثمانية أسهم فقد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قد خاب من لا سهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغيره (انه لكم عدو مبين) أخبرنا محمد بن الحسن المزكي أخبرنا أبو العباس

الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هاشم أخبرنا مخلد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (فان زللتم) ضللتم وقيل ملتم يقال زلت قدمه تزل زلا وزللا اذا دحضت قال ابن عباس يعني الشرك قال قتادة قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجة عليهم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الدلالات الواضحات (فاعلموا أن الله عزيز) في نقمته (حكيم) في أمره فالعزيز هو الغالب الذي لا يفوته شيء والحكيم ذو الاصابة في الامر قوله تعالى (هل ينظرون) أي هل ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد فاذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه أو الى لم يكن الا بمعنى الرؤية (الا أن يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) وهو السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم أي يستر وقال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وقال مقاتل كهيئة الضبابة أبيض قال الحسن في سترة من الغمام فلا ينظر اليهم أهل الارض (والملائكة) قرأ أبو جعفر بالخفض عطفا على الغمام تقديره مع الملائكة تقول العرب أقبل الامير في العسكر أي مع العسكر وقرأ الباقون بالرفع على معنى الا أن تأتيهم آية الله والملائكة في ظلل من الغمام والاولى في هذه الآية وفيما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى أو يعتقد لشان ان الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد واسحق يقولون فيه وفي أمثاله أمرها كما جاء بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله تعالى ورسوله

ذلك مع الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الاشياء * قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة * فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه * قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هي فكأنه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) أي ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) أي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء (حكيم) يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في الدين * قوله عز وجل (هل ينظرون) أي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا أن يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الأبيض (والملائكة) أي وتأتيهم الملائكة وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته * ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم

قوله تعالى (وقضي الامر) اى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم قوله تعالى (سل بني اسرائيل)

لشأن الآيات وقيل معناه الا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام * فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام * قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها (وقضي الامر) أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) أي الى الله تصير أمور العباد في الآخرة * فان قلت هل كانت ترجع الى غيره * قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما أضافوه الى غيره في الدنيا * قوله عز وجل (سل بني اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعني بغير الآية التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعني لمن بدل نعمة الله * قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك انه لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من المزين انه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزينون لهم وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعني ان الكفار يستهزؤن بفقراء

أي سل يا محمد يهود المدينة (كم آتيناهم) أعطيناهم آباءهم واسلافهم (من آية بينة) قرأ أهل الحجاز وقتيبة بتشديد الياء والباء والباقون بتشديد الياء دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها وقيل معناه الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والانجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يبدل) يعني يغير (نعمة الله) كتاب الله وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) الاكثرون على ان المزين هو الله تعالى والتزيين من الله تعالى هو انه خلق الاشياء الحسنة والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنها ففتنوا بها وقال الزجاج زين لهم الشيطان قيل نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد (ويسخرون من الذين آمنوا) أي يستهزؤن بالفقراء من المؤمنين قال

ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وخبابا وأمثالهم وقال مقاتل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمدا انه يغلب بهم وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله ان يعطيهم أموال بني

قم بظلة والتصوير بغير قتال و يسخرون من الذين آمنوا الفقرهم (والذين اتقوا) يعني هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحق الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء واذا أهل الجد محبوسون الا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به الى النار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن اسمعيل ثنا اسحق بن ابراهيم حدثني عبد العزيز ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذه فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعني كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على ما يشاء و يبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه و يحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين * فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم * فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل

المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب و بلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أي فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد للخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على ما يشاء و يبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه و يحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين * فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم * فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل

كثيرا بغير مقدار لان كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل يريد يوسع على من يشاء و يبسط لمن يشاء من عباده وقال الضحاك على يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل هذا يرجع الى الله معناه يقتر على من يشاء و يبسط لمن يشاء ولا يعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج اليه ولا يعطي القليل من يحتاج اليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك وقيل معناه لا يخاف نفاد خزائنه فيحتاج الى حساب ما يخرج منها لان الحساب من المعطي انما يكون مما يخاف من نفاد خزائنه قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة) على دين واحد قال مجاهد أراد آدم وحده كان أمة واحدة قال سمي الواحد بلفظ

الجمع لانه أصل النسل وأبو البشر ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين الى أن تناسل قابيل هابيل فاختلفوا (فبعث الله النبيين) قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحا فكان أول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين وقال الكلبي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وروى عن ابن عباس قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه السلام أمة واحدة كفارا كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين وقيل كان العرب على دين ابراهيم الى أن غيره عمرو بن لحي لعنة الله عليه وروى عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) بالثواب من آمن وأطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب من كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) أي الكتب تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب (بالحق) بالعدل والصدق (ليحكم بين الناس) قرأ أبو جعفر ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ههنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لان الكتاب لا يحكم في الحقيقة انما يحكم به وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه (فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه) أي في الكتاب (الا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني أحكام التوراة والانجيل قال الفراء ولا اختلافهم معنيان أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل الآية راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (بغيا) ظلما وحسدا (بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي الى ما اختلفوا فيه (من الحق

على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن بأسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعني بالثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك أن المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم (وأنزل معهم الكتاب) أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسون وعلى ادريس ثلاثون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعني الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أي في الحق (الا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أي انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاءه وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا

بإذنه) بعلمه وإرادته فيهم قال ابن زيد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس فهدانا الله الى الكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لغير رشدة وجعلته النصارى الها وهدانا الله للحق فيه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قال قتادة والسدي نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الاذى كما قال الله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب أحد وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرقوم النفاق فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم أم حسبتم معناه حسبتم والميم صلة قاله الفراء وقال الزجاج بل حسبتم ومعنى الآية أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة (ولما يأتكم) أي ولم يأتكم وما صلة (مثل الذين خلوا) شبه الذين مضوا (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فأنزل الله تعالى (ألا ان نصر الله قريب) قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول واذا كان الفعل الذي على حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب فالنصب على ظاهر الكلام لان حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع لان معناه الماضي وحتى لا تعمل في الماضي قوله تعالى (يسئلونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون وفي قوله ماذا وجهان من الاعراب أحدهما أن يكون محله نصبا بقوله ينفقون تقديره أي شيء ينفقون والآخر ان يكون رفعا بما ومعناه ما الذي ينفقون

يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعني بعلمه وأمره وارادته (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) قوله عز وجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثروقوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أي أصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعني المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى أن يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الأرت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تنتصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق

(قل ما أنفقتم من خير) أى من مال (فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) يجازيكم به قال أهل التفسير كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة قوله تعالى (كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى واحتج من ذهب الى هذا بقوله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يكن يعده الحسنى وجرى بعضهم على ظاهر الآية وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين الى قيام الساعة

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى الخوارزمى أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى القراتى أخبرنا أبو الهيثم بن كليب أخبرنا أحمد بن حازم بن أبى غرزة أخبرنا سعيد بن عثمان العبدى عن عمرو بن محمد ابن المنكدر عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال قوم وعليه الجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة ورد السلام قال الزهرى والاوزاعى كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان

فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أى مال والمعنى وما تنفقوا من انفاق شئ من المال قل أو كثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والأقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم أحد ينفق عليهم (والمساكين) وانما أخرهم لان حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالاجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وعلى ظاهر الآية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به أن ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول ﴿بقى فى الآية سؤال﴾ وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما ينفق فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا أن تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم افتتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا أو لم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به أعان وان استنفروا فانفروا ان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية على ثلاثة أقوال أحدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لا فرضية فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة * وقوله تعالى (وهو كره لكم) أى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى وقال عكرمة نسخها قوله تعالى سمعنا وأطعنا يعنى انهم كرهوا ثم أجبوه فقالوا سمعنا واطعنا قال الله تعالى

وان استنفروا فانفروا ان استغنى عنه قعد قوله تعالى (وهو كره لكم) أى شاق عليكم قال بعض أهل المعانى هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى وقال عكرمة نسخها قوله تعالى سمعنا وأطعنا يعنى انهم كرهوا ثم أجبوه فقالوا سمعنا واطعنا قال الله تعالى

(وعسى أن تكرهوا شيا وهو خير لكم) لان في الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيا) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والاجر (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) قوله تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم أخت أبيه في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه الى المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة ابن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال له سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منه بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك (١٧٢) وقال انه نهاني ان أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن

كره فليرجع ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة ابن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى بقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو ابن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله ابن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا فوق قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة وأدى النبي صلى الله عليه وسلم دية ابن الحضرمي الى ورثته من قريش قال مجاهد وغيره لانه كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش عهد وادع أهل مكة سنتين ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير

المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا أمر الله قيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذين تكرهون من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقاتل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المرفانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى أن تحبوا شيأ) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى أمره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال * قوله عز وجل (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لعلك تأتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى اذا كان بمعدن

فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان ابن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاوروا فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلنا هما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى يسألونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا وسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) أي عظيم مستكبر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ولا أن يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن

والاسيرين وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الاسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول هذه الآية قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام) يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه قوله تعالى (قتال فيه) أي عن

قتال فيه (قل) يا محمد (قتال فيه كبير) عظيم ثم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وصد عن سبيل الله) وصدكم المسلمين عن الاسلام

(وكفر به) أى كفركم بالله (والمسجد الحرام) أى بالمسجد الحرام وقيل وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله) أى اخراج أهل المسجد (منه أكبر) أعظم وزرا (عند الله والفتنة) أى الشرك الذى أنتم عليه (أكبر من القتل) أى أعظم من قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس الى مؤمنى مكة انا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام ثم قال (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة وهو فعل لا مصدر له مثل عسى (يقاتلونكم) يامعشر المؤمنين (حتى يردوكم) يصرفوكم (عن دينكم

ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت) جزم بالنسق (وهو كافر فأولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) حسناتهم (فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قال أصحاب السرية يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزوا فأنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (فى سبيل الله) طاعة الله فجعلها جهادا (أولئك يرجون رحمت الله) أخبرانهم على رجاء الرحمة (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية وجملة القول فى تحريم الخمر على ما قاله المفسرون ان الله تعالى أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم نزلت هذه الآية فى مسئلة عمر ومعاذ

الآية

ابن جبل يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تقدم فى تحريم الخمر فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلى بهم فقرأ قل يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا الى آخر السورة بحذف لا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر فى أوقات الصلاة

الاسلام من يرتده (وكفر به) أى بالله (والمسجد الحرام) أى وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (أكبر عند الله) أى أعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) أى الشرك الذى أنتم عليه (أكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يقاتلونكم) يعنى يامعشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعنى الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) أى بطلت أعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيأ للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر أما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من أحكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند أبى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم (وأولئك أصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك ان أصحاب السرية قالوا يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزو فأنزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أى فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى أمصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله أى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمت الله) أى يطمعون فى نيل رحمة الله أخبرانهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى أصل الثواب وانما دخل الظن فى كيفيته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أى لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا به * قوله عز وجل (يسئلونك عن الخمر والميسر)

فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الانصار لحى بعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية التي في سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالجباب الى الطريق فمنا من كسر جبه ومنا من غسله بالماء والطين ولعله غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حسنا فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وعن أنس رضي الله عنه سميت الخمر خمرا لانهم كانوا يدعونها

الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله أفتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل أي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في أول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم يرحى مثلنا في المعاشر

فاحيا ونا من خير أحياء من مضى * وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بأيام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

﴿فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها﴾ أجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل

في الدنان حتى تختمر وتتغير وعن ابن المسيب لانها تركت حتى صفالونها ورسب كدرها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا يعقوب بن ابراهيم أخبرنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن سهيب قال قال لي أنس ابن مالك ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال

فاسألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل واختلف العلماء في ماهية الخمر فقال قوم هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه واتفقت الأئمة على ان هذه الخمر نجس يحد شاربها ويفسق ويكفر مستحلها وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة الى ان التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالمتخذ من الحنطة والشعير والذرة والعسل والفانيذ الا أن يسكر منه فيحرم وقالوا اذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره وان طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا وهو حلال مباح شربه الا ان السكر منه حرام ويحتجون بما روي ان عمر ابن الخطاب كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث وقال قوم اذا طبخ عصير أدنى طبخ صار حلالا وهو قول اسماعيل بن علية وذهب أكثر أهل العلم الى ان كل شراب أسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي الفرات — الحديث عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد القاهر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن أبو سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب لم

مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر أن رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو قال نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا لم تقبل صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات مات فيها مات كافرا فان أذهبت عقله عن شئ من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن أنس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذي

﴿فصل في أحكام تتعلق بالخمر﴾ وفيه مسائل ﴿الأولى في ماهيتها﴾ قال الشافعي الخمرة عبارة عن عصير العنب التي اشتد واشتد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على ان السكر حرام لما روي عن أبي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة وفي أنها كم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام

بشربها فى الآخرة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أحمد بن أبى رجاء أنا يحيى عن أبى حيان التيمى عن الشعبى عن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء من العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وروى الشعبى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا فثبت ان الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد انه أخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال انى وجدت من فلان ريح خمر أو شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائلون عما شرب فان كان يسكر جلدته فجلده عمر الحد تاما وما روى عن عمر وأبى عبيدة ومعاذ فى الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا سئل ابن عباس عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام قوله تعالى والميسر يعنى القمار قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية والميسر مفعل من قولهم يسر لى الشئ اذا وجب يسر يسرا وميسرا ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر

الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية أى لم يكن فى زمانه أو سبق قوله فيها وفى غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما أسكر فهو حرام * عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه أبو داود والمفتر كل شراب أحمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعى على ما أسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخرجه الترمذى وأبو داود * عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فمل ء الكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى وأجيب عن حديث عمر فى الطلاء بانه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك فى الموطأ وأما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب وأما حديث أبى الاحوص ففيه وهمان أحدهما فى سنده حيث قال عن أبى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن أبى بريدة عن أبيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث أبى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه أبو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك وأما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى ﴿المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر﴾ الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس فى اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا أنها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى أن يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها ﴿المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها﴾ أجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام أخرجاه فى الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها * عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود وقوله فليشقص الخنازير أى فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من

وكان أصل الميسر فى الجزور وذلك ان أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام السبعة منها أنصباء وهى الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة أسهم والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا أنصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدى رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما خرج فان خرج له واحد من هذه الثلاثة التى لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيأ ويغرم ثمن الجزور

كله وقال بعضهم كان لا يأخذ شيأ ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البرم وهو أصل القمار الذى كانت تفعله العرب والمراد من الآية أنواع القمار كلها قال طاوس وعطاء ومجاهد كل شئ فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وروى عن على رضى الله عنه فى النرد والشطرنج انهما من الميسر قوله تعالى (قل فيهما اثم كبير) وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش قرأ حمزة والكسائى اثم كبير بالثاء المثلثة وقرأ الباقون بالياء فالاثم فى الخمر والميسر ماذكره الله فى سورة المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون (ومنافع للناس) فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة المال من غير كدّ ولا تعب وارتفاق الفقراء به والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه فتصدر منه السوء (واثمهما أكبر من نفعهما) قال الضحاك وغيره اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل به من العداوة والبغضاء قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل

استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما فى التحريم سواء * عن أبى طلحة قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى فقال أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذى وقال وقد روى عن أنس أن أبا طلحة كان عنده خمر لأيتام وهو أصح * فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس * قلت منافعها اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح فى ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

﴿فصل﴾ وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه عن اليسر لانه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله هذه الآية وأصل الميسر أن أهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا أنصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح فى خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لا أنصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لا يخرج شيأ بين الاصحاب لبخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير أخرجه مسلم وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله أخرجه أبو داود وعن على بن أبى طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فمذهب أبى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعى أنه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعنى فى الخمر والميسر (اثم كبير) أى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله وأما الاثم الكبير فى الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل وما يجرى بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعنى انهم كانوا يربحون فى بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كدّ ولا تعب قيل ربما أن الواحد منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما أكبر من نفعهما) يعنى اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر * قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى

(قل العفو) قرأ أبو عمرو والحسن وقتادة وابن أبي اسحاق العفو بالرفع معناه أي الذي ينفقون هو العفو وقرأ الآخرون بالنصب على معنى قل أنفقوا العفو واختلفوا في معنى العفو فقال قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية الزكاة وقال مجاهد معناه التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا على الناس أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال عمرو بن دينار الوسط من غير اسراف ولا اقتار قال الله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال طاوس ما يسر والعفو اليسر من كل شيء ومنه قوله تعالى خذ العفو أي الميسور من أخلاق الناس أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعد عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عندي دينار قال صلى الله عليه وسلم انفقه على نفسك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم انفقه على ولدك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم انفقه على أهلك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم انفقه على خادمك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أعلم قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات) قال الزجاج انما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كأنه قال كذلك أيها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فانه خطاب يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء قوله تعالى (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قيل معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى وقال أكثر المفسرين معناها هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون وقيل معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله تعالى (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس وقتادة لما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي الاصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض خير وأعظم أجرا لكم في ذلك من الثواب وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم قال مجاهد يوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) هذه اباحة المخالطة أي أن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد لأموالهم (من المصلح) لها يعني الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وافساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح

(قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الايات) أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها * قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) أي اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أي أعظم أجرا وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال

(ولو شاء الله لاعنتكم) أى لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كلفكم فى كل شئ ما يشق عليكم (ان الله عزيز) أى عزيز فى سلطانه وقدرته على الاعنات وقيل العزيز الذى يأمر بعزه سهل على العباد أو شق عليهم (حكيم) فيما صنع من تدبيره وترك الاعنات قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) سبب نزول هذه الآية ان أبا مرثد بن أبى مرثد الغنوى وقال

مقاتل هو أبو مرثد الغنوى وقال عطاء أبو مرثد كناز بن الحصين وكان شجاعا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته وقالت له يا أبا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك قالت فهل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فقالت أبى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقى بسببها وقال يا رسول الله أيحل لى أن أتزوجها فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل العقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يومن أى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة فى حق الوثنيات منسوخة فى حق الكتابيات * وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعنى أنفع وأصلح وأفضل (من مشركة) يعنى حرة (ولو أعجبتكم) يعنى بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير

اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أى لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ ما يشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) أى غالب يقدر أن يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم * قوله عز وجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى أبى مرثد بن أبى مرثد الغنوى واسم أبى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقى بسببها وقال يا رسول الله أيحل لى أن أتزوجها فأنزل الله تعالى هذه الآية وأصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل العقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يومن أى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أى أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول أصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة فى حق الوثنيات منسوخة فى حق الكتابيات * وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعنى أنفع وأصلح وأفضل (من مشركة) يعنى حرة (ولو أعجبتكم) يعنى بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير

أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا فان قيل كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر الا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن وأفضل بن فارس لان من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره وقال قتادة وسعيد بن جبير أراد بالمشركات الوثنيات فان عثمان تزوج نائلة بنت فراقصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية وتزوج حذيفة يهودية فكتب اليه عمر رضى الله عنه خل سبيلها فكتب اليه أتزعم انها حرام فقال لا أزعم انها حرام ولكنى أخاف ان تتعاطوا المؤمنات من قوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) بجمالها

ومالها نزلت فى خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة ياخنساء قد ذكرت فى الملأ الأعلى على سوادك ودمامتك فاعتقها وتزوجها وقال السدى نزلت فى عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم خرج فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم وما هى يا عبد الله قال هى تشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذى بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله تعالى هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا اجماع لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك) يعنى المشركين (يدعون الى النار) أى الى الاعمال الموجبة للنار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) أى بقضائه وقدره وارادته (ويبين آياته للناس) أى أوامره ونواهيه (لعلهم يتذكرون) يتعظون قوله تعالى (ويسئلونك عن المحيض) أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشانى أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى أنا أبو على محمد بن أحمد بن عمر اللولوى

وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت فى خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال ياخنساء قد ذكرت فى الملا الأعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت فى عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وما هى يا عبد الله قال هى تشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال هذه أمة مؤمنة قال عبد الله فوالذى بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أتنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة أى لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركات من أى أصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعنى حرا (ولو أعجبكم) بحسنه وماله وجماله (أولئك يدعون الى النار) يعنى يدعون الى الشرك الذى يؤدى الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعنى انه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) أى بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) أى يوضح أدلته وحججه فى أوامره ونواهيه وأحكامه (لعلهم يتذكرون) أى فيتعظون * قوله عز وجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن أنس أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادى اذا سال وفاض ماؤه (قل هو أذى) أى هو شئ قذر والاذى فى اللغة ما يكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى فاجتنبوا مجامعتهن (ولا تقربوهن) يعنى بالوطء والمجامعة فهو

أنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستانى أنا موسى بن اسمعيل أنا حماد هو ابن سلمة أنا ثابت البنانى عن أنس ابن مالك ان اليهود كانوا اذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ويسئلونك عن المحيض (قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شئ الا النكاح فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل ان يدع شيأ من أمرنا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشير الى النبى صلى

الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن فى المحيض فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث فى آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض أى عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا كالسير والمسير وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله قل هو أذى أى قذر والاذى كل ما يكره من كل شئ فاعتزلوا النساء فى المحيض أراد بالاعتزال ترك الوطء (ولا تقربوهن) أى لا تجامعوهن أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا قبيصة أنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أغتسل أنا والنبى صلى الله عليه وسلم من اناء واحد كلانا جنب وكان يأمرنى أن أتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه الىّ وهو معتكف فاغسله وأنا حائض أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا سعد بن حفص أنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة عن زينب بنت أبى سلمة حدثته ان أم سلمة قالت حضت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخميلة فانسللت فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتى

فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفست قلت نعم فدعاني فادخلني معه في الخميلة أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ واتعرق العرق فيتناوله فيضع فاه على موضع فيّ فوطء الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الامام ان علم منه ذلك واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب أكثرهم الى انه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب اليه وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه منهم قتادة والاوزاعي وأحمد واسحاق لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال ان كان الدم عبيطا فليتصدق بدينار وان كان صفرة فنصف دينار ورويَ هذا موقوفا على ابن عباس ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى اذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة وكذلك النفساء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيدة بن معقب الضبي عن عبد الكريم عن ابراهيم النخعي عن الاسود عن عائشة قالت كنا نحيض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا مس المصحف ولا قراءة القرآن ولا يجوز للزوج غشيانها أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللولوي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال حدثتني جسرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا أحلّ المسجد لحائض ولا جنب قوله تعالى (حتى يطهرن) قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء حتى يغتسلن وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخفف ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن (فاذا تطهرن) يعني اغتسلن (فأتوهن) أي فجامعوهن (من حيث أمركم الله) أي من حيث أمركم ان تعتزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وقتادة وعكرمة وقال ابن عباس طؤهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره أي اتقوا الادبار وقيل من حيث بمعنى في أي في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج كقوله عز وجل اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله ان تأتوهن وهو الطهر وقال ابن الحنفية من قبل الحلال دون الفجور وقيل لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وأتوهن وغشيانهن لكم حلال واعلم انه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا تحريم الصوم فان الحائض اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوقع غسلها بالنهار صح صومها والطلاق في حال الحيض يكون بدعيا واذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيا وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى انه اذا انقطع دمها لاكثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وقال مجاهد وعطاء وطاوس اذا غسلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين بانقطاع الدم والغسل فقال حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد منه الغسل كقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا أي فاغتسلوا فدل على ان قبل الغسل لا يحل الوطء

كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرون بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أي اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال ابن عباس طؤهن في الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن الى غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

﴿فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل﴾ ﴿المسئلة الاولى﴾ أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما أحمر فدينار وان كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم ﴿المسئلة الثانية﴾ أجمع العلماء على

جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بازار فى فور حيضها ثم يباشرها وأيكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض أخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ أوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو بفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت أنا حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض ﴿المسئلة الثالثة﴾ يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى أحد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكنى أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه فى الصحيحين ﴿المسئلة الرابعة﴾ لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم مالم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب أبو حنيفة الى أنه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعى وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها مالم تغتسل من الحيض أو تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثانى الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعنى من الحيض فاذا تطهرن يعنى اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل * وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعنى من الذنوب والتواب الذى كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذى لا يعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعنى من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفى رواية للترمذى كانت اليهود تقول من أتى المرأة فى قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلى هو كناية عن الاتيان فى غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أن يريد به انه أتاها فى المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك أشق ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب أن يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثن

قوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبى يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات وقال مقاتل ابن حيان يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك وقال سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذى كلما أذنب تاب نظيره قوله تعالى فانه كان للاوابين غفورا قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم

فأتوا حرثكم أنى شئتم) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الاصبهاني أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما الذي أهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيأ وأوحى الله اليه نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم يقول ادبر وأقبل واتق الدبر والحيضة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري أنا صاحب ابن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم ابن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر انه سمع جابر بن عبد الله يقول كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها ان الولد يكون أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة وكان هذا الحي من الانصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية يعني موضع الولد فأتوا

حرثكم أنى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأنى حرف استفهام يكون سؤالا عن الحال والمحل معناه كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في ضمام واحد وقال عكرمة أنى شئتم انما هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل حرث لكم أي مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الارض التي تزرع وفيه دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال أتدري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكر ذلك أصحابه وروي عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حدثت بحديث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن والدليل على تحريم الادبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أبي أجنحة بن الحلاج عن خزيمة بن ثابت ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اتيان النساء في أدبارهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم في أي الخرزتين أو في أي الخرزتين أو في الحومتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا فان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها

الصنم وقيل الصورة لاجثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى أمرهما أي ارتفع وعظم وتفاخم وأصله من سرى البرق اذا لمع في اللمعان عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو وروى عنه أنه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال أتدري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكر ذلك أصحابه وروي عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حدثت بحديث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن والدليل على تحريم الادبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أبي أجنحة بن الحلاج عن خزيمة بن ثابت ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اتيان النساء في أدبارهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم في أي الخرزتين أو في أي الخرزتين أو في الحومتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا فان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها

قوله تعالى (وقدموا لانفسكم) قال عطاء التسمية عند الجماع قال مجاهد وقدموا لانفسكم يعني اذا أتى أهله فليدع أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان أحدهم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل قدموا لانفسكم يعني طلب الولد أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقيل هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا مسدد أنا يحيى عن عبد الله حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقيل معنى الآية تقديم الافراط أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وقال الكلبي والسدي وقدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فيجزيكم باعمالكم (وبشر المؤمنين) قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي الا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أي لحلفكم (عليم) يعني بنياتكم * قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما

يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره * وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) أي احذروا أن تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا أنكم ملاقوه) أي صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) يعني بالكرامة من الله تعالى * قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي الا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أي لحلفكم (عليم) يعني بنياتكم * قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما

واذا قيل له فيه قال قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الآية وقال ابن جريج نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم قيل لكل ما يصلح لشئ هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة للنكاح اذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشئ ومعنى الآية لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم الى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر (أن تبروا) معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا أي لئلا تضلوا (وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بيمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق الى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز

ابن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله و بلى والله ورفعه بعضهم والى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي و يروى عن عائشة أيمان اللغو ما كانت في الهزل والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وقال قوم هو أن يحلف على شئ يرى انه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وابراهيم النخعي وقتادة (١٨٦) ومكحول و به قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقالوا لا كفارة فيه ولا اثم وقال علي هو اليمين على الغضب و به قال طاوس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها بل يحنث و يكفر وقال مسروق ليس عليه كفارة أتكفر خطوات الشيطان وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية كفارته أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تمضي بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم و يستمر على قوله وقال زيد بن أسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الانسان أعمى الله بصري ان أفعل كذا فهذا كله لغو لا يؤاخذه الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم وقال و يدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي عزمتم وقصدتم الى اليمين وكسب القلب العقد والنية (والله غفور حليم) واعلم أن اليمين لا تنعقد الا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول والذي أعبده والذي أصلي له والذي نفسي بيده اهل ونحو ذلك واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله ونحوها فاذا حلف بشئ منها على أمر في المستقبل فحنث يجب عليه الكفارة واذا حلف على أمر ماض انه كان ولم يكن أو على انه لم يكن وقد كان ان كان عالما به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر و يجب فيه الكفارة عند بعض أهل العلم عالما كان أو جاهلا و به قال الشافعي ولا يجب عند بعضهم وهو قول أصحاب الرأي وقالوا ان كان عالما فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وان كان جاهلا فهو يمين اللغو عندهم ومن

لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية و به قال الشافعي و يعضده ما روى عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لا والله و بلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفعه أبو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله و بلى والله ورواه عنها أيضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شئ يرى أنه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك و به قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك أن اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن أنه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به أحدا و يعتذر لمخلوق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله و بلى والله و يوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان ابن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاتبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية ﴿فصل في بيان حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ لا تنعقد اليمين الا بالله و بأسمائه وصفاته فأما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة ﴿المسئلة الثانية﴾ لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه و يكره الحلف به لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت أخرجاه في الصحيحين ﴿المسئلة الثالثة﴾ اذا حلف على أمر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض ولم يكن أو على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم التي أخبر انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم وألزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاجلة

حلف بغير الله مثلا مثل ان قال والكعبة و بيت الله و نبي الله أو حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا فلا يجب به الكفارة اذا حلف وهو يعين مكروهة قال الشافعي وأخشى ان يكون معصية أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) يؤلون أي يحلفون والالية اليمين والمراد من الآية اليمين على ترك وطئ المرأة قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية وكان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد ان يتزوج بها غيره فيحلف ان لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرب الله له أجلا في الاسلام واختلف أهل العلم فيه فذهب أكثرهم الى انه ان حلف ان لا يقرب زوجته أبدا أو سمى مدة أكثر من أربعة أشهر يكون موليا فلا يتعرض قبل مضي أربعة أشهر و بعد مضيها يوقف و يؤمر بالفيء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة والفيء هو الرجوع عما قاله بالوطئ ان قدر عليه وان لم يقدر فبالقول فان لم يف ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة وذهب الى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون يوقف المولي

واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد و به قال مالك والشافعي وأحمد واسحاق وقال بعض أهل العلم اذا مضت أربعة أشهر تقع عليها طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود و به قال سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهري تقع طلقة رجعية ولو حلف ان لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا بل هو حالف فاذا وطئها قبل مضي تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين ولو حلف ان لا يطأها أربعة أشهر لا يكون موليا عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة لان بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند من لا يقول بالوقف يكون موليا و يقع الطلاق بمضي المدة ومدة الايلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي رحمه الله لانها ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تتنصف مدة العنة بالرق غيران عند أبي حنيفة تتنصف برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق قوله تعالى تربص أربعة أشهر أي انتظار أربعة أشهر والتربص التثبت والتوقف (فان فاؤا) رجعوا عن اليمين بالوطء (فان الله غفور رحيم) واذا وطئ في الفرج خرج عن الايلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم وقال الحسن وابراهيم النخعي وقتادة لا كفارة عليه لان الله تعالى وعد بالمغفرة فقال فان الله غفور رحيم وذلك عند الاكثرين في سقوط العقوبة لا في الكفارة ولو قال لزوجته ان قربتك فعبدي حر أو ضربتك فأنت طالق أو لله علي عتق عبد أو صوم أو صلاة فهو مول لان المولي من يلزمه أمر بالوطء و يوقف بعد مضي المدة فان فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به وان التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعتاق أو الصلاة والصوم

أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع و يبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه و يسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أي يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الألايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا أجامعك أو لا أباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيأ فأبت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا أيما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرارا لأهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) أي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره

(وان عزموا الطلاق) أى حققوه بالايقاع (فان الله سميع) لقولهم (عليم) بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق بعد مضى المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال فان الله سميع عليم فدل على انه يقتضى مسموعا والقول هو الذى يسمع قوله تعالى (والمطلقات) أى المخليات من حبال أزواجهن (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن ثلاثة قروء) فلا يتزوجن والقروء جمع قرء مثل قرع وجمعه القليل أقرؤ والجمع الكثير اقراء واختلف أهل العلم فى القرء فذهب جماعة الى انها الحيض وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد واليه ذهب الاوزاعى والثورى وأصحاب الرأى واحتجوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة دعى الصلاة أيام اقرائك وانما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها وذهب جماعة الى انها الاطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهرى وبه قال ربيعة ومالك والشافعى واحتجوا بان ابن عمر رضى الله عنه لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى أمر الله ان يطلق لها النساء فاخبر ان زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر

فى كل عام أنت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأراد به انه كان يخرج الى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف تظهر فى ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة تنقضى عدتها على قول من يجعلها اطهارا وتحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرأ قالت عائشة رضى الله عنها اذا ظعنت المطلقة فى الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب الى ان الاقراء هى الحيض يقول لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة وهذا الخلاف من حيث ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال أقرأت المرأة للحمرة اذا حاضت وأقرأت اذا طهرت فهى مقرئ واختلفوا فى أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة هو الوقت لمجىء الشئ وذهابه يقال رجع فلان لقرئه ولقارئه أى لوقته الذى يرجع فيه وهذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها قال مالك بن الحرث الهذلى

كرهت العقر عقر بنى شليل * اذا هبت لقارئها الرياح

أى لوقتها والقرء يصلح للوجهين لان الحيض يأتى لوقت والطهر مثله وقيل هو من القرء وهو الحبس والجمع تقول العرب ما قرأت الناقة سلا قط أى لم تضم رحمها على ولد ومنه قريت الماء فى المقراة وهى الحوض أى جمعته بترك همزها فالقرء ههنا احتباس الدم واجتماعه فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله وجملة الحكم فى العدد ان المرأة اذا كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن فان لم تكن حاملا نظر ان وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها ان تعتد بأربعة أشهر وعشر سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده وسواء كانت المرأة ممن تحيض أولا تحيض

بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين ﴿فروع﴾ تتعلق بحكم الآية ﴿الفرع الاول﴾ اذا حلف انه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هى أكثر من أربعة أشهر فهو مول فاذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفىء وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يفىء ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى وأحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية ﴿الفرع الثانى﴾ لو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿الفرع الثالث﴾ لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفىء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿الفرع الرابع﴾ مدة الايلاء أربعة أشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير أن عند أبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿الفرع الخامس﴾ اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط العقوبة عنه لا فى الكفارة * قوله تعالى (وان عزموا الطلاق) أى تحققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعنى أى لاقوالهم (عليم) يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عز وجل (والمطلقات) أى المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هى التى أوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء وانقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم

بالطلاق فى الحياة نظران كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها لقول الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كان بعد الدخول نظران كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت فى الكبر سن الآيسات فعدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وان كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة أقرؤ لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقوله يتربصن بأنفسهن لفظه خبر ومعناه أمر وعدة الامة ان كانت حاملا بوضع الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففى الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفى الطلاق ان كانت ممن تحيض فعدتها قرآن وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرئين فى حق ممن تحيض قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين فان لم تكن تحيض فشهرين أو شهرا ونصفا قوله عز وجل (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) قال عكرمة يعنى الحيض وهو ان يريد الرجل مراجعتها فتقول قد حضت الثلاثة وقال ابن عباس وقتادة يعنى الحمل ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد

للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فقيل أصله الجمع من قرأ أى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وأبى موسى وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء هى الاطهار وأنا اليوم أذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار روى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام اقرائك يعنى أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا أيام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار أن ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها فأخبر أن زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

فى كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى أقصر وعند غيره أطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج وبحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضى الله عنها اذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعى والنساء بهذا أعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب أبى حنيفة لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق فى حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع فى حال الحيض * فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص فى قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن * قلت هو خبر فى صورة الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء يرحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

﴿ فصل فى أحكام العدة ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الأولى ﴾ عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء فى ذلك الحرة والامة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء فى ذلك الحيض والأمة والآيسة ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهى ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهى ثلاثة اقراء الضرب الثانى الآيسات من الحيض اما لكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفى الاقراء قرآن لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين * وقوله تعالى (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) قال ابن عباس يعنى الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق

(ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) معناه أن هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فى هذا الحكم سواء كما تقول أدحتى ان كنت مؤمنا يعنى أداء الحقوق من فعل المؤمنين (و بعولتهن) يعنى أزواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل سمى الزوج بعلا لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك (أحق بردهن) أولى برجعتهن اليهم (فى ذلك) أى فى حال العدة (ان أرادوا اصلاحا) أى ان أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الاضرار كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية كالرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها (ولهن) أى للنساء على الازواج مثل الذى عليهن للازواج بالمعروف قال ابن عباس فى معناه انى أحب أن أتزين لامرأتى كما تحب امرأتى ان تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن (مثل الذى عليهن

الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب أداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض أو الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أدحتى ان كنت مؤمنا يعنى أن أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى والمعنى ينبغى أن يمنعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثانى انه لاجل الحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الامانة (و بعولتهن أحق بردهن فى ذلك) يعنى أزواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن و ردهن اليهم فى ذلك أى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان أرادوا اصلاحا) يعنى ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون و يريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعنى وللنساء على الازواج (مثل الذى عليهن) يعنى للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها و يجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس فى معنى الآية انى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله فى النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم أخذتموهن بأمانات الله و يروى بأمانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل الكلمة هى كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد أن يتحدث اليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى أن نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى

بالمعروف) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزى أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر ابن طرفة الشجرى أنا أبو سليمان الخطابى أخبرنا أبو بكر بن داسه أنا أبو داود السجستانى أنا موسى بن اسمعيل أنا حماد أنا أبو قزعة سويد بن حجر الباهلى عن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وان تكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد ابن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبى شيبة أنا حاتم بن اسمعيل المدنى عن جعفر بن محمد عن أبيه انه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت أخبرنى عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع الى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا محمد بن يحيى أنا على بن عبيد أنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم قوله تعالى

لاشتراط

(وللرجال عليهن درجة) قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة بالجهاد وقيل بالعقل وقيل بالشهادة وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالطلاق لان الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال سفيان وزيد بن أسلم بالامارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة في الحق (والله عزيز حكيم) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني أنا حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها قوله تعالى (الطلاق مرتان) روى عن عروة بن الزبير قال كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد وكان الرجل يطلق امرأته فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فنزلت هذه الآية الطلاق مرتان يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيبه مرتان فاذا طلق ثلاثا فلا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر قوله تعالى (فامساك بمعروف) قيل أراد بالامساك الرجعة بعد الثانية والصحيح أن المراد منه الامساك بعد الرجعة يعني اذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل الطلقة الثالثة قوله تعالى أو تسريح باحسان وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب وجملة الحكم فيه ان الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له ما لم تنكح زوجا غيره وأما العبد اذا كانت تحته امرأة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر واختلف أهل العلم فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب أكثرهم الى انه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال عبد الله بن

لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع * وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بأمور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك ويبد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها (والله عزيز) أي غالب لا يمتنع عليه شئ (حكيم) أي في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها * قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الي ولا تحلين أبدا فأنزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء الله أن يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما هممت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا أن تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير

مسعود رضي الله عنه الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد ابن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب قوم الى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي قوله تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) أعطيتموهن شيأ من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت اليه زوجها وقالت له انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فقال مالك ولأهلك فقال (١٩٢) والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت لاحدثك حديثا ينزل الله عليك خلافه فهو من أكرم الناس محبة لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت يا رسول الله قد أعطيتها حديقة فقل لها تردها علي وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها فعل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قوله تعالى الا أن يخافا أي يعلما أن لا يقيما حدود الله قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب الا أن يخافا بضم الياء أي يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضي والوالي ذلك من الزوجين بدليل قوله تعالى فان خفتم فجعل الخوف لغير الزوجين ولم يقل فان خافا وقرأ الآخرون يخافا بفتح الياء أي يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيأ مما آتاها الا أن يكون النشوز من قبلها فقالت لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك قال الله تعالى

مضارة وقيل هو انه اذا طلقها أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها ﴿ فروع ﴾ تتعلق بأحكام الطلاق ﴿ الفرع الأول ﴾ صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿ الفرع الثاني ﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها ﴿ الفرع الثالث ﴾ العبد يملك على زوجته الأمة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) يعني أعطيتموهن (شيأ) يعني من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا أن يخافا أن يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت ابن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسب أبي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال ارجعي الى زوجك فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولأهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله

(فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أى فيما افتدت به المرأة نفسها منه قال الفراء أراد بقوله عليهما الزوج دون المرأة فذكرهما جميعا لاقترانهما كقوله تعالى نسيا حوتهما وانما الناسى فتى موسى دون موسى وقيل أراد انه لا جناح عليهما جميعا لا جناح على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال اذا أعطته طائعة وذهب أكثر أهل العلم الى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطاها وقال الزهرى لا يجوز بأكثر مما أعطاها من المهر وقال سعيد بن المسيب لا يأخذ منها جميع ما أعطاها بل يترك شيأ ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو عبد الله بن فنجوية الدينورى أنا عبد الله بن محمد بن شيبة أنا أحمد بن جعفر المستملى أنا أبو محمد يحيى بن اسحق بن شاكر بن أحمد بن خباب أنا عيسى بن يونس أنا عبيد الله بن الوليد الوصافى عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أبغض الحلال

الى الله تعالى الطلاق ولا أحب اليه من العتق أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجوية أنا ابن أبى شيبة أنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أنا أبى أنا أسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وقال طاوس الخامع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية والآية خرجت على وفق العادة فى ان الخلع لا يكون الا فى حال خوف النشوز غالبا واذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقض به العدد واختلف أهل العلم فى الخلع فذهب أكثرهم الى انه تطليقة

صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا مال ولكنى أكره الكفر فى الاسلام قال أبو عبد الله يعنى تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما أعتب عليه يعنى ما أجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا أن يخافا أى يعلما الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصى الله فى أمور زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه أن يعتدى عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيأ مما أعطاها الا أن يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا أن يعلم ذلك من حالهما يعنى يعلم القاضى والوالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وأشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (ألا يقيما حدود الله) يعنى ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أى لا جناح على المرأة فى النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها أو أعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا أعطته المرأة طائعة راضية

﴿فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل﴾ الاولى قال الزهرى والنخعى وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لا يجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى أنه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذى * عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شئ فاذا بذلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة أمر نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على

بائنة ينقص بها عدد الطلاق وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبى والنخعى واليه ذهب مالك والثورى والاوزاعى وأصحاب الرأى وهو أظهر قولى الشافعى وذهب قوم الى انه فسخ لا ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمرو عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب أحمد واسحاق واحتجوا بان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا ومن قال بالقول الاول جعل الطلقة الثالثة أو تسريح باحسان

قوله تعالى (تلك حدود الله) أى هذه أوامر الله ونواهيه وحدود الله مامنع الشرع من المجاوزة عنه (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها (ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحلّ له من بعد) أى من بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) أى غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعا نزلت فى تميمة وقيل فى عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى كانت تحت ابن

عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أخبرنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انه سمعها تقول جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة القرظى فطلقنى فبت طلاقى وتزوجت بعده عبد الرحمن ابن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض النبى صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضى الله عنه فقالت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجى الأول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ماقال فلا ترجعى اليه فلما قبض أبو بكر رضى الله عنه أتت عمر رضى الله عنه وقالت له مثل ذلك فقال لها عمر رضى الله عنه لا ترجعى اليه لئن رجعت اليه لارجمنك

الاستثناء المنقطع ﴿المسئلة الثانية﴾ الخلع جائز على أكثر مما أعطاها وبه قال أكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول على وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد ابن المسيب بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لا يقيد بمقدار معين كما ان للمرأة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته ﴿المسئلة الثالثة﴾ اختلف العلماء فى الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد واسحق وأبو ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة فى البيع وأيضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب أن يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وأيضا فان الطلقة الثالثة قوله أو تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث * قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى هذه أوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله مامنع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) أى فلا تجاوزوها (ومن يتعدّ حدود الله) أى يجاوزها (فأولئك هم الظالمون) * قوله عز وجل (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته قولها فبت طلاقى أى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما أنث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل أنثه حملا له على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن ابن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء مشددة وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

قوله تعالى (فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا) يعنى فان طلقها الزوج الثانى بعد ما جامعها فلا جناح عليها يعنى على المرأة وعلى الزوج الاول ان يتراجعا يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) أى علما وقيل رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله عز وجل (أن يقيما حدود الله) أى يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة وأراد بالدلسة التحليل وهو مذهب سفيان الثورى والاوزاعى ومالك وأحمد واسحق قالوا اذا تزوجت المطلقة ثلاثة زوجا آخر ليحلها للزوج الاول فان النكاح فاسد وذهب جماعة الى انه اذا لم يشترط فى النكاح مع الثانى انه يفارقها فالنكاح صحيح و يحصل به التحليل ولها صداق مثلها غير انه يكره اذا كان فى عزمها ذلك

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمى أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحرانى أنا عبيد الله بن عبد الكريم هو الجوزى عن أبى واصل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله المحلل والمحلل له وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم الله تعالى به * قوله تعالى (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الآية نزلت فى رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها قوله تعالى فبلغن أجلهن أى أشرفن على ان تبين بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفى قوله تعالى بعد هذا فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغت المدينة اذا قربت منها اذا دخلتها (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس

أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابى بكر فقال لها الزمى رجعت اليه لا رجمنك * قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعنى على المرأة والزوج الاول (أن يتراجعا) يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) أى علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (أن يقيما حدود الله) يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ﴿فرعان * الاول﴾ مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر و يطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما ﴿الثانى﴾ اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد و به قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح و روى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح و يحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان فى عزمهما ذلك و به قال الشافعى وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت فى ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يردا نقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قارب به وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أن اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدى المرأة منه بما لها (لتعتدوا)

(ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أى أضر بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال الكلبى يعنى قوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقال أبو الدرداء هو ان الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول كنت لاعبا و يعتق و يقول مثل ذلك و ينكح و يقول مثل ذلك أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهرى أخبرنا أحمد بن على الكشميهنى أخبرنا على بن حجر أخبرنا اسمعيل بن جعفر عن أبى حبيب بن أردك هو عبد الرحمن بن حبيب وابن ماهك هو يوسف بن ماهك عن عطاء بن أبى رباح عن أبى ماهك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث

جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) بالايمان (وما أنزل عليكم من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة وقيل مواعظ القرآن (يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت فى جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزنى كانت تحت أبى القداح بن عاصم بن عدى بن عجلان فطلقها أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أحمد بن أبى عمرو حدثنى أبى حدثنى أبو هاشم عن يونس عن الحسن قال حدثنى معقل بن يسار قال زوجت أختا لى من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود اليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فأنزل الله تعالى (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) فقلت الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها اياه قوله تعالى فبلغن أجلهن أى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن أى لا تمنعوهن عن النكاح والعضل المنع وأصله الضيق والشدة يقال عضلت المرأة اذا نشب ولدها فى بطنها فضاق عليه الخروج والداء العضال الذى لا يطاق علاجه وفى الآية دليل على ان المرأة لا تلى عقد النكاح اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهى الولى عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الازواج لمنعهم من الاضرار لان ابتداء الآية خطاب معهم والاول أصح

أى لتظلموهن بمجاوزتكم فى أمورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضارروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أى ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعريضها عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعنى بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فكل من خالف أمرا من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق و يعتق و يتزوج و يقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه أبو داود والترمذى وقوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعنى بالايمان الذى أنعم به الله عليكم فهداكم له وسائر نعمه التى أنعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) أى واذكروا نعمته فيما أنزله عليكم (من الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) أى بالكتاب الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل أخته جميلة وكانت تحت أبى القداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لى أخت تخطب الىّ وأمنعها من الناس فأتانى ابن عم لى فأنكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الىّ أتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى أتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لا أنكحتها لك أبدا ففىّ نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يمينى وأنكحتها اياه أخرجه البخارى وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها أراد أن يراجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية وأراد ببلوغ الأجل فى قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التى قبل هذه قال الشافعى دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك

(اذا تراضوا بينهم بالمعروف) بعقد حلال ومهر جائز (ذلك) اى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) وانما قال ذلك موحدا والخطاب للاولياء لان الاصل فى مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر حتى توهموا ان الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك فاذا قالوا هذا كانت الكاف موحدا مستوية فى الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فلذلك وحد ثم رجع الى خطاب المؤمنين فقال (ذلكم أزكى لكم) أى خير لكم (وأطهر) لقلوبكم من الريبة وذلك انه اذا كان فى نفس كل واحد منهما علاقة حيث لم يؤمن ان يتجاوز ذلك الى غير ما أحل الله لهما ولم يؤمن من الاولياء ان يسبق الى قلوبهم منهما ما لعلهما ان يكونا بريئين من ذلك فيأثمون (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أى يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن) أى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن يرضعن خبر بمعنى الامر وهو أمر استحباب لا أمر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى فى سورة الطلاق فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فان رغبت الام فى الارضاع فهى أولى من غيرها (حولين كاملين) أى سنتين وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى تلك عشرة كاملة وقيل انما قال كاملين لان العرب قد تسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر معلومات وانما هى شهران وبعض الثالث وقال فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه وانما يتعجل فى يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وانما أقام به حولا وبعض آخر فبين الله تعالى انهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا واختلف أهل العلم فى هذا الحد فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين فروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انها اذا وضعت لستة أشهر فانها ترضعه حولين كاملين وان وضعت لسبعة أشهر فانها ترضعه ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعت لتسعة أشهر فانها ترضعه احدا وعشرين شهرا وان وضعت لعشرة أشهر فانها ترضعه عشرين شهرا كل ذلك تمام ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال قوم هو حد لكل مولود بأى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق الابوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك الا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور وهذا قول ابن جريج والثورى ورواية الوالبى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل المراد من الآية بيان ان الرضاع الذى يثبت الحرمة ما يكون فى الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين قال قتادة فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال

بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائى اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

يعنى اذا ضاق الامر وفى الآية دليل للشافعى ومن وافقه فى ان المرأة لا تلى عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهى الولى عن العضل معنى * وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) أى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم أزكى لكم وأطهر) يعنى انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (والوالدات) يعنى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن غيرها والكمال شفقتها عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى هذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فان رغبت الام فى ارضاع ولدها فهى أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح

المولود له) يعني الاب (رزقهن) طعامهن (وكسوتهن) لباسهن (بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) أي طاقتها (لا تضار والدة بولدها) قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء نسقا على قوله لا تكلف وأصله تضارر فادغمت الراء في الراء وقرأ الآخرون تضار بنصب الراء وقالوا لما أدغمت الراء في الراء حركت الى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه (ولا مولود له بولده) أي لا تلقيه المرأة الى أبيه بعد ما ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا تضار والدة فتكره على ارضاعه اذا كرهت ارضاعه وقبل الصبي من غيرها الا ان ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده فيحتمل ان يعطى الام أكثر مما يجب لها اذا لم يرتضع الولد من غيرها فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الراء الاولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود مفعولان ويحتمل ان يكون الفعل لهما وتكون تضار بمعنى تضارر بكسر الاولى على تسمية الفاعل والمعنى لا تضار والدة فتأبى ان ترضع ولدها ليشق على أبيه ولا مولود له أي لا يضار الاب أم الصبي فينزعه منها ويمنعها من ارضاعه وعلى هذه الاقوال يرجع الضرار الى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز ان يكون الضرار راجعا الى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي ولا ترضعه الام حتى يموت أو لا ينفق الاب أو ينتزعه من الام حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده وكل هذه الاقاويل مروية عن المفسرين قوله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته ثم اختلفوا في انه أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم هو عصبة الصبي من الرجال مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وبه قال ابراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا اذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على ان يسترضعوه وقيل هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد واسحق وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبته كانوا أو غيرهم وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم

فيه تقول أقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة أشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاع لمن أراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود له) يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) أي طعامهن (وكسوتهن) أي لباسهن (بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) يعني طاقتها والمعنى ان أبا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبالغ اسراف القدرة (لا تضار والدة بولدها) يعني لا ينزع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الأم على ارضاع الولد اذا قبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعني لا تلقي المرأة الولد الى أبيه وقد ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل

مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى ان المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى يكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة وبه قال الشعبي والزهري (فان أرادا) يعني الوالدين (فصالا) فطاما قبل الحولين (عن تراض منهما) أي اتفاق الوالدين (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا ان الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي (فلا جناح عليهما) أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر لعلة بهن أو انقطاع لبن أو أردن النكاح (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى أمهاتهم (ما آتيتم) ما سميتم لهن من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن وقيل اذا سلمتم أجور المراضع اليهن (بالمعروف) قرأ ابن كثير ما آتيتم وفي الروم وما آتيتم من ربا بقصر الألف ومعناه ما فعلتم يقال أتيت جميلا اذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الاجرة يعني اذا سلمتم لامره وانقدتم لحكمه وقيل اذا سلمتم للاسترضاع عن تراض وانفاق دون الضرار (واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير) قوله تعالى (والذين يتوفون منكم) أي يموتون ويتوفى آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفي أخذ الشيء وافيا (ويذرون أزواجا) يتركون أزواجا (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أي يعتدون بترك الزينة والطيب والتقي على فراق أزواجهن هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولا كاملا لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشر واجبة عند أهل زوجها فانزل الله تعالى متاعا الى الحول فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها وسكنت في وصيتها وان شاء خرجت قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الاحداد في عدة الوفاة وهي ان تمنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه فان كان فيه طيب فلا يجوز ولا يجوز لها ان تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الاسود ولا بأس بالكحل الفارسي الذي لا زينة فيه فان اضطرت الى كحل فيه زينة فقد رخص فيه كثير من أهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي وقال الشافعي رحمه الله

ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته واختلف في أي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان أرادا) يعني الوالدين (فصالا) يعني فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) أي على اتفاق من الوالدين في ذلك (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) أي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لا ولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت أمهاتهم ارضاعهم أو تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعني الى المراضع (ما آتيتم) يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن (بالمعروف) أي بالاحسان والاجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لا ولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها * قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعني يموتون (منكم) وأصل التوفي أخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعني قبض وأخذ (ويذرون) أي ويتركون (أزواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) أي ينتظرن (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا)

تكتحل به ليلا وتمسحه بالنهار قالت أم سلمة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي وقال سفيان لا تلبس المصبوغ بحال أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة انها أخبرته بهذه الاحاديث الثلاثة قالت زينب دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست به بطنها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا وقالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب وسمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ثم قال انما هي أربعة أشهر وعشرا وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت زينب كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيأ حتى يمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمارا أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره وقال مالك تفتض أي تمسح جلدها وقال سعيد بن المسيب الحكمة في هذه المدة ان فيها ينفخ الروح في الولد ويقال ان الولد يركض أي يتحرك في البطن لنصف

يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا أبهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن ولبس احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

﴿ فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الاصم عدة الأمة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والأمة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روى عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال مالي أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدا لي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴿ المسئلة الثانية ﴾ يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا أم سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب

مدة الحمل أربعة أشهر وعشرا قريب من نصف مدة الحمل وانما قال عشرا بلفظ المؤنث لانه أراد الليالى لان العرب اذا أبهمت العدد بين الليالى والايام غلبت عليها الليالى فيقولون صمنا عشرا والصوم لا يكون الا بالنهار وقال المبرد انما أنث العشر لانه أراد المدة

خضاب قلت بأى شئ أمتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود وللنسائى نحوه قوله فانه يشب الوجه أى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا أوقدها قوله تغلفين به رأسك أى تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا طختيه بشئ فأكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبى سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها أربعة أشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت كنا نهى أن نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها فى نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب أخرجه أبو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان أخرجه مالك فى الموطأ ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلفوا فى أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لا علم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى أنفسهن) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن فى أنفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه

أى عشر مدد كل مدة يوم وليلة واذا كانت المتوفى عنها زوجها حاملا فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى عن على وابن عباس رضى الله عنهم انها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى أراد بالقصرى سورة الطلاق وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن نزلت بعد قوله تعالى يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فى سورة البقرة فحمل على النسخ وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب

للاولياء (فيما فعلن فى أنفسهن) أى من اختيار الازواج دون العقد الى الولى وقيل فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع (بالمعروف والله بما تعملون خبير) والاحداد واجب على المرأة فى عدة الوفاة أما المعتدة عن الطلاق نظر فان كانت رجعية لا احداد عليها فى العدة لان لها أن تضع ما يشوق قلب الزوج اليها ليراجعها وفى البائنة بالخلع والطلقات الثلاث قولان أحدهما

الاحداد كالمتوفى عنها زوجها وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال أبو حنيفة والثانى لا احداد عليها وهو قول عطاء وبه قال مالك قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء) أى النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشئ والتعريض فى الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح فى العدة وهو ان يقول رب راغب فيك من يجد مثلك انك لجميلة وانك لصالحة وانك على لكريمة وانى فيك لراغب وان من غرضى أن أتزوج بك وان جمع الله بينى وبينك بالحلال أعجبنى ولئن تزوجتك لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام من غير ان يقول انكحينى والمرأة تجيبه بمثله ان رغبت فيه وقال ابراهيم لا بأس ان يهدى اليها ويقوم بشغلها فى العدة اذا كانت غير شابة روى ان سكينة بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها وقال يا بنت حنظلة أنا من قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة أتخطبنى وأنا فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة أتخطبنى وأنا فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكرلها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده من شدة تحامله على يده والتعريض بالخطبة جائز فى عدة الوفاة اما المعتدة عن فرقة الحياة ينظر ان كانت ممن لا يحل لمن بانت منه نكاحها كالمطلقة ثلاثا والمبانة باللعان والرضاع فانه يجوز خطبتها تعريضا وان كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير تعريضا فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة ثلاثا والثانى لا يجوز لان المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضا بالخطبة وقوله تعالى من خطبة النساء الخطبة التماس النكاح وهى مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة وقال الاخفش الخطبة الذكر يعرض والخطبة التشهد فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن (أو أكننتم) أضمرتم (فى أنفسكم) من نكاحهن يقال أكننت الشئ وكننته لغتان وقال ثعلب أكننت الشئ اى اخفيته فى نفسى وكننته سترته قال السدى هو ان يدخل فيسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ (علم الله انكم ستذكرونهن) بقلوبكم (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا فى السر المنهى عنه فقال قوم هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك هذا قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء وراوية عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال زيد بن أسلم أى لا ينكحها سرا فيمسكها فاذا حلت اظهر ذلك وقال مجاهد هو قول الرجل لا تفوتينى بنفسك فانى ناكحك وقال الشعبى والسدى لا يأخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره وقال عكرمة لا ينكحها ولا يخطبها فى العدة قال الشافعى السر هو الجماع وقال الكلبى اى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول آتيك الاربعة والخمسة واشباه ذلك ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرئ القيس

تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عز وجل (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرّضتم به) أى لوّحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو أن يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بأن يقول انى أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول انى أريد التزويج وأن النساء لمن حاجتى ولوددت أن ييسر لى امرأة صالحة أخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبنى فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها أبى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (أو أكننتم) يعنى أضمرتم (فى أنفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة

ألا زعمت بسباسة القوم انني * كبرت والا يحسن السر أمثالي

وانما قيل للزنا والجماع سرا لانه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة قوله تعالى (الا أن تقولوا قولا معروفا) هو ماذكر من التعريض بالخطبة قوله تعالى (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تنقضي العدة وسماها الله كتابا لانها فرض من الله كقوله تعالى كتب عليكم أي فرض عليكم (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي فخافوا الله (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك (٢٠٣) قرأ حمزة والكسائي مالم تماسوهن

يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني نفسك فاني ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

ألا زعمت بسباسة القوم انني * كبرت والا يحسن السر أمثالي

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية أولا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية ان الله تعالى أذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعني هو ماذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المرأة انه راغب في نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي فخافوه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه * قوله عز وجل (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك * فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه * قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء في الحديث ان أبغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا حرج عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي الغني الذي يكون في سعة من غناه (قدره) أي قدر امكانه طاقته (وعلى المقتر) أي الفقير الذي هو في ضيق من فقره (قدره) أي قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف (حقا) أي حق ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعني الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون

بالالف ههنا وفي الاحزاب على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى من قبل أن يتماسا وقرأ الباقون تمسوهن بلا ألف لان الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى ولم يمسسني بشر أو تفرضوا لهن فريضة أي توجبوا لهن صداقا فان قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث أبغض الحلال الى الله تعالى الطلاق فنفى الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة وقيل لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز تطليقها في حال الحيض (ومتعوهن) أي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي على الغني (قدره وعلى المقتر) أي الفقير (قدره) أي امكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل القدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم متاعا نصب على المصدر أي متعوهن (متاعا بالمعروف) أي بما أمركم الله به من غير ظلم (حقا على المحسنين) وبيان حكم الآية ان من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الاكثرين ولها نصف المهر المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة الى انها لا متعة لها لانها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انها تستحق المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد واليه ذهب الشافعي لان

استحقاقها المهر بقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق فعلى القول الاول لا متعة الا لواحدة وهى المطلقة قبل الفرض والمسيس وعلى القول الثانى لكل مطلقة متعة الا لواحدة وهى المطلقة بعد الفرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها ولم يمسها زوجها فحسبها نصف المهر قال الزهرى متعتان يقضى باحداهما السلطان ولا يقضى بالاخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى فاما التى يقضى بها السلطان فهى المطلقة قبل الفرض والمسيس وهو قوله تعالى حقا على المحسنين والتى تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضى بها السلطان فهى المطلقة بعد المسيس وهو قوله تعالى حقا على المتقين وذهب الحسن وسعيد بن جبير الى ان لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس أو بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولقوله تعالى فى سورة الاحزاب فتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا وقالا معنى قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة أى أولم تفرضوا لهن فريضة وقال بعضهم المتعة غير واجبة والأمر بها أمر ندب واستحباب روى أن رجلا طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته الى شريح فى المتعة فقال شريح لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا فى قدر المتعة فروى عن ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية أوشئ من الورق وبه قال الشعبى والزهرى وهذا مذهب الشافعى قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحملها جارية سوداء اى متعها ومتع الحسن بن على رضى الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال أبو حنيفة رحمه الله مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على انه يعتبر حال الزوج فى العسر واليسر ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة عدة

بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

﴿ فصل فى بيان حكم الآية ﴾ وفيه فروع ﴿ الفرع الأول ﴾ اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه ﴿ الفرع الثانى ﴾ المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو احدى الروايتين عن أحمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التى فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿ الفرع الثالث فى قدر المتعة ﴾ قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة أو شئ من الورق وهو مذهب الشافعى لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحملها يعنى متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق وقال أبو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال أحمد فى احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال فى الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج فى اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التى أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف حال المعسر فى ذلك ﴿ الفرع الرابع ﴾ ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح ولها مطالبته بأن يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعنى تجامعوهن وهذا فى المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا

بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح وللمرأة مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات أحدهما قبل الفرض والدخول فاختلف أهل العلم فى انها هل تستحق المهر أم لا فذهب جماعة الى انه لا مهر لها وهو قول على وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى ان لها المهر لان الموت كالدخول فى تقرير المسمى كذلك فى ايجاب مهر المثل اذا لم يكن فى العقد مسمى وهو قول الثورى وأصحاب الرأى واحتجوا بما روى عن علقمة عن ابن مسعود انه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها ولا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن يسار الاشجعى فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله فان ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة فى قول أحد دون قول النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث وكان على يقول فى حديث بروع لا نقبل قول اعرابى من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن

وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) هذا فى المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض والمراد بالمس المذكور فى الآية الجماع واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قبل أن يدخل بها فذهب قوم الى انه لا يجب لها الا نصف الصداق ولا عدة عليها لان الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعى رحمه الله وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق ومثله عن زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق اليها اذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق وقيل هذه الآية ناسخة للآية التى فى الاحزاب فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها وقوله تعالى وقد فرضتم لهن فريضة أى سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم أى لها نصف المهر المسمى (الا أن يعفون) يعنى النساء أى الا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج قوله تعالى (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الولى وبه قال ابن عباس رضى الله عنه معناه الا أن تعفو المرأة بترك نصيبها الى الزوج ان كانت ثيبا من أهل العفو أو يعفو وليها فيترك نصيبها ان كانت المرأة بكرا أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهرى وربيعة وذهب بعضهم الى انه انما يجوز عفو الولى اذا كانت المرأة بكرا فان كانت ثيبا فلا يجوز عفو وليها وقال بعضهم الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول على وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والشعبى والشريحى ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك الشئ من الصداق بكرا كانت أو ثيبا كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز له ان يهب شيأ من مالها وقالوا معنى الآية الا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التأويل وجه الآية الذى بيده عقدة النكاح نكاح نفسه فى كل حال قبل الطلاق أو بعده (وأن تعفوا أقرب للتقوى) موضعه رفع بالابتداء أى والعفو أقرب للتقوى أى الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على

عدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أى سميتم لهن مهرا (فنصف ما فرضتم) أى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعى أن الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد أو جعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعى قال شريح لم أسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولا سترا ان زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر ﴿فرع﴾ لو مات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * وقوله تعالى (الا أن يعفون) يعنى النساء المطلقات والمعنى الا أن تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) فيه قولان أحدهما انه الولى وهو قول ابن عباس فى رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبى والنخعى والزهرى والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن عباس فى الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظى وهو قول أبى حنيفة والشافعى فى الجديد وأحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولى بشروط وهى ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولى أبا أو جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثانى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصح هذا القول الطبرى والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل أن يعفو فيوفى لها المهر كاملا وروى أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولان المهر حق المرأة فليس لوليها أن يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم

الاحسان (ان الله بما تعملون بصير) قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) أى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام أركانها ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها ووسطى تأنيث الاوسط ووسط الشئ خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم فى الصلاة الوسطى فقال قوم هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد واليه مال مالك والشافعى لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين فالقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت لان الله تعالى خصها فى آية أخرى من بين الصلاة فقال الله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان الليل وديوان النهار ولانها بين صلاتى

الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) أى لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (حافظوا) أى داوموا واظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام أركانها وفعلها فى أوقاتها المختصة بها (والصلوة الوسطى) تأنيث الاوسط ووسط كل شئ خيره وأعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل أوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها أوسط الصلوات محلا

﴿فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى﴾ قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعى ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على ابن أبى طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك فى الموطأ وأخرجه الترمذى عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتى فى وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبى سعيد الخدرى ورواية عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن أبى حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك فى الموطأ عن زيد والترمذى عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتى وسط النهار وفى شدة الحر ولانها تأتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن مسعود وأبى أيوب وأبى هريرة وابن عمر وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وعائشة وهو قول عبيدة السلمانى والحسن البصرى وابراهيم النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذى هو قول أكثر

جمع وهى لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وذهب قوم الى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى وأسامة بن زيد لانها فى وسط النهار وهى أوسط صلاة النهار فى الطول أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمى أنا أبو على اللولوى أنا أبو داود أنا محمد ابن المثنى أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثنى عمرو بن أبى حكيم قال سمعت الزبير يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة أشد على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وذهب الاكثرون الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو قول على وعبد الله بن مسعود وأبى أيوب وأبى هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال ابراهيم النخعى وقتادة والحسن أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبى يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما انه قال أمرتنى عائشة ان أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فلما بلغتها آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة رضى الله عنها سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر الزياتى أنا حميد بن زنجويه أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبى النجود عن ذر بن حبيش قال قلنا لعبيدة سل عليا عن الصلاة الوسطى فسأله قال كنا نرى انها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق شغلونا عن

الصحابة

عليه وسلم بالتغليظ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا مسلم بن ابراهيم أنا هشام أنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلاة المغرب لانها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها وقال بعضهم انها صلاة العشاء ولم ينقل عن السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين لانها بين صلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي مطيعين قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس القنوت الطاعة قال الله تعالى أمة قانتة لله أي مطيعا وقال الكلبي ومقاتل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة أخبرنا أبو عثمان سعيد ابن اسمعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا أحمد بن منيع أنا هشيم أنا

الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ماروى عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلوات الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولانها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ماروى عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر أي قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أي نقص وسلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هي الوسطى * المذهب الخامس أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها أثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها الا ان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك أمكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى أبهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولا ان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر وأصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم * وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة

اسمعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شقيل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد خاشعين وقال من القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا كان أحدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشئ أو يحدث نفسه بشئ من أمر الدنيا الا ناسيا وقيل المراد من القنوت طول القيام أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن ابن الزبير عن جابر قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل قال طول القنوت وقيل قانتين أي داعين دليله ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا يدعو على احياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية قيل معناه مصلين لقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل أي مصل قوله تعالى (فان خفتم فرجالا أو ركبانا) فرجالا أي رجالة يقال راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام أو ركبانا على دوابهم وهو جمع راكب معناه ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل * فان قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال * قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهره هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه

واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قانت ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ماروى عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشئ أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا الا ناسيا * قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) أي رجالة (أو ركبانا) يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الآية وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل * فان قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال * قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهره هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه

لاقسام سيأتي بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة انه يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر واذكر الله فاذا ذكرت الله فتلك صلاتك

(فاذا أمنتم فاذكروا الله) أي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) قوله تعالى (والذين يتوفون منكم) يا معشر الرجال (ويذرون) أي يتركون (أزواجا) أي زوجات (وصية لازواجهم) قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية (متاعا الى الحول) متاعا نصب على المصدر أي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج اليه (غير اخراج) نصب على الحال وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير اخراج نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يؤت امرأته شيأ وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا كاملا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا كاملا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا قوله تعالى (فان خرجن) يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح ورفع الجناح عن الرجال وجهان أحدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج فلا نفقة ولا سكنى الى ان نسخه بأربعة أشهر وعشرا (والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف)

قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الأمن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي أربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الأحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لابد منه للجمع بين الأحاديث * وقوله تعالى (فاذا أمنتم) يعني من خوفكم (فاذكروا الله) أي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك * قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يا معشر الرجال (ويذرون أزواجا) يعني زوجات (وصية لأزواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) أي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) أي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصي بذلك فدلت هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أو الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا * فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة * قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء * وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني يا معشر أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح ورفع الحرج عن الورثة وجهان أحدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا (والله عزيز) أي غالب قوي في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم أفعل فأنزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك

حقا على المتقين) انما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك ان فى غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفى هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل انه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل فقال الله تعالى وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال حقا على المتقين يعنى المؤمنين المتقين الشرك (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) قوله تعالى (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر أهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون فخرجت طائفة منها و بقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه ان موتوا فماتوا جميعا أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر من سرغ قال الكلبى ومقاتل والضحاك انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدو لهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم ان الأرض التى تأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب والهموسى وهرون قد ترى معصية عبادك فأرهم آية فى أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله تعالى موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا فى مبلغ عددهم قال عطاء الخراسانى كانوا ثلاثة آلاف وقال وهب أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال أبو رواق عشرة آلاف وقال السدى بضعة وثلاثون ألفا وقال ابن جريج أربعون ألفا وقال عطاء ابن أبى رباح سبعون ألفا وأولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف والالوف لا يقال لما دون عشرة آلاف قالوا فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل ابن بوذى ثالث خلفاء بنى اسرائيل من بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل كان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم

وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة * وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى يبين لكم ما يلزمكم و يلزم أزواجكم أيها المؤمنون وكما عرفتكم أحكامى والحق الذى يجب لبعضكم على بعض فى هذه الآيات كذلك أبين لكم سائر أحكامى فى آياتى التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه قوله عز وجل (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها و بقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقى بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا رأيا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذين يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادى وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدو لهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم ان الارض التى تأتيها بها و باء فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب والهموسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية فى أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر أى ألم تعلم يا محمد باعلامى اياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعانى هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم تر الى صنيع فلان وكل ما فى القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبى صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله

تعالى

فى أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله تعالى موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا فى مبلغ عددهم قال عطاء الخراسانى كانوا ثلاثة آلاف وقال وهب أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال أبو رواق عشرة آلاف وقال السدى بضعة وثلاثون ألفا وقال ابن جريج أربعون ألفا وقال عطاء ابن أبى رباح سبعون ألفا وأولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف والالوف لا يقال لما دون عشرة آلاف قالوا فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل ابن بوذى ثالث خلفاء بنى اسرائيل من بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل كان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم

متعجبا فأوحى الله تعالى اليه تريد أن أريك آية قال نعم فأحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم وقال مقاتل والكلبي هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لاقوم لي فأوحى الله تعالى اليه اني جعلت حياتهم اليك قال حزقيل احيوا

تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع الف والاول أصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى هو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بأمر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد أن أريك آية قال نعم يارب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا به حزقيل أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قوما أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لاقوم لي فأوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله الا أنت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا * فان قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى * قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء أي الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا اذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى (حذر الموت) أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعني ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثر من أنعم الله عليه لا يشكره أما الكافر فانه لم يشكره أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره * قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين

باذن الله فعاشوا قال مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبثون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم باعلامي اياك وهو من رؤية القلب وقال أهل المعاني هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر الى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجهه ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم (وهم ألوف) جمع ألف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع الف مثل قاعد وقعود والصحيح أن المراد منه العدد (حذر الموت) أي خوف الموت (فقال لهم الله موتوا) أمر تحويل كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) قيل هو على العموم في حق الكافة وقيل على الخصوص في حق المؤمنين (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة أعداء الله

(واعلموا أن الله سميع عليم) قال أكثر أهل التفسير هذا خطاب للذين أحيوا أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا وقيل الخطاب لهذه الامة أمرهم بالجهاد قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما أوعدلهم من الثواب قرضا لانهم يعملونه لطلب ثوابه قال الكسائي القرض ما أسلفت من عمل صالح أوسيئ وأصل القرض في اللغة القطع سمي به القرض لانه يقطع به من ماله شيأ يعطيه ليرجع اليه مثله وقيل في الآية اختصار مجازه من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله أي يؤذون عباد الله كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي وقوله عز وجل يقرض الله أي ينفق في طاعة الله قرضا حسنا قال الحسين بن علي الواقدي يعني محتسبا طيبة به نفسه قال ابن المبارك من مال حلال وقال لا يمن به ولا يؤذي (فيضاعفه له) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب فيضعفه وبابه بالتشديد ووافق أبو عمرو في سورة الاحزاب وقرأ الآخرون فيضاعفه بالألف مخففا وهما لغتان ودليل التشديد قوله أضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام وقيل باضمار ان وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقا على قوله يقرض (أضعافا كثيرة) قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف (والله يقبض ويبسط) قرأ أهل البصرة وحمزة يبسطهنا وفي الاعراف بسطة بالسين كنظائرهما وقرأهما الآخرون بالصاد وقيل يقبض بامساك الرزق والنفس والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الاحياء والاماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبرانهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط

على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعني لما يقوله المتعللون عن القتال (عليم) بما يضمره * قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أوسيئ قال أمية بن أبي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * أوسيئا أو مدينا كالذي دانا

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيأ فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد أقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما أنفق (أضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما أبهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق أخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة ويعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم

بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما جاء فى الحديث القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها الله كيف يشاء الحديث (واليه ترجعون) أى الى الله تعودون فيجزيكم بأعمالكم وقال قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية من غير مذكور أى من التراب خلقهم واليه يعودون قوله تعالى (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) والملأ من القوم وجوههم وأشرافهم وأصل الملأ الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش وجمعه أملاء (من بعد موسى) أى من بعد موت موسى (اذ قالوا لنبى لهم) واختلفوا فى ذلك النبى فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم ابن يوسف عليه السلام وقال السدى اسمه شمعون وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله تعالى دعائى والسين تصير شينا بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وقال سائر المفسرين هو اشمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن يال بن علقمة وقال مقاتل هو من نسل هرون وقال مجاهد هو اشمويل وهو بالعبرانية اسمعيل ابن هلقايا وقال وهب وابن اسحق والكلبى وغيرهم كان سبب مسألتهم اياه ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى اسرائيل يوشع ابن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا كذلك حتى قبضه الله تعالى ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله ثم قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبنائهم ملوكهم أربعمائة وأربعين

مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التى يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعنى فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) الملأ أشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) أى من بعد موت موسى أى من بعد زمنه (اذ قالوا) يعنى أولئك الملأ (لنبى لهم) اختلفوا فى ذلك النبى فقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو أشمويل بن يال وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبى بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب فى الجهاد وذلك حاصل

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

كان سبب مسئلة أولئك الملا لذلك النبى أنه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده فى بنى اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبنائهم ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله

غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم من يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله تعالى دعائى فكبر الغلام فاسلمته ليعلم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام ففزع الى الشيخ فقال له يا أبتاه دعوتنى فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام وقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتنى فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنلها وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب بن منبه بعث الله تعالى اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة باحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل

(ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال هل عسيتم) استفهام شك يقول لعلكم قرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهى اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى عسى ربكم (ان كتب) فرض (عليكم القتال) من ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) ان لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) فان قيل فما وجه دخول ان فى هذا الموضع والعرب لا تقول مالك ان لا تفعل وانما يقال مالك لا تفعل قيل دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله تعالى مالك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله تعالى مالكم لا تؤمنون بالله وقال الكسائى معناه وما لنا فى ان لا نقاتل فحذف فى وقال الفراء أى وما يمنعنا ان لا نقاتل فى سبيل الله كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقال الاخفش ان ههنا زائدة معناه وما لنا لا نقاتل فى سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله كانوا فى ديارهم وأوطانهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انما كنا نزهد فى الجهاد اذ كنا ممنوعين فى بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا فى الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا) أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ماسيأتى ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس

دعائى فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعونى فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال نم فان دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى هو الذى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة باحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبى لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) يعنى مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) يعنى لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) * فان قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا * قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا فى أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل فى سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا فى ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين فى بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا فى جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) فى الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبى فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليكم القتال (تولوا) أى أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) يعنى لم يتولوا عن الجهاد هم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ماسيأتى فى قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعنى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون

وقيل له ان صاحبكم الذى يكون طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش طوله الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت اسمه بالعبرانية ساول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمى طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه وكان رجلا دباغا يعمل الأديم قاله وهب وقال السدى كان رجلا سقاء يسقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه وقيل كان خربندجا وقال وهب بل ضلت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت اشمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل عليه السلام فقاس طالوت بالعصا فكانت طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله تعالى ان أملكه عليهم فقال طالوت أما علمت ان سبطى أدنى أسباط بنى اسرائيل وبيتى أدنى بيوت بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت

ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له الملك علينا (ونحن أحق) أولى (بالملك منه) وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط النبوة وسبط المملكة فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما انما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا عليه لانه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير (ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه) اختاره (عليكم وزاده بسطة) فضيلة وسعة (فى العلم والجسم) وذلك انه كان أعلم بنى اسرائيل فى وقته وقيل انه أناه الوحى حين أوتى الملك وقال الكلبى وزاد بسطة فضيلة وسعة فى العلم بالحرب وفى الجسم بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل فى بنى اسرائيل وأعلمهم (والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى والعليم العالم وقيل العالم بما كان والعالم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فذلك قوله تعالى (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وكانت قصة التابوت ان الله تعالى أنزل تابوتا على آدم فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين فكان عند آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان عند اسمعيل لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات موسى عليه السلام ثم تداولته أنبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فيه ماذكر الله تعالى

طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين ابن يعقوب وانما سمى طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقى الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لأبى طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام فى طلبها فمر على بيت اشمويل النبى فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو يدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكر ان له حاجتهما اذ نش الدهن فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت أوما علمت ان سبطى من أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بنى اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ماشأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة فى سبط لاوى بن يعقوب والمملكة فى سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبى (ان الله اصطفاه عليكم) أى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أى فضيلة وسعة (فى العلم) وذلك انه كان من أعلم بنى اسرائيل وقيل انه أوحى اليه حين أوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد فى فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وذلك أنهم سألوا اشمويل النبى فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ماذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد

(فيه سكينة من ربكم) اختلفوا فى السكينة ماهى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وعن مجاهد شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمردوز برجد فكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة وكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار سار واواذا وقف وقفوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وعن وهب بن منبه قال هى روح من الله يتكلم اذا اختلفوا فى شئ يخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبى رباح هى ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة والكلبى السكينة فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم ففى أى مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهرون نفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الالواح التى تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى العالم الذى ربى اشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم (٢١٦) فأحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان لعيلى منوط القربان الذى كانوا

طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان أكبر أولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى أن مات ثم تداوله أنبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ماذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا فى تلك السكينة ماهى فقال على بن أبى طالب هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار سار وا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هى روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبى رباح هى ما يعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم ففى أى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر * وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهرون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لأبى موسى الاشعرى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من ألواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا

ينوطونه به كلا بين فما أخرجا كان للكاهن الذى ينوطه فجعل ابناه كلا ليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الله تعالى الى اشمويل عليه السلام انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وان يعصيانى فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك واياهم فأخبر اشمويل عيليا بذلك ففزع فزعا شديدا فصار اليهم عدو ممن حولهم فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فقال ان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو فشهق ووقع اذا على قفاه من كرسيه ومات فخرج أمر بنى اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه البينة فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت ان الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وشمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فاخرجوه من بيت الصنم ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ فاخرجوه الى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فارا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما فى جوفه فاخرجوه الى الصحراء فدفنوه فى مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبى بنى اسرائيل من أولاد الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على أرض بنى اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فى

اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذى ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بنى اسرائيل وصاحب قربانهم فى زمنه فأحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذى ينوطونه به كلابين فلما أخرجا كانا للكاهن الذى كانا ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الى اشمويل أن انطلق الى عيلى وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وأن يعصيانى فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك وإياهما فأخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فأمر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فأخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل فى التابوت قال أخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فخرج أمر بنى اسرائيل وتفرقوا الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته أن يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره أصحاب الاخبار ان الذين أخذوا التابوت من بنى اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه فى بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما فى جوفه فأخرجوه الى الصحراء ودفنوه فى مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بنى اسرائيل كانت عندهم وهى من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فى أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) أى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار طالوت فأصبح فى داره فأقروا بملكه (ان فى ذلك لآية لكم) يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجىء التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدق فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) أى خرج وأصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فى كل ما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا يتبعنى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع له ثمانون ألفا ممن شرطه وكان فى حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا ان المياه قليلة لا تحملنا فادع الله أن يجرى لنا نهرا

(تحمله الملائكة) أى تسوقه وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فحملته الملائكة حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه (ان فى ذلك لآية) لعبرة (لكم ان كنتم مؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان التابوت وعصى موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل يوم القيامة قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) أى خرج بهم وأصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فى كل ما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه

(قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بنهر قال ابن عباس والسدى هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين أردن وفلسطين عذب (فمن شرب منه فليس منى) أى من أهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) لم يشربه (فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو غرفة بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان قال الكسائى الغرفة بالضم الذى يحصل فى الكف من الماء اذا غرف والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه الا قليلا منهم) نصب على الاستثناء واختلفوا فى القليل الذين لم يشربوا فقال السدى كانوا أربعة آلاف وقال غيره ثلثمائة و بضعة عشر وهو الصحيح لما أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مؤمن وهم بضعة عشر وثلثمائة وروى ثلثمائة وثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال الا الذين لم يشربوا (فلما جاوزه) يعنى النهر (هو) يعنى طالوت (والذين آمنوا معه) يعنى القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى فانحرفوا ولم يجاوزوا (قال الذين يظنون) يستيقنون (أنهم ملاقوا الله) وهم الذين ثبتوا مع طالوت (كم من فئة) جماعة وهى جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفؤن فى الرفع وفئين فى الخفض والنصب (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بقضائه وقدره وارادته (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده يعنى المؤمنين (لجالوت وجنوده) المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا ربنا أفرغ علينا) أنزل واصبب (صبرا وثبت أقدامنا) قوّ قلوبنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام

فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان مسيرهم فى حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم و بين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله أن يجرى لنا نهرا فقال طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو أعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس منى) أى فليس من أهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) أى لم يذقه يعنى الماء (فانه منى) يعنى من أهل طاعتى (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعنى من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة و بضعة عشر رجلا وهو الصحيح و يدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة أخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعنى جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعنى أولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه * فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده * قلت يحتمل أن يكون أهل الايمان وهم الثلثمائة و بضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) أى يستيقنون و يعلمون (أنهم ملاقوا الله) أى ملاقو ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة * قوله عز وجل (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعنى المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أى اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أى قوّ قلوبنا بالتثبت أقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون

فهزموهم باذن الله) أى بعلم الله تعالى (وقتل داود جالوت) وصفة قتله قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود وهى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال لابيه يوما يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيأ الا صرعته فقال له ابشر يا بنى فان الله جعل رزقك فى قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته فأخذت باذنيه فلم يهجنى فقال ابشر يا بنى فان هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه انى لامشى بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معى فقال أبشر يا بنى فان هذا خير أعطاكه الله تعالى فأرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الىّ أو أبرز الىّ من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله تعالى فدعا الله فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد (٢١٩) فقيل ان صاحبكم الذى يقتل جالوت

الاصنام فسال المؤمنون الله أن ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعنى بقضائه وارادته وأصل الهزم فى اللغة الكسر أى كسروهم ورددوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله ماذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيأ الا صرعته فقال له أبوه ابشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته وأخذت باذنه فلم يهجنى فقال له أبوه ابشر يا بنى فان هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال له يا أبتاه انى لامشى بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى فقال يا بنى ابشر فان هذا خير أعطاكه الله تعالى قالوا فأرسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل أن ابرز الىّ وأبرز اليك أو أبرز الىّ من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله فى ذلك فدعا الله فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه أحد منهم فأوحى الله الى نبيهم ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى فجعل يعرضهم واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال لا يشا هل بقى لك ولد غيرهؤلاء فقال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم أنه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبى ان ربى قد كذبك فقال ايشا صدق ربى يا نبى الله ان لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما أزرق أمعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتى وأجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجىء

هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى نبيهم ان فى ولدايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال اعرض على بنيك فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيأ فقال لا يشا هل بقى لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يارب انه زعم أن لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ربى كذبك فقال صدق الله يا نبى الله ان لى ابنا صغيرا يقال له داود استحييت

ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكذا وكان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا أزرق أمعر فدعاه طالوت ويقال بل خرج طالوت اليه فوجد الوادى قد سال بينه وبين الزريبة التى كان يريح اليها فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتى وأجرى خاتمك فى ملكى قال نعم قال وهل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجىء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فاقوم اليه فأفتح لحييه عنها وأخرجهما من قفاه فأخذ طالوت داود وورده الى عسكره فرد داود عليه السلام فى طريقه بحجر فناداه الحجر يا داود احملنى فانى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجر موسى الذى قتل بى ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت فوضعها فى مخلاته فلما تصافوا

للقتال و برز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح و ركب الفرس وسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ماشأنك فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل جالوت كما أريد قال فافعل ماشئت قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود ألقى الله في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الى قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام قال فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال داود عليه السلام نعم أنت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود أو يقسم الله لحمك فقال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور داود عليه السلام المقلاع و رمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخلط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذه بجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجزلى ما وعدتني فقال أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ماشرطت على صداقا وليس لى شئ فقال لا أكلفك الا ماتطيق أنت رجل جرىء وفى حيالنا أعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتى فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها أين بعلك قالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شبربه للخمر وخرج فلما أصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه

الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فافتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود و رده الى العسكر فرد داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فانى حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فانى حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فانى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله فرضع الثلاثة في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح و ركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي لم يغن هذا السلاح عني شيأ وان نصرني فلا حاجة لى به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرزني قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق وأخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلاع و رمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجزلى ما وعدتني به فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ماشرطت على صداقا وليس لى شئ فقال لا أكلفك الا ماتطيق أنت رجل جرىء وفى حيالنا أعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتى فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت وألقاها اليه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت ابنة طالوت لداود انك مقتول في هذه الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي قال فهل أجرمت جرما فقالت حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك قال لئن كان أراد ذلك ما استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها أين بعلك قالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شبربه للخمر وخرج فلما أصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه

فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله تعالى داود هو خيرمني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كانت القابلة أتاه ثانيا وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله فركض على أثره واشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسج عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن

العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله وأغرى على قتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل يطيق قتله الا قتله حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم ان لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الخباز فقال مالك أيها الملك قال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال الخباز انما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له وهل تركت ديكا نسمع صوته ولكن هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال له أرأيتك ان دللتك على عالم لعلك أن تقتله قال لا فتوثق عليه الخباز فأخبره ان المرأة العالمة عنده قال انطلق بي اليها اسألها هل لي من توبة وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الاعظم فاذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي ثم دخلا عليها فقال لها ألست أعظم الناس منة عليك أنجيتك من القتل وآويتك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة هذا

ائتيني بزق خمر فأتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم أقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الارض عالما أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك ان دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فأخبره أن تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز أيها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه ألست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى

طالوت يسال هل لى من توبه فغشى عليها من الفرق فقال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله لا أعلم لطالوت توبة ولكن أعلم مكان قبر نبى فانطلقت بهما الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادت ياصاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم ثلاثتهم قال مالكم أقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة قال اشمويل ياطالوت ما فعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيأ الا أتيته وجئت لطلب التوبة قال له كم لك عيال يعنى كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تقاتل فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط وخر ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدونني قالوا بلى نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا انك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم للقتال حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما أنت بالذى تحيا بعده فضرب عنقه وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل الى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط وقيل الملك والحكمة هو العلم مع العمل قوله تعالى (وعلمه مما يشاء) قال الكلبى وغيره يعنى صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل منطق الطير وكلام الجعل والنمل والذر والخنفساء وحمار قبان وما أشبهها مما لا صوت لها وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وعلم

قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت ياصاحب القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال مالكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل ياطالوت مافعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيأ الا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال اشمويل ياطالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذونى منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما آمركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا انك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى أن قتل مدة أربعين سنة فأتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم وأعطوه خزائن طالوت قال الكلبى والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى سبط وقيل الحكمة هى العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) أى

وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى ويسكن الريح وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدبرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث فى الهواء حدث الا صلصت السلسلة فعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ وكانوا لا يتحاكمون الا اليها بعد داود عليه السلام الى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا ان بعض ملوكها أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذى عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندى من وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازتى هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التى يدعيها على قد وصلت اليه فقرب منى السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة

قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) قرأ أهل المدينة ويعقوب دفاع الله بالالف ههنا وفي سورة الحج وقرأ الآخرون بغير الالف لان الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده ومن قرأ بالالف قال قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب أحسن الله عنك الدفاع قال ابن عباس ومجاهد ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقال سائر المفسرين لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر أخبرنا أحمد ابن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنحويه أنا أبو بكر بن خرجة أنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة عن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض (لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الامام وما أوتي نبي آية الا أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل

وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجنة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه أو أنكره حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى أن ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة أنكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة ردّ علي الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة * قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار (لفسدت الارض) يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف وأماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق) أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وأن الذي تخبر به وحي من الله تعالى * قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجمعت الامة على أن الانبياء بعضهم أفضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) أي من الرسل (من كلم الله) أي كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة

انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والارض عن الاتيان بمثله أخبرنا أبو بكر يعقوب ابن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي أخبرنا أبو العباس بن محمد بن اسحاق الثقفي أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من

الآيات ما أمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله ابن عمر الجوهري أنا أحمد ابن علي الكشميهني أنا علي ابن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) ثبت على ايمانه بفضل الله (ومنهم من كفر) بخذلانه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أعاده تأكيدا (ولكن الله يفعل ما يريد) يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا سأل رجلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال هو طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله في الارض قد خفي عليك فلا تفتشه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قيل

سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتي نبي من الانبياء آية أو معجزة الا أوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز أهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بي النبيون * فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم * قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من أشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه وقوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وأيدناه بروح القدس) أي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى أن رفعه الى عنان السماء السابعة * فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء * قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضا فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء الله) أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل عليا بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال هو طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم)

صدقة التطوع والنفقة فى الخير (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) أى لا فداء فيه سمى بيعا لان الفداء شراء نفسه (ولا خلة) ولا صداقة (ولا شفاعة) الا باذن الله قرأ ابن كثير وأهل البصرة كلها بالنصب وكذلك فى سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال و فى سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحى القيوم) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزيانى أنا حميد ابن زنجويه أنا ابن أبى شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريرى عن أبى السليل عن عبد الله بن رباح الانصارى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أى آية من كتاب الله أعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم قال فضرب فى صدرى ثم قال ليهنك العلم يا أبا المنذر ثم قال والذى نفس محمد بيده ان لهذه الآية لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسمعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى محتاج ولى عيال ولى حاجة شديدة قال فخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعنى فانى محتاج ولى عيال ولا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هى قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم انه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله قال وما هى قلت قال لى اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية الله لا اله الا هو الحى القيوم وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص الناس على الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزيانى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن ابن أبى بكر هو المليكى عن زرارة بن مصعب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسى وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ فى يومه ذلك حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ فى ليلته تلك حتى يصبح قوله عز وجل الله رفع بالابتداء وخبره فى لا اله الا هو الحى الباقى الدائم على الأبد وهو من له الحياة والحياة صفة الله تعالى القيوم قرأ عمر وابن مسعود القيام وقرأ علقمة القيم وكلها لغات بمعنى واحد قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ قال الكلبى القائم على كل نفس وقيل هو القائم بالامور وقال أبو عبيدة الذى لا يزول

قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) أى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتى يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) أى ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحى القيوم)

﴿ فصل فى فضل هذه الآية الكريمة ﴾ عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى أخرجه الترمذى قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل فى قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هى سيدة آى القرآن أى أفضله (م) عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم * قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان أى آية فى القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسى بكونها أعظم آية فى القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة

فهذه أصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكره من توحيد وتعظيم كان أعظم الاذكار وفى هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الاشعرى وأبو بكر الباقلانى قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضى نقص المفضول وليس فى كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم أجر القارئ أو جزيل ثوابه وقول ان هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسى وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسى ومن قرأها حين يمسى حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفى الالهية عن كل ما سواه وأثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه أبلغ من قولك زيد كريم الحى يعنى الباقى على الابد الدائم بلا زوال والحى فى صفة الله تعالى هو الذى لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه فى ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذى يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب فالسنة هى أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبى موسى الأشعرى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفى رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه * شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيى الدين النووى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل فى حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذى يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذى هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه أى يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال العباد فى الليل بعد انقضائه فى أول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه فى أول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء فى آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله فى اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا أو نارا لانهما يمنعان من الادراك فى العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط

(لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسنا وسنة والنوم هو الثقيل المزيل للقوة والعقل قال المفضل الضبى السنة فى الرأس والنوم فى القلب فالسنة أول النوم وهو النعاس وقيل السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء نفى الله تعالى عن نفسه النوم لانه آفة وهو منزه عن الآفات ولانه تغير ولا يجوز عليه التغير أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحى أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبى أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا على بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ورواه المسعودى عن عمرو بن مرة وقال حجابه النار

(له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) بأمره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقال الكلبي ما بين أيديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم وما خلفهم من الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن جريج ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقال مقاتل ما بين أيديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم وقيل ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه (ولا يحيطون بشئ من علمه) أي من علم الله (الا بما شاء) ان يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشئ من علم الغيب الا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والارض) أي ملأ وأحاط به واختلفوا في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هريرة رضي الله عنه الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله وسع كرسيه السموات والارض أي سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السموات السبع والارضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسة وقيل كرسيه ملكه وسلطانه والعرب تسمي الملك القديم كرسيا

بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما في يديه في كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن أبي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم * قوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض) يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه * فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات * قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) أي بأمره وهذا استفهام انكاري والمعنى لا يشفع عنده أحد الا بأمره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فأخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال أحاط بالشئ اذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعني أن يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال أحدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير

(ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يشق عليه يقال آدنى الشئ أى أثقانى (حفظهما) أى حفظ السموات والارض (وهو العلى) الرفيع فوق خلقه والمتعالى عن الاشباه والانداد وقيل العلى بالملك والسلطنة (العظيم) الكبير الذى لا شئ أعظم منه قوله تعالى (لا اكراه فى الدين) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة

من النساء التى لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش ولدها جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت هذه الآية لا اكراه فى الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم وقال مجاهد كان ناس مسترضعين فى اليهود من الأوس فلما أمر النبى صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم فنزلت لا اكراه فى الدين وقال مسروق كان لرجل من الانصار من بنى سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخلى سبيلهما وقال قتادة وعطاء نزلت فى أهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل أو أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود

الذى يصح التمكن عليه القول الثانى ان الكرسى غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة والكرسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع فى الكرسى كدراهم سبعة ألقيت فى ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أبى البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبنى آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترقت حملة الكرسى من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسى يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز (ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) أى حفظ السموات والارض (وهو العلى) أى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب له أن يوصف به من معانى الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالى عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو فى صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعنى انه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو فى صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذى هو من نعوت الاجسام * قوله عز وجل (لا اكراه فى الدين) سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة وهى التى لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته فى اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه فى الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت فى أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل فى أهل الكتاب لا اكراه فى الدين يعنى اذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود

لا اكراه فى الدين فخلى سبيلهما وقال قتادة وعطاء نزلت فى أهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما أسلموا طوعا أو كرها أنزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فأمر بقتال أهل الكتاب الى أن يسلموا أو يقروا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الاسلام وقيل كان هذا فى الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف وهو قول ابن مسعود

رضي الله عنهما (قد تبين الرشد من الغي) أي الايمان من الكفر والحق من الباطل (فمن يكفر بالطاغوت) يعني بالشيطان وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقيل كل ما يطغى الانسان فاعول من الطغيان زيدت التاء فيه بدلا من اللام الفعل كقولهم جانوت وتابوت فالتاء فيهما بدل من هاء التأنيث (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى (لا انفصام لها) لا انقطاع لها (والله سميع) لدعائك اياهم الى الاسلام (عليم) بحرصك على ايمانهم قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا) ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم

مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون الا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا اكراه في الدين أي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر أن يتوب أولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين (عليم) بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم * قوله عز وجل (الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من الهدى الى الضلالة * فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط * قلت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه أخرجني عن مالك اذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عز وجل (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على

وقيل متولي أمورهم لا يكلهم الى غيره وقال الحسن ولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان قال الواقدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير التي في سورة الانعام وجعل الظلمات والنور فالمراد منه الليل والنهار سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) قال مقاتل يعني كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) يدعونهم من النور الى الظلمات والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا وواحدا وجمعا قال تعالى في المذكر والواحد يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات فان قيل كيف يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار قالوا منعهم اياهم من الدخول فيه اخراج كما يقول الرجل لابيه أخرجني من مالك ولم يكن فيه كما قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله تعالى (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) معناه هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي حاج ابراهيم أي خاصم وجادل وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية

(أن آتاه الله الملك) أولان آتاه الله الملك فطغى أى كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المناظرة قال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذى تدعونا اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت وقال آخرون كان هذا بعد القائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه الرجل فى طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فاتاه ابراهيم فيمن أتاه فقال له نمرود من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت فاشتغل بالحاجة ولم يعطه شيأ فرجع ابراهيم فمر على كثيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو أجود طعام رأته أخذت فصنعت له منه فقربته اليه فقال من أين هذا قالت من الطعام الذى جئت به فعرف أن الله رزقه فحمد الله قال الله تعالى (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له من ربك فقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قرأ حمزة ربى الذى يحيى ويميت باسكان الياء وكذلك حرم ربى الفواحش وعن آياتى الذين يتكبرون وقل لعبادى الذين وآتانى الكتاب ومسنى الضر وعبادى الصالحون وعبادى الشكور ومسنى الشيطان وان أرادنى الله وان أهلكنى الله أسكن الياء فيهن حمزة ووافق ابن عامر والكسائى فى لعبادى الذين آمنوا وابن عامر آياتى الذين وفتحها الآخرون (قال) نمرود (أنا أحيى وأميت) قرأ أهل

تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم ترالى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنعه والذى حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أى لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وقيل كان هذا بعد القائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه أحد يمتار سأله من ربك فيقول أنت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر على كثيب رمل أعفر فأخذ منه تطيبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام أجود ما رآه أحد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك أن آمن بى وأترك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى رأسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت (قال) يعنى قال نمرود (أنا أحيى وأميت) قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة أخرى لاعجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم أن يقول لنمرود فأحى من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض الفعل بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) يعنى تحير نمرود

المدينة اثباتها الالف والمد فى الوصل اذا تلقتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الألف ووقفوا جميعا بالالف قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل اماتة وترك القتل احياء فانتقل ابراهيم الى حجة أخرى ليعجزه فان حجته كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان له ان يقول فأحى من أمت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) أى تحير ودهش وانقطعت حجته فان قيل كيف بهت وكان يمكنه ان يعارض ابراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأتى بها من المغرب قيل انما لم يقله لانه خاف ان لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان زيادة فى فضيحته وانقطاعه والصحيح ان الله صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه أو معجزة لابراهيم عليه السلام

ودهش

(والله لا يهدى القوم الظالمين) قوله تعالى (او كالذى مر على قرية) وهذه الاية منسوقة على الاية الاولى تقديره ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم فى ربه وهل رأيت كالذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو الخضر وقال مجاهد هو كافر شك فى البعث واختلفوا فى تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض المقدسة وقال الكلبى هى دير سابر أباد وقال السدى مسلم أباد وقيل دير هرقل وقيل هى الارض التى أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس (وهى خاوية) ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا (على عروشها) سقوفها واحدها عرش وقيل كل بناء عرش ومعناه ان السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها (قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها) وكان السبب فى ذلك على ماروى محمد بن اسحاق عن وهب ابن منبه ان الله تعالى بعث أرميا الى ناشية بن أموص ملك بنى اسرائيل ليسدده فى ملكه ويأتيه بالخير من الله عزوجل فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله تعالى الى أرميا أن ذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال أرميا انى ضعيف ان لم تقوّنى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله عزوجل أنا ألهمك فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله تعالى وانى أحلف بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرميا انى مهلك بنى اسرائيل يافث ويافث من أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه يا أرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى وعزتى لا أهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح أرميا بذلك وطابت

ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف أنه لا يطيق ذلك * فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه أن يقول لابراهيم سل أنت ربك حتى يأتى بها من المغرب * قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود * قوله عزوجل (أو كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم أو الى الذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد أنه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز أن يكون ذلك المار هو عزير وجائز أن يكون أرمياء وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو أمى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى دير سابر اباد وقيل سلماباد وقيل هى دير هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر اباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو قرية من نواحى جرجان وقيل أيضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها أحيا الله حمار عزير (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت أولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب أرنى كيف تحيى الموتى ومعنى أنى يحيى هذه الله من أين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فأحب الله ان يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث أرميا الى ناشية بن أموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخير من الله تعالى فعظمت الاحداث فى

نفسه فقال لا والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح فقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان عفا عنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ست مائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الملك الخبر فقال لارميا أين ما زعمت ان الله أوحى اليك فقال أرميا ان الله لا يخلف الميعاد وأنابه واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى أرميا ملكا قد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أتيتك

استفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الاحسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم قال أحسن فيما بينك و بين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له أرميا أما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال له النبى أرميا عليه السلام ارجع فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فانصرف الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لأرميا يا نبى الله أين ما وعدك الله قال انى بربى واثق ثم أقبل الملك الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى جئتك فى شأن أهلى مرتين فقال أرميا أما آن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له أرميا على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فأتيتك لاخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال أرميا يا مالك السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على

بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله تعالى الى أرميا أن ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم الىّ فقال أرميا يارب انى ضعيف ان لم تقوّنى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى ألهمك فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى أحلف بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولأسلطن عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى اليه انى مهلك بنى اسرائيل بيافث و يافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرميا ذلك صاح و بكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه و بكاءه ناداه يا أرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل مالا أسرّ به فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح أرميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر فقل الوحى وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا وأتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل قال لارميا أين ما زعمت ان الله تعالى أوحى اليك فقال أرميا ان الله لا يخلف الميعاد وأنابه واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى أرميا ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم الاحسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخطا لى فأفتنى فيهم فقال أرميا أحسن فيما بينك و بين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له أرميا أما طهرت أخلاقهم بعدلك فيهم فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال أرميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم أقبل ذلك الملك الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال النبى ألم يأن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله فقال النبى على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله فغضبت لله وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فى أرميا

أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن النبى عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه فى بيت المقدس ففعلوا حتى ملأوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان من

عمل لا ترضاه فاهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن أرمياء أنها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان فى أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا فى البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان أرمياء ربط حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقى عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر بتعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يأمرك أن تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يأمرك أن تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق

أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشأم وكانت هذه الواقعة الاولى التى أنزلها الله فى بنى سرائيل بظلمهم فلما ولى عنهم بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل أرمياء على حماره معه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وقال الذى قال ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبى بنى اسرائيل بابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل

فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا فى البعث رجعنا الى حديث وهب قال ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده فاعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال ان الله يأمرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك بألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل

وجعلوا يعمرونها فأهلك الله بختنصر بعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل ولم يمت بابل أحد وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودى ان الله يأمرك ان تكتسى لحما وجلدا فكانت كذلك ثم نودى ان الله يأمرك ان تحيا فقام باذن الله ونهق وعمر الله أرميا فهو الذى يرى فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أى أحياه (قال كم لبثت) أى كم مكثت يقال لما أحياه الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى فى أول النهار وأحياه بعد مائة عام فى آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) بل بعض يوم (قال) له الملك (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين (وشرابك) يعنى العصير (لم يتسنه) أى لم يتغير فكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته قال الكسائى كأنه لم تأت عليه السنون وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل وكذلك فبهداهم اقتده وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلا ووقفا فمن أسقط الهاء فى الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال أصله يتسنى فحذف الياء بالجزم وأبدل منه هاء فى الوقف وقال أبو عمرو هو من التسنن بنونين وهو التغير كقوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير فعوضت من احدى النون ياء كقوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتمطط وقوله وقد خاب من دساها وأصله دسسها ومن أثبت الهاء فى الحالين جعل الهاء أصلية لام الفعل وهذا على قول من جعل أصل السنة السنهة وتصغيرها سنيهة والفعل من المسانهة وانما قال لم يتسنه ولم يثنه مع انه أخبر عن شيئين ردا للمتغير الى أقرب اللفظين به وهو الشراب واكتفى بذكر أحد المذكورين لانه فى معنى الآخر (وانظر الى حمارك) فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها ومعناه

وعمر الله أرميا فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فأماته الله مائة عام) أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها (ثم بعثه) أى ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة اذا أثرتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى فى أول النهار وأحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشرابك) يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى لم تغيره السنون التى أتت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) أى وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز فمشط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء ومعناه

على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرون وقال الضحاك وغيره انه عاد الى قريته شابا وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية قوله تعالى (وانظر الى العظام كيف ننشزها) قرأ أهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا ونشره نشورا قال الله تعالى ثم اذا شاء أنشره وقال فى اللازم واليه النشور وقرأ الآخرون بالزاى أى نرفعها من الارض ونردها الى مكانها ونركب بعضها على بعض وانتشاز الشئ رفعه وازعاجه يقال أنشزته فنشز أى رفعته فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون أراد به عظام حماره وقال السدى ان الله تعالى أحيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم (ثم نكسوها لحما) ثم كسى العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ منخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل وذلك ان الله تعالى لما أماته هو فأحياه الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما وافقا كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام وانظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير وتقدير الآية وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وهذا قول قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما والسدى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما لما أحيا الله تعالى عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة

كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير وقالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا
قال فانى أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال فانى أنا عزير كان الله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت فان
عزيرا كان رجل مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية فادع الله أن يرد لى بصرى حتى

ومعناه كيف نحييها يقال أنشر الله الميت انشارا يعنى أحياه وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض
ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه وانزعاجه يقال نشزته فنشز أى
رفعته فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى أحيا عزيرا
أو أرمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا
فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت
الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم
فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح
فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى أماته
ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم
يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله
أول ما أحيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر
الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما أحيا الله عزيرا بعد
ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فأنكره الناس وأنكروا الناس وأنكر منازله فانطلق على
وهم حتى أتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير
عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت
وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة
سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله تعالى أماتنى مائة سنة ثم أحيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب
الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله أن يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا
عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها
فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت أشهد أنك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم
وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة و بنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها
فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا لى عزير ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد أماته مائة
سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن
كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن
من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة
فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة و بعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال انى عزير وقد
بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة
فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى
*وقوله تعالى (فلما تبين له) يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية ورآه عيانا فى نفسه (قال أعلم)
قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم وقرئ أعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذى
قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال أعلم (أن الله على كل شئ قدير) يعنى

أراك فان كنت عزيرا
عرفتك فدعا ربه ومسح
يده على عينيها فصحتا وأخذ
بيدها وقال قومى باذن الله
تعالى فأطلق الله رجليها
فقامت صحيحة فنظرت اليه
فقالت أشهد أنك عزير
فانطلقت الى بنى اسرائيل
وهم فى أنديتهم ومجالسهم
وابن لعزير شيخ كبير ابن
مائة سنة وثمانية عشرة سنة
و بنو بنيه شيوخ فى المجلس
فنادت هذا عزير قد جاءكم
فكذبوها فقالت أنا فلانة
مولاتكم فدعا لى ربه فرد على
بصرى وأطلق رجلى وزعم
ان الله كان أماته مائة سنة
ثم بعثه فنهض الناس فأقبلوا
اليه فقال ولده كان لابى شامة
سوداء مثل الهلال بين كتفيه
فكشف عن كتفيه فاذا هو
عزير وقال السدى والكلبى
لما رجع عزير الى قومه وقد
أحرق بختنصر التوراة ولم
يكن من الله عهد بين الخلق
فبكى عزير على التوراة فأتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه من
ذلك الماء فثبتت التوراة فى
صدره فرجع الى بنى اسرائيل
وقد علمه الله التوراة و بعثه
نبيا فقال أنا عزير فلم
يصدقوه فقال انى عزير
قد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا أملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة فى صدر رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه
فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة براءة ان شاء الله تعالى (فلما تبين له) ذلك عيانا (قال أعلم) قرأ حمزة والكسائى مجزوما موصولا على
الأمر على معنى قال الله تعالى له اعلم وقرأ الآخرون أعلم بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزير انه قال لما رأى ذلك اعلم (أن الله على
كل شئ قدير)

قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى) قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج كان سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام انه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء في بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان اذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فاوقع منها يصير في البحر فاذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها يصير ترابا فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم عليه السلام تعجب منها وقال يارب قد علمت انك لتجمعنها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لاعاين فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال أولم تؤمن قال بلى) يارب علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي الى المعاينة والمشاهدة أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تبارك وتعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له

نمرود أنت عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأله ربه ان يريه

احياء الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل أنت عاينته فاقول نعم قد عاينته وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله تعالى ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم عليه السلام أغير الناس اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار عليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب هذه الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك بان الله تعالى قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل

الاماتة والاحياء * قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف الدواب فارني كيف تحييها لأعاين ذلك فأزداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال أولم تؤمن) يعني أولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي عند المعاينة أراد ابراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه أحب أن يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب ابراهيم أن يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر ابراهيم أن يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل أنت عاينته فأقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فأتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من أغير الناس وكان اذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل

اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل قال فما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك وقال

فحينئذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أحمد بن صالح أنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى حكى محمد بن اسحق بن خزيمة عن أبي ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزني انه قال على هذا الحديث لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابراهيم في ان الله قادر على أن يحيي الموتى وانما شكا في انه هل يجيبهما الى ما سألا وقال أبو سليمان الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول

اذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الاعلام ان المسئلة من ابراهيم عليه لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه قوله أولم تؤمن معناه قد آمنت فلم تسأل شهد له بالايمان كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

يعني أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد وعطاء وابن جريج أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وحكى عن ابن عباس رضي الله عنه ونسرا بدل الحمامة وقال عطاء الخراساني أوحى اليه أن خذ بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر (فصرهن اليك) قرأ أبو جعفر وحمزة فصرهن اليك بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن يقال صاره يصيره صيرا اذا قطع وانصار الشيء انصارا اذا انقطع قال الفراء هو مقلوب من صريت أصري صريا اذا قطعت وقرأ الآخرون فصرهن بضم الصاد ومعناه أملهن اليك ووجههن يقال صرت الشيء أصوره اذا أملته ورجل أصور اذا كان مائل العنق وقال عطاء معناه اجمعهن واضممهن اليك يقال صار يصور صورا

وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي * القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الأنبياء لكنت أنا أحق به من ابراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا أنا أولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا أو قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم أي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم أولم تؤمن الالف في أولم تؤمن ألف اثبات وايجاب كقول جرير * ألستم خير من ركب المطايا * أي ألستم كذلك والمعنى أولست قد آمنت وصدقت أني أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم انك قد أجبتني (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة * فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة * قلت لان الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته * فان قلت لم خص هذه الأربعة الاجناس من الطير بالاخذ * قلت فيه اشارة ففي الطاوس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى أن الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه اذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور ومن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاء بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ لانه يدل عليه وقال أبو عبيدة فصرهن معناه قطعهن أيضا والصور القطع قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) قرأ عاصم برواية أبي بكر جزأ مثقلا مهموزا والآخرون بالتخفيف والهمزة وقرأ أبو جعفر مشددا الزاي بلا همز وأراد بعض الجبال قال المفسرون أمر الله ابراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال واختلفوا في

عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقال ابن جريج والسدى جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الآخر وكل بضعة تصير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا فى الهواء بغير رأس ثم أقبلن الى رؤسهن سعيا فكلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) (٢٣٨) قيل المراد بالسعى الاسراع والعدو وقيل المراد به المشى دون الطير كما قال الله تعالى فاسعوا الى ذكر

يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا فى عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن يجعلها أربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض فى السماء بغير رؤس ثم أقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعى الاسراع والعدو وقيل المشى والحكمة فى سعى الطيور اليه دون الطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور أو أن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعى المشى والمراد بالمشى الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعى هو الحركة الشديدة (واعلم أن الله عزيز) يعنى انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ (حكيم) يعنى فى جميع أموره * قوله عزوجل (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قيل أراد به الانفاق فى الجهاد وقيل هو الانفاق فى جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله (كمثل حبة) أى كمثل زارع حبة (أنبتت) يعنى أخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) * فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها * قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود فى الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح أنه اذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغى له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغى لمن طلب الاجر عند الله فى الآخرة أن لا يترك الانفاق فى سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعنى انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) أى غنى يعطى الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال (عليم) يعنى بنية من ينفق فى سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه * قوله عزوجل (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله)

الله أى فامضوا والحكمة فى المشى دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان أرجلها غير سليمة والله أعلم وقيل السعى بمعنى الطيران (واعلم أن الله عزيز حكيم) قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) فيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم (كمثل) زارع (حبة) وأراد بسبيل الله الجهاد وقيل جميع أبواب الخير (أنبتت) أخرجت (سبع سنابل) جمع سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) فان قيل فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف يضرب المثل به قيل ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به وان لم يوجد معناه فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله فيها وقيل هو موجود فى الدخن وقيل معناه انها ان بذرت أنبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذى كان فيها كان مضافا اليها وكذلك تأوله الضحاك فقال كل سنبلة أنبتت مائة حبة قيل (والله يضاعف لمن يشاء) قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) غنى يعطى عن سعة (عليم) بنية من ينفق ماله قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قال الكلبى نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسى وعيالى أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت وأما عثمان فجهز جيش المسلمين فى غزوة

تبوك بالف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده و يقلبها و يقول ماضر ابن عفان ماعمل بعد اليوم فأنزل الله تعالى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله فى طاعة الله (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول أعطيتك كذا و يعد نعمه عليه فيكدرها (ولا أذى) هو أن يعيره فيقول الى كم تسأل وكم تؤذينى وقيل من الاذى هو أن يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال سفيان مناولا أذى هو أن يقول قد أعطيتك فما شكرت قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم كان أبى يقول اذا أعطيت رجلا شيأ و رأيت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله على عباده المنّ بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير (لهم أجرهم) أى ثوابهم (عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف) أى كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبى دعاء صالح يدعو لاخيه بظهر الغيب وقال الضحاك نزلت فى اصلاح ذات البين (ومغفرة) أى تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره وقال الكلبى والضحاك يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة)

قيل نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها و يقلبها و يقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم فأنزل الله تعالى الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى ولعيالى أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربى عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) أى لا يتبع نفقته التى أنفقها عليهم بالمن والاذى وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحنى الله منك وأمثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة و يكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فمنى علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودرّ منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الانسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان أبى يقول اذا أعطيت رجلا شيأ و رأيت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المنّ

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

أتيت قليلا ثم أسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل اذا عرفت هذا فقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو أن يشكو منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله * فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق * قلت المنان فى صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسانه اليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما * وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى فى الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب (ومغفرة) أى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعنى هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى تدفعها الى الفقير (يتبعها أذى) وهو أن يعطى الفقير الصدقة و يمن عليه بها و يعيره بقول أو يؤذيه بفعل (والله غنى) أى مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لا يحتاج الى أحد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعنى أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده و يؤذى بصدقته * قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعنى أجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذى) أى كابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس)

يدفعها اليه (يتبعها أذى) أى منّ وتعيير للسائل أو قول يؤذيه (والله غنى) أى مستغن عن صدقة العباد (حليم) لا يعجل بالعقوبة على من يمن و يؤذى بالصدقة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجور صدقاتكم (بالمنّ) على السائل وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالمن على الله تعالى (والأذى) لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال (كالذى ينفق ماله) أى كابطال الذى ينفق ماله (رئاء الناس) أى مراآة وسمعة

ليروا نفقته ويقولوا انه كريم سخي (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يريد ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مرائي (فمثله) أي مثل هذا المرائي (كمثل صفوان) وهو الحجر الاملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفي (عليه) أي على الصفوان (تراب فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) أي أملس والصلد الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي ويرى الناس في الظاهر ان لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لانه لم يكن لله كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسمعيل بن جعفر أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن

في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود أخبرنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني الوليد ابن أبي الوليد أبو عثمان المدائني ان عقبة بن مسلم حدثه أن أبا سفيان الاصبحي حدثه انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا قال أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له أنشدك الله بحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فقال بلى يا رب قال فماذا عملت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيما قتلت فيقول يا رب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة قوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله تعالى (وتثبيتا من أنفسهم) قال قتادة احتسابا وقال الشعبي والكلبي تصديقا من أنفسهم أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يعلمون انه أخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باخلاف الله عليهم وقال عطاء ومجاهد يثبتون أي يضعون أموالهم قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يثبت فان كان لله أمضى وان كان يخالطه شك أمسك وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا أي تبتلا

أي مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي (عليه تراب) أي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه * قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعني على الانفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت وقيل احسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات

(كمثل جنة) أى بستان قال المبرد والفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) قرأ ابن عامر وعاصم بربوة والى ربوة فى سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الآخرون بضمها وهى المكان المرتفع المستوى الذى تجرى فيه الانهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها أحسن وأزكى (أصابها وابل) مطر شديد كثير (فآتت أكلها) ثمرها قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف وقرأ الباقون بالتثقيل وزاد نافع وابن كثير تخفيف أكله والاكل وخفف أبو عمرو رسلنا ورسلكم ورسلهم وسبلنا (ضعفين) أى أضعفت فى الحمل قال عطاء حملت فى سنة من الربع ما يحمل غيرها فى سنتين وقال عكرمة حملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) أى فطش وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائما قال السدى هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فيقول كما

طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما أنفقوا خيرلهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة أمضاها وان خالطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) أى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها أحسن وأزكى اذا كان لها من الماء ما يربيها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت أكلها ضعفين) أى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الربع ما يحمله غيرها فى سنتين وقيل أضعفت فحملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) أى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تربع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لا يمن بها ولا يؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عز وجل (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى أيود يعنى أيحب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب انما خصهما بالذكر لانهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (وأصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة * فان قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل * قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعنى له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعنى أصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل

ان هذه الجنة تربع فى كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثر كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت وذلك ان الطل اذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد (والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار) هذه الآية متصلة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى أيود يعنى أيحب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار (له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار ضعاف عجزة (فاصابها اعصار) وهو الريح العاصف التى ترتفع الى السماء كانها عمود وجمعه أعاصير (فيه نار فاحترقت) هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائى يقول عمله فى حسنه كحسن

الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة فاذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها لكبره وضعف أولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائى حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا اقالة قال عبيد بن عمير قال عمر رضى الله عنه يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قالوا الله أعلم فغضب عمر رضى الله عنه فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس رضى الله عنهما ضربت مثلا لعمل فقال عمر رضى الله عنه أى عمل فقال ابن عباس رضى الله عنهما لعمل منافق ومراء قال عمر رضى الله عنه لاى رجل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى

أحرق أعماله (كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات) من خيار قال ابن مسعود رضى الله عنه ومجاهد من حلالات (ما كسبتم) بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد أخبرنا الأعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعيد عن خالد ابن معدان عن المقدام بن معديكرب انه حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه أخبرنا أبو القاسم يحيى بن على بن محمد الكشميهني أخبرنا نجاح بن يزيد الحارثي بالكوفة أخبرنا أبو جعفر محمد ابن على بن دحيم الشيباني أخبرنا احمد بن حازم أخبرنا يحيى ابن عبيد أخبرنا أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد ابن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل الله منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ـ (ومما ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقها وهو أحوج ما يكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة مالا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) أى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من أصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار أخرجه الترمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لا تجب الزكاة بحكم التجارة فى العروض الا أن ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبى عمرو بن حماس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنق أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدى زكاتك يا حماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فأخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتى درهم أخرج منه ربع العشر ﴿المسئلة الثانية﴾ فى قوله تعالى

ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والزكاة واجبة فى مال التجارة عند أكثر أهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كان قيمتها عشرين دينارا أو مائتى درهم قال سمرة بن جندب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع وعن أبى عمرو بن حماس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عنق أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدى

زكاتك ياخماس فقلت مالى غيرهذا واهب فى القرظ فقال ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة قوله تعالى (ومما أخرجنا لكم من الارض) قيل هذا أمر باخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على ايجاب العشر فى النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء أو من نهر يجرى الماء اليه من غير مؤنة وان كان مسقيا بسانية أو بنضح ففيه نصف العشر أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنى يونس بن زيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعى أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عثمان بن أسيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى زكاة الكرم يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدى زكاته زبيبا كما يؤدى زكاة النخل تمرا واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب فذهب قوم الى انه لا عشر فى شئ منها وهو قول ابن أبى ليلى والشافعى رضى الله عنه وقال الزهرى والاوزاعى ومالك رضى الله عنهم يجب فى الزيتون وقال أبو حنيفة رضى الله عنه يجب العشر فى جميع البقول والخضراوات كالثمار الا الحشيش والحطب وكل ثمرة أو جبنا فيها الزكاة فانما يجب بيدو الصلاح ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وكل حب أوجبنا فيه العشر فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر فى شئ منها حتى تبلغ خمسة أوسق عند أكثر أهل العلم وعند أبى حنيفة رحمه الله يجب فى كل قليل وكثير منها واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن المرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمسة أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة وروى يحيى بن عبادة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق وقال قوم الآية فى صدقات التطوع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزيانى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كان له به صدقة

(ومما أخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة فى كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى فى أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية ﴿المسئلة الثالثة﴾ يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر أخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يستقى عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر فى كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بما روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم

قوله تعالى (ولا تيمموا) قرأ ابن عامر برواية البزى بتشديد التاء فى الوصل فيهما وفى آخواتها وهى احدى وثلاثون موضعا فى القرآن لانه فى الاصل تا آن أسقطت احداهما فردهوا الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا (الخبيث منه تنفقون) روى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل اقناء من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين الاسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل منهم يعمل فيدخل قنوا لحشف وهو يظن

يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) أى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردى من أموالكم (منه تنفقون) أى من الخبيث عن البراء بن عازب فى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم اهدى اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتى أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعنى الردى منه تنفقون يعنى تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعنى ذلك الشئ الخبيث الردىء (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردىء لان أهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردىء (واعلموا أن الله غنى) يعنى عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) أى محمود فى أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أى أجركم على ما تفعلونه من الخير * قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال فى الخير وعدته وفى الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبى كل فحشاء فى القرآن فهى الزنا الا هذا الموضع وفى هذه الآية لطيفة وهى ان الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمره بالفحشاء وهى البخل وذلك لان البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهى التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعنى مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعنى رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان

انه جائز عنه فى كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث أى الحشف والردى وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث الردىء منه تنفقون (ولستم بآخذيه) يعنى الخبيث (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض غض البصر وأراد ههنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض له عن حقه وتركه وقال الحسن وقتادة لو وجدتموه يباع فى السوق ما أخذتموه بسعر الجيد وروى عن البراء قال لو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم هذا اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردىء لان أهل السهمان شركاؤه فيما عنده فان كان كل ماله

رديئا فلا بأس باعطاء الردىء (واعلموا أن الله غنى) عن صدقاتكم (حميد) محمود فى أفعاله (الشيطان يعدكم الفقر) للشيطان أى يخوفكم بالفقر ويقال وعدته خيرا وعدته شرا قال الله تعالى فى الخير وعدكم الله مغانم كثيرة وقال فى الشر النار وعدها الله الذين كفروا فاذا لم يذكر الخير والشر قلت فى الخير وعدته وفى الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر الفقار ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) أى بالبخل ومنع الزكاة وقال الكلبى كل الفحشاء فى القرآن فهو الزنا الا هذا (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) أى لذنوبكم

(والله واسع) غني (عليم) أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول ابن آدم انفق أنفق عليك وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع (٢٤٥) ويخفض أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عبد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها انفق ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء) قال السدي هي النبوة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا علينا بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم أنزل لم يختلف في شيء منه وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه وروى ابن أبي نجيح عنه الاصابة في القول والفعل وقال ابراهيم النخعي معرفة معاني الاشياء وفهمها (ومن يؤت الحكمة) من في محل الرفع على ما لم يسم فاعله والحكمة خبره ٣ وقرأ يعقوب يؤتي الحكمة بكسر التاء أي من يؤته الله الحكمة دليله قراءة الاعمش ومن يؤته الله حكى عن الحسن ومن يؤت الحكمة قال الورع في دين الله (فقد أوتي خيرا كثيرا) قال الحسن من أعطي القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لم يوح اليه (وما يذكر) يتعظ (الا أولو الالباب) ذوو العقول قوله تعالى (وما أنفقتم من نفقة) فما فرض الله عليكم (أو نذرتم من نذر) أي ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به

للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك قوله ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك أي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي * قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما نزلت في أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر * أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) أي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذو والعقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه * قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لأفعلن كذا ثم يفعله أو يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه

(فان الله يعلمه) يحفظه حتى يجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لانه رده الى الآخر منهما كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وان شئت حملته على ما كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) الواضعين الصدقة فى غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام (من أنصار) من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهى جمع نصير مثل شريف وأشراف قوله تعالى (ان تبدوا الصدقات) اى تظهروها (فنعما هى) أى نعمت الخصلة هى وما فى محل الرفع وهى فى محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد وأصله نعم ما فوصلت قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر فنعما بكسر النون وسكون العين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما وكلها لغات صحيحة وكذلك فى سورة النساء (وان تخفوها) تسروها (وتؤتوها الفقراء) أى تؤتوها الفقراء فى السر (فهو خير لكم) وأفضل وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل وفى الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد الخدرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقيل الآية فى صدقة التطوع أما الزكاة المفروضة فالاظهار فيها أفضل حتى يقتدى به الناس كالصلاة المكتوبة فى الجماعة أفضل والنافلة فى البيت أفضل وقيل الآية فى الزكاة المفروضة كان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما فى زماننا فالاظهار أفضل حتى لا يساء به الظن

فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فأطاقه فليف به أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتى به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله فى بعض روايات الحديث انه لا يأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه انه لا يأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم * وقوله تعالى (فان الله يعلمه) أى يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما فى قوله وما أنفقتم لانها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعنى الواضعين الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من أنصار) أى من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم * قوله عز وجل (ان تبدوا الصدقات) أى تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعما هى) أى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) أى تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) أى وتعطوها الفقراء فى السر (فهو خير لكم) يعنى اخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا فى المراد بالصدقة المذكورة فى الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع أفضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك أبعد من الرياء وأقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفى صدقة السر أيضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهى انه اذا أعطى فى السر زال عنده الذل والانكسار واذا أعطى فى العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر أفضل ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله تعالى ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله

قوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي ونحن نكفر وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء أي ويكفر الله وقرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله فهو خير لكم لان موضعها جزم بالجزاء وقوله من سيئاتكم قيل من صلة تقديره نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هو للتحقيق والتبعيض يعني نكفر الصغائر

و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فاذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فاظهارا خراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الآية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون بأحد انه يمنع الزكاة فأما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها * وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من اظهار الصدقات واخفائها * قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلأنفسكم) أي ما تفعلوا تنفعوا به أنفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله تعالى انه قد علم ان مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه لستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى أن تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فأما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيأ من ثواب أعمالكم * قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لأنفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل

من الذنوب (والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم) قال الكلبي سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا وقال سعيد ابن جبير كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزل قوله ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها (ولكن الله يهدي من يشاء) وأراد به هداية التوفيق أما هدى البيان والدعوة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطوهم بعد نزول الآية (وما تنفقوا من خير) أي مال (فلأنفسكم) أي تنفقونه لانفسكم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) لفظه جحد ومعناه نهي أي لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير) شرط كالاول ولذلك حذف النون منهما (يوف اليكم) أي يوفر لكم جزاؤه ومعناه يؤدى اليكم ولذلك دخل فيه الى (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الاسلام وأهل الذمة فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة قوله تعالى (للفقراء

(لا يقومون) يعنى يوم القيامة من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه) اى يصرعه (الشيطان) اصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تطأ الناس وتضرب الارض بقوائمها (من المس) أى الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعناه ان آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف أخبرنا عبد الله بن يحيى أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا اسمعيل بن سالم أخبرنا عباد بن عباد عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل عليه السلام الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منتفخين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجرة لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقال ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله تعالى (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك الذى نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى أزيدك فى المال يفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال (وأحل الله البيع وحرم الربوا) واعلم ان الربا فى اللغة الزيادة قال الله تعالى وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس أى ليكثر فلا يربو عند الله فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فى الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال (لا يقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منتفخين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير الغليظ وقوله منتفخين أى موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الأجل حتى أزيدك فى المال ففعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) يعنى وأحل

وذهب الاكثرون الى أن الربا يثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فقال قوم ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وهو قول مالك والشافعى وقال قوم ثبت بعلة الوزن وهو قول أصحاب الرأى وأثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها وأما الاشياء الاربعة فذهب قوم الى أن الربا ثبت فيها بعلة الكيل وهو قول أصحاب الرأى وأثبتوا الربا فى جميع المكيلات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعى رحمه الله فى القديم وقال فى الجديد يثبت فيه الربا بوصف الطعم وأثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا أو مطعوما والربا نوعان ربا الفضل وربا النسأ فاذا باع مال الربا بجنسه مثلا بمثل بان باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوما بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعى الربا حتى لا يجوز الا متساويين فى معيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يبع بجنسه فيشترط المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه فى الوصف مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا أو جزافا ويثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط التقابض فى المجلس وقول النبى صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب الى أن قال الا سواء

الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد أن يعترض عليه فى شئ مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿ فصل فى حكم الربا ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها أحدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة فى ذلك ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اعلم ان الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد أربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة أشياء وهى النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى أن حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فأثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف

(لا يقومون) يعنى يوم القيامة من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه) اى يصرعه (الشيطان) اصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تطأ الناس وتضرب الارض بقوائمها (من المس) أى الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعناه ان آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف أخبرنا عبد الله بن يحيى أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا اسمعيل بن سالم أخبرنا عباد بن عباد عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل عليه السلام الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجرة لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقال ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله تعالى (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك الذى نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى أزيدك فى المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال (وأحل الله البيع وحرم الربوا) واعلم ان الربا فى اللغة الزيادة قال الله تعالى وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس أى ليكثر فلا يربو عند الله فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فى الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال (لا يقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا بافى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أى موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الأجل حتى أزيدك فى المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) يعنى وأحل الله

وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فقال قوم ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وهو قول مالك والشافعى وقال قوم ثبت بعلة الوزن وهو قول أصحاب الرأى وأثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها وأما الاشياء الاربعة فذهب قوم الى أن الربا ثبت فيها بعلة الكيل وهو قول أصحاب الرأى وأثبتوا الربا فى جميع المكيلات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعى رحمه الله فى القديم وقال فى الجديد يثبت فيه الربا بوصف الطعم وأثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا أو مطعوما والربا نوعان ربا الفضل وربا النسأ فاذا باع مال الربا بجنسه مثلا بمثل بان باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوما بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعى الربا حتى لا يجوز الا متساويين فى معيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يبع بجنسه فيشترط المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه فى الوصف مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا أو جزافا ويثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط التقابض فى المجلس وقول النبى صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب الى أن قال الا سواء

الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد أن يعترض عليه فى شئ مما أحل أو حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيأ بغير عوض أما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿ فصل فى حكم الربا ﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها أحدها ان الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة فى ذلك ﴿المسئلة الثانية﴾ اعلم ان الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد أربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة أشياء وهى النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى أن حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فأثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف

فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل ردا الى الوعظ (فانتهى) عن أكل الربا (فله ما سلف) أى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وأمره الى الله) بعد النهى ان شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل أمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شئ (ومن عاد) بعد التحريم الى كل الربا مستحلا له (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى اخبرنا محمد ابن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا محمد بن المثنى حدثنى غندر أخبرنا شعبة عن عوف بن أبى جحيفة عن أبيه انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغى ولعن آكل الربا ومؤكله والواشمة والمستوشمة والمصور

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أخبرنا محمد بن عيسى الجلودى أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان (يحق أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا زاهر بن حرب أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء أخبرنا أبو سعيد الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو محمد المخلدى أنا أبو حامد بن الشرقى أخبرنا أحمد بن

النقدية وذهب أصحاب الرأى الى انه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا أو مطعوما ﴿المسئلة الثالثة﴾ الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع مايدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع مايدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه فى الوصف لا فى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط فى بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الايدا بيد وقوله ها وها ففيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله أعلم ﴿المسئلة الرابعة﴾ فى القرض وهو من أقرض شيأ وشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قراض جر منفعة وكل قراض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغنى ان رجلا أتى ابن عمر فقال انى أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك فى الموطأ قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فأبى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة أخرجه مالك فى الموطأ * وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) أى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) أى عن أكل الربا (فله ما سلف) أى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وأمره الى الله) يعنى بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعنى الى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عز وجل

يوسف السلمي أخبرنا النضر بن محمد أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا يحيى هو ابن كثير قال حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون بابا أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه قوله تعالى (يمحق الله الربوا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما يمحق الله الربا يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة (ويربي الصدقات) أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الاجر والثواب في العقبى (والله لا يحب كل كفار) بتحريم الربا (أثيم) فاجر بأكله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا) قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان

(يمحق الله الربوا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربي الصدقات) أي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم والبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا (أثيم) يعني متماديا في الاثم وفيه نهي عنه وان من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلوة) يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها (وآتوا الزكوة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان أنتما أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يدا ينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي

رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر ان أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان

أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوعة كلها وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانها موضوعة كلها وقال مقاتل نزلت في أربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يدا ينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب بن أسيد الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

(ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا) أي اذا لم تذروا ما بقي من الربا (فاذنوا بحرب من الله ورسوله) قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فآذنوا بالمد على وزن آمنوا أي فأعلموا غيركم انكم حرب لله ورسوله وأصله من الاذن أي أوقعوا في الآذان وقرأ الآخرون فأذنوا مقصورا بفتح الذال اى فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف (وان تبتم) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا بحرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى (وان كان ذو عسرة) يعني وان كان الذي عليه الدين معسرا رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة تقول ان كان رجل صالح فأكرمه وقيل كان بمعنى وقع وحينئذ لا يحتاج الى خبر قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين (فنظرة) أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة (الى ميسرة) قرأ نافع ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد ميسرة بضم السين مضافا ومعناه اليسار والسعة (وأن تصدقوا) أي تتركوا رؤس أموالكم الى المعسر (خير لكم ان كنتم تعلمون) قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل ابن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس اسمعيل بن عبد الله الميكالي أخبرنا عبد الله ابن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح أخبرنا ابن وهب عن جرير بن حازم (فصل) عن أيوب عن يحيى بن كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه انه كان يطلب رجلا بحق فاختبأ منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكة فأعطاه اياه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا ووضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا عبيد الله بن موسى اخبرنا اسرائيل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتلقت روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني رجل كنت أداين الناس فكنت آمر فتياني ان ينظروا الموسر

خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم ما فضل على رؤس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من أصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع أي تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) أي ان تركتم أكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله عز وجل (وان كان ذو عسرة) يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال وأعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤدي في دينه (فنظرة) أي فامهال وتأخير (الى ميسرة) أي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤدي به في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الآية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه ففضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذاك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بأن الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين (وأن تصدقوا خير لكم) يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعني ان التصدق خير لكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

وبتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى تجاوزوا عنه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي اخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن أبي اليسر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ﴿ فصل ﴾ في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو الوليد أخبرنا شعبة أخبرنا سلمة ابن كهيل قال سمعت أبا سلمة يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه

﴿ فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه ﴾ (م) عن أبي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه (م) عن أبي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء أخرجه أبو داود (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاء يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية انه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم أمر له بأفضل من سنه (م) عن أبي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه النسائي * قوله عز وجل (واتقوا) أي وخافوا (يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء أي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أي تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أي في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت

فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فأعطوه اياه قالوا لا نجد الا أفضل من سنه قال اشتروه فأعطوه اياه فان خياركم أحسنكم قضاء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم فاذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا ابراهيم بن سعيد بن ابراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة الانصاري عن أبيه انه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فلما أدبر ناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فنودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد عليه قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الا الدين كذلك قال جبريل قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون الى الله وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم أي تردون الى الله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) قال ابن عباس رضي

الله عنهما هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة احدى عشرة من الهجرة قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السلم وقال أشهد ان السلم المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم وقال أشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه وقوله اذا تداينتم أي تعاملتم بالدين أو داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المماطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى أجل مسمى) يعني الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد أو نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من أسلف في تمر ففي كيل معلوم أو وزن معلوم الى أجل معلوم * وقوله تعالى (فاكتبوه) أي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) أي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يأب) أي ولا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلهما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله

قوله اذا تداينتم أي تعاملتم بالدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ وقيل ذكره تأكيد لقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه الى أجل مسمى الاجل مدة معلومة الاول والآخر والاجل يلزم في الثمن والمبيع في السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند أكثر أهل العلم فاكتبوه أي اكتبوا الذي تداينتم به بيعا كان أو سلما أو قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انه أمر استحباب فان ترك فلا بأس كقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين والاشهاد والرهن قرضا ثم نسخ الكل بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) أي ليكتب كتاب الدين بين الطالب ولا والمطلوب كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير (ولا يأب) أي لا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طولب وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت غريمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد

(كما علمه الله) اي كما شرعه الله وامره (فليكتب وليملل الذي عليه الحق) يعني المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان بمعنا هما واحد جاء بهما القرآن فالاملال هنا والاملاء قوله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس منه شيأ) أي ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيأ (فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي جاهلا بالاملاء قاله مجاهد وقال الضحاك والسدي طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيه المبذر المفسد لماله أو في دينه قوله (او ضعيفا) اي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) لخرس أو عمى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكتابة أو جهل بماله وعليه (فليملل وليه) أي قيمه (بالعدل) اي بالصدق والحق وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل اراد بالولي صاحب الحق يعني ان عجز من عليه الحق من الاملال

ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) أي كما شرعه الله وأمر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وأن يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وأن يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذي عليه الحق) يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس) أي ولا ينقص (منه) أي من الحق الذي وجب (شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (أو ضعيفا) يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته أو جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعني لخرس أو عي أو عجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس أراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه أعلم بحقه (بالعدل) أي بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعني وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعني من أهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الرأي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود * وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول

فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لانه اعلم بالحق (واستشهدوا) اى واشهدوا (شهيدين) اى شاهدين (من رجالكم) يعني الاحرار المسلمين دون العبيد والصبيان وهو قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد (فان لم يكونا رجلين) اى لم يكن الشاهدان رجل (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال في الاموال حتى يثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا

كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين وبشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة في العقوبات قوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا في ديانته واما نته وشرائط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة الكافر مردودة لان المعروف بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله تعالى اولى ان يكون مردود الشهادة وجوز اصحاب الرأي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس بن مالك رضي الله عنه ولا تقبل للمجنون حتى يكون لا شهادة ولا يجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال لا يجوز لان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط

وهي أن يكون الشاهد مجتنبا للكبائر غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيأ مما يستحى أمثاله من اظهاره في الاغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متهم في حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وان كان مقبول الشهادة عليهما ولا يقبل شهادة من يجر الى نفسه بشهادته نفعا كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه أو يدفع عن نفسه بشهادته ضررا كالمشهود عليه يشهد بجرح من شهد عليه لتمكن التهمة في شهادته أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن سراج القطان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا مروان الفزاري عن شيخ من أهل الحيرة يقال

له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ترفعه

الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شيأ مما يستحى أمثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من أوامر الله أو ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * وقوله تعالى (ان تضل احداهما) أي تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان * وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الامرين جميعا يعني في

لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا القانع مع أهل البيت قوله تعالى (أن تضل احداهما) قرأ حمزة ان تضل بكسر الألف (فتذكر) برفع الراء ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم بالجزاء الا انه لا نسق بالتضعيف فتذكر رفع لان ما بعد فاء الجزاء مبتدأ وقراءة العامة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الاول وتضل محله نصب بان فتذكر منسوق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر (احداهما الاخرى) ومعنى تضل أي تنسى يريد اذا نسيت احداهما شهادتها فتذكرها الاخرى فتقول ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا قرأ ابن كثير وأهل البصرة فتذكر مخففا وقرأ الباقون مشددا وذكر واذكر بمعنى واحد وهما متعديان من الذكر الذي هو ضد النسيان

التحمل

وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر أي تجعل احداهما الاخرى ذكرا أي تصير شهادتهما كشهادة ذكر والاول أصح لانه معطوف على النسيان قوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) قيل أراد به اذا ما دعوا لتحمل الشهادة سماهم شهداء على معنى انهم يكونون شهداء وهو أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم تجب الاجابة اذا لم يكن غيرهم فان وجد غيرهم فهم مخيرون وهو قول الحسن وقال قوم هو أمر ندب وهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وأدائها فمعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وقال الشعبي الشاهد بالخيار ما لم يشهده وقال الحسن الآية في الامرين جميعا في التحمل والاقامة اذا كان فارغا

(ولا تساموا) أى ولا تملوا (ان تكتبوه) الهاء راجعة الى الحق (صغيرا) كان الحق (او كبيرا) قليلا كان او كثيرا (الى اجله) الى محل الحق (ذلكم) أى الكتاب (أقسط) أعدل (عند الله) لانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (وأقوم للشهادة) لان الكتابة تذكر الشهود (وأدنى) وأحرى وأقرب الى (ألا ترتابوا) تشكوا فى الشهادة (الا أن تكون تجارة حاضرة) قرأهما عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازه الا أن تكون التجارة تجارة أو المبايعة تجارة وقرأهما الباقون بالرفع وله وجهان أحدهما أن يجعل الكون بمعنى الوقوع معناه الا أن تقع تجارة والثانى أن يجعل الاسم فى التجارة والخبر فى الفعل وهو قوله (تديرونها بينكم) تقديره الا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية الا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعنى التجارة (وأشهدوا اذا تبايعتم) قال الضحاك هو عزم من الله تعالى والاشهاد واجب فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسئه وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه الامر فيه الى الامانة كقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا الآية وقال الآخرون هو أمر ندب قوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهى للغائب

التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار مالم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولا تسأموا) أى ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير راجع الى الحق أو الدين (صغيرا) كان (أو كبيرا) يعنى قليلا كان الحق أو الدين أو كثيرا (الى أجله) يعنى الى محل الحق والدين (ذلكم) يعنى ذلك الكتاب (أقسط عند الله) يعنى أعدل عند الله لانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (وأقوم للشهادة) يعنى ان الكتابة تذكر الشهود (وأدنى ألا ترتابوا) يعنى وأحرى وأقرب الى أن لا تشكوا فى الشهادة (الا أن تكون تجارة حاضرة) أى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم) أى فيما بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح) أى لاضرر عليكم (أن لا تكتبوها) يعنى التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى فى الكتابة والاشهاد فى هذا النوع من التجارة لكثرة مايجرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه فى ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعنى فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا فى هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد فى صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى ائتمن أمانته * وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهى عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعوا الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله أمركما أن تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعنى ما نهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) أى معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) أى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعنى مايكون ارشادا لكم فى أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم فى أمر الدين (والله بكل شئ عليم) يعنى ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عز وجل (وان كنتم على سفر) أى فى سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعنى ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعنى فارتهنوا ممن

وأصله يضارر فادغمت أحد الراءين فى الاخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فمنهم من قال أصله يضارر بكسر الراء الاولى وجعل الفعل للكاتب والشهيد معناه لا يضارر الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وقال قوم أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى

تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ماوضع عند الانسان مما ينوب مناب ما أخذ منه دينا * فان قلت لم شرط الارتهان فى السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبى الشحم اليهودى على طعام أخذه الى أجل ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم كاتب * قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بأن يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا الان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى ائتمن أمانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان أمينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق أمانته يعنى حقه سمى الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وأن يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أى المديون فى أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعنى اذا دعيتم الى اقامتها وأدائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) أى فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما أوعد الله على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين منها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكره ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه أى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان وارد اعقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا أى تظهروا ما فى أنفسكم يعنى من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه ما روى عن أبى هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوها الآية اشتد ذلك على أصحاب

خرج الكلام فى الاية على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط والدليل عليه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رهن درعه عند أبى الشحم اليهودى ولم يكن ذلك فى السفر ولا عند عدم كاتب (فان أمن بعضكم بعضا) وفى حرف أبى فان ائتمن يعنى فان كان الذى عليه الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى ائتمن أمانته) أى فليقضه على الامانة (وليتق الله ربه) فى أداء الحق ثم رجع الى خطاب الشهود فقال (ولا تكتموا الشهادة) اذا دعيتم الى اقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) أى فاجر قلبه قيل ما وعد الله على شئ كما يعاده على كتمان الشهادة قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون) من بيان الشهادة وكتمانها (لله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما فى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فأنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة جارحة أو همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم يعني مما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذه قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما أخذبها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفي ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه أنه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضا ما روى عن صفوان بن محرز المازني قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر

وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله

هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية الاولى نزلت في كتمان الشهادة معناه وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعني وان تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروه يحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى أن قال قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله وذهب الاكثرون الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها والدليل عليه ما أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد ابن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المنهال الضرير وأمية بن بسطام العيشي واللفظ له قالا أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات

صلى الله عليه وسلم برکوا على الركب فقالوا أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما بمعناه وقال فى كل ذلك قد فعلت بدل قوله نعم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما وابن عمر واليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبى أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهانى أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحاق الفقيه أخبرنا يعقوب بن يوسف القزوينى أخبرنا أبو القاسم بن الحكم المغربى أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به وقال بعضهم الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد على الاخبار انما يرد على الامر والنهى وقوله يحاسبكم به الله خبر لا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا فى تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم فليس لله عبد اسر عملا أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همة فى قلبه الا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وهذا معنى قوله الحسن يدل عليه قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وقال الآخرون معنى الآية ان الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم فى الدنيا من النوائب والمصائب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن هذه الآية فقال يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيروع لها حتى ان المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزيانى أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله

للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا

انت ابن صالح حدثنى الليث حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال بعضهم وان تبدوا ما فى أنفسكم يعنى ما فى قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذكم به دليله قوله تعالى لا يؤاخذكم باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ الله العبد بالهمة قال اذا كان عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف ومعنى الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما يدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن على الزراد أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا عيسى بن أحمد العسقلانى أنا يزيد بن هرون أنا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فاتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول أى عبدى أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أى رب ثم يقول أى عبدى تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أى رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال فانى سترتها عليك فى الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفع الراء والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق روى طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شئ قدير قوله تعالى (آمن الرسول) أى صدق (بما أنزل اليه من ربه

والمؤمنون كل آمن بالله) يعنى كل واحد منهم ولذلك وحد الفعل (وملائكته وكتبه ورسله) قرأ حمزة والكسائى وكتابه على الواحد يعنى القرآن وقيل معناه الجمع وان ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى وملائكته وكتبه ورسله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وفيه اضمار تقديره يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبرا عن الرسول أو معناه لا يفرق الكل وانما قال بين أحد ولم يقل بين أحاد لان الاحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين (وقالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك روى عن حكيم عن جابر رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية ان الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل بتلقين الله تعالى فقال (غفرانك) وهو نصب على المصدر أى اغفر غفرانك أو على المفعول به أى نسألك غفرانك (ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ظاهر الآية قضاء لحاجة وفيها اضمار السؤال كانه قال وقالوا لا تكلفنا الا وسعنا وأجاب أى لا يكلف الله نفسا الا وسعها أى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه واختلفوا فى تأويله فذهب ابن عباس رضى الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين الى انه أراد به

أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أى وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) أى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضروريانه فأما الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ وأما الايمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الايمان بكتبه فهو أن يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وأمناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار تقديره وقالوا يعنى المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعنى سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به وأطعناه فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) أى نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا

حديث النفس الذى ذكر فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه كما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع

مادون الطاقة قوله تعالى (لها ما كسبت) أى للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر وعليها وزره (ربنا لا تؤاخذنا) أى لا تعاقبنا (ان نسينا) جعله بعضهم من النسيان الذى هو السهو قال الكلبى كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم

شئ من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقيل هو من النسيان الذى هو الترك كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قوله تعالى (أو أخطأنا) قيل معناه القصد والعمد يقال خطأ فلان اذا تعمد قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال عطاء ان نسينا أو أخطأنا يعنى ان جهلنا أو تعمدنا وجعله الاكثرون من الخطأ الذى هو الجهل والسهو لان ما كان عمدا من الذنب فغير معفو عنه بل هو فى مشيئة الله والخطأ معفو عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قوله تعالى (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أى عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدى والكلبى وجماعة يدل عليه قوله تعالى وأخذتم على ذلكم اصرى أى عهدى وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود وذلك ان الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم فى الزكاة ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبى عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقيل الاصر ذنب لا توبة له معناه اعصمنا من مثله والاصل فيه العقل والاحكام قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكى عن مكحول انه قال هو الغلمة قيل الغلمة

الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعنى للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعنى من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره * قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أى لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسىء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه أعدل عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا أو أخطأنا) فيه وجهان ٣ أحدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك * فان قلت أليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء * قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * أما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته أما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى وأما الخطأ فى قوله أو أخطأنا فعلى وجهين أيضا أحدهما أن يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه الوجه الثانى أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والاصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم أن يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله

شدة الشهوة وعن ابراهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها قوله تعالى (واعف عنا) أي تجاوز واصفح عنا ذنوبنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) فاننا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك (أنت مولانا) ناصرنا وحافظنا ووالينا

(فانصرنا على القوم الكافرين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا أحمل عليكم اصرا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا الى آخره قال عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ بن جبل اذا ختم سورة البقرة قال آمين أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر ابن أبي شيبة أنا أبو أسامة حدثني مالك بن مسعود عن الزبير بن عدي عن طلحة ابن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به فوقها فيقبض

علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين * أحدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال * الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) أي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) أي تفضلنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (أنت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا ووالينا ومتولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التي توجل مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوج (ق) عن أبي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ من المقحمات أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ أنا يونس وأحمد بن سنان قال ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في

ليلة كفتاه أى عن قيام الليل أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى أنا أبو جعفر الزيانى أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا حماد بن سلمة أخبرنا الاشعث بن عبد الرحمن الجرمى عن أبى قلابة عن أبى الاشعث الصنعانى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان

﴿ سورة آل عمران مدنية وهى مائتا آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الم الله) قال الكلبى والربيع بن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من اشرافهم وفى الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤل اليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال واذا بالحارث بن كعب يقول ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها رد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يا معشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم أتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم أما الحى فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾

﴿مدنية وهى مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون الا عن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بمالهم وصاحب رحلهم الذى يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة ابن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده فى دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعوا كما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز من قائل الم الله مفتوح الميم موصول عند العامة وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين حرك الى أخف الحركات وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الاعشى عن أبى بكر الم الله مقطوعا ساكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة للابتداء وأجراه على لغة من يقطع ألف الوصل (لا اله الا هو الحى القيوم)

قوله تعالى الله لا ابتداء وما بعده خبره والحى القيوم نعت له (نزل عليك الكتاب) أى القرآن (بالحق) بالصدق (مصدقا لما بين يديه) لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوة والاخبار و بعض الشرائع (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) وانما قال وأنزل التوراة والانجيل لان التوراة والانجيل أنزلا جملة واحدة وقال فى القرآن نزل لانه نزل مفصلا والتنزيل للتكثير والتوراة قال البصريون أصلها ووريه على وزن

ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (بالحق) أى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوّات والاخبار و بعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) أى من قبل القرآن * فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل * قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا فى أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس * فان قلت كيف وصف القرآن فى أول البقرة بانه هدى للمتقين و وصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس * قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه و وصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحاله لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى فى أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن و بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أى غالب لا يغلب (ذو انتقام) يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة * قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) أى لا يخفى عليه شئ من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم فى الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والأرحام جمع رحم (كيف يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الأرحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الأجل فكتب له ذلك فى بطن أمه وقيل ان الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت فى

فوعلة مثل دوخلة وحوقلة فحولت الواو الاولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفا فصارت توراة ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة وقال الكوفيون أصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقلبت الياء ألفا على لغة طىء فانهم يقولون للجارية جاراة وللناصية ناصاة وأصلها من قولهم ورى الزند اذا خرجت ناره وأوريته أنا قال الله تعالى أفرأيتم النار التى تورون فسمى التوراة لانها نور وضياء قال الله تعالى وضياء وذكرى للمتقين وقيل هى من التورية وهى كتمان السر والتعريض بغيره وكان فى التوراة معاريض من غير تصريح والانجيل افعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمى الولد نجلا لخروجه فسمى الانجيل به لان الله تعالى أخرج به دارسا من الحق عافيا ويقال هو من النجل وهو سعة العين سمى به لانه أنزل سعة لهم ونورا وقيل التوراة بالعبرانية تور وتور معناه الشريعة والانجيل بالسريانية انقليون ومعناه الاكليل قوله تعالى (هدى للناس) هاديا لمن تبعه ولم يثنه لانه مصدر (وأنزل الفرقان) المفرق بين الحق والباطل

وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس قوله تعالى (ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) من الصور المختلفة ذكرا وأنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا تاما أو ناقصا

(لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا رد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله وكأنه يقول كيف يكون ولدا وقد صوره الله تعالى في الرحم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد بن محمد الانصاري أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك أو قال يبعث اليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد قال وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها و بينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها و بينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أم سعيد فيكتب ذلك فيقول يارب أذكر أم أنثى فيكتبان و يكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) مبينات مفصلات سميت محكمات من الاحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) أي أصله الذي يعول عليه في الاحكام وانما قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله تعالى واحد وقيل معناه كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى ولم يصرفه لانه معدول عن الآخر مثل عمر وزفر (متشابهات) فان قيل كيف فرق ههنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل الله كل القرآن محكما في مواضع أخر فقال الر كتاب أحكمت آياته وجعله كله متشابها فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها قيل حيث جعل الكل محكما أراد ان الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل ههنا بعضه محكما و بعضه متشابها واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الايات وعنه أنه قال المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق و يصدق بعضه بعضا كقوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين و يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون وقال قتادة والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن ولا يعمل به وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به و يعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن أشراط الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا قال محمد بن جعفر بن الزبير

دارك كذا صنعت كذا وانه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وأن عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم * قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني مبينات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كانه تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) يعني هن أصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام و يعمل به في الحلال والحرام * فان قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب * قلت لان الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعني ان كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى (متشابهات) يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه * فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر كله محكما فقال في أول هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى في الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت حيث جعله كله محكما أراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما و بعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام وهي قوله

تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ونظيرها فى بنى اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هى الناسخ والمتشابهات هى الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل ان المحكمات مافيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ماأطلع الله عباده على معناه والمتشابه ماستأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن أشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مايحتمل أوجها وروى ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هى الحروف المقطعة فى أوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيى بلغنا أنك أنزل عليك الم فانشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فانى أعلم مدة ملك أمتك هى احدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هى احدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة وقد اختلط علينا فلا ندرى أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه وقيل ان المحكم مالم تتكرر ألفاظه والمتشابه ماتكررت ألفاظه وقيل ان المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال * فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه باى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان أهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ماأنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده * وقوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة

حجته واضحة ودلائله لائحة لا يشتبه والمتشابه هو الذى يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه فى المعنى والمتشابه مالا يستقل بنفسه الا برده الى غيره قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية باذان المتشابه حروف التهجى فى أوائل السور وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيى بلغنا انه أنزل عليك الم نشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا فانى أعلم مدة ملك أمتك هى احدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هى احدى وسبعون ومائة سنة قال فهل غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة فهل غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندرى أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق وقيل شك

(فيتبعون ما تشابه منه) واختلفوا فى المعنى بهذه الاية قال الربيع هم وفد نجران خاصموا النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا له ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ذلك فانزل الله هذه الآية وقال الكلبى هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل وقال ابن جريج هم المنافقون وقال الحسن هم الخوارج وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فاما الذين فى قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن ابراهيم التسترى عن ابن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات الى قوله أولو الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم قوله تعالى (ابتغاء الفتنة) طلب الشرك قاله الربيع والسدى وقال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم (وابتغاء تأويله) تفسيره وعلمه دليله قوله تعالى سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا وقيل ابتغاء عاقبته وطلب أجل هذه الامة من حساب الجمل دليله قوله تعالى ذلك خير وأحسن تأويلا أى عاقبة قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) اختلف العلماء فى نظم هذه الآية فقال قوم الواو فى قوله والراسخون

واو العطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم (يقولون آمنا به) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا معناه والراسخون فى العلم مع علمهم قائلين آمنا به هذا كقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى ثم قال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الى ان قال والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ثم قال والذين جاؤا من بعدهم وهذا عطف على ما سبق ثم قال يقولون ربنا اغفر لنا يعنى هم مع استحقاقهم للفيء يقولون ربنا اغفر لنا أى قائلين على الحال وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يقول فى هذه الآية أنا ممن الراسخين فى العلم وقال مجاهد أنا ممن يعلم تأويله وذهب الاكثرون الى ان الواو فى قوله والراسخون واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله الا الله وهو قول أبى بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضى الله عنهم ورواية طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائى والفراء والاخفش وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون فى القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون فى المتشابه بالايمان به وفى المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا وفى حرف أبى ويقول الراسخون فى العلم آمنا به وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به كل من عند ربنا وهذا القول أقيس فى العربية وأشبه بظاهر الآية قوله تعالى والراسخون فى العلم أى الداخلون فى العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشئ فى الشئ وهو ثبوته يقال رسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل الراسخون فى العلم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم يعنى المدارسين علم التوراة والانجيل وسئل مالك بن أنس رضى الله عنه عن الراسخين فى العلم قال العالم العامل بما علم المتبع لما علم وقيل

يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولوا الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم * وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) أى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوّضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) أى الثابتون فى العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان به وقال عمر ابن

الراسخ فى العلم من وجد فى علمه أربعة أشياء التقوى بينه و بين الله والتواضع بينه و بين الخلق والزهد بينه و بين الدنيا والمجاهدة بينه و بين نفسه وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والسدى يقولهم آمنا به سماهم الله تعالى راسخين فى العلم فرسوخهم فى العلم قولهم آمنا به أى بالمتشابه (كل من عند ربنا) المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا ومالم نعلم (وما يذكر) ما يتعظ بما فى القرآن (الا أولو الالباب) ذوو العقول قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا أى لا تملها عن الحق والهدى كما

ابن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه ومالم نعلم ونحن معتمدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه و روى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فمنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله و يعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه كان يقول أنا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون فى القرآن شئ لا يعرفه أحد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان أحدهما انهم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه و بين الله تعالى والتواضع فيما بينه و بين الناس والزهد فيما بينه و بين الدنيا والمجاهدة فيما بينه و بين النفس (وما يذكر الا أولو الالباب) أى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذوو العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عز وجل (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لا تزغ قلوبنا أى لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) أى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) أى أعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك أنت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه يعطى كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الامة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لا انه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه و يعلمونه من أنفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر

أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك) أعطنا من عندك (رحمة) توثيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقال الضحاك تجاوزا ومغفرة (انك أنت الوهاب) أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسمعيل التميمى أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى أنا أبو القاسم أحمد بن عدى الحافظ أنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن القاسم القرشى يعرف بابن الرواس الكبير بدمشق أنا أبو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغسانى أنا صدقة أنا عبد الرحمن بن جابر حدثنى بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا ادريس الخولانى يقول حدثنى النواس بن سمعان الكلابى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه أقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما و يضع آخرين الى يوم القيامة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هرون أنا سعيد بن اياس الجريرى عن غنيم ابن قيس عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن

قوله تعالى (ربنا انك جامع الناس ليوم) أى لقضاء يوم وقيل اللام بمعنى فى أى يوم (لا ريب فيه) أى لا شك فيه وهو يوم القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) وهو مفعال من الوعد قوله تعالى (ان الذين كفروا لن تغنى) لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) قال الكلبى من عذاب الله وقال أبو عبيدة من بمعنى عند أى عند الله (شيأ وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة ومجاهد كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر والتكذيب وقال عطاء والكسائى وأبو عبيدة كسنة آل فرعون وقال الاخفش كأمر آل فرعون وشأنهم وقال النضر بن شميل كعادة آل فرعون يريد عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب الرسل وجحود الحق كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله) فعاقبهم الله (بذنوبهم) وقيل نظم الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية أخذناهم فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيأ (والله شديد العقاب) قوله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) قرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما أى انهم يغلبون ويحشرون وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب أى قل لهم انكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركى مكة معناه قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم فى الآخرة فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشر نابه موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة يستنفرهم فاجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا انه لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون تهزمون فى الدنيا فى قتالكم محمدا وتحشرون فى الآخرة الى جهنم

الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم * قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أى ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى فى أى فى يوم لا ريب فيه أى لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن منننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغنى) أى لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أى من عذاب الله شيأ وقيل من بمعنى عند أى عند الله شيأ (وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعنى لما جاءتهم بها الرسل (فأخذهم الله بذنوبهم) أى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم * قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب

(و بئس المهاد) أى الفراش أى بئس ما مهدلهم يعنى النار قوله تعالى (قد كان لكم آية) ولم يقل كانت والآية مؤنثة لانه ردها الى البيان أى قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون (فى فئتين) فرقتين وأصلها فى الحرب لان بعضهم يفىء الى بعض (التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية المهاجرين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبى مرثد وأكثرهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف قوله تعالى (وأخرى كافرة) أى فرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرونهم مثليهم) قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء يعنى ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثلى عدد المسلمين وذلك ان جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركون مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا فى وجهه فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قيل كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم والتأويل الثانى وهو الاصح كان المسلمون يرون المشركين مثلى عدد أنفسهم قللهم الله تعالى فى أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين ثم قللهم فى أعينهم فى حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم قال ابن مسعود رضى الله عنه نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى أيضا فى أعينهم حتى رأواهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم قال ابن مسعود رضى الله عنه حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة وقال مضهم الرؤية راجعة الى المشركين يعنى يرى المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال فى أعين المشركين ليجترىء المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا فى القتال كثرهم الله فى أعين المشركين ليجبنوا وقللهم فى أعين المؤمنين ليجترؤا فذلك قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم

عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون أى ستهزمون وتحشرون يعنى فى الآخرة الى جهنم (و بئس المهاد) أى الفراش والمعنى بئس ما مهدلهم فى النار * قوله عز وجل (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله فيخرج على قول ابن عباس (١) وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير * فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة * قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون فى فئتين أى فرقتين وأصلها فى الحرب لان بعضهم يفىء الى بعض أى يرجع التقتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن أبى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف * وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة * وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعنى ترون أهل مكة ضعفى المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم

(١) لم يتقدم لابن عباس قول انها فى كفار قريش حتى يخص هذا بما قبله

كاهم * فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة أمثالهم * قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قلل الله المشركين فى أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم و بين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احداهما الاخرى * قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قلل الله المشركين فى أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية أخرى عنه قال لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين فى أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى أعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعنى المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان فى وقعة بدر أحوال فى التكثير والتقليل وماذلك الا اظهار القدرة التامة * وقوله تعالى (رأى العين) أى فى رأى العين (والله يؤيد) أى يقوى (بنصره من يشاء ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من النصر وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) أى لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لأولى الابصار) لذوى العقول والبصائر * قوله عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع أفعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد فى هذه الاشياء بأن أعلم عباده زوالها ولان الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء فى معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه * وقوله تعالى (حب الشهوات) يعنى المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبائل الشيطان وأقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين أحدهما انه محدود ثم اختلفوا فى حده

(لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وقيل لمن أبصر الجمين قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات) جمع شهوة وهى ماتدعو النفس اليه (من النساء) بدأ بهن لانهن حبائل الشيطان (والبنين والقناطير) جمع قنطار واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه القنطار ألف ومائتا أوقية لكل أوقية أربعون درهما وقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك ألف ومائتا مثقال وعنهما رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم وألف دينار دية أحدكم وعن الحسن قال القنطار دية أحدكم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وعن السدى قال أربعة آلاف مثقال وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نضرة مل مسك ثور ذهبا أو فضة وسمى قنطارا من الاحكام يقال قنطرت الشئ اذا أحكمته ومنه سميت القنطرة قوله تعالى (المقنطرة) قال الضحاك المحصنة المحكمة وقال قتادة هى الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان هى المدفونة وقال السدى المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة

(من الذهب والفضة) قيل سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض أى تتفرق (والخيل المسوّمة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء ونحوهما والمسوّمة قال مجاهد هى المطهمة الحسان وقال عكرمة تسويمها حسنها وقال سعيد بن جبير هى الراعية يقال أسام الخيل وسومها وقال الحسن وأبو عبيدة هى المعلمة من السيماء والسمة العلامة ثم منهم من قال سيماها الشبه واللون وهو قول قتادة وقيل الكى (والانعام) جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) يعنى الزرع (ذلك) الذى ذكرت (متاع الحيوة الدنيا) يشير الى انها متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أى المرجع فيه ترهيد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة قوله تعالى (قل أؤنبئكم) أى أخبركم (بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) قرأ العامة بكسر الراء وروى أبو بكر عن عاصم بضم الراء وهما لغتان كالعدوان والعدوان أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا يحيى بن سليمان حدثنى ابن وهب حدثنى مالك عن زين بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضى عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعنى ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعدلهم الجنات * قوله عز وجل

فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدى هو أربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن أبى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحدوه واختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة أى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهى صفة كمال وهى محبوبة وقيل سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أى تتفرق (والخيل المسوّمة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيال لها فى مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها أحد الا وجد فى نفسه مخيلة يعنى عجبا واختلفوا فى معنى المسوّمة على ثلاثة أقوال القول الاول انها الراعية يقال أسمت الدابة وسوّمتها اذا أرسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثانى انها من السمة وهى العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى تلك العلامة فقيل هى الغرة والتحجيل التى تكون فى الخيل وقيل هى الخيل البلق وقيل هى المعلمة بالكى والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعنى الزرع (ذلك) يعنى ذلك الذى ذكر من هذه الاصناف (متاع الحيوة الدنيا) أى الذى يستمتع به فى الحياة الدنيا وهى زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أى المرجع فيه اشارة الى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه فى الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) أى أخبركم (بخير من ذلكم) يعنى الذى ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس فى رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد أن يعرفهم ويشوّقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل فى هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى أخبر ان ما عنده خير مما كان فى الدنيا وان كان محبوبا لهم فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا قوله تعالى (والله بصير بالعباد

الذين يقولون) ان شئت جعلت محل الذين خفضا ردا على قوله للذين اتقوا وان شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل أن يكون نصبا تقديره أعني الذين يقولون (ربنا انا آمنا) صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) استرها علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين) ان شئت نصبتها على المدح وان شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في أداء الاوامر وعن ارتكاب النهي وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في ايمانهم قال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية (والقانتين) المطيعين المصلين (والمنفقين) أموالهم في طاعة الله (والمستغفرين بالاسحار) قال مجاهد وقتادة والكلبي يعني المصلين بالاسحار وعن زيد بن أسلم أنه قال هم الذين يصلون الصبح في الجماعة وقيل بالسحر لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال

نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد وأخذ يستغفر الله ويدعو حتى يصبح أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد بن الحسن ابن أحمد المخلدي حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج أنا قتيبة أنا يعقوب ابن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الاخير فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له وحكى عن الحسن ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك قوله تعالى (شهد

(الذين يقولون ربنا انا آمنا) أي صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما أصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقانتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى أن لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله أنه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من أحبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا

المدينة

المدينة عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قالا له فانا نسألك عن شئ فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال نعم قالا فاخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان قوله شهد الله أي بين الله لان الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل أعلم الله أنه لا اله الا هو وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله أنه لا اله الا هو وقوله

(والملائكة) أي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار (وأولو العلم) يعني الانبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه قال السدي والكلبي يعني جميع علماء المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل ونظم الآية شهد الله قائما بالقسط نصب على القطع ومعنى قوله قائما بالقسط أي قائما بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بأمر فلان أي مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أي مجازله فالله تعالى مدبر ورازق ومجاز بالاعمال (لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) يعني الدين المرضي الصحيح كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وفتح الكسائي الالف من ان الدين ردا على ان الاولى تقديره شهد الله أنه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام أو شهد الله ان الدين عند الله الاسلام بأنه لا اله الا هو وكسر الباقون الالف على الابتداء والاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم أي دخل في السلم واستسلم قال قتادة في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام قال شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه فلا يقبل غيره ولا يجزى الا به أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عمر الفراوي أنا أبو موسى عمران ابن موسى أنا الحسن بن سفيان أنا عمار بن عمرو بن المختار حدثني أبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش وكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة فاذا الاعمش قائم من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ثم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيأ فصليت معه الصبح وودعته ثم قلت اني سمعتك تقرأ آية تردد ها فما بلغك فيها قال لي أو ما بلغك ما فيها قلت أنا عندك منذ سنتين لم تحدثني قال والله لا أحدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال حدثني أبو وائل عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة

المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شيء فان أنت أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألاني قالا فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما أمكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو (والملائكة) أي وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بأنه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولو العلم) أي وشهد أولو العلم بأنه لا اله الا هو واختلفوا في أولي العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله ابن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان أي انه مجازله فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجازلهم بأعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم أي قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات (العزيز) أي الغالب الذي لا يقهر (الحكيم) يعني في جميع أفعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ

قوله تعالى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام أمي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعته في كتبهم وقال الربيع بن أنس ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من أحبار بني اسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين حتى أهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة (بغيا بينهم) أي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت في نصارى نجران ومعناها وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الانجيل في أمر عيسى عليه السلام وفرقوا القول فيه الا من بعد ما جاءهم العلم بان الله واحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم أي للمعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) قوله تعالى (فان حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى (فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه لانه أكرم الجوارح للانسان وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشئ فقد خضع له جميع جوارحه وقال الفراء معناه أخلصت عملي لله (ومن اتبعن) أي ومن اتبعني فاسلم كما أسلمت وأثبت نافع وأبو عمرو الياء في قوله تعالى اتبعني على الاصل وحذفه الآخرون اتباعا لخط المصحف بغير ياء وقوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين) يعني العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا كما قال فهل أنتم منتهون أي انتهوا (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد أرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا. فقال لليهود أتشهدون ان عزيرا عبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عزير اعليه السلام عبدا وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله

أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الاولى والمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام وأصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة وروى البغوي بسند الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت أختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أخرج الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام فلما رأى قلت سمع فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له اني سمعتك تردد هاتين فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة * قوله عز وجل (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام (بغيا بينهم) أي طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد أحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (فان حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع أمر الله الذي هم مقرون به بقوله (فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أي أخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله (ومن اتبعن) يعني ومن أسلم كما أسلمت أنا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والاميين) يعني مشركي العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا (فان أسلموا فقد اهتدوا) يعني الى الفوز والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ

قالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل (وان تولوا فانما عليك البلاغ) أى تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية (والله بصير بالعباد) عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله تعالى (ان الذين يكفرون بآيات الله) يجحدون بآيات الله يعنى القرآن وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون بالالف قال ابن جريج كان الوحى يأتى على أنبياء بنى اسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب الله فيذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم فيقوم رجال ممن تبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد فنجويه الدينورى أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندى أنا أحمد بن يحيى بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيان أنا محمد بن حميد أنا أبو الحسن مولى بنى أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى

الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هداياتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن * قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات الله) يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبى عن أبى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفى هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان أسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (أولئك الذين حبطت) أى بطلت (أعمالهم فى الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو أن لا يقبل فى الدنيا ولا يجازى عليه فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) يعنى يمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أنزلت فى اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعنى القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل

أن انتهى الى قوله ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا فى أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلوهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا فى آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) وجيء وانما أدخل الفاء على الباء فى خبر ان لتضمن الذين معنى الشرط والجزاء لان تقديره الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم لانه لا يقال ان زيدا فقائم (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) وبطلان

العمل فى الدنيا ان لا يقبل وفى الآخرة ان لا يجازى عليه قوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى اليهود (يدعون الى كتاب الله) اختلفوا فى هذا الكتاب فقال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القرآن فأعرضوا عنه وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية ان الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال الآخرون هو التوراة وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة ففيها بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وبحرى بن عمرو

جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني و بينكما التوراة فقالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فأرسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت امرأة حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب التوراة حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله (ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم) والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شيء (ما كانوا يفترون) والافتراء اختلاق الكذب قوله تعالى (فكيف اذا جمعناهم) أي فكيف حالهم أو كيف يصنعون اذا جمعناهم (ليوم لا ريب فيه) وهو يوم القيامة (ووفيت) وفرت (كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على

القرآن حكما فيما بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا و بينكم فأبيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى و بحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني و بينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) أي ليقضي بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعني الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الاتباع (ذلك بأنهم) يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) تقدم تفسيره في سورة البقرة (وغرهم) أي وأطمعهم (في دينهم ما كانوا يفترون) أي يحلفون و يكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل (فكيف اذا جمعناهم) أي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) أي في يوم (لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) أي لا شك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم * قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يجعل ملك فارس والروم في أمته فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد صلى الله عليه وسلم ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الآية قل اللهم قيل معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقال قوم للميم فيه معنى ومعناها اللهم امنا بخير أي اقصدنا بحذف منه حرف النداء كقولهم هلم الينا كان أصله هل أم الينا ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا أيضا فقالوا لاهم قوله ملك الملك يعني يا مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل

يامالك السموات والارض وقال الله تعالى فى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الىّ أعطفهم عليكم قوله تعالى (تؤتى الملك من تشاء) قال مجاهد وسعيد بن جبير يعنى ملك النبوّة وقال الكلبى تؤتى الملك من تشاء محمدا وأصحابه (وتنزع الملك ممن تشاء) أبى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء فارس والروم وقال السدى تؤتى الملك من تشاء آتى الله الانبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء نزعه من الجبارين وأمر العباد بخلافهم وقيل تؤتى الملك من تشاء آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء ابليس وجنوده وقوله تعالى (وتعزمن تشاء وتذل من تشاء) قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه حتى جزت رؤسهم والقوا فى القليب وقيل تعز من تشاء بالايمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالنصرة وتذل من تشاء بالقهر وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) أى بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر أى الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما (انك على كل شئ قدير) قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) أى تدخل الليل فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات

صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوّة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أى اقصدنا مالك الملك أى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك أحد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الىّ أعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك أى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوّة لانها أعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوّة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من أبى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعزمن تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعزمن تشاء يعنى محمدا وأصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى أبا جهل وأضرابه حين قتلوا وألقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعزمن تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعزمن تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعزمن تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات * فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر * قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافى أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شئ قدير) يعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار وفى المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر أن ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو أن تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا فى النهار حتى يكون النهار

(وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر (وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء ههنا وفي الانعام ويونس والروم وفي الاعراف لبلدميت وفي فاطر الى بلدميت زاد نافع أومن كان ميتا فأحييناه ولحم أخيه ميتا والارض الميتة أحييناها فشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب يخرج الحيّ من الميت ولحم أخيه ميتا قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معنى الآية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي تخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة وتخرج البيض من الطير وقال الحسن وعطاء يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن والمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي (وترزق من تشاء بغير حساب) من غير تضييق ولا تقتير أخبرنا (٢٨٢) أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر عبد الله بن اسمعيل بن ابراهيم الهاشمي أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أنا محمد بن أزهر أنا الحارث بن عمير أنا جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب مشفعات معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يارب تهبطنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرأكن أحد من عبادي دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني المكنونة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم لا

خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول أصح وأقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج (وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ) وهو أنه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حيّ الفؤاد والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه * قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يارسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعني أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين أن يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان

رواه الحارث بن عمرو وهو ضعيف قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنه كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد ابن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم قوله تعالى (ومن يفعل ذلك) أي موالاة الكفار في نقل الاخبار اليهم واظهارهم على عورة المسلمين (فليس من الله في شيء) أي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال

(الا أن تتقوا منهم تقاة) يعنى الا أن تخافوا منهم مخافة قرأ مجاهد و يعقوب تقيه على وزن بقية لانهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها بالالف مثل حصاة ونواة وهى مصدر يقال تقيت تقاة وتقى تقية وتقوى فاذا قلت اتقيت كان المصدر الاتقاء وانما قال تتقوا من الاتقاء ثم قال تقاة ولم يقل اتقاء لان معنى اللفظين اذا كان واحدا يجوز اخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا ومعنى الآية ان الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن فى قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية قال الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقال معاذ بن جبل ومجاهد كان التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم (٢٨٣) فقد أعز الله الاسلام فليس

لا يجتمعان (الا أن تتقوا منهم تقاة) أى الا أن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير فى أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الامان تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) أى ويخوفكم الله أن تعصوه بأن ترتكبوا المنهى أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة * قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) يعنى ما فى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (أو تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أى تظهروه بالحرب والمقاتلة (يعلمه الله) أى يحفظه عليكم ويجازيكم به (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وما عملت من سوء) أى تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) أى تتمنى (لو أن بينها و بينه) أى و بين ما عملت من السوء (أمدا بعيدا) أى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تودانها لم تعمله و يكون بينها و بينه أمد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد أتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو

ينبغى لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم وقال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير فى أيام الحجاج ان الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الاسلام تقية انما التقية فى أهل الحرب (ويحذركم الله نفسه) أى يخوفكم الله عقوبته على موالاة الكفار وارتكاب المنهى ومخالفة المأمور (والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم) قلوبكم من مودة الكفار (أو تبدوه) من موالاتهم قولا وفعلا (يعلمه الله) قال الكلبى ان تسروا ما فى قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله و يحفظه عليكم حتى يجازيكم به ثم قال (و يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى اذا كان لا يخفى عليه شئ فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بالقلب (والله على كل شئ قدير) قوله تعالى (يوم تجد كل نفس) نصب يوم بنزع حرف الصفة أى فى يوم وقيل باضمار فعل أى اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس (ما عملت من خير محضرا) لم يبخس منه شئ كما قال الله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا (وما عملت من سوء) جعل بعضهم خيرا فى موضع النصب أى تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعل بعضهم خيرا مستأنفا ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضى الله عنهما وما عملت من سوء ودت لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا قوله تعالى (تود لو أن بينها) أى بين النفس (و بينه) يعنى و بين السوء (أمدا بعيدا) قال السدى مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية التى ينتهى اليها وقال الحسن يسر أحدهم أن لا يلقى عمله أبدا وقيل يود انه لم يعمله (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال والله يامعشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت له قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعونى يحببكم الله فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم اتبعوا شريعتى وسنتى يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) قيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبى لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا) أعرضوا عن طاعتهما (فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى فعلهم ولا يغفرلهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن عبادة أنا يزيد أنا سليمان بن حيان واثنى عليه أنا سعيد بن ميناء قال حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم ابن وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا أما الدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم على غير دين الاسلام اصطفى اختارا فتعل من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم أبا البشر ونوحا

وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه * قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعنى ان من غفر له فقد أزال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل أمر أو نهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به فى كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن أقبل منكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لا يحب الكافرين) أى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى * قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح بن لامك

(وآل ابراهيم وآل عمران) قيل أرادبآل ابراهيم وآل عمران ابراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما كقوله تعالى و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقال آخرون آل ابراهيم اسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وكان محمد صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم عليه السلام وأما آل عمران فقد قال مقاتل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وآله موسى وهرون وقال الحسن ووهب هو عمران بن أشهم ابن عمون من ولد سليمان ابن داود عليهما السلام وآله مريم وعيسى وقيل عمران ابن ماثان وانما خص هؤلاء بالذكر لان الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم (على العالمين ذرّية) اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لانه استخرجهم من صلب آدم كالذر و يسمى الاولاد والآباء ذرية فالاولاد ذرية لانه ذرأهم والآباء ذرية لانه ذرأ الابناء منهم قال الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أي آباءهم ذرية نصب على معنى واصطفى ذرية (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران) وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى عليه السلام لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وقيل كان بين ابراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة و بين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن أشهم قوله تعالى (رب اني نذرت لك ما في بطني محررا) أي جعلت لك الذي في بطني محررا نذرا مني لك (فتقبل مني انك أنت السميع العليم) والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه مجررا أي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من الدنيا وكل ما أخلص فهو محرر يقال حررت العبد اذا أعتقته وخلصته من الرق قال الكلبي

ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابراهيم) قيل أرادبآل ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق و يعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم أصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء وجعل اسحق أصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل أرادبآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون أو نفسه وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المرادبآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) أي اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرأه الله تعالى أي خلقه (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعني ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوّته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا * قوله عزوجل (اذ قالت امرأت عمران) هي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران أبي موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل في ذلك الزمن وأحبارهم وملوكهم (رب اني نذرت لك ما في بطني محرّرا) أي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا أي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها و يخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بني اسرائيل ومن علمائهم الا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره أصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهي أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل مني) يعني فتقبل نذري والتقبل أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص في دعائه وعبادته (انك أنت السميع) يعني لتضرعي ودعائي (العليم) يعني بنيتي وما في ضميري

ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا اخر رجعل فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم ثم يخير ان أحب أقام فيه وان أحب ذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من الانبياء والعلماء الا من نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك ان زكريا وعمران تزوجا أختين وكانت ايشاع بنت فاقوذا أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أم مريم عند عمران وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته فحملت بمريم فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما فى بطنك أنثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم

(فلما وضعتها) أى ولدتها اذا هى جارية والهاء فى قوله وضعتها راجعة الى النذيرة لا الى ما ولذلك أنث (قالت) حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما (رب انى وضعتها أنثى) اعتذارا الى الله عز وجل (والله أعلم بما وضعت) بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى عز وجل وهى قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم (وليس الذكر كالانثى) فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها للينها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس (وانى سميتها مريم) وهى بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم من أجمل النساء فى وقتها وأفضلهن (وانى أعيذها) أمنعها وأجيرها (بك وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) والشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمى بالشهب أخبرنا عبد الواحد

قوله عز وجل (فلما وضعتها) أى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها أنثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى علم بما فى بطنها قبل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب انى وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الأنثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهوبة لله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة لله تعالى وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية أن يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى أعيذها بك وذريتها) أى أمنعها وأجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فاذا هى أنثى تضرعت الى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بأصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب * قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الأصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال أبو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وأنبتها نباتا حسنا)

المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى حدثنى سعيد بن المسيب قال قال أبو هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل الصبى صارخا من الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن) أى قبل الله مريم من حنة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل ورضى والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوغ والوزوع ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها (وأنبتها نباتا حسنا) معناه وأنبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر معناه

على غير الصدر أي المصدر وكذلك قوله فتقبلها ربها بقبول حسن ومثله سائغ كقولك تكلمت كلاما وقال جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قال أهل الاخبار أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحقكم بها عندي خالتها فقالت له الاحبار لا نفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا أقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها وقيل كان على كل قلم اسم واحد منهم وقيل كانوا يكتبون التوراة فالقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتد قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن اسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجرى الماء وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه في طين وجرت أقلامهم في جرية الماء فسهمهم وقرعهم زكريا وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكرياء قرأ حمزة والكسائي وعاصم كفلها بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب أي ضمنها الله وضمها اليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا الى نفسه وقام بأمرها وهو زكريا ابن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا ممدودا والآخرون يمدونه فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا اشبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه لا يرقى اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب) وأراد بالمحراب الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد أيضا محراب وقال المبرد لا يكون المحراب الا أن يرتقى اليه بدرجة وقال الربيع بن أنس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها فتحها (وجد عندها رزقا) أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (قال يا مريم أنى لك هذا) قال أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأنكر بعضهم عليه وقال معناه من أي جهة لك هذا لان أنى للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان (قالت هو من عند الله) أي من قطف الجنة وقال أبو الحسن ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة

معناه وأنبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام (وكفلها زكريا) قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا أحق بها لان خالتها عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فألقوا أقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء الى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا اشبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه، ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعني الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يا مريم أنى لك هذا) أي من أين لك هذه الفاكهة (قالت) يعني مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أنى

(ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال محمد بن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قال أهل الاخبار فلما رأى ذلك زكريا قال ان الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد قال الله تعالى

(هنالك) أي عند ذلك (دعا زكريا ربه) فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه (قال رب) أي يا رب (هب لي) اعطني (من لدنك) أي من عندك (ذرية طيبة) أي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وأنثى وهو ههنا واحد بدليل قوله عزوجل فهب لي من لدنك وليا وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) أي سامعه وقيل مجيبه كقوله تعالى اني آمنت بربكم فاسمعون أي فأجيبوني (فنادته الملائكة) قرأ حمزة والكسائي فناداه بالياء والآخرون بالتاء لتأنيث لفظ الملائكة وللجمع مع ان الذكور اذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها أحسن كقوله تعالى قالت الاعراب وعن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يذكر الملائكة جبريل في القرآن قال أبو عبيد فانما نرى عبد الله اختار ذلك خلافا للمشركين في قولهم الملائكة بنات الله تعالى وروى الشعبي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء وذكروا القرآن وأراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبريل بالروح والوحي ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم سمعت هذا الخبر من الناس وانما سمع من واحد نظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني أبا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة اذا كان القائل رئيسا يجوز الاخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقل ما يبعث الا ومعه جمع فجرى على ذلك قوله تعالى (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان فيفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه

لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عزوجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عزوجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعني انه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) أي سامعه ومجيبه * قوله عزوجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل أن يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه

(ان الله يبشرك) قرأ ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان الله وقرأ الآخرون بالفتح بايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان الله يبشرك قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القرآن الا قوله فبم تبشرون فانهم اتفقوا على تشديدها ووافقه الكسائى ههنا فى الموضعين وفى سبحان والكهف وحمسق ووافق ابن كثير وأبو عمرو فى حمسق والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيرا وهو أعرب اللغات وأفصحها دليل التشديد قوله تعالى فبشر عبادى وبشرناه باسحاق قالوا بشرناك بالحق وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشر وهى لغة تهامة وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه (يحيى) هو الاسم لا يجر لمعرفته وللزائد فى أوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون مثل موسون وعيسون واختلفوا فى انه لم سمى يحيى فقال ابن عباس رضى الله عنهما لان الله أحيا به عقر أمه قال قتادة لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل سمى يحيى لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل معناه يموت وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية (مصدقا) نصب على الحال (بكلمة من الله) يعنى عيسى عليه السلام سمى عيسى كلمة الله لان الله تعالى قال له كن من غير أب فكان فوقع عليه اسم الكلمة وقيل سمى كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى وقيل هى بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام بكلام على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء بكلامه فى كتبه انه يخلق نبيا بلا أب فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابنى خالة ثم قتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليه السلام وقال أبو عبيدة بكلمة من الله أى بكتاب من الله وآياته تقول العرب أنشدنى كلمة فلان أى قصيدته قوله تعالى (وسيدا)

جبريل عليه السلام يا زكريا (ان الله يبشرك بيحيى) أى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمى يحيى لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله فى كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعنى الوعد الذى وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابنى خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لام عيسى يا مريم أشعرت انى حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم انى لاجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى ان يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يجل من أن يضاف الى أحد منهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعنى انه من أولاد

هو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذى يتبع وينتهى الى قوله قال المفضل أراد سيدا فى الدين قال الضحاك السيد الحسن الخلق قال سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم وقال قتادة سيد فى العلم والعبادة والورع وقيل الحليم الذى لا يغضبه شئ قال مجاهد الكريم على الله تعالى وقيل السيد التقى قاله الضحاك قال سفيان الثورى الذى لا يحسد وقيل الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو القانع بما قسم الله له وقيل هو السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال وأى داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح قوله تعالى (وحصورا ونبيا من الصالحين) والحصور أصله من الحصر وهو الحبس والحصور فى قول ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضى الله عنهم وعطاء والحسن الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل يعنى انه يحصر نفسه عن الشهوات وقال سعيد بن المسيب هو العنين الذى لا ماء له فيكون

الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره وفيه قول آخر ان الحصور هو الممتنع من الوطى مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لان الكلام خرج مخرج الثناء وهذا أقرب الى استحقاق الثناء والثانى انه أبعد من الحاق الآفة بالانبياء قوله تعالى (قال رب) أى ياسيدى قال لجبريل عليه السلام هذا قول الكلبى وجماعة وقيل قاله لله عز وجل (أنى يكون) يعنى أين يكون (لى غلام) أى أين (وقد بلغنى الكبر) هذا من المقلوب أى وقد بلغت الكبر وشخت كما تقول بلغنى الجهد أى أنا فى الجهد وقيل معناه وقد نالنى (٢٩٠) الكبر وأدركنى وأضعفنى قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أى عقيم لا تلد ويقال رجل عاقر وامرأة عاقر وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده الله تعالى أنى يكون لى غلام أكان شاكا فى وعد الله وفى قدرته قيل ان زكريا لما سمع النداء من الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى كنت تسمعه ليس من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لأوحاه اليك كما يوحى اليك فى سائر الاحوال فقال ذلك دفعا للوسوسة قاله عكرمة والسدى وجواب آخر وهو انه لم يشك فى وعد الله انما شك فى كيفيته أى كيف ذلك أتجعلنى وامرأتى شابين أم ترزقنا ولدا على الكبر منا أم ترزقنى من امرأة أخرى قاله مستفهما لا شاكا

الانبياء الصالحين * قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب) أى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربى أى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (أنى يكون لى غلام) يعنى من أين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغنى الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالنى الكبر وأدركنى الضعف * فان قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا فى وعد الله أو فى قدرته * قلت لم يشك زكريا عليه السلام فى وعد الله وفى قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أى جهة يكون لى الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتى وردشبابى على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فأجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لأوحاه اليك كما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز أن يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحى السماوى وأجيب عن هذا الاعتراض بأنه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لنزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس فى رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أى عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شئ * قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب اجعل لى آية) أى علامة أعلم بها وقت حمل امرأتى فأزيد فى العبادة والشكر لك (قال آيتك) أى علامتك على الذى طلبت معرفة علمه (أن لا تكلم الناس) أى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) أى مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من أجله وأن يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد

هذا قول الحسن قوله تعالى (قال رب اجعل لى آية) أى علامة أعلم بها وقت حمل امرأتى فازيد فى العبادة شكرا لك (قال آيتك ألا تكلم الناس) أى تكف عن الكلام (ثلاثة أيام) وتقبل بكليتك على عبادتى لانه يحبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عن الكلام وهو صحيح سوى كما قال فى سورة مريم ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يدل على قوله تعالى وسبح بالعشى والابكار فامره بالذكر ونهاه عن كلام الناس وقال أكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام وقال قتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله

مشافهة

(الا رمزا) أى اشارة والاشارة قد تكون باللسان و بالعين واليد وكانت اشارته بالاصبع المسبحة قال الفراء قد يكون الرمز باللسان من غير ان يبين وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) قيل المراد بالتسبيح الصلاة والعشى ما بين زوال الشمس الى غروب الشمس ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار ما بين صلاة الفجر الى الضحى قوله تعالى (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل (يا مريم ان الله اصطفاك) اختارك (وطهرك) قيل من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس قال السدى كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك على نساء العالمين) قيل على عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فى انها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحرير فى المسجد ولم تحرر أنثى

مشافهة الملائكة اياه بشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام (الا رمزا) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد و بالعين و بالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول أصح لموافقة أهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك و بينه (وسبح) أى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فأما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله اصطفاك) أى اختارك (وطهرك) يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أى واختارك (على نساء العالمين) أى عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين * فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى * قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها وأما التفضيل بينهما فسكوت عنه (ق) عن أبى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقة من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (يا مريم اقنتى لربك) أى قالت الملائكة لها شفاها أطيعى ربك وقيل معناه أطيلى القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة ذلك قامت فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا

أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أحمد بن رجاء أخبرنا النضر عن هشام أخبرنى أبى قال سمعت عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة رضى الله عنهما ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة وأشار وكيع الى السماء والارض أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن اسمعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عروة بن مرة عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أخبرنا أبو بكر سعيد بن عبد الله بن أحمد الطاهرى أخبرنا جدى عبد الرحمن بن عبد الصمد البزار أخبرنا محمد بن زكريا العذافرى أخبرنا اسحق الديرى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون قوله تعالى (يا مريم اقنتى لربك) قالت لها الملائكة شفاها أى أطيعى ربك وقال مجاهد أطيلى القيام فى الصلاة لربك والقنوت الطاعة وقيل القنوت طول القيام قال الاوزاعى لما قالت لها الملائكة ذلك قامت فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا

(واسجدي واركعي) قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود فى الشرائع كلها وليس الواو للترتيب بل للجمع يجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمرا وان كان قد رأى عمرو قبل زيد (مع الراكعين) ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل فانه يدخل فيه الرجال والنساء وقيل معناه مع المصلين فى الجماعة قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى على نبينا وعليهم السلام من أنباء الغيب أى من أخبار الغيب نوحيه اليك ردا الكناية الى ذلك فلذلك ذكره (وما كنت) يا محمد (لديهم اذ يلقون أقلامهم) سهامهم فى الماء للاقتراع (أيهم يكفل مريم) يحضنها ويربيها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) فى كفالتها قوله تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) انما قال اسمه ردا الكناية الى عيسى واختلفوا فى انه لم سمى مسيحا فمنهم من قال هو فعيل بمعنى المفعول يعنى انه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان مسيح القدم لا أخمص له وسمى الدجال مسيحا لانه كان ممسوح احدى العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل عليم وطهر وعالم قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى عيسى عليه السلام مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ وقيل سمى بذلك لانه كان يسيح فى الارض ولا يقيم فى مكان وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة وقال ابراهيم النخعى المسيح الصديق ويكون المسيح بمعنى الكذاب ويؤيده سمى الدجال

الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدي واركعي مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هى للجمع كأنه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة أى صلى مع المصلين فى جماعة * قوله عز وجل (ذلك من أنباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب (نوحيه اليك) أى نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك أن تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يا محمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون أقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (أيهم يكفل مريم) يعنى يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت امرأة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى فى كفالتها وتربيتها * قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخير من عنده فهو كقول القائل ألقى الىّ فلان كلمة سرتنى بها وأخبرنى خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن * فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره * قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلاجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن أن يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها * فان قلت الضمير فى قوله اسم عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير * قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير * فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة * قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع واسمه بالعبرانية مشيخا فغيرته العرب وأصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار

والحرف من الاضداد (وجيها) أى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والاخرة ومن المقربين) عند الله (ويكلم الناس فى المهد) صغيرا قبل أوان الكلام كما ذكر فى سورة مريم قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وحكى عن

وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولا يقيم بمكان فكأنه يمسح الارض أى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا أخمص له وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد * وقوله تعالى (وجيها) أى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والآخرة) أما وجاهته فى الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى وأما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ما ذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية من القذف ويحكى أن مريم قالت كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وأنا أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبالغ النطق (وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة أمه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بأنه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات * قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل (أنى يكون لى ولد) أى من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) أى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ونعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة وأحكام

مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت أنا وعيسى عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع قوله (وكهلا) قال مقاتل يعنى اذا اجتمعت قوته قبل ان يرفع الى السماء وقال الحسين بن الفضل وكهلا بعد نزوله من السماء وقيل أخبرها انه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة اخبار عن الاشياء المعجزة وقيل وكهلا نبيا بشرها بنبوة عيسى عليه السلام وكلامه فى المهد معجزة وفى الكهولة دعوة وقال مجاهد وكهلا أى حليما والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) أى هو من العباد الصالحين (قالت رب) يا سيدى تقوله لجبريل وقيل تقول لله عز وجل (أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) ولم يصبنى رجل قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن جرت العادة بان يولد ولد لا أب له (قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا) أراد كون الشئ (فانما يقول له كن فيكون) كما يريد قوله تعالى (ويعلمه الكتاب) قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل رده على قوله ان الله يبشرك ويعلمه وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم كقوله تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك قوله الكتاب أى الكتابة والخط (والحكمة) العلم والفقه

(والتوراة والانجيل) علمه الله التوراة والانجيل (ورسولا) أى ونجعله رسولا (الى بنى اسرائيل) قيل كان رسولا فى حال الصبا وقيل انما كان رسولا بعد البلوغ وكان أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال (أنى) قال الكسائى انما فتح لانه أوقع الرسالة عليه وقيل معناه بأنى (قد جئتكم بآية) علامة (من ربكم) تصدق قولى وانما قال بآية وقد أتى بآيات لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل قالوا وما هى قال (أنى) قرأ نافع بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأنى (أخلق) أى أصوّر وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) قرأ أبو جعفر كهيئة الطائر ههنا وفى المائدة والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته (فأنفخ فيه) أى فى الطير (فيكون طيرا باذن الله) قراءة الاكثرين بالجمع لانه خلق طيرا كثيرا وقرأ أهل المدينة ويعقوب فيكون طائرا على الواحد ههنا وفى سورة المائدة ذهبوا الى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه أكمل الطير خلقا لان له ثديا

وأسنانا وهى تحيض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم ان الكمال لله عز وجل قوله تعالى (وأبرئ الاكمه والابرص) أى أشفيهما وأصحهما واختلفوا فى الاكمه قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة هو الذى ولد أعمى وقال الحسن والسدى هو الاعمى وقال عكرمة هو الاعمش وقال مجاهد هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وانما خص هذين لانهما داءان عياء ان وكان الغالب فى زمن عيسى عليه السلام الطب فاراهم الله المعجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له وأما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان قوله تعالى (وأحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى عليه السلام ان أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله تعالى فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقى وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به ميتا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلا يأخذ العشور مات له بنت بالامس فدعا الله عز وجل فاحياها وبقيت وولدت وأما سام بن نوح عليه السلام فان عيسى عليه السلام جاء الى قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة قال لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله فعل

الشرائع (والتوراة) يعنى التى أنزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى أنزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) أى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا وما هذه الآية قال (أنى أخلق) أى أصوّر وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته وأصلحته (فانفخ فيه) أى فى الطين المهيأ المصوّر (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا أو ما أخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من أكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوّة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه أن يخلق لهم خفاشا فأخذ طينا وصوّره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو والله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى أعمل هذا التصوير أنافا ما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأبرئ الاكمه والابرص) أى وأشفى الاكمه والابرص وأصحهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فمن أطاق أن يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (وأحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه

السلام فأرسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فأتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فأحياها بدعوته فعاشت وولد لها وأما سام ابن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وأنبئكم) يعني وأخبركم (بما تأكلون) أي مما لم أعاينه (وما تدخرون في بيوتكم) أي وما ترفعونه فتخبؤنه في بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى عليه السلام فجمعوا صبيانهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير فقشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه أمه فحملته على حمارها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهي اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام * فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق * قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل أو نحو ذلك وقد يخطىء في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستعين برائد من الجن وقد يخطىء أيضا في كثير مما يخبر به وأما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) أي لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم

كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء وقال السدي كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى عليه السلام فجمعوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال فما في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عليهم فاذا هم خنازير فقشا ذلك في بني اسرائيل فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمارها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في المائدة وكانت خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبؤا للغد فخانوا وخبؤا للغد فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير قوله تعالى (ان في ذلك) الذي ذكرت (لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا) عطف على

قوله ورسولا (لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) من اللحوم والشحوم وقال أبو عبيدة أراد بالبعض الكل يعني كل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول لبيد تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها يعني كل النفوس

قوله تعالى (وجئتكم بآية من ربكم) يعنى ما ذكر من الآيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد فى الدلالة على رسالته (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى) أى وجد قاله الفراء وقال أبو عبيدة عرف وقال مقاتل رأى (منهم الكفر) وأرادوا قتله استنصر عليهم (قال من أنصارى الى الله) وقال السدى كان سبب ذلك ان عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره بالدعوة نفته بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فنزلا فى قرية على رجل فاضافهما وأحسن اليهما وكان لتلك المدينة جبار متعد فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا قالت لا تسأليني قالت أخبرينى لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولى له فلا يهتم فانى آمرانى فيدعو له فيكفى ذلك فقالت مريم لعيسى عليه السلام فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت فلا نبالى فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى عليه السلام فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال هى من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فى ملكه وقدمات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تتركنى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا فى أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من أنصارى الى الله) أى مع الله وقيل معناه الى ان أبين أمر الله وأظهر دينه

عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بأمر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) أى بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتى ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعنى يا معشر بنى اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعون) يعنى فيما أدعوكم اليه لان طاعة الرسول من تمام تقوى الله وما أدعوكم اليه هو قولى (ان الله ربى وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا فى الله تعالى وفى هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما ينسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعنى التوحيد * قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر) أى وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ﴿ذكر سبب القصة﴾ قال أهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بنى اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فنزل فى قرية على رجل فأضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل فى بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم أخبرينى لعل الله أن يفرج كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لا يهتم لذلك فأنا آمر انى أن يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا نبالى فانه قد أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال هى من أرض أخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فى ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى أليس أراه فقال عيسى ان أنا أحييته تتركنى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا فى أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من أنصارى الى الله) أى مع الله وقيل معناه الى ان أبين أمر الله وأظهر دينه

أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال الملك فان خمرى من تلك الارض وليست وقيل
مثل هذه قال هى من أرض أخرى فلما اختلط على الملك شدد عليه قال فانا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا ومرقا ولحما وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليجيء به الى حتى يحيى ابنى فدعا عيسى فكلمه فى ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا أبالى أليس أراه حيا فقال عيسى ان

أنحييه تركوني وأمي نذهب حيث شاء قال نم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا قد
موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكل أبوه فاقتتلوا فذهب عيسى وأمه فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون فقالوا
نصطاد السمك قال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا من أنت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله من أنصاري الى الله فآمنوا به وانطلقوا
معه قوله تعالى من أنصاري الى الله قال السدي وابن جريج مع الله تعالى تقول العرب الذود الى الذود بل أي مع الذود كما قال الله تعالى ولا
تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي مع أموالكم وقال الحسن وأبو عبيدة الى بمعنى في أي من أعواني في الله أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها
معناه من يضم نصرته الى نصرة الله لي واختلفوا في الحواريين قال مجاهد والسدي كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض
ثيابهم وقيل كانوا ملاحين وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقال عطاء سلمت مريم عيسى
عليه السلام الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب
وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان

وقيل الى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي (قال
الحواريون نحن أنصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا
به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال
عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن أنت قال أنا
عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى
فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من
السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى
صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشيء بمعنى بيضته
وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى
أعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع
عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج الى السفر ولا أرجع الى عشرة أيام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فأريد أن تفرغ منها وقت
قدومي وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن
الله على ما أريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين
هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت علي الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج
ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري
يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون
وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا
اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل

وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغا منها وقت قدومي وخرج فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله على ما أريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال ما فعلت فقال فرغت قال أين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فأخرج عيسى ثوبا أحمر وثوبا أصفر وثوبا أخضر الى ان أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الحواري يتعجب ويعلم ان ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه فهم

 الحواريون وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال ابن المبارك سموا بها لما عليهم من أثر
العبادة ونورها وأصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل أحور وامرأة حوراء أي شديدة بياض العين وقال الكلبي وعكرمة الحواريون
هم الاصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلا قال روح بن أبي القاسم سألت قتادة عن الحواريين قال هم الذين تصلح لهم
الخلافة وعنه أيضا انه قال الحواريون هم الوزراء وقال الحسن الحواريون الانصار والحواري الناصر والحواري في كلام العرب خاصة الرجل
الذي يستعين به فيما ينوبه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا
الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال سفيان
الحواري الناصر قال معمر قال قتادة ان الحواريين كلهم من قريش أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح
وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين (قال الحواريون
نحن أنصار الله) أعوان دين الله ورسوله

(آمنا بالله واشهد) ياعيسى (بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت) من كتابك (واتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين)

الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله ورسوله وأعوانه (آمنا بالله) أي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعني أنت ياعيسى (بأنا مسلمون) قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما أنزلت) يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعني بكتابك الذي أنزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فأثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على أمته * قوله عز وجل (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر دبروا في قتل عيسى عليه السلام وذلك ان عيسى عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وأمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم قال الله تعالى (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فأما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رآى ذلك يهود ارأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهود املك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الارض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود وقال ماتجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي ألقى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبط الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال

الذين شهدوا لانبيائك بالصدق وقال عطاء مع النبيين لان كل نبي شاهد أمته وقال ابن عباس رضي الله عنهما مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم يشهدون للرسل بالبلاغ قوله تعالى (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر دبروا في قتل عيسى عليه السلام وذلك ان عيسى عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وأمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم قال الله تعالى (ومكر الله والله خير الماكرين) فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قتل قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما رأى

ذلك يهودا رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام وساروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله فى خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر يهودا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل غرفته لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج ظنوا انه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه قال وهب طرقوا عيسى فى بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فأظلمت الارض فارسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود فقال لهم ماتجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى وأخذ الذى دلهم عليه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما علام تبكيان ان الله تعالى قد رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع فى جبلها فانه لم يبك أحد عليك بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها وليجتمع لك الحواريون فبثهم فى الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريون فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله عز وجل اليه وتلك الليلة هى التى تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله

السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام فى بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فألقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشر سنة وولدته ببيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين * قوله عز وجل (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الىّ) اختلفوا فى معنى التوفى هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا فى معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الىّ من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى منيمك ورافعك الىّ الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال

تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال السدى ان اليهود حبسوا عيسى فى بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبهه وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى عليه السلام ورفعه اليه وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا سمائيا أرضيا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين فتوفيت مريم عليها السلام وهى بنت اثنتين وخمسين سنة (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الىّ) اختلفوا فى معنى التوفى ههنا قال الحسن والكلبى وابن جريج انى قابضك ورافعك من الدنيا الىّ من غير موت يدل عليه قوله تعالى فلما توفيتنى أى قبضتنى الى السماء وأنا حى لأن قومه انما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته فعلى هذا التوفى تأويلان أحدهما انى رافعك الى وافيا لم ينالوا منك شيأ من قولهم توفيت منه كذا وكذا واستوفيته اذا أخذته تاما والآخر انى متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أى تسلمته وقال الربيع بن أنس المراد بالتوفى النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه انى منيمك ورافعك الى كما قال الله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل أى ينيمكم وقال بعضهم المراد بالتوفى الموت وروى على بن طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه انى مميتك يدل عليه قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله اليه وقال محمد بن اسحق ان النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه والآخر ما قاله الضحاك وجماعة ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا معناه انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا عبد الرحمن بن أبى شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن

عبد العزيز البغوي اخبرنا علي بن الجعد اخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٣٠٠) والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير

ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى عليه السلام قال وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء قوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم أهل الروم وقيل أراد بهم النصارى أي فهم فوق اليهود الى يوم القيامة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لاتباع الدين (ثم الي مرجعكم) في الآخرة (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الدين وأمر عيسى (فأما الذين كفروا) يعني

وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطي معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي أخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الى فأخبر الله تعالى انه رفع بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب تدري ما أمكم منكم قلت فاخبرني قال فامكم كتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام * قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعني مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بأنه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الي مرجعكم) يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فأما الذين كفروا) يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم (والآخرة) أي وأعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا (وأما الذين آمنوا) يعني

وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) قرأورش والحسن وحفص بالياء والباقون بالنون أى يوفيهم أجور أعمالهم (والله لا يحب الظالمين) أى لا يرحم الكافرين ولا يثنى عليهم بالجميل (ذلك) أى هذا الذى ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين (نتلوه عليك) يعنى نخبرك به بتلاوة جبريل عليك (من الآيات والذكر الحكيم) يعنى القرآن والذكر ذى الحكمة وقال مقاتل الذكر الحكيم أى المحكم الممنوع من الباطل وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء وقيل من الآيات أى من العلامات الدالة على نبوّتك لانها أخبار لا يعلمها الا قارىء كتاب الله أو من يوحى اليه وأنت أمى لا تقرأ (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) الآية نزلت فى وفد نجران وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول انه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فانزل الله تعالى هذه الآية ان مثل عيسى عند الله فى كونه خلقه من غير أب كمثل آدم لانه خلق من غير أب وأم (خلقه من تراب ثم قال له) يعنى لعيسى عليه السلام (كن فيكون) يعنى فكان فان قيل ما معنى قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون خلقا ولا تكوين بعد الخلق قيل معناه خلقه ثم أخبركم انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة وهو مثل قول الرجل أعطيتك اليوم درهما ثم أعطيتك أمس درهما أى ثم أخبرك انى أعطيتك أمس درهما وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس لان القياس هو رد فرع الى أصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى خلق عيسى الى آدم عليهم السلام بنوع شبه

بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوّته وانه عبد الله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم أجورهم) يعنى جزاء أعمالهم لا ينقص منه شىء (والله لا يحب الظالمين) أى لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) أى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فأضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوّتك يا محمد لانها أخبار لا يعلمها الا من يقرأ أو يكتب أو نبى يوحى اليه وأنت أمى لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى أنزل عليك (والذكر الحكيم) أى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش * قوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من أهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط من غير أب فأنزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله أى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير أب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بأن الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ فى القدرة فلم لا يقر بأن الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن فى خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب أى قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) أى أنشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بأن الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال انى أخبركم أيضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل أن يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية * فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم * قلت هو مثله فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير أب وأم أغرب فى العادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغرب به * وحكى ان بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرىء الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سليما وقوله كن (فيكون)

قوله تعالى (الحق من ربك) أى هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أى الشاكين الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أى جادلك فى أمر عيسى وفى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت قال الفراء بمعنى تعال كانه يقول ارتفع (ندع) جزم لجواب الأمر وعلامة الجزم سقوط الواو (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أبناءنا أراد الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعليا رضى الله عنه والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه (٣٠٢) كما قال الله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم يريد اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبتهل)

قال ابن عباس رضى الله عنهما أى نتضرع فى الدعاء وقال الكلبى نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقال الكسائى وأبو عبيدة نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنته (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) منا ومنكم فى أمر عيسى فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان أبيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا للحسين أخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا فقال فانى أنابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب وزاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا * فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة * قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر

قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة * قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أى هلموا والمراد منه المجىء وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان أبيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله من مكانه فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وان نتركك على دينك وتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال انى أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران

وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الله تعالى (ان هذا لهو القصص الحق) النبأ الحق (وما من اله الا الله) ومن صلة تقديره وما اله الا الله (وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا) أعرضوا عن الايمان (فان الله عليم بالمفسدين) الذين يعبدون غير الله و يدعون الناس الى عبادة غير الله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم) الآية قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابراهيم عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه وأولى

على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يروأحد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها في كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتتابع فيه المعاني (وما من اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية (وان الله لهو العزيز) أي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) أي الذين يعبدون غير الله و يدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا أن تتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا أي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لأحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أي عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم لهؤلاء (اشهدوا بأنا مسلمون) أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان أبا سفيان أخبره ان هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايلياء

الناس فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة سواء عدل بيننا و بينكم مستوية أي أمر مستو يقال دعا فلان الى السواء أي الى النصفة وسواء كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى فرآه في سواء الجحيم وانما قيل للنصفة سواء لان أعدل الامور وأفضلها أوسطها سواء نعت لكلمة الا انه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فاذا فتحت السين مددت واذا كسرت او ضممت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم فسر الكلمة فقال (أن لا نعبد الا الله) ومحل ان رفع على اضمار هي وقال الزجاج رفع بالابتداء وقيل محله نصب بنزع حرف الصلة معناه بان لا نعبد الا الله وقيل محله خفض بدلا من الكلمة أي تعالوا الى كلمة أن لا نعبد الا الله (ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله وقيل معناه لا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا فقولوا اشهدوا) أي فقولوا أنتم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم اشهدوا (بأنا مسلمون) مخلصون بالتوحيد أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره ان أبا سفيان بن حرب أخبره ان هرقل أرسل

اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية بن خليفة الكلبى وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله و رسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى

فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله و رسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه بأطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك * قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم و بين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة و بين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة و بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل أخبر فى القرآن بأن ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون و بطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعنى يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعنى يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) أى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وأنزل عليكم بيانه فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا فيه وأعلمهم أن ابراهيم برىء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى و يستقبل الكعبة فى صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم

أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه بأطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك * قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم و بين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة و بين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة و بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل أخبر فى القرآن بأن ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون و بطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعنى يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعنى يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) أى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وأنزل عليكم بيانه فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا فيه وأعلمهم أن ابراهيم برىء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحد ويختتن ويضحى و يستقبل الكعبة فى صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم

(حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت له التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس فى كتابكم انه كان يهوديا أو نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم وجدوا نعته فى كتابهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون فى ابراهيم وليس فى كتابكم ولا علم لكم به (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم برأ الله تعالى ابراهيم عما قالوا فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) والحنيف المائل عن الاديان

الى الدين المستقيم وقيل الحنيف الذى يوحد و يحج و يضحى و يختتن و يستقبل الكعبة وهو أسهل الاديان وأحبها الى الله عز وجل قوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) أى من اتبعه فى زمانه وملته بعده (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى من هذه الامة (والله ولى المؤمنين) روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس و رواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين هم عند النجاشى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب

لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد أو عمارة ابن أبى معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشى مرحبا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم أن تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما أحب أن أجيب عن أصحابى فرهذين الرجلين فليتكلم أحدهما وليتنصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا قد أبقنا من

له * قوله عز وجل (ان أولى الناس بابراهيم) يعنى أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الامة الاسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان ولى أبى وخليل ربى ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين أخرجه الترمذى و روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبى طالب وأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشى مرحبا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم أن تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابى فرهذين الرجلين فليتكلم أحدهما

ولينضمت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار كرام فان كنا عبيدا آبقين من أربابنا فاردد نا اليهم فقال النجاشي أعبيدهم أم أحرار فقال عمرو بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية ثم قال جعفر سل هل أهرقنا دمه بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه قال عمرو لا ولا قيراطا قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ماهذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه أصدقني فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى ابن مريم موافقاله فقال النجاشي يا جعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع عليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم (٣٠٦) الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى و بين يوم القيامة نبي مرسل فقالو

أربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي أعبيدهم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وماهذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاله فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى و بين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشر نابه عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و يأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم و باليتيم و يأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن

اللهم نعم قد بشر نابه عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و يأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم و باليتيم و يأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وأمه فقرأ جعفر عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذى العين فقال

والله ما زاد المسيح على ما تقولون مثل هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن تبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأكرم جوار وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو بالمدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين قوله عز وجل (ودت طائفة من أهل الكتاب) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت ودت طائفة أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود (لو يضلونكم) يستزلونكم عن دينكم و يردونكم الى الكفر

ياسر

(وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) ان نعته في التوراة والانجيل مذكور (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الاسلام باليهودية والنصرانية وقيل لم تخلطون الايمان بعيسى عليه السلام وهو الحق بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الباطل وقيل لم تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) ان محمدا صلى الله عليه وسلم ودينه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) الآية قال الحسن وقتادة والسدي نواة اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم واتهموه فقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم منا به فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فأطلع الله تعالى رسوله على سرهم وأنزل وقالت طائفة من أهل الكتاب

ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودّت طائفة أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر (وما يضلون الا أنفسهم) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنى اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأنتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا أنه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وأنتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب * قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لانه أول ما يواجه منه وأنشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

* وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه أي انا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف * قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا

(بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أوله سمي وجها لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فيشكون ويرجعون عن دينهم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم واللام في لمن صلة أي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم أي ردفكم

(قل ان الهدى هدى الله) هذا خبر من الله تعالى ان البيان بيانه ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند بكم لانكم أصح دينا منهم وهذا معنى قول مجاهد وقيل ان اليهود قالت لسفلتهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) من العلم أى لئلا يؤتى أحد ولا فيه مضمرة كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا يقولون لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم فى العلم أو لئلا يحاجوكم عند ربكم فيقولوا علمتم ان ديننا حق وهذا معنى قول ابن جريج وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى ان بمعنى الجحد أى ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (أو يحاجوكم عند ربكم) يعنى الا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم فقوله عز وجل عند ربكم أى عند فعل ربكم بكم وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبى ومقاتل وقال الفراء ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقك أى حتى يعطيك حقك ومعنى الآية ما أعطى أحد مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره ان يؤتى أحدا أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ألا أن أنزل كتابا مثل كتابكم أو بعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند بكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند بكم أو يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا * وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام (بيد الله) أى أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء) يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل فى اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) أى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) أى بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل

الا لمن تبع دينكم أى وافق ملتكم التى أنتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم أى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) أى ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند بكم لانكم أصح دينا منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى أنتم عليه انما صار دينا بحكم الله وأمره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد أى ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند بكم) يعنى الا ان يحاجوكم أى اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند بكم أى عند فعل ربكم وقيل أو فى قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند بكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ألا أن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند بكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند بكم أو يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا * وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام (بيد الله) أى أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء) يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل فى اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) أى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) أى بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل

للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يامعشر المؤمنين حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله وان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله تعالى ولا تؤمنوا من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم ويقول لا تصدقوا يامعشر المؤمنين الا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم فى دينكم عند ربكم أى يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا قوله (يختص برحمته) أى بنبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) الآية نزلت فى اليهود أخبر الله تعالى ان فيهم امانة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت ومنهم من لا يؤديها وان قلت قال مقاتل (٣٠٩) ومن أهل الكتاب من ان تأمنه

(يختص برحمته) يعنى بنبوّته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوّة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) * قوله عزوجل (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك) الآية نزلت فى اليهود أخبر الله عزوجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدّى الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام ألفا وماتى أوقية من ذهب فأداها اليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم أن يحل قتل من خالفهم فى الدين وأخذ ماله بأى طريق كان (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه باصاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل أراد انه ان أودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان أخرت استرجاع ما أودعته أنكره ولم يرده عليك (ذلك) أى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى أخذها منهم بأى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) أى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لجرد نفى ماقبلها فعلى هذا يحسن

بقنطار يؤده اليك هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) يعنى كفار اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله عزوجل ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك يعنى عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا وماتى أوقية من ذهب فأداها اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه قوله يؤده اليك قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة يؤده ولا يؤده ونصلهما ونوله ونوله ساكنة الهاء وقرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاس كسرا والباقون بالاشباع كسرا فمن سكن الهاء قال لانها وضعت فى موضع الجزم وهو الياء الذاهبة ومن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الياء ومن أشبع فعلى الاصل لان الاصل فى الهاء الاشباع (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس ملحا يريد يقوم عليه يطالبه بالالحاح وقال الضحاك مواظبا أى تواظب عليه بالاقتضاء وقيل أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده اليك فان فارقته وأخرته أنكره ولم يؤده (ذلك) أى ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) أى فى مال العرب اثم وحرج كقوله تعالى ما على المحسنين من سبيل وذلك ان اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقال الكلبى قالت اليهود ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا فى أخذنا اياه منهم وقال الحسن وابن جريج ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فكذبهم الله عزوجل وقال عز من قائل (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ثم قال رداعليهم (بلى) أى ليس كما قالوا بل عليهم سبيل ثم ابتدأ فقال

(من أوفى) أى ولكن من أوفى (بعهده) أى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة وقيل الهاء فى عهده راجعة الى الموفى (واتقى) الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت فى رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم المأكل والرشا التى كانت لهم من أتباعهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا موسى بن اسمعيل أنا أبو عوانة عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان فأنزل الله تعالى تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية فدخل الاشعث بن قيس فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن فقالوا كذا وكذا فقال فىّ أنزلت كانت لى بئر فى أرض ابن عم لى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال هات بينتك أو يمينه قلت اذا يحلف عليها يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم ابن الحجاج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو الاحوص عن سماك ابن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر عن أبيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبى فقال الحضرمى يارسول الله ان هذا قد غلبنى على أرض لى كانت لابى فقال الكندى هى أرضى فى يدى أزرعها ليس له فيها حق فقال النبى صلى الله عليه وسلم للحضرمى ألك بينة قال لا قال فلك يمينه قال يارسول الله ان الرجل فاجر لا يبالى على ما حلف عليه قال ليس لك منه الا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أدبر لئن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض ورواه عبد الملك بن عمير عن علقمة وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندى وخصمه ربيعة بن عبدان وروى لماهم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف وأقر لخصمه بحقه ودفعه اليه أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسى أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قالوا وان كان شيأ يسيرا يارسول الله قال وان كان قضيبا من أراك قالها ثلاث مرات أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمرو بن محمد أنا هاشم بن محمد أنا العوام بن حوشب عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى أوفى أن رجلا أقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قوله تعالى ان الذين يشترون أى يستبدلون بعهد الله وأراد الامانة وأيمانهم الكاذبة ثمنا قليلا

الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أى ولكن (من أوفى بعهده) أى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى أنزل عليه وبأداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى أحبار اليهود ورؤسائهم أبى رافع وكنانة بن أبى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس وخصم له (ق) عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فىّ نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها

أى شيأ قليلا من حطام الدنيا (أولئك لا خلاق لهم) لا نصيب لهم (فى الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) كلاما ينفعهم ويسرهم وقيل هو بمعنى الغضب كما يقول الرجل انى لا أكلم فلانا اذا كان غضب عليه (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) أى لا يثنى عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب (ولهم عذاب أليم) أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد ابن جعفر عن شعبة عن على ابن مدرك عن أبى زرعة عن خرشة بن الحر عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفى رواية المسبل ازاره أخبرنا الامام أبو على الحسين ابن محمد القاضى أنا أسيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى أنا أبو نصر محمد بن حمدويه المروزى أنا محمود ابن آدم المروزى أنا سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف يمينا على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر انه أعطى بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وأخرجه الترمذى وأبو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبد الله بن أبى أوفى ان رجلا أقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وأيمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمنا للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم فى الآخرة) أى لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما يسرهم به أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) أى ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثنى عليهم بجميل (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائى المنان بما أعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك * قوله عز وجل (وان منهم) يعنى من اليهود (لفريقا) يعنى طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وأبو ياسر وشعبة ابن عمرو الشاعر (يلوون) أى يعطفون ويميلون وأصل اللى الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (ألسنتهم بالكتاب) يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعنى لتظنوا أن الذى حرفوه وبدلوه من الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعنى ذلك الذى يزعمون انه من

بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ماله فان الله تعالى يقول اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك قوله تعالى (وان منهم لفريقا) يعنى من أهل الكتاب لفريقا أى طائفة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو والشاعر (يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا أى غيره (لتحسبوه) أى لتظنوا ما حرفوا (من الكتاب) الذى أنزله الله تعالى (وما هو من الكتاب

و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب) عمدا (وهم يعلمون) انهم كاذبون وقال الضحاك عن ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) الآية قال مقاتل والضحاك ما كان لبشر يعنى عيسى عليه السلام وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال تعالى ما كان لبشر يعنى عيسى أن يؤتيه الله الكتاب أى الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر يعنى محمدا أن يؤتيه الله الكتاب أى القرآن وذلك ان أبا رافع القرظى من اليهود والرئيس من نصارى أهل نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرنى الله وما بذلك بعثنى فأنزل الله تعالى هذه الآية ما كان لبشر أى ما ينبغى لبشر كقوله تعالى ما يكون لنا أن نتكلم بهذا أى ما ينبغى لنا والبشر جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش و يوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب (والحكم) الفهم والعلم وقيل امضاء الحكم عن الله عز وجل (والنبوّة) المنزلة الرفيعة بالانباء (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن (كونوا) أى ولكن يقول كونوا (ربانيين) اختلفوا فيه قال على وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء وعلماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء حكماء وعلماء ونصحاء لله فى خلقه قال أبو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام والأمر والنهى العارف بانباء الامة ما كان وما يكون وقيل الربانيون فوق الأحبار والاحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس قال المؤرخ كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان فى الاصل ربنى فادخلت الالف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعانى وبهرانى وقال المبرد هم أرباب العلم سموا به لانهم يربون العلم و يقومون به و يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح الشئ واتمامه فقد ربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه ياء النسبة كما يقال لحيانى ورقبانى وحكى عن على رضى الله عنه انه قال هو الذى يربى علمه بعمله قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة (بما كنتم) أى بما أنتم كقوله تعالى من كان فى المهد صبيا أى من هو فى المهد (تعلمون الكتاب) قرأ

الكتاب ما هو منه (و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعنى الذى يقولونه و يغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا فى كتاب الله ما ليس فيه * قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرنى الله وما بذلك بعثنى فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر أى ما ينبغى لبشر وهو جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط و يوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوّة يعنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوّة مع القول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوّة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوّة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات ربانى هذه الأمة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم و يرب الناس أى يعلمهم و ينصحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا أدعوكم الى أن تكونوا عبادا لى ولكن أدعوكم الى أن تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير وموا ظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهى تدل على الذى علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير * وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب

ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون تعلمون بالتخفيف من العلم كقوله (وبما كنتم تدرسون) أى تقرؤن قوله (ولا يأمركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر أى ولا يأمر ذلك البشر وقيل على اضمار أن أى ولا ان يأمركم ذلك البشر وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يأمركم الله وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح وعزير ما قالوا (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرأ حمزة لما بكسر اللام وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر اللام فهى لام الاضافة دخلت على ما الموصولة ومعناه الذى يريد للذى آتيتكم أى أخذ ميثاق النبيين لاجل الذى آتاهم من الكتاب والحكمة وانهم أصحاب الشرائع ومن فتح اللام فمعناه للذى آتيتكم بمعنى الخبر وقيل بمعنى الجزاء أى لئن آتيتكم ومهما آتيتكم وجواب الجزاء قوله لتؤمنن به قوله لما آتيتكم قرأ نافع وأهل المدينة آتيناكم على التعظيم كما قال وآتينا داود زبورا وآتيناه الحكم صبيا وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط ولقوله وانا معكم واختلفوا فى المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى ان الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده وان يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهود على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان أدركه فان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال على بن أبى طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذوا العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف فى القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى

وبما كنتم تدرسون) أى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار أن أى ولا أن يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر فى أقاصيصك اذ أخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله يعنى حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبيين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدى فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين وانما أطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال على بن أبى طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذوا العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف فى القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى

محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال انما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين وهذا قول مجاهد والربيع ألا ترى الى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه ان فى قراءة عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وانما القراءة المعروفة واذ أخذ الله ميثاق النبيين فاراد ان الله أخذ ميثاق النبيين ان يأخذوا الميثاق الى أممهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه ان أدركوه وقال بعضهم أراد أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد على

المتبوع عهد على الاتباع وهذا معنى قول ابن عباس وقال على بن أبى طالب لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا أخذ عليه الميثاق والعهد فى أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه قال) يقول الله تعالى للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج وأخذ عليهم الميثاق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى) أى قبلتم على ذلكم عهدى والاصر العهد الثقيل

الآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة لتؤمنن به للذى عندكم فى التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله (ثم جاءكم رسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فاذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة لما فى كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوى قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى الآية وقال الامام فخر الدين الرازى يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل فى عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعنى قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرله وان فسرنا بان أخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبى لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى أضاف أخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون أخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار وأضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا فى اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد (وأخذتم على ذلكم اصرى) أى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد (قالوا أقررنا) أى قال النبيون أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى أنتم على أنفسكم وقيل على أممكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان أصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يا معشر الانبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) أى أعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء عن دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى أبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر أى أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وله أسلم) أى خضع وانقاد (من فى السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك

(قالوا أقررنا قال) الله تعالى (فاشهدوا) أى فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم وقال ابن عباس فاشهدوا أى فاعلموا وقال سعيد بن المسيب قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور (فمن تولى بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) العاصون الخارجون عن الايمان قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد انه على دين ابراهيم عليه السلام واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم عليه السلام فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله تعالى أفغير دين الله يبغون قرأ أهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى وأولئك هم الفاسقون وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى لما آتيتكم (وله أسلم) خضع وانقاد (من فى السموات والارض طوعا وكرها) فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة

وابا عن النفس واختلفوا فى قوله طوعا وكرها قال الحسن أسلم أهل السموات طوعا وأسلم من فى الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقال مجاهد طوعا المؤمن وكرها ذلك الكافر بدليل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو

والآصال وقيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فقال بعضهم طوعا و بعضهم كرها وقال قتادة المؤمن من أسلم طوعا ففعه الايمان والكافر أسلم كرها في وقت اليأس فلم ينفعه الاسلام قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقال الشعبي هو استعاذتهم به عند اضطرارهم كما قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقال الكلبي طوعا الذي ولد في الاسلام وكرها الذين أجبروا على الاسلام ممن يسبى منهم فيجاء بهم في السلاسل (واليه ترجعون) قرأ بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ يبغون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء فيهما الا أبو عمرو فانه قرأ يبغون بالياء وترجعون بالتاء قال لان الاول خاص والثاني عام لان مرجع جميع الخلق الى الله عز وجل قوله تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول آمنا بالله الآية قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري فنزلت فيهم ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) لفظه استفهام ومعناه جحد أي لا يهدي الله وقيل معناه كيف يهديهم الله في الآخرة الى

بمشقة واباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل أسلم أهل السموات طوعا وأسلم بعض أهل الارض طوعا و بعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل أسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل أسلم المؤمن طوعا ففعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا وأما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا * قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين في هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما أنزل علينا) يعني وقل يا محمد وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف و بدل (وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) أي وما أوتي النبيون (من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين و يكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن أمته انه يؤمن بجميع الانبياء * فان قلت لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء * قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق و ينتهي الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا * قوله عز وجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به و يرضى عن فاعله و يثيبه عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب و روى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار و يقرون به و يقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب و يوفق

(وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) وذلك ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) لما كان منه فحملها اليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحرث انك والله فيما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وان الله عز وجل لأصدق الثلاثة فرجع الحرث الى المدينة وأسلم وحسن اسلامه قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) قال قتادة والحسن نزلت فى اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال أبو العالية نزلت فى اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم بنعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم قال مجاهد نزلت فى جميع الكفار أشركوا بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا أى أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه قال الحسن ثم ازدادوا كفرا كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا وقيل ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون قال الكلبى نزلت فى أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد لما رجع الحارث الى الاسلام أقاموا هم على الكفر

للايمان قوما كفروا أى جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم أى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا أن الرسول حق) يعنى و بعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوّته التى بمثلها ثبتت النبوّة (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب * فان قلت كيف قال فى أول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا وقال فى آخرها والله لا يهدى القوم الظالمين وهذا تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص بأولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصارى لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها اليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه (وأصلحوا) أى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفى حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) أى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم أشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى أحد عشر رجلا من أصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية * فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم * قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين

يحضرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل فى الحارث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قيل قد وعد الله قبول توبة من تاب فما معنى قوله (لن تقبل توبتهم

وأولئك هم الضالون) قيل لن تقبل توبتهم اذا رجعوا في حال المعاينة كما قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل هذا في أصحاب الحرث بن سويد حيث أعرضوا عن الاسلام وقالوا نتربص بمحمد ريب المنون فان ساعده الزمان نرجع الى ديننا لن تقبل توبتهم لن يقبل ذلك لانهم متربصون غير محققين وأولئك هم الضالون قوله عز وجل

يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال ان اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم أي مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم * وقوله تعالى (وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤا منهاجه * قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد حبا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) أي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذا لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه * فان قلت الكافر لا يملك شيأ في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا * قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعني ما نعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فأبيت الا الشرك لفظ مسلم * قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب

(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض) أي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ذهبا) نصب على التفسير كقولهم عشرون درهما (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال سمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة أرأيت لو أن لك ما في الارض جميعا من شيء أكنت تفدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيأ فأبيت الا ان تشرك بي قوله تعالى (لن تنالوا البر) يعني الجنة قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقال مقاتل بن حيان التقوى وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن لن تكونوا أبرارا أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الصالحي قال أخبرنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وايا كم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا

قوله تعالى (حتى تنفقوا مما تحبون) أى من أحب أموالكم اليكم روى الضحاك عن ابن عباس ان المراد منه أداء الزكاة وقال مجاهد والكلبى هذه الآية نسختها آية الزكاة وقال الحسن كل انفاق يبتغى به المسلم وجه الله حتى التمرة ينال به هذا البر وقال عطاء لن تنالوا البر أى شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن

مالك عن اسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة انه سمع أنس ابن مالك يقول كان أبو طلحة الانصارى أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب ماله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الىّ بيرحا وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ماقلت فيها وانى أرى أن تجعلها فى الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الى أبى موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فدعا بها فأعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر (فان قال خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عمر فذكرت ما أعطانى الله عز وجل فما كان شئ أحب الىّ من فلانة هى حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لا أعود فى شئ جعلته لله لنكحتها (وما تنفقوا من شئ

يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس ابن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعنى من جيد أموالكم وأنفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب فى اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ أنفقه المسلم من ماله مما يبتغى به وجه الله و يطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الىّ بيرحا وانها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح أو قال ذلك مال رابح أرى ان تجعلها فى الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه قوله بخ بخ هى كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهى مبنية على السكون فاذا وصلت جررت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح أى ذو ربح وفى الرواية الاخرى ذلك مال رابح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه و بيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابى طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطانى الله تعالى فما كان شئ أحب الىّ من فلانة فقلت هى حرة لوجه الله تعالى قال ولولا انى لا أعود فى شئ جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يارسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يارسول الله انما أردت أن أتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفى رواية كأن زيدا وجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبى صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها وروى أن أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعى ائتنى بخبر ابل فجاء بناقة مهزولة فقال للراعى ختنى فقال الراعى وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم أوضع فى حفرتى * وقوله تعالى (وما تنفقوا من شئ) يعنى من أى شئ كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه

فان الله به عليم) أى يعلمه ويجازى به قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التورية) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكلها فلست على ملته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم عليه السلام فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله تعالى هذه الآية كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل يريد سوى الميتة والدم فانه لم يكن حلالا قط الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام من قبل أن تنزل التوراة يعنى ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل وألبانها على ابراهيم بل كان الكل حلالا له ولبنى اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة يعنى ليست فى التوراة حرمتها واختلفوا فى الطعام الذى حرمه يعقوب على نفسه وفى سببه قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبى كان ذلك الطعام لحمان الابل وألبانها وروى أن يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فحرمهما وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك هى العروق وكان السبب فى ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى جويبر عن الضحاك أن يعقوب كان نذر ان وهبه الله اثنى عشر ولدا وأتى من بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فصارعه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال له الملك أما انى لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسى ما قال له الملك فأتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو وكان رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر اليه فهاج به عرق النسا ولقى من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاء أى صياح فحلف يعقوب ان شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصاب يعقوب عرق النسا وصقب له الاطباء ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقال

(فان الله به عليم) أى يعلمه ويجازيكم به * قوله عز وجل (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التورية) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك تزعم أنك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعنى ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى أولاده فأنكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم أن يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بأن النسخ غير جائز فأنكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فألزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بأن بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بأن النسخ غير جائز وفى هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما فى التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس فى التوراة علم ان الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلا أى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل وألبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن

أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح أحدهم وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما اني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قوي يافلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمزه الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله رغاء أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء أن يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسأل ربه أن ينجز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني اسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا يأكله ولدلي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال الله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أوصب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لآبائهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل فقال (قل) يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) حتى تتبين لكم انه كما قلت (ان كنتم صادقين) فلم يأتوا فقال الله عز وجل (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله

الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبد الله تعالى فسأل ربه ان يجيزله ذلك فحرمها الله على ولده ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال عطية انما كان محرما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قد قال ان عافاني الله لا آكله لا يأكله ولدلي ولم يكن محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وانما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال الله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أوصب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لآبائهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل فقال (قل) يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) حتى تتبين لكم انه كما قلت (ان كنتم صادقين) فلم يأتوا فقال الله عز وجل (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله

اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أى اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أى لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه * قوله عز وجل (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وأرض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم أكذبهم الله تعالى وأخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشئ الذى يوجد ابتداء سواء حصل عقبه شئ آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس أى وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد. فان قلت كيف أضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس * قلت أما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان أحدهما انه من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أى تزيلها وسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والخاطئة لانها تحطم من استخف بحرمتها أولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء فى كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه أول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفى رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفى عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو أول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين فى الارض أن يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم فى الارض قيل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه السلام فأمره ببنائه القول الثانى ان المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى أن رجلا قام الى على بن أبى طالب فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله

فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وانما دعاهم الى اتباع ملة ابراهيم لان فى اتباع ملة ابراهيم اتباعه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة

مباركا) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى هذه الآية ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا (وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وليس شئ من هذه الفضائل لبيت المقدس واختلف العلماء في قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول عبد الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقال بعضهم هو أول بيت بني في الارض روى عن علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا في الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوه واسمه الضراح وأمر من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة برحمك يا آدم حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ويروى عن ابن عباس أنه قال أراد به انه أول بيت بناه آدم في الارض وقيل هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يعبد الله فيه ويحج اليه وقيل هو أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبي معناه ان أول مسجد ومتعبد وضع للناس يروى ذلك عن علي ابن أبي طالب قال الضحاك أول بيت وضع فيه البركة وقيل أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه كما قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع يعني المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسمعيل أنا موسى بن اسمعيل أخبرنا عبد الواحد أنا الاعمش أخبرنا ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال سمعت أبا ذر يقول قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما أربعون سنة ثم قال أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فان الفضل فيه قوله تعالى للذي ببكة قال جماعة ان هي مكة نفسها وهو قول الضحاك والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سبد رأسه وسمده وضربة لازب ولازم وقال الآخرون بكة موضع البيت في مكة ومكة اسم البلد كله وقيل بكة موضع البيت والمطاف سميت بكة لان الناس يتباكون فيها أي يزدحمون يبك بعضهم بعضا ويمر بعضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها فلم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله وأما مكة سميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مككت الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها مباركا نصب على الحال أي ذا بركة وهدى للعالمين لانه قبلة للمؤمنين فيه آيات بينات قرأ ابن عباس آية بينة على الوحدان وأراد مقام ابراهيم وحده وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه ابراهيم وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن تلك الآيات في البيت الحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابراهيم جميع الحرم ومن الآيات في البيت ان الطير تطير فلا تعلو فوقه وان الجارحة اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانه بلد صدر اليه الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار

كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه وأول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بأن صلى اليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته * قوله تعالى (فيه آيات بينات) أي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذي بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الخليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت * قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم

وان الطاعة والصدقة فيها تضاعف بمائة ألف أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح أخبرنا عبد الله بن عبد الله الاغر عن أبي عبد الله الاعمش عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا من أن يهاج فيه وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا وكانت

ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة الى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه في الحرم وأجمعوا على انه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك * قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

﴿ فصل ﴾ في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني آدم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر وموقوفا (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبي سعيد الخدري ان النبي عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما

العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل المراد به ان من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترفثوا ولا تفسقوا حتى ذهب بعض أهل العلم الى ان من وجب عليه قتل قصاصا أو حدا فالتجأ الى الحرم فلا يستوفى منه فيه ولكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى حتى يخرج منه فيقتل قاله ابن عباس وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم الى ان القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه أما اذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفى فيه

عقوبته بالاتفاق وقيل معناه ومن دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) أي ولله فرض واجب على الناس حج البيت قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة وقرأ الآخرون بفتح الحاء وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد والحج أحد أركان الاسلام أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي

سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج قال أهل العلم ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلا يجب على الكافر ولا على المجنون ولو حجا بأنفسهما لا يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبى ولا على العبد ولو حج صبى يعقل أو عبد يصح حجهما تطوعا ولكن لا يسقط به فرض الاسلام عنهما فلو بلغ الصبى أو أعتق العبد بعد ما حج واجتمع فى حقه شرائط وجوب الحج عليه أن يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى من استطاع اليه سبيلا غير انه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الاسلام والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون قادرا مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره أما الاستطاعة بنفسه فأن يكون قادرا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائى الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعى أخبرنا سعيد بن سالم عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر قال قعدنا الى عبد الله ابن عمر فسمعته يقول سأل رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الحاج قال الشعث التفل فقام رجل آخر فقال يا رسول الله أى الحج أفضل قال العج والثج فقام آخر فقال يا رسول الله ما السبيل قال زاد وراحلة وتفصيله أن يجد راحلة تصلح لمثله ووجد الزاد للذهاب والرجوع فاضلا عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه وعن دين يكون عليه ووجد رفقة يخرجون فى وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج فى ذلك — دين الوقت فان خرجوا قبله أو أخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج فى ذلك الوقت ويشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدى يطلب شيأ لا يلزمه ويشترط أن تكون المنازل المبرورة معمورة يجد الزاد والماء فان كان زمان جدوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشى أو لم يجد الزاد لكن

ينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذى وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة ومامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يلبى الا لبى ماعن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذى هذا حديث غريب

﴿ فصل ﴾ فى أحكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبى والعبد ولو حج صبى يعقل أو حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبى وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر فى الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب أن نستثنى من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل بأى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة أنه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشى وآخر يقدر على المشى على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعى الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا أمره أن يحج عنه أو قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن

يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج و يستحب له ذلك وعند مالك يلزمه أما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا أو به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه يجب عليه أن يستأجر أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه يلزمه أن يأمره اذا كان يعتمد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة و يقال في العرف فلان مستطيع لبناء داروان كان لا يفعله بنفسه وانما يفعله بماله و بأعوانه وعند أبي حنيفة لا يجب

الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال وحجة من أوجبه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) قال ابن عباس والحسن وعطاء جحد فرض الحج وقال مجاهد من كفر بالله واليوم الآخر وقال سعيد ابن المسيب نزلت في اليهود حيث قالوا الحج الى مكة غير واجب وقال السدي هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو الحسن الكلماني أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو أخبرنا سهيل بن عمارة أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله) أي لم تصرفون عن دين الله (من آمن)

دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو أخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم و يشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه و يشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق أهلها لجدب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج و يستحب له أن يفعل ذلك و يلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بأن كان زمنا أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال و بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ما روى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجاه في الصحيحين * قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين * قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة

تبغونها) تطلبونها (عوجا) زيغا وميلا يعنى لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجا قال أبو عبيدة العوج بالكسر فى الدين والقول والعمل والعوج بالفتح فى الجدار وكل شخص قائم (وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) ان فى التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين على نفر من الاوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الاسلام بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قبطى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار ابن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا جميعا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعنى شاسا اليهودى وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك فى الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفى الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب

والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم (تبغونها عوجا) يعنى زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء فى الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فأما الشئ الذى يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء فى قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل فى سبيل الله بالقاء الشبه فى قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن عباس يعنى وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب فى التوراة وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة فى قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودى وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الاوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قبطى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعنى شاسا وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قال جابر فما رأيت قط يوما أقبح أولا ولا أحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب (وكيف تكفرون) يعنى ولم تكفرون (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) القرآن (وفيكم رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم قال قتادة فى هذه الآية علمان بين كتاب الله ونبى الله أما نبى الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن

العباس الحميدي أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان عن يزيد بن حيان قال سمعت زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيبه وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي قوله تعالى (ومن يعتصم بالله) أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته (فقد هدي الى صراط مستقيم)

تعجب والتفجع انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم أما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله تعالى فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله) أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدي الى صراط مستقيم) أي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم

طريق واضح وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي يؤمن بالله وأصل العصمة المنع فكل مانع شيأ فهو عاصم له قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل ابن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان ثعلبة بن غنم من الاوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي مناخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم ابن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى وقال مجاهد ان تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس انه قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه قال أهل التفسير لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية وقال مقاتل ليس في آل عمران من المنسوخ الا هذه الآية

(ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى مؤمنون وقيل مخلصون مفوّضون أموركم الى الله عز وجل وقال الفضيل محسنون الظن بالله أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أبو بكر العبدوسى أخبرنا أبو بكر بن محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد أخبرنا سليمان بن يوسف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) الحبل السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف واختلفوا فى معناه ههنا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدى هو القرآن وروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة الله لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه وقال مقاتل بن حيان بحبل الله أى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) كما افترقت اليهود والنصارى أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا

العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان * وقوله تعالى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمعنى واقع على الأمر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا فى الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لابد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الاسلام لانه لما كان يمكنكم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون مخلصون مفوّضون الى الله أموركم تحسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) أى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه أيضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا وانى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى أنتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم) قال محمد بن اسحق بن يسار وغيره من أهل الاخبار كانت الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل قتل بينهم فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة سنة الى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكان سبب ألفتهم ان سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك فقال محلة لقمان يعني حكمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها فقال ان هذا كلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه ولم ينفر وسر بذلك وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قبل يوم بعاث فان قومه ليقولون انه قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه فتية من بني الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم وقال هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما ذلك قال أنا رسول الله بعثني الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيأ وأنزل الله علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس ابن معاذ أن هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف ابن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خريدة وعقبة بن عامر بن بابي وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قالوا وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كان معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم كانوا أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان منهم شيء قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك فان جمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا به صلى الله عليه وسلم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل أتى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذا بنا عفراء ورافع ابن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي بيعة العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا الى آخر الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان مصعب يسمى بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد بن زرارة بن خالتي ولولا ذاك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في أنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندكم فلما وقف على النادي

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم

قال قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا افعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا مبادرا للذي ذكره له من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيأ فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد ابن زرارة لولا ما بيني و بينك من القرابة مارمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره فقال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه وان تبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا و رغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهيله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم تشهد شهادة الحق و ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله قال فما أمسى في الدار لبني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم أو مسلمة و رجع أسعد بن زرارة ومصعب الى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة و وائل وواقف وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه و يطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت تلك الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم عمن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب بن عمارة احدى نساء بني النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار خزرجها وأوسها ان محمدا صلى الله عليه وسلم منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وأنه قد أبى الا الانقطاع اليكم والالحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى و رغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا و بين الناس حبالا يعني العهود ونحن قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لا بل الابد الابد الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهك الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف قالوا فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قال ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة صوتا ما سمعته قط يا أهل الحياجب هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أزب

العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا فانه والله ما حي من العرب أبغض الينا (٣٣١) أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كأني أريد ان أشركه القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر اما تستطيع ان تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي فقال والله لتنعلنهما قال يقول أبو جابر رضي الله عنه مه والله لقد أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال لا أردهما قال والله يا أبا صالح والله لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها و بلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله تعالى قد جعل لكم

فاصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما عداوة وقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل علي نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيس أنس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فبهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا رسول الله قد بعثني الله الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيأ وأنزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء و رافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خريدة وعقبة بن عامر بن بانى وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا

اخوانا ودارا تامنون فيها وأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذكروا نعمت الله عليكم يا معشر الانصار اذ كنتم أعداء قيل الاسلام فألف بين قلوبكم بالاسلام (فأصبحتم) أي فصرتم (بنعمته) برحمته وبدينه الاسلام (اخوانا) في الدين والولاية بينكم

وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذا ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد بن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان فى الحائط فلما رآه أسعد ابن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى أنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل أن يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيأ فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بينى و بينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل أن يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى فى دار بنى الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه و يطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهى بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فأسلم فأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بنى النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع احدى نساء بنى سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يامعشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الىّ منكم اثنى عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أزب العقبة يعنى شيطان العقبة اسمع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر

الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادا تنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الىّ وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فارددا اليه نعليه قال فقلت لا أردهما قال والله يا أبا صالح لئن صدق الفال لأسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم أعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فأصبحتم بنعمته اخوانا يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يامعشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم منها) أى فخلصكم بالايمان من الوقوع فى النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام فى قوله ولتكن لام الامر أى لتكن منكم أمة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من فى قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة أى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب فى فعل ما ينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك ما لا ينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون)

من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم) الله (منها) بالايمان (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة) أى ولتكونوا أمة ومن صلة ليست للتبعيض كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لم يرد اجتناب بعض الاوثان بل أراد فاجتنبوا الاوثان واللام فى قوله ولتكن لام الامر (يدعون الى الخير) الى الاسلام (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أخبرنا اسمعيل ابن عبد القاهر قال أنا عبد الغافر بن محمد قال أخبرنا محمد بن عيسى الجلودى أخبرنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبى شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال قال أبو سعيد رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى قال أخبرنا أبو الحسن الطيسفونى أخبرنا عبد الله بن عمر والجوهرى أخبرنا احمد بن على الكشميهنى أخبرنا على بن حجر أخبرنا اسمعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبى عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشهل عن حذيفة أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدرابجردي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبد العزيز بن مسلم المقسمي أنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله تعالى بعقابه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدثني الشعبي انه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم

مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فاسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) قال أكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة رضي الله عنه هم الحرورية بالشام قال عبد الله بن شداد وقف أبو امامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام فقال هم كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرأ

تقدم تفسيره * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال عبد الله ابن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم أخذ بيدي وقال ان بأرضي منهم كثير وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله أكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكوه وقال فيه هذا حسن * وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود وأراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد * قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات الى قوله تعالى أكفرتم بعد ايمانكم أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن ابن بشران أخبرنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد قوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يوم نصب على الظرف أي في يوم وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول يريد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدونه فيسعى كل قوم الى ما كانوا يعبدونه وهو قوله تعالى نوله ما تولى فاذا انتهوا اليه حزنوا

فتسود وجوههم من الحزن و يبقى أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيأ مما رفع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد فى الدنيا مطيعا مؤمنا و يبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون وأهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المؤمنين حزنوا حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين فيقول الله للملائكة انظروا كيف كذبوا على أنفسهم قال أهل المعانى بياض الوجوه اشراقها واستبشارها وسرورها بعملها و بثواب الله واسوادها حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها و بعذاب الله يدل عليه قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وقال تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وقال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) معناه يقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فان قيل كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قيل حكى عن أبى ابن كعب انه قال أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ربهم ألست بربكم قالوا بلى يقول أكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بألسنتهم وأنكروا بقلوبهم وقال عكرمة انهم أهل الكتاب آمنوا بأنبيائهم و بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به وقال قوم هم من أهل قبلتنا وقال أبو أمامة هم الخوارج وقال قتادة هم أهل البدع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا سعيد بن أبى مريم عن نافع بن عمر حدثنى ابن أبى مليكة عن أسماء بنت أبى بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دونى فأقول يارب

اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفى بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاكان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن و يكسى نورا و يسود وجه الكافر و يكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجوه وسوادها ان أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من أهل الشقاوة (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع * فان قلت كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم * قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن أبى بن كعب أنه قال أراد به الايمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالايمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا من أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلأقولن أى رب أصحابى أصحابى فيقال لى لا تدرى ما أحدثوا بعدك زاد فى رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى أو قال من أمتى فيجلون عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على على بن ابى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على أيها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية

سويد

سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول وأهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة * وقوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعنى المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففى رحمة الله) يعنى ففى جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة فى لان فى كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم فى رحمة الله وانهم فى الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعنى القرآن وقيل هذه الآيات التى تقدمت (نتلوها عليك بالحق) أى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة فى قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر انهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا من خلقه (ولله ما فى السموات وما فى الارض) لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما فى السموات وما فى الارض وان جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لانهم عبيده وفى قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعنى واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصى فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم * قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم ودينا خير من دينكم الذى تدعوننا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف فى لفظة كان فقيل هى بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهى عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين فى الامم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم فى اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ آمنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم فى دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم أى صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس فى قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن فى خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين أن رسول الله

منى ومن أمتى فيقال هل شعرت بما عملوا بعدك فوالله ما برحوا يرجعون على أعقابهم وقال الحارث الاعور سمعت عليا رضى الله عنه على المنبر يقول ان الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أخبرنا أبو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله ابن عمر الجوهرى أخبرنا أحمد بن على الكشميهنى أنا على بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) هؤلاء أهل الطاعة (ففى رحمة الله) ففى جنة الله (هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة

آخرجت للناس) قال عكرمة ومقاتل نزلت فى ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهم وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لهم نحن أفضل منكم ودينا خير مما تدعونا اليه فانزل الله تعالى هذه الآية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كنتم خير أمة (٣٣٨) أخرجت للناس هم الذين هاجروا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال جويبر عن الضحاك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وروى عمر بن الخطاب قال كنتم خير أمة أخرجت للناس تكونون لاولنا ولا تكونون لآخرنا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوى أنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدرى أذكر النبى صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ثم ان بعدهم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وبهذا الاسناد عن على بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الاعمش عن ذكوان عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه قال الآخرون جميع المؤمنين

صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرنى يعنى أصحابى والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى كل أمة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام فى حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وأصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع أمتى أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار أخرجه الترمذى عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتى كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله أخرجه الترمذى وله عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع الجيد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبى بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى أخرجه الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس من هذه الامة وقوله كنتم أى أنتم كقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وقال فى موضع آخر واذكروا اذ أنتم قليل وقيل معناه كنتم خير أمة عند الله فى اللوح المحفوظ وقال قوم قوله للناس صلة قوله خير أمة أى أنتم خير أمة للناس قال أبو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيؤن بهم فى السلاسل فتدخلونهم فى الاسلام قال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم يؤمر

نبي بعده بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس وقيل قوله للناس صلة قوله أخرجت معناه ما أخرج الله للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين ابن محمد بن حبيش المقرى أنا علي بن زنجويه اخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال انكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا معشر بن ابراهيم بن محمد الفيركي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هي أخيرها وأكرمها على الله عز وجل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضيل أخبرنا خليفة

للناس في جميع الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة * فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات * قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت أن الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا أذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لاسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم الا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو القاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه

الفضل بن الجباب أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأشج أنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي أخبرنا محمد بن عيسى التنيسي أخبرنا عمر بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد عن عبد الله ابن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم كلهم حتى تدخلها أمتي أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال

اخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدي لأبي محمد عبد الله بن مرزوق أنا عفان بن مسلم أنا عبد العزيز بن مسلم أخبرنا أبو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة قوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أي الكافرون قوله تعالى (لن يضروكم الا أذى) قال مقاتل ان رؤس اليهود عمدوا الى من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم فانزل الله تعالى هذه الآية لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى باللسان وعيدا وطيغانا وقيل كلمة كفر تتأذون بها (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) بل يكون لكم النصر عليهم

(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) حيث ما وجدوا (الا بحبل من الله) يعني أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يمنون الا بحبل عهد من الله تعالى بان يسلموا (وحبل من الناس) من المؤمنين ببذل جزية أو أمان يعني الا ان يعتصموا بحبل الله فيأمنوا قوله تعالى (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به (وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما آمن عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية واختلفوا في وجهها فقال قوم فيه اختصار تقديره ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة فترك الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وقال الآخرون تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء وهو وقف لانه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء يعني المؤمنين والفاسقين ثم وصف الفاسقين فقال لن يضروكم الا أذى ووصف المؤمنين بقوله أمة قائمة وقيل قوله من أهل الكتاب ابتداء كلام آخر لان ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء ثم ابتدأ فقال من أهل الكتاب قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يستوي اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق المستقيمة وقوله تعالى أمة قائمة قال ابن عباس أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيعوه ولم يتركوه (وهم وقال مجاهد عادلة وقال السدي مطيعة قائمة على كتاب الله وحده وقيل قائمة في الصلاة وقيل الامة الطريقة ومعنى الآية أي ذوو أمة أي ذوو طريقة مستقيمة (يتلون آيات الله) يقرؤن كتاب الله وقال مجاهد يتبعون (آناء الليل) ساعاته واحدها انى وآناء مثل نحى وأنحاء وانى وآناء مثل معى وأمعاء وانى مثل منا وأمناء

تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشئ يضرب على الشئ فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (أينما ثقفوا) أي حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعني الا بعهد من الله وهو أن يسلموا فنزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لاعزلهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعاني اليها القلب اني امرؤ لها * مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد أم غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فأعلم الله ان منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وأمة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة أي مهتدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة في الصلاة (يتلون آيات الله) أي يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعني ساعاته

(وهم يسجدون) يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطاء في قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكانوا عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعني بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب في أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (وأولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) أي من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين * قوله عز وجل (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم أموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيرا في يوم بدر وأحد على المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني أي تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فأعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله

أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وكان من الانصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وأبو قيس بن صرمة ابن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه قوله تعالى (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما اخبار عن الامة القائمة وقرأ الآخرون بالتاء فيهما لقوله كنتم خير أمة وأبو عمرو يرى القراءتين جميعا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجازون عليه (والله عليم بالمتقين) بالمؤمنين (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) أي لا تدفع أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة من الله شيأ أي من عذاب الله وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد

عليه وسلم وقال مقاتل أراد نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد يعنى جميع نفقات الكفار فى الدنيا وصدقاتهم وقيل أراد انفاق المرائى الذى لا يبتغى به وجه الله تعالى (كمثل ريح فيها صر) حكى عن ابن عباس رضى الله عنه انها السموم الحارة التى تقتل وقيل فيها صر أى صوت وأكثر المفسرين قالوا فيها برد شديد (أصابت حرث قوم) زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى (فأهلكته) فمعنى الآية مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشئ (وما ظلمهم الله) بذلك (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر والمعصية قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أى أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم و بطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب التى تلى بطنه لانهم يستبطنون أمره و يطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم ثم بين العلة فى النهى عن مباطنتهم فقال جل ذكره

(وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها * قوله عز وجل (مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) قيل أراد نفقة أبى سفيان وأصحابه ببدر وأحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل أراد نفقة المرائى الذى لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق و يعمل أعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينتفع بما أنفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فانه لا ينتفع بنفقته فى الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة ان الصر البرد الشديد و به قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس و به قال ابن الانبارى من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة أو حر فهى مهلكة أيضا (أصابت) يعنى الريح التى فيها صر (حرث قوم) أى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعنى فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نارا فأحرقته فلم ينتفع به أصحابه * فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث * قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين و بين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما ان يكون التقدير مثل الكفر فى اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ * وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم و يدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين و يفشون اليهم الاسرار و يطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر فى سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار و يدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته و يقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن أمره و يطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أى لا تتخذوا بطانة

من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعنى لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان أصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودّوا ماعنتم) أى يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) أى ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (أكبر) أى أعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) يعنى ما بين لكم فتتعظون به * قوله تعالى (ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الايمان وأنتم لا تعلمون ما فى قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بأن تفشوا اليهم أسراركم ولا يحبونكم أى لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) أى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع أنملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل فى قلوبكم من الخواطر فأخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه فى قلوبهم * قوله عز وجل (ان تمسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شئ ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أى أصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم وأصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) أى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) أى مساءة من اخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) أى بما أصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على أذاهم وقيل ان تصبروا على

المسلمين وقيل باطلاع المشركين على أسرار المسلمين (وما تخفى صدورهم) من العداوة والغيظ (أكبر) أعظم (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم) ها تنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار اليه يريد أنتم أيها المؤمنون (تحبونهم) أى تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم) لما بينكم من مخالفة الدين وقال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الايمان ولا يعلمون ما فى قلوبهم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا) وكان بعضهم مع بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعنى أطراف الاصابع واحدتها أنملة بضم الميم وفتحها من الغيظ لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن ثم عض (قل موتوا بغيظكم) أى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب من خير وشر وقوله تعالى (ان تمسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون (حسنة) بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معاشكم (تسؤهم) تحزنهم (وان تصبكم سيئة) مساءة باخفاق سرية لكم أو اصابة عدو منكم واختلاف يكون بينكم أو جدب أو نكبة (يفرحوا بها وان تصبروا) على أذاهم

(وتتقوا) تخافوا بكم (لا يضركم) أى لا ينقصكم (كيدهم شيأ) قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة لا يضركم بكسر الضاد خفيفة يقال ضار يضير ضيرا وهو جزم على جواب الجزاء وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا مثل رد يرد ردا وفى رفعه وجهان أحدهما انه أراد الجزم وأصله يضررركم فأدغمت الراء فى الراء ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمت الثانية اتباعا والثانى أن يكون لا بمعنى ليس و يضمر فيه الفاء تقديره وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيأ (ان الله بما يعملون محيط) أى عالم قوله تعالى (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الاحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم أحد وقال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة رضى الله عنها يمشى على رجليه الى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبى وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت فى منامى بقرا مذبوحة فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا فى الازقة فقال رجل من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وقدمات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج اليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فكان من حرب أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك أى واذكر اذ غدوت من أهلك تبوئ تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أى مواطن ومواضع للقتال يقال بوأت القوم اذا وطنتهم وتبوؤا هم اذا توطؤا قال الله تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال أن تبوآ لقومكما

طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة (وتتقوا) أى تخافوا بكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لا يضركم) أى لا ينقصكم (كيدهم) أى عداوتهم ومكرهم (شيأ) أى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) أى عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين ان هذا كان فى يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن أيضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول أصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبى وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا أقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا

نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وكان قدمات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل ظهره وأصحابه الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبى ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه أطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبى ابن سلول بثلثمائة من أصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا فى أن تكون هذه الواقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من أهلك أى واذكر اذ غدوت من أهلك يعنى من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضى الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على انها من أهله تبوئ المؤمنين أى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أى مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكر اللقتال (والله سميع) يعنى لاقوالكم (عليم) يعنى بنياتكم وما فى ضمائركم * قوله عز وجل (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) أى تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فى ألف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمى وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن أبى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (والله وليهما) أى ناصرهما وحافظهما ومتولى أمرهما بالتوفيق والعصمة * فان قلت الهم العزم على فعل الشئ والآية تدل على ان الطائفتان قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما * قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آياته ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى * وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

بمصر بيوتا وقيل تتخذ معسكرا (والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) أى تجبنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فى ألف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم أبو جابر السلمى فقال أنشدكم بالله فى نبيكم وفى أنفسكم فقال عبد الله بن أبى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبى فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (والله وليهما) ناصرهما وحافظهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما بنى سلمة وبنى حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما

التوكل تفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا الا عليه وأن لا يفوّضوا أمرهم الا اليه * قوله عزوجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة و بضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوّهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى اثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته * قوله عزوجل (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أو مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى ألن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد أكثر القول الثانى ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له كلما فنى النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا اسحق ارم أبا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة و بضعة عشر فأنزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بأن الله تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف و بخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك وأجيب عن الثانى وهو ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا فأنزل الله ألفا وفى يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب

قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) و بدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع وعليه الاكثرون وقيل اسم لبئر هناك وقيل كانت بدر بئر الرجل يقال له بدر قاله الشعبى وأنكر الآخرون عليه يذكر الله تعالى فى هذه الآية منته عليهم بالنصرة يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وأراد به قلة العدد فانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم (فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم) اختلفوا فى هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال فاستجاب لكم ربكم أنى ممدكم بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة

حسن ولله ان يزيد ما شاء فى أى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فأمدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه أخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم (ق) عن أنس رضى الله عنه قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن أبى أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فألف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبرى وأولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة فى الآية على انهم أمدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة فى ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما فى سورة الانفال وأما يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها بأنهم أمدوا وذلك انهم لو أمدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم * فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن أبى وقاص المتقدم فى يوم أحد وانه رأى ملكين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وشماله * قلت انما كان ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد وأما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم فى سائر المواطن ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد فى الشر والامداد فى الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على اثبات بلى تصديق لوعد الله أى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد ألن يعنى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ان تصبروا أى على لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجىء للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن أبى طالب قال بينا أنا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى ألفين من الملائكة وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين

مسوّمين) فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد قال الحسن وهؤلاء الخمسة آلاف ردء المؤمنين الى يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون وانما يكونون عددا ومددا قال محمد بن اسحق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يناول له كلما فنى النبل أتاه به فنثره فقال ارم يا ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرفه أحد أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة قال أخبرنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى ألن يكفيكم ان يمدكم الى قوله مسوّمين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع فلم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد مدوا بألف وقال الآخرون انما وعدهم الله تعالى المسلمين يوم بدر ان صبروا على طاعته واتقوا محارمه ان يمدهم أيضا في حروبهم كلها فلم يصبروا الا يوم الاحزاب فامدهم حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله

عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أو زارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال الضحاك وعكرمة كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد ان صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا قوله تعالى ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش بالجيش وقيل ما كان (وما على جهة القوة والاعانة يقال فيه أمده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه قوله تعالى والبحر يمده وقيل المد في الشر والامداد في الخير يدل عليه قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم ونمد له من العذاب مدا وقال في الخير انى ممدكم بالف من الملائكة منزلين وقال وأمددناكم باموال وبنين قوله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير لقوله تعالى ولو انا نزلنا اليهم الملائكة وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى لولا أنزل علينا الملائكة وقوله وأنزل جنودا لم تروها ثم قال بلى ان تصبروا وتتقوا مخالفة نبيكم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لانهم انما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف بل أراد معهم وقوله مسوّمين أي معلمين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو فاراد انهم سوّموا خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذنابها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوّموا أنفسهم بسيما القتال * قوله تعالى

رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسوّمين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد ان الله سوّمهم ومعناه معلمين قد سوّموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني أنا ذلكم * شاكي سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذنابها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوّموا أنفسهم بسيما القتال * قوله تعالى

قوله تعالى (وما جعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) أى بشارة لتستبشروا به (ولتطمئن) ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يعنى لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند فان النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز والحكم له قوله تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفا أى لكى يهلك طائفة من الذين كفروا وقال السدى معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل من

قادتهم وساداتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فانقلب عليهم (أو يكبتهم) قال الكلبى يهزمهم وقال غيره يصرعهم لوجوههم قال السدى يلعنهم وقال أبو عبيدة يهلكهم وقيل يحزنهم والمكبوت الحزين وقيل يكبدهم أى يصيب الحزن والغيظ أكبادهم والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده اذا حلقه وقيل يكبتهم بالخيبة (فينقلبوا خائبين) لم ينالوا شيأ مما كانوا يرجون من الظفر بكم قوله تعالى (ليس لك من الامر شئ) الآية اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم أمير هم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت ليس لك من الامر شئ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله يعنى ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهرى قال حدثنى سالم عن أبيه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن أبى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان أكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه

(وما جعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) يعنى بشارة بأنكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) أى ولتسكن (قلوبكم به) أى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعنى لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أى ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو يكبتهم) أصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الاهلاك أو اللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) أى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى أملوه من الظفر بكم * قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) أى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى أملوه من الظفر بكم * قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت ليس لك من الامر شئ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله يعنى ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهرى قال حدثنى سالم عن أبيه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ (أو يتوب عليهم أو يعذبهم

فانهم ظالمون) وقال قوم نزلت يوم أحد أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن اسحق لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم أحد ما باصحابهم من جدع الآذان والانوف وقطع المذاكير قالوا لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب باحد فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه فيهم بان كثيرا منهم يسلمون قوله تعالى ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك فاللام بمعنى الى كقوله تعالى ربنا انا سمعنا مناديا ينادي للايمان اي الى الايمان وقوله تعالى او يتوب عليهم قال بعضهم معناه حتى يتوب عليهم او الا ان يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء اعتراض بين الكلامين ونظم الآية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله ثم قال (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) اراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول اجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب (واتقوا الله) في امر الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) ثم خوفهم فقال (واتقوا النار التي اعدت للكافرين

الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امر مصالح عبادي شيء الا ما اوحي اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء الا ما وافق أمري انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر أمري في ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما براتقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه أمر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله (والله غفور رحيم) يعني انه تعالى يسترذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعني في اكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) اي لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التي اعدت للكافرين) يعني واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها

وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) لكى ترحموا (وسارعوا) قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلاواو (الى مغفرة من ربكم) بادروا وسابقوا الى الاعمال التى توجب المغفرة قال ابن عباس رضى الله عنهما الى الاسلام وروى عنه الى التوبة وبه قال عكرمة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أداء الفرائض وقال أبو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن أنس بن مالك انها التكبيرة الاولى (وجنة) أى والى جنة (عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرض السموات والارض كما قال فى سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء والارض أى سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول كل شئ فى الاكثر والاغلب أكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهرى انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله وهذا على التمثيل لا انها كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض يعنى عند ظنكم والا فهما زائلتان وروى عن طارق عن ابن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضى الله عنهم قالوا أرأيتم قوله وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عمر أفرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا انها لمثلها فى التوراة ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والارض كما أخبر وسئل أنس بن مالك رضى الله عنه عن الجنة أفى السماء أم فى الارض فقال أى أرض وسماء تسع الجنة فقيل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش قال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وان جهنم تحت الارضين السبع

١٣٤

فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعنى فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره (والرسول) أى وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا أطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن أبى طالب الى أداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد ابن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) أى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) أى عرض الجنة (السموات والارض) يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى أن هرقل أرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا انها لمثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى * فان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض * قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفى السماء هى أم فى الارض فقال أى أرض وسماء تسع الجنة قيل له فأين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها كعرض

(أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء) أى فى اليسر والعسر فأول ماذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة أخبرنا أبو سعيد الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنا أبو عمرو القراتى أخبرنا أبو العباس أحمد بن اسمعيل العنبرى أخبرنا أبو عبد الله بن حازم البغوى بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمى أخبرنا ابراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيى بن سعيد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل (والكاظمين الغيظ) أى الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ ان يتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره ومنه قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين أخبرنا أبو سعيد الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى أخبرنا أبو عمرو القراتى أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الاسفرايينى أخبرنا أبو عبد الله بن محمد زكريا العلانى أخبرنا روح بن عبد المؤمن أخبرنا أبو عبد الرحمن المقرى أخبرنا سعيد بن أبى أيوب قال حدثنى أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء (والعافين عن الناس) قال الكلبى عن المملوكين سوء الادب وقال زيد بن أسلم ومقاتل عمن ظلمهم وأساء اليهم (والله يحب المحسنين) عن قال الثورى الاحسان ان تحسن الى المسئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة قوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود قال المؤمنون يارسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع أنفك أو أذنك افعل

السموات والارض (أعدت للمتقين) أى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عزوجل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) يعنى فى العسر واليسر لا يتركون الانفاق فى كلتا الحالتين فى الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا فى حال فرح وسرور ولا فى حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم فى عرس أو حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فأول ماذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه أشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال فى ذلك الوقت أعظم الاحوال للحاجة اليه فى مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذى (ق) عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فل هلم فقال أبو بكر يارسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن تكون منهم قوله أى فل يعنى يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لا هلاك عليه * وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو أن يتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم فى أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن أنس الجهنى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء أخرجه الترمذى وأبو داود (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعنى اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل أن تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين فى الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضر عنه وقيل الاحسان أن تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب * قوله عزوجل (والذين اذا فعلوا فاحشة)

كذا وكذا فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزلت فى تيهان التمار وكنيته أبو معبد أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقال مقاتل والكلبى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقفى فى غزاة فاستخلف الانصارى على أهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما أرادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله فى الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للمقيم ثم أتيا عمر رضى الله عنه فقال مثل ذلك فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له مثل مقالتهما فأنزل الله تعالى هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا (أو ظلموا أنفسهم) ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس وقال مقاتل والكلبى الفاحشة ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل أو ظلموا أنفسهم بالمعصية وقيل فعلوا فاحشة الكبائر أو ظلموا أنفسهم بالصغائر وقيل فعلوا فاحشة فعلا أو ظلموا أنفسهم قولا (ذكروا الله) أى ذكروا وعيد الله وان الله سائلهم وقال مقاتل ابن حيان ذكروا الله باللسان عند الذنوب

قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك أذنك افعل كذا فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى تيهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفى رواية أبى صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين أحدهما أنصارى والآخر ثقفى فخرج الثقفى فى غزوة واستخلف أخاه الانصارى على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله فى الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فأتى به الى أبى بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا * وقوله تعالى (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو أى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه وأنه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا قيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر

(فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله) أى وهل يغفر الذنوب الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) أى لم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا وأصل الاصرار الثبات على الشئ قال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وقال السدى الاصرار السكوت وترك الاستغفار أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا أبو منصور السمعانى أخبرنا أبو جعفر الزيادى أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمرى عن أبى نصرة قال قلت مولى لابى بكر رضى الله عنه فقلت له أسمعت من أبى بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة

(وهم يعلمون) قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقال الضحاك وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل ان له ربا يغفر الذنوب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل وهم يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) ثواب المطيعين أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياني أنا حميد بن زنجويه أنا عفان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الاسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ينفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ورواه أبو عيسى عن قتيبة عن أبي عوانة وزاد ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياني أنا حميد بن زنجويه انا هشام بن عبد الملك اخبرنا همام عن اسحق عن عبد الله بن ابي طلحة قال كان قاض بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن ابي عمرة وسمعته يقول سمعت يعني أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عبدا اذنب ذنبا فقال اي رب اذنبت ذنبا فاغفره لي قال فقال له ربه عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال رب اذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه

ولو عاد في اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون أن الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون أنهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

﴿ فصل في فضل الاستغفار ﴾ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه ما شاء أن ينفعني واذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره أو قال عسى أن يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه أبو داود اه * قوله عز وجل (أولئك) اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) معنى الآية ان المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار أي ذلك لهم ذخرا لا يبخس وأجرا لا يوكس (خالدين فيها) أي في الجنات (ونعم أجر العاملين) أي ونعم ثواب المطيعين

عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ابن آدم انك لو لقيتني بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيأ ابن آدم انك لو تذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني أنا عبد الله بن محمود بن حسن الشرقي أنا أبو الازهر أحمد بن الازهر أخبرنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من علم اني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيأ قال ثابت البناني بلغني أن

يعني الجنة * قوله عز وجل (قد خلت من قبلكم سنن) يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لاهلاكهم (فسيروا في الارض) أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضيين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تأمل أحوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فاني انما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك أعدائه * قوله عز وجل (هذا) يعني القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده (بيان للناس) يعني عامة (وهدى) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خصص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم * قوله عز وجل (ولا تهنوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة (وأنتم الأعلون) يعني بالنصر والغلبة عليهم وان

ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها قوله تعالى (قد خلت من قبلكم سنن) قال عطاء شرائع وقال الكلبي مضت لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم وقال مجاهد قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم وقيل سنن أي أمم والسنة الامة قال الشاعر

ما عاين الناس من فضل كفضلكم
ولا رأوا مثلكم في سالف السنن

وقيل معناه أهل السنن والسنة الطريقة المتبعة في الخير والشر يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا عمل عملا اقتدي به فيه من خير أو شر ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لاهلاكهم وابادة أنبيائي عليهم (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي آخر أمر المكذبين وهذا في حرب أحد يقول الله عز وجل فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأوليائه واهلاك أعدائه (هذا) أي هذا القرآن (بيان للناس) عامة (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة قوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا) هذا حث لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد يقول الله تعالى ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا ولا تحزنوا أي على ما نالكم (وأنتم الأعلون) بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم

(ان كنتم مؤمنين) يعني اذ كنتم أي لانكم مؤمنون قال ابن عباس رضي الله عنهما انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها فذلك قوله تعالى وأنتم الأعلون وقال الكلبي نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الجرح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية دليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم (ان يمسسكم قرح) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر قرح بضم القاف حيث جاء وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد وقال الفراء بالفتح اسم للجراحة و بالضم اسم لألم الجراحة هذا خطاب مع المسلمين حيث

العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله تعالى وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) أي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق * وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف و بفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر و بالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة و بالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشئ من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر و يقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء و يوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء ابن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال

انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن يقول الله تعالى لهم ان يمسسكم قرح يوم أحد (فقد مس القوم قرح مثله) يوم بدر (وتلك الأيام نداولها بين الناس) فيوم لهم و يوم عليهم اديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو اسحق قال سمعت البراء بن عازب يحدث قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزموهم قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك فقال يوم بيوم بدر والحرب

كذبت

كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان * ان لنا عزى ولا عزى لكم * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم *قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم الا أن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فأضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وأن يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله تعالى شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) أي وليطهرهم من ذنوبهم وينزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) أي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أنتم فهو محقهم واستئصالهم * قوله عز وجل (أم حسبتم) أي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (أن تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتي وثوابي (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي أوجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما أمرته به (ويعلم الصابرين) يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفي هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أيها المنهزمون أن تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير أن تسلكوا

سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم و روى هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما كانت هذه المداولة ليعلم أي ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق (ويتخذ منكم شهداء) يكرم أقواما بالشهادة (والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا) أي يطهركم من الذنوب (ويمحق الكافرين) يفنيهم ويهلكهم معناه انهم ان قتلوكم فهو تطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم (أم حسبتم) أي أحسبتم (أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) أي ولم يعلم الله (الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) وذلك ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا و يستشهدوا فاراهم الله يوم أحد وقوله تمنون الموت أى سبب الموت وهو الجهاد من قبل ان تلقوه (فقد رأيتموه) يعنى أسبابه (وأنتم تنظرون) فان قيل ما معنى قوله وأنتم تنظرون بعد قوله فقد رأيتموه قيل ذكره تأكيدا وقيل الرؤية قد تكون بمعنى العلم فقال وأنتم تنظرون ليعلم ان المراد بالرؤية النظر وقيل معناه وأنتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أصحاب المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى سبع مائة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فان (٣٥٨) كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل اليكم وان نزال غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت

طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا أن انهزموا الا من شاء الله منهم فأنزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه و يستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أى تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل أن تلقوه أى من قبل أن تلقوا يوم أحد (فقد رأيتموه) يعنى رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء فى رأيتموه عائدة على الموت أى رأيتم أسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين أيديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة أى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا نبرحوا من مكانكم حتى أرسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف و ينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه و يضرب به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا و رأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد ابن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه و رباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا و بقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قميئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه

قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف و ينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال من يأخذ هذا السيف بحقه و يضرب به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى هذا الموضع فلق به هام المشركين وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم ورو ينا عن البراء بن عازب قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فلما أنوهم صرفت وجوههم قال الزبير بن العوام فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات فى الجبل باديات خدامهن ما دون أخذهن شئ فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا و رأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة و رأى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين ثم حمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا

و بقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قميئة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذبه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى المشركين وقال انى قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ ابليس لعنة الله عليه فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال له ارم فداك أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلا راميا شديدا النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى استشرف النبي صلى

وسلم فقتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا وصاح صارخ ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لأبي طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لى أنا أقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبى الله قالوا وفشا فى الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال أناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلما مهم النبى صلى الله عليه وسلم على القرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتلت

الله عليه وسلم لينظر الى موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه فى عنقه فخدشه خدشة فتدهد أعن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فحمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لى أقتلك فلو بزق علىّ بعد تلك المقالة لقتلنى فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن اسمعيل أنا عمرو بن على أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اشتد غضب الله على من قتله نبي واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وفشا فى الناس ان محمدا قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا ما بايديهم من الاسلحة وقال أناس من أهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال أنس بن النضر عم أنس ابن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يانبى الله فدى لك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الامر فى الكمال وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد وأحمد وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أى رجعتم الى دينكم الاول (ومن ينقلب على عقبيه) ويرتد عن دينه (فلن يضر الله شيأ) بارتداده وانما ضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت) قال الاخفش اللام فى لنفس منقولة من تموت تقديره وما كان نفس لتموت والمعنى (الا باذن الله) بقضائه وقدره وقيل بعلمه وقيل بأمره (كتابا مؤجلا) أى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره وتأخيره ونصب كتابا على المصدر أى كتب كتابا (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعنى من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله يريد نؤته منها

فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل فى نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبى موسى الاشعرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة قوله المقفى هو آخر الانبياء الذى لا نبى بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) يعنى أتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وأن أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعنى فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعنى بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) يعنى الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان على يقول أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أخبار الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله تعالى * قوله عز وجل (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أى بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا باذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وأن الحذر لا يدفع المقدور وان أحدا لا يموت قبل أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف والجبن وفى الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام أصحابه له فأنجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعنى مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله

ما يشاء مما قدرناه له كما قال من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد نزلت فى الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أى أراد بعمله الآخرة قيل أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله جبير حتى قتلوا (وسنجزى الشاكرين) أى المؤمنين المطيعين أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحق ابراهيم عبد الصمد الهاشمى أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن المقرى أنا أبى أنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له أخبرنا أبو طاهر محمد بن على بن أبى توبة الزراد أخبرنا أبو بكر محمد بن ادريس بن محمد الجرجانى وأبو أحمد محمد بن أحمد بن على المعلم الهروى قالا أخبرنا أبو الحسن على بن عيسى المالينى أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوى أخبرنا حسان بن موسى وعبد الله بن أسماء ابن أخى جويرية بن أسماء قالا أخبرنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمى عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه قوله تعالى (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) قرأ ابن كثير وكائن بالمد والهمزة على وزن كاعن و بتليين الهمزة أبو جعفر وقرأ الآخرون وكاين بالهمزة

والمعنى نؤته منها ما نشاء على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعنى من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد * واعلم ان هذه الآية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان الأصل فى ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من أراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفى رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوى بسنده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له * وقوله تعالى (وسنجزى الشاكرين) يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبى) أى وكم من نبى (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه أحدها أن يكون القتل راجعا على النبى وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا فى دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغى لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثانى ان القتل نال النبى ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأى من نبى قتل و بعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغى لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل نال الربيين لا النبى والمعنى وكأى من نبى قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأى من نبى قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذى أصابهم انما هو فى سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغى لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روى عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا ان نبيا قتل فى القتال وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل

والتشديد على وزن كعين ومعناه وكم وهى كاف التشبيه ضمت الى أى الاستفهامية ولم يقع التنوين صورة فى الخط الا فى هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكأين بلا نون والاكثرون على الوقف بالنون قوله قاتل قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف وقرأ الآخرون قاتل فمن قرأ قاتل فلقوله فما وهنوا ولا يستحيل وصفهم بانهم لم يهنوا بعد ما قتلوا لقول سعيد ابن جبير ما سمعنا ان نبيا قتل فى القتال ولان قاتل اعم قال أبو عبيدة ان الله تعالى اذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه واذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل اعم ومن قرأ قتل فله ثلاثة اوجه احدها ان يكون القتل راجعا الى النبى وحده فيكون تمام الكلام عند قوله قتل ويكون فى الآية اضمار معناه ومعه ربيون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير أى ومعه والوجه الثانى ان يكون القتل نال النبى ومن معه من الربيين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب قتلنا بنى فلان وانما قتلوا بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والوجه

الثالث أن يكون القتل للربيين لا لغيرهم وقوله ربيون كثير قال ابن عباس ومجاهد وقتادة جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الألوف وقال الكلبي الربية الواحدة عشرة آلاف وقال الضحاك الربية الواحدة ألف وقال الحسن فقهاء علماء وقيل هم الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وقيل منسوب الى الرب وهم الذين يعبدون الرب (فما وهنوا) أي فما جبنوا (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بما نالهم من ألم الجرح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم وقال السدي

الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) أي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء وأتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعني قول الربيين (الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا في أمرنا) يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظائم من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكي لا نزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعني النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعني الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعني يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعني مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعني انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان أبا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض

الطريق

بأصركم وحافظكم على دينكم الاسلام (وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة ابطلقوا حتى اذا بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا

فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به فذلك قوله تعالى سنلقي أي سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الآخرون بسكونها (بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) حجة وبرهانا (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) مقام الكافرين قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة من أحد قد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده بالنصر والظفر وذلك ان

الظفر كان للمسلمين في الابتداء (اذ تحسونهم باذنه) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم احموا ظهورنا فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وأقبل المشركون فاخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى اذ تحسونهم باذنه أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال أبو عبيدة الحس الاستئصال بالقتل (حتى اذا فشلتم) أي ان جبنتم وقيل معناه فلما فشلتم (وتنازعتم في الامر وعصيتم) فالواو زائدة في وتنازعتم يعني اذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم ومعنى التنازع

الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (مالم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أي مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد الى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعني بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أي قوم ما نصنع بقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز (من بعد

الاختلاف وكان اختلافهم ان الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم فما مقامنا وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وجاءت الريح فصارت دبورا بعدما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين قوله تعالى وعصيتم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره (من بعد

ما أراكم) الله (ما تحبون) يامعشر المسلمين من الظفر والغنيمة (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أحدا ان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) أي ردكم عنهم بالهزيمة (ليبتليكم) ليمتحنكم وقيل لينزل البلاء عليكم (ولقد عفا عنكم) فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة منكم لامر نبيكم (والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون) يعني ولقد عفا عنكم اذ تصعدون هاربين وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تصعدون بفتح التاء والعين والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين والاصعاد السير في مستوى الارض والصعود الارتفاع على الجبال والسطوح قال أبو حاتم يقال أصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا ارتقيت

ما أراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يامعشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يامعشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو عنه بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك * قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من أسفل الى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على أحد) أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله أنا رسول الله من كر أي رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعني فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى مع أو بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم

في جبل أو غيره وقال المبرد أصعدا أبعد في الذهاب وكلتا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد وقال المفضل صعد وأصعد بمعنى واحد (ولا تلوون على أحد) أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد لا يلتفت بعضكم الى بعض (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (فأثابكم) فجازاكم جعل الاثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات لانه وضعها موضع الثواب كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون (غما بغم) وقيل الباء بمعنى على أي غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الاول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني ما نالوا من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الاول وقيل الغم الاول اشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فاراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى ان في أصحابه من يمتنع به فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فاقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم وقيل انهم غموا الرسول بمخالفة أمره فجازاهم الله بذلك الغم الغم واختلفوا

١٥٣

والهزيمة قوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الفتح والغنيمة (ولا ما أصابكم) أي ولا على ما اصابكم من القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الغم امنة) يعنى امنا والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف هنا قائما (نعاسا) بدل من الامنة (يغشى طائفة منكم) قرأ حمزة والكسائى تغشى بالتاء ردا الى الامنة وقرأ الآخرون بالياء ردا الى النعاس قال ابن عباس رضى الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا اسمعيل أخبرنا اسحق بن ابراهيم بن عبد الرحمن أنا حسن بن محمد أخبرنا شيبان عن قتادة أخبرنا أنس ان أبا طلحة قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط فآخذه وقال ثابت عن انس عن ابى طلحة قال رفعت راسى يوم احد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا وهو يميل تحت جحفته من النعاس وقال عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الحرب أرسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما أسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فذلك قوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعنى المنافقين قيل أراد تميز المنافقين من المؤمنين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع على المنافقين فبقوا فى الخوف قد أهمتهم أنفسهم اى حملتهم على الهم يقال امر مهم (يظنون بالله غير الحق) اى لا ينصر محمد وقيل ظنوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل (ظن الجاهلية) اى كظن اهل الجاهلية والشرك (يقولون هل لنا) ما لنا لفظه استفهام ومعناه جحد (من الامر من شئ) يعنى النصر

واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ما سمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم غمهم وقيل الغم الاول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثانى حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك ان أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأغمهم ذلك * قوله تعالى (لكيلا) فى لفظة لا قولان أحدهما انها باقية على أصلها ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما أنساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روى انهم لما سمعوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثانى ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكى تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذى فاتهم الغنيمة والذى أصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) أى هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل (ثم أنزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الغم) الذى أصابكم (أمنة نعاسا) يعنى أمنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب أن أمنكم أمنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبى طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه وأخرجه الترمذى عنه قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد وذكر نحو رواية البخارى وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق وفى رواية أخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا يميد تحت جحفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما أسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعنى المنافقين أراد الله أن يميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا فى الخوف وفى القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمدا وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به (ظن الجاهلية) أى كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعنى المنافقين (هل لنا) أى ما لنا (من الامر من شئ) وذلك انه لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فى هذه

(قل ان الامر كله لله) قرأ اهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في لله وقرأ الآخرون بالنصب على البدل وقيل على النعت (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب) قضى (عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلي الله) وليمتحن الله (ما في صدوركم وليمحص) يخرج ويظهر (ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) بما في القلوب من خير وشر (ان الذين تولوا) انهزموا (منكم) يا معشر المسلمين (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم قوله تعالى (انما استزلهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اذا طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل أزل واستزل بمعنى واحد (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن ما كسبوا أبي هو قبولهم من الشيطان ما وسوس اليهم من الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه

الواقعة وأشار عليه أن لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شيء وهو استفهام على سبيل الانكار أي ما لنا أمر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شيء هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب بن قشير (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها وظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلون فيه (وليبتلي الله ما في صدوركم) أي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين (وليمحص ما في قلوبكم) قال قتادة أي يظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) أي انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه أمرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا أن يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب في هزيمة يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعني لمن تاب وأناب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه

(وقالوا لاخوانهم) في النفاق والكفر وقيل في النسب (اذا ضربوا في الارض) أي سافروا فيها لتجارة أو غيرها (أو كانوا غزى) أي غزاة جمع غاز فقتلوا (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعني قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) قرأ نافع وحمزة والكسائي متم بكسر الميم وقرأ الآخرون بالضم فمن ضمه فهو من مات يموت كقولك من قال يقول قلت بضم القاف ومن كسره فهو من مات يمات كقولك من خاف يخاف خفت (لمغفرة من الله) في العاقبة (ورحمة خير مما يجمعون) من الغنائم قراءة العامة تجمعون بالتاء لقوله ولئن قتلتم وقرأ حفص عن عاصم يجمعون بالياء يعني خير مما يجمع الناس (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) في العاقبة قوله تعالى (فبما رحمة من الله)

أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا في الارض) يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزا) جمع غاز أي غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا أو كانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعني مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعني قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم) يعني غما وتأسفا (والله يحيي ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحي والمميت هو الله تعالى فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحمى أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هو المحي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام ببيته عند أهله فلا تقولوا أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلأن يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من أن يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) يعني في العاقبة (خير مما تجمعون) يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها ولم تموتوا (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون * قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعني جافيا (غليظ القلب) يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) أي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم أحد عندك (فاعف عنهم) أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في

أي فبرحمة من الله وما ما صلة كقوله فبما نقضهم (لنت لهم) أي سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد (ولو كنت فظا) يعني جافيا سيئ الخلق قليل الاحتمال (غليظ القلب) قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل (لانفضوا من حولك) أي نفروا وتفرقوا عنك يقال فضضتهم فانفضوا أي فرقتهم فتفرقوا (فاعف عنهم) تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) حتى أشفعك فيهم (وشاورهم في الامر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم من قول العرب شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وشرت العسل وأشرته اذا أخذته من موضعه واستخرجته واختلفوا في المعنى الذي لاجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا فقال بعضهم هو خاص في المعنى أي وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو وقال مقاتل وقتادة أمر الله تعالى بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله عز وجل انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد ان يستن به من بعده أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي الصالحاني أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا أحمد بن محمد بن ماهان أخبرني أبي أخبرنا ظاهر بن زيد عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى

الله عليه وسلم (فاذا عزمت فتوكل على الله) لا على مشاورتهم أى قم بأمر الله وثق به واستعنه (ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله) يمنعكم الله ويمنعكم من عدوكم (فلا غالب لكم) مثل يوم بدر (وان يخذلكم) يتركم فلم ينصركم كما كان بأحد والخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قيل التوكل ان

المعنى الذى من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا قيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا فى الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل انما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الامة وانما أمر أن يشاورهم فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسارى بدر وهو من أمر الدين قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب فى قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح أمره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم فى مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخى حزم لترشد فى الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجز أولا تستريح من الفكر
ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم فى الامر حتما بلا نكر

قوله تعالى (فاذا عزمت) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) أى فاستعن بالله فى أمورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى فى جميع أموره وان المشاورة لا تنافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه فى جميع أمورهم * قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم الى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد فى كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصى الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لنبى أن يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبى أن

لا تعصى الله من أجل رزقك وقيل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره أخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى أخبرنا أبو عبد الله الحسين ابن شجاع البزار ببغداد أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر ابن محمد الهيثم الانبارى أخبرنا محمد بن أبى العوام أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون الفا من أمتى الجنة بغير حساب قيل يا رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة ابن محصن يا رسول الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم قال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة قال أخبرنا محمد بن أحمد ابن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائى أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا ابراهيم بن محمد الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح حدثنى بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة انه سمع أبا تميم الجيشانى يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قوله عز وجل (وما كان لنبى أن يغل) الآية قال عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس أخذها رسول الله صلى الله عليه

يغل

وسلم وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن اسحق هذا في الوحي يقول ما كان لنبي أن يكتم شيأ من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين (٣٦٩) معناه أن يخون والمراد منه الامة وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل وقيل معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين وله وجهان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا أي ما كان لنبي أن يخان يعني ان تخونه أمته والوجه الآخر أن يكون من الاغلال معناه ما كان لنبي أن يغل أن يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) قال الكلبي يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع الى النار ثم يكلف أن ينزل اليه فيخرجه فيفعل ذلك به أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر ابن أحمد الفقيه أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع عن أبي هريرة

يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي استتابه وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي أن يكتم شيأ من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لنبي أن يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل له لم يفعله وحجة هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولهما معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان أي تخونه امته والثاني أن يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي أن يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه يأتي بأثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى

رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة الا الاموال والثياب والمتاع قال فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو وادي القرى وكان رفاعة بن زيد وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أسود يقال له مدعم قال فخرجنا حتى اذا كنا بوادي القرى فبينا مدعم يحط رحلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه سهم عائر فجاءة فأصابه فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم تشتعل نارا فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد اخبرنا أبو اسحق الهاشمي اخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى

ابن سعيد عن محمد بن يحيى بن حيان عن أبى عمرة الانصارى عن زيد بن خالد الجهنى قال ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم خيبر فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزى أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعى أخبرنا سفيان عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن أبى حميد الساعدى قال استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى لى فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال مابال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى فهلا جلس فى بيت أمه أوفى بيت أبيه فينظر أيهدى اليه أم لا والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منه شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة لها تيعر ثم رفع يده حتى رأينا عفرة ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت ثلاثا وروى قيس بن أبى حازم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقال لا تصيبن شيأ الا باذنى فانه غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر احرقوا متاع الغال وضربوه قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله) فترك الغلول (كمن باء بسخط من الله) فغل (ومأواه جهنم وبئس المصير)

(ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير أوشر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أوشرا فهو مجزى به يوم القيامة وهو فى جزاء عمله (وهم لا يظلمون) يعنى بل يعدل بينهم يوم القيامة فى الجزاء فيجازى كل على عمله

﴿فصل فى ذكر أحاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال﴾ وقد تقدم ان أصل الغلول هو أخذ الشئ فى خفية وانه الخيانة الا انه قد صار فى العرف مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعيره له رغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة وعلى رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى يعنى وادى القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بنى الضبيب فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له شملته الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أوشراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أوشراكان من نار وفى رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بنى الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر فكان الشراك سير النعل الذى يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذى لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم توفى فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين أخرجه أبو داود والنسائى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فأحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود * قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) أى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضى للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعنى الغال أوالمتخلف عن النبى صلى الله

عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم و بئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه * قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعني أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولدوه وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بني آدم وقيل من أنفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم و يوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم و رؤساء مضر قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة و بصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي (و يزكيهم) اي و يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (و يعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) يعني ما اصابهم يوم أحد (قد اصبتم مثليها) يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم انى هذا) اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند أنفسكم) يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك

يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم (والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) قيل أراد به العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وله فيهم نسب الا بني تغلب دليله قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال الآخرون أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أي بالايمان والشفقة لا بالنسب دليله قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم (يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا) وقد كانوا (من قبل) أي من قبل مبعثه (لفي ضلال مبين أولما) أي حين (أصابتكم مصيبة) بأحد (قد أصبتم مثليها) ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم ببدر سبعين وأسروا سبعين (قلتم أنى هذا) من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا (قل هو من عند أنفسكم) روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاساري وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم و بين أن يأخذوا الفداء

سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الاسارى و بين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا و يستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر فهذا معنى قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل (ان الله على كل شئ قدير) يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة * قوله عزوجل (وما أصابكم) يعنى من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فباذن الله) يعنى فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) أى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما لهم و يظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذى أظهر الايمان بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه فأيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامى لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا) المقول له عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد فى ألف رجل حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخذل عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندرى علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى أخو بنى سلمة وهو يقول ياقوم أذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أى لاجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعنى عن أموالكم وأهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم أن اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ أقرب منهم للايمان) أى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام و يخفون الكفر (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بألسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطأة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وفى المراد باخوانهم قولان أحدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون اخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم أو عن اخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ما قتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لو أطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله

على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ منهم فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا و يستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر فهذا معنى قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل (ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان) بأحد من القتل والجرح والهزيمة (فباذن الله) أى بقضاء الله وقدره (وليعلم المؤمنين) أى وليميز وقيل ليرى (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) أى لاجل دين الله وطاعته (أو ادفعوا) عن أهلكم وحريمكم وقال السدى أى كثروا سواد المسلمين و رابطوا ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) وهو عبد الله بن أبى وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب) أى الى الكفر يومئذ أقرب (منهم للايمان) أى الى الايمان (يقولون بأفواههم) يعنى كلمة الايمان (ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم) فى النسب لا فى الدين وهم شهداء أحد (وقعدوا) يعنى قعد هؤلاء القائلون عن الجهاد (لو أطاعونا) وانصرفوا عن محمد صلى الله عليه وسلم وقعدوا فى بيوتهم

(ما قتلوا قل) لهم يا محمد (فادرأوا) فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) ان الحذر ينفي عن القدر قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال الآخرون نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الانصار أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا

صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه (ما قتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعني قل لهم يا محمد (فادرأوا) أي فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على ان المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول أجله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا ﴿ذكر ما يتعلق بهذا الحديث﴾ قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد لان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اي يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بأن الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا او يجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى

بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية قال اما قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم كطير خضر ويروى في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد ان ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أنهم لا يسألون الا هذا تركوا أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان أنا جعويه أنا صالح ابن محمد أنا سليمان بن عمرو عن اسمعيل بن أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم يوم أحد

جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الى قوله لا يضيع أجر المؤمنين وسمعت عبد الواحد بن أحمد المليحي قال سمعت الحسن بن أحمد الحداد قال سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف قال سمعت محمد بن اسمعيل البكري قال سمعت يحيى بن حبيب بن عربن قال سمعت موسى بن ابراهيم

قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى ياجابر مالى أراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد أبى وترك عيالا ودينا قال أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك قلت بلى يارسول الله قال ما كلم الله تعالى أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك فكلمه كفاحا قال ياعبدى تمنّ علىّ أعطك قال يارب أحيينى فاقتل فيك الثانية قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق منى انهم لا يرجعون فأنزلت فيهم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى أنا أحمد بن

على الكشميهنى أنا على بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا حميد عن أنس رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يموت له عند الله خير يحب ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى وقال قوم نزلت هذه الآية فى شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن أبيه اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن حميد الطويل عن انس بن مالك وغيرهم من اهل العلم قال قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر ابن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واهدى اليه هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال لا اقبل هدية مشرك فأسلم ان اردت ان اقبل هديتك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جارا فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ

يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعنى يحيى جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مهتم فقال مالى أراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد أبى يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقى الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدى تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق منى انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت فى شهداء بئر معونة وهى بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال انى لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جارا فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه وذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ

عمرو

وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر ابن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله فآمنوا بالله و رسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه

وقالوا لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بنى سلمة عصية و رعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه به رمق فارتث بين القتلى فظلوه فيهم فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبههما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال أرى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الانصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر ابن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا و بلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه * قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بنى سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا أم سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى أتقدمكم فان أمنونى حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان و بنى عصية الذين عصوا الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان و بنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار و يصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو فى الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية و بنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه أن ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة والرخاء وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا فى القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان أن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا يعنى كأموات غيرهم ممن لم يقتل فى سبيل الله

عمرو بن أمية الضمرى أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر ابن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا و بلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه * قلت وذكر ابن الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسماء فى ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج فى أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بنى سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا أم سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى أتقدمكم فان أمنونى حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان و بنى عصية الذين عصوا الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان و بنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار و يصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو فى الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية و بنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه أن ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة والرخاء وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا فى القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أى ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان أن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا يعنى كأموات غيرهم ممن لم يقتل فى سبيل الله

أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الاعلى بن حماد أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس بن

مالك ان رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس رضي الله عنه فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخت فرفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وقيل ان أولياء الشهداء كانوا اذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فأنزل الله تعالى تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم ولا تحسبن ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والآخرون بالتخفيف أمواتا كأموات من لم يقتل في سبيل الله (بل أحياء عند ربهم) قيل أحياء في الدين وقيل في الذكر وقيل لانهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل لان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تأكله الارض وقال عبيد بن عمير مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقوله تعالى (عند ربهم) يعني في محل كرامته وفضله (يرزقون) يعني من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم (ويستبشرون) أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعني من اخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل اني قد أنزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (أن لا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم أيضا يستبشرون لا نفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما انه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

(بل أحياء) أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما أن يكون المراد انهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد انهم أحياء في الحال وعلى تقدير انهم أحياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية أو اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وانهم يذكرون بخير أعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى أنه لما أراد معاوية أن يجري الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب الابدان فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه (يرزقون) من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) رزقه وثوابه (فضل) (ويستبشرون) ويفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فهم لذلك مستبشرون (ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله) أي وبأن الله وقرأ الكسائي بكسر الالف على الاستئناف (لا يضيع اجر المؤمنين) اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل

الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة وقال والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك أخبرنا الامام أبو على الحسن بن محمد القاضى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا على بن الحسن الدارابجردى أنا عبد الله بن يزيد المقرى أنا سعيد حدثنى محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) الآية وذلك ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذى أصابهم يوم أحد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبى كان قد خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فينا ولست بالذى أوثرك على نفسى فى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم فيظنوا ان بهم قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا رضى الله عنهم حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختى أما والله ان أباك

﴿فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله﴾ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذى عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائى وأخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين (ق) عن أبى سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذى وللنسائى نحوه عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود * قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال أكثر المفسرين ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه

وجدك تعنى أبا بكر والزبير لمن الذين قال الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ وكان معبد يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا ان الله تعالى كان أعفاك منهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جلة أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى طلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت فيه أبياتا كادت تهد من الاصوات راحلتى

اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

فذكر أبياتا فرد ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتمونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قاله أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الثالثة هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان أبا سفيان يوم أحد حين أراد ان ينصرف قال يا محمد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له أبو

للخروج فى طلب أبى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذى أصابهم يوم أحد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضر نا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان فى سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا ان الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله انى أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت أبياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكموا * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش يقابله * وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحمل لكم أبلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه

سفيان يانعيم انى واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج اليها وأكره ان يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم انى فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل أضعها لك على يدى سهيل بن عمرو و يضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لى هذه القلائص من أبى سفيان وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال أين تريدون فقالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بدر الصغرى قال بئس الرأى رأيكم أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين و يسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد موعدنا بيننا و بينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا و بينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم انى قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج اليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الىّ من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم انا فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل أضعها لك على يد سهيل بن عمرو و يضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لى هذه القلائص وأنطلق الى محمد فأثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال نعم أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أفتريدون أن تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فأما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أى أجابوا الله وأطاعوه فى جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا (من بعد ما أصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من ألم الجراح (للذين أحسنوا منهم واتقوا) يعنى أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه (أجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله وللرسول وفى المراد بالناس وجوه أحدها

بموسم بدر الصغرى فيلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا واصابوا بالدرهم درهمين فانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره ان الله لا يضيع اجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول (من بعد ما اصابهم القرح) اى نالهم الجرح وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (للذين أحسنوا منهم) بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو (واتقوا) معصيته (أجر عظيم الذين قال لهم الناس) ومحل الذين خفض أيضا مردود على الذين الاول وأراد بالناس نعيم بن مسعود فى قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذى أريد به الخاص كقوله تعالى أم يحسدون الناس يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقال محمد بن اسحق وجماعة أراد بالناس الركب من عبد القيس

(ان الناس قد جمعوا لكم) يعنى أبا سفيان وأصحابه (فاخشوهم) فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) تصديقا ويقينا وقوة (وقالوا حسبنا الله) أى كافينا الله (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة قالها ابراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (فانقلبوا) فانصرفوا (بنعمة من الله) بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) تجارة وربح وهو ما أصابوا فى السوق (لم يمسسهم سوء) لم يصبهم أذى ولا مكروه (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة الله وطاعة رسوله وذلك انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (والله ذو فضل عظيم) قوله تعالى (انما ذلكم الشيطان) يعنى ذلك الذى قال لكم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فعل الشيطان ألقى فى أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم (يخوف اولياءه) اى يخوفكم بأوليائه وكذلك هو فى قراءة أبى بن كعب يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدى يعظم اولياءه فى صدوركم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود يخوفكم اولياءه (فلا تخافوهم وخافون) فى ترك امرى (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بوعدى لانى متكفل لكم بالنصر والظفر قوله عز وجل (ولا يحزنك) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء وكذلك فى جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ضده أبو جعفر وهما لغتان حزن يحزن واحزن يحزن الا ان اللغة الغالبة حزن يحزن (الذين يسارعون فى الكفر) قال الضحاك هم كفار قريش وقال غيره هم المنافقون يسارعون فى الكفر بمظاهرة الكفار

انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثانى ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز ليعاد أبى سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد أتوكم فى ديارهم فقتلوا الا كثركم فان خرجتم اليهم لم يبق أحد منكم (ان الناس) يعنى أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) أى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافينا الله هو الذى يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع وريّ * أى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بأمورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم * قوله تعالى (فانقلبوا) أى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) أى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) أى تجارة وربح وهو ما أصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) أى لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن ألقى ذلك فى أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله أولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعنى فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم (وخافون) أى فجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فانى وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بوعدى انى متكفل لكم بالنصر والظفر * قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك

(انهم لن يضروا الله شيأ) بمسارعتهم فى الكفر (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر (ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا) استبدلوا (الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ) بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا) قرأ حمزة هذا والذى بعده بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء فمن قرأ بالياء فالذين فى محل الرفع على الفاعل تقديره ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا ومن قرأ بالتاء يعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا وانما نصب على البدل من الذين ٣ (انما نملى لهم خير لانفسهم) والاملاء الامهال والتأخير يقال عشت طويلا وتمليت حينا ومنه قوله تعالى واهجرنى مليا أى حينا طويلا ثم ابتدأ فقال (انما نملى لهم) نمهلهم (ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) قال مقاتل نزلت فى مشركى مكة وقال عطاء فى قريظة والنضير أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفى أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسى أنا شعبة عن على بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلفوا فيها فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال مابال أقوام طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا أنبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله تعالى هذه الآية واختلفوا فى حكم الآية ونظمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبى وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين يعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقال قوم الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم ومعناه ما كان الله ليذركم يا معشر

فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعنى بمسارعتهم فى الكفر انما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيأ (يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة) يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعنى المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشترى من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا أنفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء واليا فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت فى مشركى مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما نملى لهم) الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملوة وهى المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) يعنى انما نمهلهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن الانبارى قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل هذه الآية فى قوم يعاندون الحق سبق فى علمه انهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون أبدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى انه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا * قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى

المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر الى الخطاب حتى يميز الخبيث وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بضم الياء وتشديدها وكذلك التى فى الانفال وقرأ الباقون بالتخفيف يقال مازالشئ يميزه ميزا وميزه تمييزا اذا فرقه فامتاز وانماز هو بنفسه قال أبو معاذ اذا فرقت بين شيئين قلت مزت ميزا فاذا كانت أشياء قلت ميزتها تمييزا وكذلك اذا جعلت الشئ الواحد شيئين قلت فرقت بالتخفيف ومنه فرقت الشعر فان جعلته أشياء قلت فرقته تفريقا ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد وقال الضحاك ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه فى أصلاب الرجال وأرحام النساء يامعشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من فى أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو المذنب من الطيب وهو المؤمن يعنى حتى تحط الاوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) لانه لا يعلم الغيب أحد غير الله (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) فيطلعه على بعض علم الغيب نظيره قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فضله وقال السدى معناه وما كان الله ليطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب ولكن الله اجتباه (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من

النار والله عليه غضبان وان من أطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال مابال أقوام طعنوا فى علمى لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى يارسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع فى الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل فى معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل فى معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين فى أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب فى قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يامحمد اخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل فى معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) يعنى ولكن الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعنى انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعنى وان تصدقوا من اجتبيته برسالتى وأطلعته على ما أشاء من غيبى وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فلكم أجر عظيم) يعنى فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من

فضله هو خيرا لهم) أي ولا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم سيطوّقون) أي سوف يطوقون (ما بخلوا به يوم القيامة) يعني يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه هذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

فضله هو خيرا لهم) يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان أكثر العلماء ذهبوا الى أن البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوّقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره وقوله (سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بأنهما شدقاه وقيل انهما مضغتان في أصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار أن قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في

اسمعيل أنا علي بن عبد الله المديني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبد الرحمن بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر رضي الله عنه قال انتهيت اليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده أو والذي لا اله غيره أو كما حلف ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها الا أتى بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت أخراها ردت عليها أولاها حتى يقضى بين الناس قال ابراهيم النخعي معنى الآية

يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوق من النار قال مجاهد يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم وروى عطية عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ومعنى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره واثمه كقوله تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم

(ولله ميراث السموات والارض) يعني انه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم نظيره قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها (والله بما تعملون خبير) قرأ أهل البصرة ومكة بالياء وقرأ الآخرون بالتاء قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان قائل هذا الكلام حيي بن أخطب (٣٨٤) وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أسبيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بذلك يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تعالى تكذيبا ورداً على فنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله عنه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء (سنكتب ما قالوا) من الافك والفرية على الله فنجازيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنأمر الحفظة بالكتابة نظيره قوله تعالى وانا له كاتبون (وقتلهم الانبياء بغير حق

معنى الحديث انهم لما سألوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بألسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم * قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما يعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أسبيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تعالى تكذيبا ورداً على فنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله عنه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء (سنكتب ما قالوا) من الافك والفرية على الله فنجازيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنأمر الحفظة بالكتابة نظيره قوله تعالى وانا له كاتبون (وقتلهم الانبياء بغير حق

ونقول ذوقوا عذاب الحريق) قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء وذوقوا عذاب الحريق أي النار وهو بمعنى المحرق كما يقال لهم عذاب أليم أي مؤلم (ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب قوله تعالى (الذين قالوا ان الله عهد الينا) الآية قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله تعالى قد عهد الينا في التوراة (ألا نؤمن لرسول) يزعم انه من عند الله (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا أي سمع الله قول الذين قالوا ومحل الذين خفض ردا على الذين الاول ان الله عهد الينا أي أمرنا وأوصانا في كتبه ان لا نؤمن برسول أي لا نصدق رسولا يزعم انه جاءهم من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله تعالى من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعني يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء

بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس بأول ما ارتكبوه من العظائم وانهم أصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق واز من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) أي نقتلهم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) أي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا أن اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن * قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه (أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فأي معجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انهما مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل القربان أو الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعني يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء

واذا لم يقبل بقيت على حالها وقال السدي ان الله تعالى أمر بني اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم (قل) يا محمد (قد جاءكم) يا معشر اليهود (رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم) من القربان (فلم قتلتموهم) يعني زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك أسلافهم فخاطبهم بذلك لانهم رضوا بفعل أسلافهم

(ان كنتم صادقين) معناه تكذيبهم اياك مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع الاتيان بالقربان والمعجزات ثم قال معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر) قرأ ابن عامر وبالزبر أي بالكتب المزبورة يعني المكتوبة واحدها زبور مثل رسول ورسل (والكتاب

المنير) الواحد المضيء قوله عز وجل (كل نفس) منفوسة (ذائقة الموت) وفي الحديث لما خلق الله تعالى آدم اشتكت الارض الى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما من أحد الا ويدفن في التربة التي خلق منها (وانما توفون أجوركم) توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان خيرا فخير وان شرا فشر (فمن زحزح) نحي وأزيل (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعني منفعة ومتعة كالفاس والقدر والقصعة ثم يزول ولا يبقى وقال الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له قال قتادة هي متاع متروكة يوشك ان تضمحل بأهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم والغرور الباطل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب ابن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن اسمعيل بن يحيى أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور (لتبلون في أموالكم)

وأراد بذلك فعل أسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل أسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) أي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني آدم فأين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها * فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت * قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون أجوركم) يعني توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر بذل المحبوب وتخيل للانسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الأشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (في أموالكم) يعني بالابتلاء

في

صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور (لتبلون في أموالكم)

وأنفسكم) الآية قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج نزلت الآية في أبي بكر وفنحاص بن عازوراءوذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فنحاص بن عاز وراء سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه كتابا وقال لابي بكر رضي الله عنه لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فجاء ابو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربك الى أن يمده فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشئ حتى ترجع فكف فنزلت هذه الآية وقال الزهري نزلت في كعب بن الاشرف فانه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويسب نساء المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لي بابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري انا لك يارسول الله أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يطعم ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال له لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت قولا ولا أدري هل أفي به أم لا فقال انما عليك الجهد فقال يارسول الله انه لا بد لنا من أن نقول فيك قال قولوا ما بدا لكم وأنتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلام وأبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبو عيس بن جبير فشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشد الشعر وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى هذا فقال أبو نائلة ان معي أصحابا أردنا ان تبيعنا طعامك ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال أترهنوني أبناءكم قال انا نستحي أن يعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين قال ترهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نامنك وأية امرأة تمنع منك لجمالك ولكنا نرهنك الحلقة يعني (٣٨٧) السلاح وقد علمت حاجتنا الى السلاح قال نعم وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح اذا رآه فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة الى أصحابه فأخبرهم خبره فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه ليلا فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته فقالت امرأته أسمع صوتا يقطر منه الدم وانك رجل محارب وان صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن فقال انما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة وان هؤلاء لو وجدوني نائما ما أيقظوني وان الكريم اذا دعي الى طعنة بليل أجاب فنزل اليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا يا ابن الاشرف هل لك الى ان نتماشى الى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون وكان أبو نائلة قال لاصحابه اني نائل شعره فاشمه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ثم انه شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيب عروس قط قال انه طيب أم فلان يعني امرأته ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم أخذ بفود رأسه حتى استمكن ثم قال اضربوا عدو الله فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نارا فقال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس بجرح في رأسه ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على شفينة رجل من تجار اليهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول أي عدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله قال محيصة والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك قال لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم قال والله ان دينا بلغ بك هذا العجب فاسلم حويصة وأنزل الله تعالى في شأن كعب لتبلون لتختبرن اللام للتأكيد وفيه معنى القسم والنون لتأكيد القسم في أموالكم بالجوائح والعاهات والخسران وأنفسكم بالامراض وقيل بمصائب الاقارب والعشائر قال عطاء هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم وقال الحسن هو ما فرض عليهم في أموالهم وأنفسهم من الحقوق كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) يعني مشركي العرب (أذى كثيرا

في الاموال بالنقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عاز وراء وذلك ان النبي صلى

وان تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) الله (فان ذلك من عزم الامور) من حق الامور وخيرها وقال عطاء من حقيقة الايمان

(واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء فيهما لقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على اضمار القول (فنبذوه وراء ظهورهم) أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والرشا (فبئس ما يشترون) قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل واسمعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا ابراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم علمه وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألقيته على بابه فقلت ان رأيت ان تحدثني فقال أما علمت اني قد تركت

الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لا بي بكر لا تفتاتن علي بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى بعث فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشئ حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر الى أي شئ يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني أترهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب أترهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحرث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته اني لا سمع صوتا كأنه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف أمد يدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي ان أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وأوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه ونفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فان ذلك من عزم الامور) أي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الاخذ به * قوله تعالى (واذ أخذ الله) أي واذكر يا محمد وقت اذ أخذ الله (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (ليبيننه للناس) يعني ليبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعني ولا يخفون ذلك عن الناس (فنبذوه) يعني الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) أي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم

الله

الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان أحدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية قرأ عاصم وحمزة والكسائي لا تحسبن بالتاء أي لا تحسبن يا محمد الفارحين وقرأ الآخرون بالياء لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين أي فلا يحسبن أنفسهم وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء أي فلا تحسبنهم يا محمد وأعاد قوله فلا تحسبنهم تأكيدا وفي حرف عبد الله بن مسعود ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا سعيد ابن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزل لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وأخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا ابراهيم بن موسى أنا هشام ان ابن جريج أخبرهم قال أخبرني ابن أبي مليكة ان علقمة ابن وقاص أخبره ان مروان

الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه وايا كم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت اما أن تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا * قوله عز وجل (لا تحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب أي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذا انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما أتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي ويحبون أن يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عني بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى

قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس مالكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه فأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب كذلك الى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال عكرمة نزلت في فنحاص وأسيبع وغيرهما من الاحبار يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا بأهل العلم وقال مجاهد هم اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه وقال سعيد بن جبير هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل ابراهيم وهم براء من ذلك وقال قتادة ومقاتل أتت يهود خيبر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وانا على رأيك ونحن لك ردء وليس ذلك في قلوبهم فلما خرجوا قال لهم المسلمون ما صنعتم قالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون أحسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال يفرحون بما أتوا قال القراء بما فعلوا كما قال الله تعالى لقد جئت شيأ فريا أي فعلت (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

فلا تحسبنهم بمفازة) بمنجاة (من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض) يصرفها كيف يشاء (والله على كل شئ قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق الحافظ أنا أحمد بن عبد الجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبد الرحمن عن حبيب بن أبى ثابت عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى لسانى نورا واجعل من خلفى نورا ومن امامى نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتى نورا اللهم اعطنى نورا ورواه كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما وزاد اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا قوله تعالى لآيات لاولى الالباب ذوى العقول ثم وصفهم فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم والنخعى وقتادة هذا فى الصلاة يصلى قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فصلى جنب أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى أنا هناد أنا وكيع عن ابراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عمران

العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أى بقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود فى الارض كلها ان محمدا ليس بنبى فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم وللصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك فى قلوبهم وأحبوا أن يحمدهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أى فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذى أعده الله لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت فى اليهود أو المنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل من أحب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح أو ينسب الى العلم وليس هو كذلك * قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعنى انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم * قوله عز وجل (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) قال ابن عباس ان أهل مكة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقته وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما فى الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكى تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون أرزاقكم فى النهار وتسكنون فى الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولى الالباب يعنى يا ذوى العقول الصافية يعنى الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهى خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفى رواية فقمت عن يساره فاخذنى فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكره * قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون

يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذى وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلى على جنب ويومئ برأسه ايماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل فى كل أحيانه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة أخرجه أبو داود والترة النقص وقيل هى هنا التبعة * وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) أصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة متطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ الله منزه أن يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون فى خلق السموات والارض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أى ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعنى عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن أن تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعنى انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء ثم أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتى بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أى أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت فى ايذائه والخزى ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط * فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لا يخزى * قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها أحدها ما روى عن أنس فى تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من يخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب أهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد أخزيته الوجه الثانى فى الجواب أن المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما أخزاه ابن المسيب بهذه خاصة لمن لا يخرج منها فقد روى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وان الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها فعلى جنب وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر فى عموم الاحوال لان الانسان قل ما يخلو من احدى هذه الحالات الثلاث نظيره فى سورة النساء فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الله ويعرفوا ان لها صانعا قادرا مدبرا حكيما قال ابن عوان الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أى ويقولون ربنا (ما خلقت هذا) ردده الى الخلق فلذلك لم يقل هذه (باطلا) أى عبثا وهزلا بل خلقته لامر عظيم وانتصب باطلا بنزع الخافض أى بالباطل (سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أى أهنته وقيل أهلكته وقيل فضحته لقوله تعالى ولا تخزون فى ضيفى فان قيل قد قال الله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ومن أهل الايمان من يدخل النار وقد قال انك من تدخل النار فقد أخزيته فكيف الجمع قيل قال أنس وقتادة معناه انك من تخلده فى النار فقد أخزيته وقال سعيد

حين أحرقه بالنار ان دون ذا الخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحى منه ويخجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى أن يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله على طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي أن لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا ينافضه اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ربنا انا سمعنا منادياً ينادي للايمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائرنا (وكفر عنا سيآتنا) أي صغائرنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة أتباعهم وأشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعني على ألسنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك * فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد * قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجأ اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء وقالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم * فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم * قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل أن يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى أن يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) * قوله

(وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادياً) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر الناس وقال القرظي يعني القرآن فليس كل واحد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم (ينادي للايمان) الى الايمان (أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار) أي في جملة الابرار (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على ألسنة رسلك (ولا تخزنا) ولا تذلنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) فان قيل ما وجه قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقد علموا ان الله لا يخلف الميعاد قيل لفظه دعاء ومعناه خبر أي لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا ولا تخزنا يوم القيامة لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على ألسنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء وقالوا قد علمنا انك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل تخزيهم وانصرنا عليهم

تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعنى أجاب دعاءهم وأعطاهم ماسألوه (انى) أى وقال لهم انى (لا أضيع عمل عامل منكم) يعنى لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه (من ذكر أو أنثى) يعنى لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشئ فأنزل الله تعالى أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذى وغيره * وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعنى فى الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف أى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعنى على خلقى وسيرتى وقيل ان الرجال والنساء فى الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى) يعنى المهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى فى سبيلى فى طاعتى ودينى وابتغاء مرضاتى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعنى وقاتلوا العدو واستشهدوا فى جهاد الكفار (لأكفرن عنهم سيئاتهم) يعنى لامحون عنهم ذنوبهم ولأغفرنها لهم (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعنى ذلك الذى أعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذى أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلاثة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا اسمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم فى هذه الآية تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله تعالى مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) أى ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعنى مصيرهم فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أى وبئس الفراش هى * قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه

فى الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقال الضحاك رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة كما قال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى) أى فى طاعتى ودينى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة (وقاتلوا وقتلوا) قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بالتشديد وقال الحسن يعنى انهم قطعوا فى المعركة والآخرون بالتخفيف وقرأ أكثر القراء وقاتلوا وقتلوا يريد انهم قاتلوا العدو ثم انهم قتلوا وقرأ حمزة والكسائى قتلوا وقاتلوا وله وجهان أحدهما معناه وقاتل من بقى منهم ومعنى قوله وقتلوا أى قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بنى فلان وانما قتلوا بعضهم والوجه الآخر وقتلوا وقد قاتلوا (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) نصب على القطع قاله الكسائى وقال المبرد مصدر أى لأثيبنهم ثوابا (والله عنده حسن الثواب) قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش

(٥٠ - خازن ل) يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وأنواع المكاسب فالخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره (متاع قليل) أى هو متاع قليل بلغة فانية ومتعة زائلة (ثم مأواهم) مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) الفراش (لكن الذين اتقوا ربهم)

لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) جزاء وثوابا (من عند الله) نصب على التفسير وقيل جعل ذلك نزلا (وما عند الله خير للابرار) من متاع الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن جبير انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه

وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند رأسه اهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزلت في أهل نجران أربعين رجلا اثنان وثلاثون من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مجاهد نزلت هؤلاء في مؤمني أهل الكتاب كلهم وقتادة من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله (وما أنزل اليكم) يعني القرآن (وما أنزل اليهم) يعني التوراة والانجيل (خاشعين لله) خاضعين متواضعين لله (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط

من معاصيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) أي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعني من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (خير للابرار) يعني ذلك الفضل والنعمة التي أعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي * قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لانه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل اليكم يعني ويؤمن بما أنزل اليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) اشارة الى من هذه صفته من أهل الكتاب (لهم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط

هؤلاء

(من رؤساء اليهود (أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن

اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء وقال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاك ومقاتل بن سليمان على أمر الله وقال مقاتل بن حيان على أداء فرائض الله تعالى وقال زيد بن أسلم على الجهاد وقال الكلبي على البلاء وصابروا يعني على قتال الكفار ورابطوا يعني المشركين قال أبو عبيدة أي دافعوا واثبتوا والربط الشد وأصل الرباط ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم ثم قيل ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه وان لم يكن له مركب أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن بشير انه سمع أبا النصر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا الله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النساء مدنية ﴾

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

*قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) أي احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وانما أنث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فانما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لما ذا خلقت قالت خلقت لتسكن الي فمال اليها وألفها لانها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها

الفقيه أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أنا مالك أخبرنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال بعض أرباب اللسان اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا الله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء

﴿ سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) يعني

حوّاء (و بث منهما) نشر وأظهر (رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به) أى تتساءلون به قرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف احدى التاءين كقوله تعالى ولا تعاونوا (والارحام) قراءة العامة بالنصب أى واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض أى به و بالارحام كما يقال سألتك بالله والارحام والقراءة الاولى أفصح لان العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكنى الا بعد أن تعيد الخافض فتقول مررت به و بزيد الا انه جائز مع قلته (ان الله كان عليكم رقيبا) أى حافظا قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) قال مقاتل والكلبى نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه و يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر و بقى الوزر فقالوا كيف يبقى الوزر فقال ثبت الاجر للغلام و بقى الوزر على والده وقوله وآتوا خطاب للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم واليتيم اسم لصغير لا اب له ولا جد وانما يدفع المال اليهم بعد البلوغ وسماهم يتامى ههنا على معنى انهم كانوا يتامى (ولا تتبدلوا) لا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) أى مالهم الذى هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا فى هذا التبديل قال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و يجعلون مكانه الردىء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة و يجعل مكانها المهزولة و يأخذ الدرهم الجيد و يجعل مكانه الزيف و يقول درهم بدرهم فنهوا عن ذلك وقيل كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان و يأخذ الاكبر الميراث فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذى يأخذه من نصيب غيره خبيث وقال مجاهد لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال

(و بث منهما) يعنى نشر وأظهر من آدم وحوّاء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه عن ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه أهل أن يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله و بالرحم وناشدتك بالله و بالرحم لان العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون و يعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها و يدل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه و ينسأ فى اثره فليصل رحمه قوله ينسأ فى اثره أى يؤخر له فى أجله (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص و يدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ من أمر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف و يتقى * قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه و يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر و بقى الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر و بقى الوزر قال ثبت الاجر للغلام و بقى الوزر على أبيه والخطاب فى قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبى الذى مات أبوه واليتم فى اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن فى العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبى وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تتبدلوا) أى ولا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعنى الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و يجعلون مكانه الردىء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة و يجعل مكانها

كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و يجعلون مكانه الردىء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة و يجعل مكانها من مال اليتيم و يجعل مكانها المهزولة و يأخذ الدرهم الجيد و يجعل مكانه الزيف و يقول درهم بدرهم فنهوا عن ذلك وقيل كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان و يأخذ الاكبر الميراث فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذى يأخذه من نصيب غيره خبيث وقال مجاهد لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال

ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم) أى مع أموالكم كقوله تعالى من أنصارى الى الله أى مع الله (انه كان حوبا كبيرا) اثما عظيما وقوله تعالى (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) اختلفوا فى تأويلها فقال بعضهم معناه ان خفتم يا أولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى قال كان عروة بن الزبير يحدث انه سأل عائشة رضى الله عنها وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نسائها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من النساء قالت عائشة رضى الله عنها ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن الى قوله تعالى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله تعالى فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال أو مال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها باكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها الاولى من الصداق ويعطوها حقها قال الحسن كان الرجل من أهل الجاهلية تكون عنده الايتام وفيهن

مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) يعنى مع أموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم فى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى ان أكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم * قوله عز وجل (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) يعنى وان خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنهما عن قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله أو ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسىء صحبتها ويتربص بها الى أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته التى فى حجره فأنفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح أربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعنى ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بأن قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم فى هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب * وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه أمران العدل

من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسىء صحبتها ويتربص بها أن تموت ويرثها فعاب الله تعالى ذلك وأنزل الله هذه الآية وقال عكرمة كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والاكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته التى فى حجره فأنفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى أخذ أموال اليتامى وهذه رواية طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال بعضهم كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ما شاؤا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا

فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول كما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقوقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص فى نكاح أربع فقال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فيهن فواحدة وقال مجاهد معناه ان تحرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحا طيبا ثم بين لهم عددا وكانوا يتزوجون ما شاؤا من غير عدد فنزل قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أى من طاب كقوله تعالى والسماء وما بناها وقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين والعرب تضع من وما كل واحدة موضع الاخرى كقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين وطاب أى حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ولذلك لا ينصرفن والواو بمعنى أو للتخيير كقوله تعالى أن تقوموا لله

مثنى وفرادى وقوله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وهذا اجماع ان أحدا من الامة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة وكانت الزيادة من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم لا مشاركة معه لاحد من الامة فيها وروى ان قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق أربعا وامسك أربعا فجعل يقول للمرأة التى لم تلد يا فلانة أدبرى والتى قد ولدت يا فلانة أقبلى وروى ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أمسك أربعا وفارق سائرهن واذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر فانه يجوز فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم لما أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبى طلحة عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال ينكح العبد امرأتين ويطلق تطليقتين وعدته عدة الامة بحيضتين فان لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف وقال ربيعة يجوز للعبد أن ينكح أربع نسوة كالحر (فان خفتم) خشيتم وقيل علمتم (ألا تعدلوا) بين الازواج الاربع (فواحدة) أى فانكحوا واحدة وقرأ أبو جعفر فواحدة بالرفع (أو ما ملكت أيمانكم) يعنى السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم فى الحرائر ولا قسم لهن ولا وقف فى عددهن وذكر الأيمان بيان تقديره أو ما ملكتم وقال بعض أهل المعانى أو ما ملكت أيمانكم أى ما ينفذ فيه أقسامكم جعله من يمين الحلف لا يمين الجارحة (ذلك أدنى) أقرب (أن لا تعولوا) أى لا تجوروا ولا تميلوا يقال عال الرجل يعيل اذا جار ومال عائل أى جائر مائل هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد أن لا تضلوا وقال الفراء أن لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض وقال الشافعى رحمه الله أن لا تكثر عيالكم وما قاله أحد انما يقال أعال يعيل اعالة اذا كثر عياله وقال أبو حاتم كان الشافعى رضى

والوصف والواو بمعنى أو فى هذا الفصل لانه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على أربع فأربع لا انه يضم عددا وأجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد أن يزيد على أربع نسوة وان الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يشاركه فيها أحد من الامة ويدل على ان الزيادة على أربع غير جائزة وانها حرام ما روى عن الحرث ابن قيس أو قيس بن الحرث قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا أخرجه أبو داود عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج بأربع نسوة واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعى بأن هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم والعبد لا يملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد * وقوله تعالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (ألا تعدلوا) يعنى بين الازواج الاربع (فواحدة) يعنى فانكحوا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) يعنى وما ملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم فى الحرائر ولا قسم لهن (ذلك أدنى) أى أقرب (ألا تعولوا) معناه أقرب من أن لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أى لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه أن لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعى وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله ألا تعولوا أى لا تكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل

الله عنه اعلم بلسان العرب منا فلعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال الكلبي ومجاهد هذا الخطاب للاولياء وذلك ان ولي المرأة كان اذا تزوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يدفعوا الحق الى أهله قال الحضرمي وكان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر

الرجل اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على أبي بكر الرازي ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن أبي حاتم قال كان الشافعي أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعي (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاولياء قال أبو صالح كان الرجل اذا زوج أيمه أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها الا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر في العقد (ق) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج أمرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصداق والصداق المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج * وقوله تعالى (فان طبن) يعني النساء المتزوجات (لكم) يعني للازواج (عن شئ منه) يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعني ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شئ والمريء المحمود العاقبة وفي الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه * قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعمد الى مالك السفيه الذي هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير ومال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وأنفق

في العقد أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق وقال الآخرون الخطاب للازواج أمروا بايتاء نسائهم الصداق وهذا أصح لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين والصدقات المهور واحدها صدقة نحلة قال قتادة فريضة وقال ابن جريج فريضة مسماة قال أبو عبيدة ولا تكون النحلة الا مسماة معلومة وقال الكلبي عطية وهبة وقال أبو عبيدة عن طيب نفس وقال الزجاج تدينا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا به ما استحللتم به الفروج (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) يعني فان طابت نفوسهن بشئ من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرة فلذلك وحد النفس كما قال الله تعالى وضاق بهم ذرعا وقرئ عينا وقيل لفظها واحد ومعناها جمع (فكلوه هنيئا مريئا) سائغا طيبا يقال هنأني الطعام بهنأني بفتح النون في الماضي وكسرها في الغابر وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شئ والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر قرأ أبو جعفر هنيا مريا بتشديد الياء فيهما من غير همزة وكذلك يرى يرون ويريا وكهية والآخرون يهمزونها قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم

التى جعل الله لكم قياما) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء فقال قوم هم النساء وقال الضحاك النساء من أسفه السفهاء وقال مجاهد نهى الرجال ان يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقال الآخرون هم الاولاد قال الزهرى يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده وقال بعضهم هم النساء والصبيان وقال الحسن هى امرأتك السفيهة وابنتك السفيهة وقال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذى خوّلك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما فى أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم قال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وأنفقه عليه حتى يبلغ وانما أضاف الى الاولياء فقال أموالكم لانهم قوامها ومدبروها والسفيه الذى لا يجوز لوليه ان يؤتيه ماله هو المستحق الحجر عليه وهو أن يكون مبذرا فى ماله أو مفسدا فى دينه فقال جل ذكره ولا تؤتوا السفهاء أى الجهال بموضع الحق أموالكم التى جعل الله لكم قياما قرأ نافع وابن عامر قيما بلا ألف وقرأ الآخرون قياما وأصله قواما فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهو ملاك الامر وما يقوم به الامر وأراد ههنا قوام عيشكم الذى تعيشون به قال الضحاك به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أى أطعموهم (واكسوهم) لمن تجب عليكم رزقه ومؤنته وانما قال فيها ولم يقل منها لانه أراد انهم جعلوا لهم فيها رزقا فان الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد أجر موقت محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة وقال عطاء اذا ربحت أعطيتك وان غنمت فلك فيه حظ وقيل هو الدعاء وقال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل قولا تطيب به أنفسهم قوله تعالى (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة توفى وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى أدفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم وأديانهم وحقوق اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) ابصرتم (منهم رشدا) عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

عليه منه حتى يبلغ وانما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق أموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن أنت قيم أهلك انفق عليهم ولا تؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أى اطعموهم (واكسوهم) يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه أمر أن يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء اى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل * قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فأنزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم وأديانهم وحقوق اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) ابصرتم (منهم رشدا) عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

(فصل

اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى أى اختبروهم فى عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) أبصرتم (منهم رشدا) قال المفسرون يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبى لا يدفع اليه ماله وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فان كان ممن يتصرف فى السوق فيدفع الولى اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لا يتصرف فى السوق فيختبره فى نفقة داره والانفاق على عبيده واجرائه وتختبر المرأة فى أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبيره وتصرفه فى الامور مرارا يغلب على القلب رشده دفع المال اليه واعلم ان الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال اليه بشيئين بالبلوغ والرشد والبلوغ يكون باحد أشياء اربعة اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان مختصان بالنساء أحدهما السن والثانى الاحتلام أما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعى أخبرنا سفيان بن عيينة

عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا فرق ما بين المقاتلة والذرية وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة فى المقاتلة ومن لم يبلغها فى الذرية وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة وأما الاحتلام فنعنى به نزول المنى سواء كان بالاحتلام أو بالجماع أو غيرهما فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ فى الجزية حين بعثه الى اليمن خذ من كل حالم دينارا وأما الانبات وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج فهو بلوغ فى أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبى قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك بلوغا فى أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما يكون بلوغا كما فى أولاد الكفار والثانى لا يكون بلوغا لانه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع الى آبائهم وفى الكفار لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الانبات الذى هو أمارة البلوغ بلوغا فى حقهم وأما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل فاذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها أقل مدة الحمل وأما الارشد فهو أن يكون مصلحا فى دينه وماله والصلاح فى الدين هو أن يكون مجتنبا عن الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال هو أن لا يكون مبذرا والتبذير هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن فى البيوع فاذا بلغ الصبى وهو مفسد فى دينه وغير مصلح لماله دام الحجر عليه ولا يدفع اليه المال ولا ينفذ تصرفه وعند أبى حنيفة رضى الله عنه اذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وان كان مفسدا فى دينه واذا كان مفسدا لماله قال لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير ان تصرفه يكون نافذا قبله والقرآن حجة لنا فى استدام الحجر

﴿ فصل ﴾ فى أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لا يتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده واجرائه وتصرفه فى أحوال داره وتختبر المرأة فى أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه فى الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد ﴿ المسئلة الثانية ﴾ قال الامام أبو حنيفة تصرفات الصبى العاقل المميز باذن الولى صحيحة وقال الشافعى هى غير صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضى ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله فى جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى أمر للأولياء بالاذن لهم فى البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعى بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم فى التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم أموالهم) وانما تدفع اليهم أموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله فى معرفة المصالح والمفاسد ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ فى بيان البلوغ وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فأحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى أخرجاه فى الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو انزال المنى الدافق سواء أنزل باحتلام أو جماع فاذا وجد ذلك من الصبى أو الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا أما نبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ فى أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبى قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ فى أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كما فى أولاد المشركين والثانى لا يكون ذلك بلوغا فى حق أولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل فى ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذى هو أمارة البلوغ بلوغا فى حقهم وأما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها أقل مدة الحمل ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فى بيان الرشد وهو أن يكون مصلحا فى دينه وماله فالصلاح فى الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال هو أن لا يكون مبذرا والتبذير أن ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن فى البيع والشراء فاذا بلغ الصبى وهو

عليه لان الله تعالى قال حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم أموالهم) أمر بدفع المال اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن واذا بلغ وأونس منه الرشد زال الحجر عنه ودفع اليه المال رجلا كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج وعند مالك رحمه الله تعالى ان كانت امرأة لا يدفع المال اليها ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها ولكن لا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب واذا بلغ الصبي رشيدا وزال الحجر عنه ثم عاد سفيها نظر فان عاد مبذرا لماله حجر عليه وان عاد مفسدا في دينه فعلى وجهين أحدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه اذا بلغ بهذه الصفة والثاني لا يعاد لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال على لآتين عثمان فلاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه قوله تعالى (ولا تأكلوها) يامعشر الاولياء (اسرافا) بغير

مفسدا لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسد الدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن ﴿المسئلة الخامسة﴾ اذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب ﴿المسئلة السادسة﴾ اذا بلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان فقال احجر علي هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يامعشر الاولياء لا تأكلوا اموال اليتامى بغير حق (وبدارا أن يكبروا) يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) أي فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزأه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شئ ولي يتيم

حق (وبدارا) أي مبادرة (أن يكبروا) وان في محل النصب يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذران يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال (ومن كان غنيا فليستعفف) أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلا ولا كثيرا والعفة الامتناع مما لا يحل (ومن كان فقيرا) محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده (فليأكل بالمعروف) أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السنجري أخبرنا الامام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا أبو داود السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة ان خالد بن الحرث حدثهم أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم

فقال اني فقير وليس لي شئ ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب بعضهم الى انه يقضي اذا أيسر وهو المراد من قوله فليأكل بالمعروف فالمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال الشعبي لا يأكل الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة وقال قوم لا قضاء عليه ثم اختلفوا في كيفية هذا الاكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه وقال النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وقال الحسن وجماعة يأكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا فان أخذ شيأ منه فعليه رده وقال الكلبي المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ أخبرنا أبو اسحق السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد انه قال سمعت القاسم بن محمد يقول جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما قال ان لي يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل

ولا ناهك فى الحلب وقال بعضهم والمعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد ما بلغ لزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا ومجازيا وشاهدا قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون)

الآية نزلت فى أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات لهمنها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان الصغير ذكرا وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة فقالت يارسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك على ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندى ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناتى شيأ وهن فى حجرى لا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فانزل الله عز وجل للرجال يعنى للذكور من أولاد الميت وأقربائه نصيب حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث (وللنساء) وللاناث منهم (نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه) أى من المال (أو كثر نصيبا مفروضا) نصب على القطع وقيل جعل ذلك نصيبا فاثبت لهن الميراث

يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبى العالية وعبيدة السلمانى وأبى وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا فى انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبى والنخعى وقتادة قال الشعبى لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا فى قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسى منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبى المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيأ وروى أن رجلا قال لابن عباس ان لى يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغى ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية فى أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها أم كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابن عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كحة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندى ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيأ وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكأن عدوا فقال رسول الله انصرفا حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى وللاناث من أولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر) يعنى من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيأ فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة أن ادفعا الى أم كحة الثمن مما ترك والى

ولم يبين كم هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيا فان الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم فلما نزلت أرسل رسول الله الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى أم كحة الثمن والى بناته الثلثين ولكما باقى المال

قوله تعالى (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة المواريث (أولوا القربى) الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) أى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة وقال سعيد بن جبير والضحاك كانت هذه قبل آية الميراث فجعلت المواريث لاهلها ونسخت هذه الآية وقال الآخرون هى محكمة وهو قول ابن عباس والشعبى والنخعى والزهرى وقال مجاهد هى واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وقال الحسن كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع والشئ الذى يستحيا من قسمته وان كان بعض

الورثة طفلا فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ان كانت الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانت صغارا اعتذروا اليهم فيقول الولى والوصى انى لا أملك هذا المال انما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقوقكم هذا هو القول بالمعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب فى أموال الصغار والكبار فان كانوا كبارا تولوا اعطاءهم وان كانوا صغارا أعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال قتادة عن يحيى بن معمر ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية وقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية وقال بعضهم وهو أولى الاقاويل ان هذا على الندب والاستحباب لا على الحتم والايجاب قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) أولادا صغارا (خافوا عليهم) الفقر هذا فى الرجل يحضره الموت فيقول من يحضرته انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم ان يأمروه ان ينظر لولده ولا يزيد فى وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما انه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبى هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليأت فى حقه ما يحب ان يفعل بذريته من بعده

بتاته الثلثين ولكما بقى المال * قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (أولوا القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) أى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول أبى موسى الاشعرى والحسن وأبى العالية والشعبى وعطاء بن أبى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر أمر وجوب أو ندب على قولين أحدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه أن يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى ان يعتذر اليهم ويقول انى لا أملك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولى أو الوصى انى لا أملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بأنفسهم وان كانوا صغارا أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحى من قسمته والقول الثانى ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الوصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى * قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعنى أولادا صغارا (خافوا عليهم) يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء أولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وحكما انه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله

قوله تعالى (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) أى عدلا والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بان يتصدق بما دون الثلث و يخلف الباقى لورثته قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل بن حيان نزلت فى رجل من بنى غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله فأنزل الله تعالى فيه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أى حراما بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم نارا) أخبر عن مآله أى عاقبته تكون كذلك (وسيصلون سعيرا) قراءة العامة بفتح الياء أى يدخلونه يقال صلى النار يصلاها صليا وصلاء قال الله تعالى الا من هو صال الجحيم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء أى يدخلون النار و يحرقون نظيره قوله تعالى فسوف نصليه نارا أصليه سقر وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) الآية اعلم ان الوراثة كانت فى الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فأبطل الله ذلك بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية وكانت أيضا فى الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة قال الله تعالى والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الامور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء والمعنى بالنسب ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله والمعنى بالنكاح ان أحد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصباته يرثون المعتق فنذكر بعون الله تعالى فصلا وجيزا فى بيان من يرث من الاقارب وكيفية توريث الورثة فنقول اذا مات ميت وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه فما فضل يقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام منهم من يرث بالفرض ومنهم

لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت و يريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وأمسك أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله و يكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصى بالثلث أو بأقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم أوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية ان من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه أو وصيه وليفعل به ما يحب أن يفعل باولاده من بعده (فليتقوا الله) يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه أن يتصدق بدون الثلث و يترك الباقى لولده و ورثته وان لا يحيف فى وصيته والقول السديد من الاوصياء وأولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون أولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل * قوله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حبان نزلت فى رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعنى حراما بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم نارا) يعنى سيأكلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون نارا بما يؤول اليه أمرهم يوم القيامة قال السدى يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال حدثنى النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام والمراد ان أكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعينى وسمعت بأذنى (وسيصلون سعيرا) يعنى بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة فى المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح فى أموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من أعظم القرب * قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) اختلف

من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث الا بالفرض ومن يرث بالولاء لا يرث الا بالتعصيب فاما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وبني الاعمام وبنيهم ومن يرث بهما كالاب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان للميت ابن فيرث الاب بالفرض السدس وان كان للميت بنت فيرث الاب السدس بالفرض ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض وجملة الورثة سبعة عشر عشرة من الرجال وسبع من النساء فمن الرجال الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد أبو الاب وان علا والاخ سواء كان لاب وأم أو لاب أو لام وابن الاخ للام أو للاب وان سفل والعم الاب والام أو للاب وأبناؤهما وان سفلوا والزوج ومولى العتاق ومن النساء البنت وبنت الابن وان سفلت والجدة أم الام وأم الاب والاخت سواء كانت لاب وأم أو لاب أو لام والزوجة ومولاة العتاق وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة والاسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة اختلاف الدين والرق والقتل وعمى الموت ونعني باختلاف الدين ان الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم فأما الكفار فيرث بعضهم من بعض مع اختلاف سفل

العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن أحكام الفرائض وأصول قواعدها

﴿ فصل في الحث على تعليم الفرائض ﴾ اعلم ان علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا وأشرفها ذخرا وأفضلها ذكرا وهي ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها وأصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض أخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان أحدا يخبرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو أول علم ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي أخرجه ابن ماجه والدارقطني

﴿ فصل في بيان أحكام الفرائض ﴾ اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وأم أو لاب أو لأم وابن الاخ للاب والام أو للاب وان

والسهام المحدودة فى الفرائض ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض ثلاثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو لبنت الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام أو للاب اذا لم يكن ولد لاب وأم والربع فرض اثنين فرض الزوج اذا كان للميت ولد وفرض الزوجة اذا لم يكن للميت ولد والثمن فرض الزوجة اذا كان للميت ولد والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعدا ولبنتى الابن فصاعدا عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين لاب وأم أو للاب فصاعدا والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين أحدهما زوج وأبوان والثانية زوجة وأبوان فان للام فيهما ثلث ما بقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد

سفل والعم للاب والام أو للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سوى البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض

﴿فصل﴾ وأسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو أن المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجاه فى الصحيحين فأما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم وأديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى وأحمد واسحق لما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين شتى أخرجه ابو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والذى عليه العمل عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

﴿فصل﴾ والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن

مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وأما السدس ففرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد واثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة والاخوات اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو أنثى وفرض بنات الابن اذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلثين وفرض الاخوات للاب اذا كان للميت أخت واحدة لاب وأم تكملة للثلثين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا مسلم بن ابراهيم أنا وهيب

ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر وفى الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فأما حجب النقصان فهو ان الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان فصاعدا من الاخوة يحجبون الام من الثلث الى السدس وحجب الحرمان هو أن الام تسقط الجدات كلهن وأولاد الام وهم الاخوة والاخوات الام يسقطون بارعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وان سفل وأولاد الاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم وبه قال مالك والشافعى والاوزاعى وأحمد واسحق رحمهم الله

وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبى الدرداء وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة رحمهم الله وأقرب العصبات يسقط الابعد من العصوبة وأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد أبو الاب وان علا فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب فيشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم أو لاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وأم أولى ثم العم للاب والام ثم العم للاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب حتى لو ماتت عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لاب وأم أو لاب فانه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم تأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أو للاب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقى للاخت فلو مات عن بنتين وأخت فللبنتين الثلثان والباقى للاخت والدليل

ولد لاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام أو للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وأبوان والاخرى زوجة وأبوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن أو اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو أنثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

﴿فصل﴾ روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس وأما الثانى وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى وأحمد وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبى والدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم أو لاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وأم أولى ثم العم لاب وأم ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد

عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا آدم أنا شعبة أنا أبو قيس قال سمعت هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال للبنت النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسيتابعنى فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبى موسى فقال لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين اقضى فيها بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقى فللاخت فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضى الله عنه فقال لا تسئلونى ما دام هذا الحبر فيكم رجعنا الى

أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن و بنت أو عن أخ وأخت لاب وأم أو لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين و بنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أو للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما أنا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم أخرجه البخاري وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم يعني في أمر أولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعني المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعني بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ما ترك) وأجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على الثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة * وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعني البنت واحدة (فلها النصف) يعني فرضها (ولابويه) يعني أبوي الميت كناية عن غير مذكورهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني ان للاب والام مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع

على من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت آية الفرائض وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت و بناته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة و بنتين وأخا فاخذ الاخ المال فاتت امرأة سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعدا قتل يوم أحد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك فنزل يوصيكم الله الى آخرها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك فهو أول ميراث قسم في الاسلام قوله عز وجل يوصيكم الله في أولادكم أي يعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي في أمر أولادكم اذا متم للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعني المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) أي اثنتين فصاعدا وفوق صلة كقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق (فلهن ثلثا

ما ترك وان كانت) يعني البنت (واحدة) قراءة العامة بالنصب على خبر كان ورفعها أهل المدينة على معنى ان وقعت واحدة (فلها النصف ولابويه) يعني لابوي الميت كناية عن غير مذكور (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) أراد ان الاب والام يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن والاب يكون صاحب فرض

(فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) قرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد الكسرة وقرأ الآخرون بالضم على الاصل (فان كان له اخوة) اثنان أو أكثر ذكورا كانوا أو اناثا (فلامه السدس) والباقي يكون للاب ان كان معها أب والاخوة لا ميراث لهم مع الاب ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا أن يكونوا ثلاثة لان الله تعالى قال فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يقال للاثنين اخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لان الجمع ضم شيء الى شيء فهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما ذكر القلب بلفظ الجمع وأضافه الى اثنين قوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر وصى بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية وقرأ الآخرون بكسر الصاد لانه جرى ذكر الميت من قبل بدليل قوله تعالى يوصين وتوصون. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية ومعنى الآية الجمع لا الترتيب وبيان ان الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعا معناه من بعد وصية ان كانت أو دين ان كان والارث مؤخر عن كل واحد منهما (آباؤكم وأبناؤكم) يعني الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم على وفق المصلحة فتبعوه وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أطوعكم لله عز وجل من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد أرفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع اليه ولده وان كان الولد أرفع

البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعني للميت (وورثه أبواه فلامه الثلث) يعني ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما أثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة (فان كان له) يعني للميت (اخوة) يعني ذكورا أو اناثا (فلامه السدس) يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها أب وأجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد أو الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان أحدهما أن أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان أصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثاني ان أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن أبوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة أسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير أن يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها أو دين) يعني ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لان الحكم لا لفظة أو لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة * قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة فان كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم

درجة رفع اليه والده لتقر بذلك أعينهم (فريضة من الله) أى ماقدر الله من المواريث (ان الله كان عليما) بأمور العباد (حكيما) بنصب الاحكام قوله تعالى (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين) هذا فى ميراث الازواج (ولهن الربع) يعنى للزوجات الربع (مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين) هذا فى ميراث الزوجات واذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن فى الربع والثمن قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تورث كلالة ونظم الآية وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل على خبر ما لم يسم فاعله وتقديره وان كان رجل يورث ماله كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد له روى عن الشعبى قال سئل أبو بكر رضى الله عنه عن الكلالة فقال انى سأقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان أراه (٤١١) ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر رضى الله عنهما قال انى لاستحيى من الله ان أرد شيأ قاله أبو بكر رضى الله عنه وذهب طاوس الى ان الكلالة من لا ولد له وهو احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما وآخر القولين عن عمر رضى الله عنه واحتج من ذهب الى هذا بقول الله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد و بيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه عبد الله بن حزام قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا للمراد الآية لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال اسم للميت وهو قول على وابن مسعود رضى الله عنهما لانه مات

على مافيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق مالا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعنى ماقدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة أقوال أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب * قوله عز وجل (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعنى للزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين) لما جعل الله فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله فى الموجب السببى للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها * قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبى قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ منى ومن الشيطان اراه ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله ان ارد شيأ قاله ابو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد

عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه ومنهم من قال اسم للورثة وهو قول سعيد بن جبير لانهم يتكللون الميت من جوانبه وليس فى عمود نسبه أحد كالاكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال وعليه يدل حديث جابر رضى الله عنه حيث قال انما يرثنى كلالة أى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد وقال النضر بن شميل الكلالة اسم للمال وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شيأ ما أعضلت بهم الكلالة وقال عمر رضى الله عنه ثلاث لأن يكون النبى صلى الله عليه وسلم بينهن لنا أحب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا وقال معدان بن أبى طلحة خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى لا أدع بعدى شيأ أهم عندى من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ما راجعته فى الكلالة وما أغلظ لى فى شئ ما أغلظ لى فى الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى فقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ وقوله ألا تكفيك آية الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل فى الكلالة آيتين احداهما فى الشتاء وهى التى فى أول سورة النساء

البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فأما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى أن الكلالة اسم لمن فنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول أبى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثنى كلالة أى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لا ولد له ولا والد والحى والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شئ ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر فى الخمر (ق) عن معدان بن أبى طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال انى لا أدع بعدى شيأ أهم عندى من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ما راجعته فى الكلالة وما أغلظ لى فى شئ ما أغلظ لى فى الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله ألا يكفيك آية الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل فى الكلالة آيتين احداهما فى الشتاء وهى التى فى أول سورة النساء والآية الاخرى فى الصيف وهى التى فى آخر السورة وفيها من البيان ما ليس فى آية الشتاء فلذلك أحاله عليها * وقوله تعالى (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم * فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه * قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا فى الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما الى الآخر وربما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) وهذا اجماع العلماء ان أولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون فى الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق فى خطبته الا أن الآية التى أنزل الله فى أول سورة النساء من شأن الفرائض أنزلها فى الولد والوالد والام والآية الثانية فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التى ختم الله بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التى ختم بها سورة الانفال أنزلها الله فى أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) تقدم تفسيره وبقى شئ من الاحكام يذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفى معنى الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به أن يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندى وصيتى مكتوبة أخرجاه فى الصحيحين فى ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد فى السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه

والاخرى فى الصيف وهى التى فى آخرها وفيها من البيان ما ليس فى آية الشتاء فلذلك أحاله عليها قوله تعالى (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به الاخ والاخت من الام بالاتفاق قرأ سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل على عادة العرب اذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا فى الحكم سواء ربما أضافت الى أحدهما وربما أضافت اليهما كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) فيه اجماع ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون فى الثلث ذكرهم وأنثاهم قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته الا ان الآية التى انزل الله تعالى فى اول سورة النساء فى بيان الفرائض انزلها فى الولد والوالد والام والآية الثانية فى الزوج والزوجة والاخوة والاخوات من الام والآية التى ختم بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله (من بعد وصية يوصى بها أو دين

وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن أبى وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه أبو داود * وقوله تعالى (غير مضار) يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية وهو أن يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو أن يوصى بدين ليس عليه أو يقر بماله أو أكثر ماله لاجنبى ويترك ورثته عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله وذلك هو الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرار فى الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار فى الوصية من الكبائر لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار فى الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم أن الاولى بالانسان أن ينظر عند الموت فى قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به أن لا يوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة * وقوله تعالى (وصية من الله) أى فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لا يجور (حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم وذو أناة فى ترك العقوبة عمن جار فى وصيته وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة * قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعنى الاحكام التى تقدم ذكرها فى هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعنى ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) * فان قلت كيف قطع للعاصى بالخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون فى النار * قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبى يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعتزلة والله أعلم * قوله تعالى (واللاتى) هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعنى يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة حتى يبلغ الغاية فى جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ههنا هى الزنا وانما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم) قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعنى من المسلمين وهذا خطاب للازواج أى اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أى

غير مضار) اى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية قال الحسن هو ان يوصى بدين ليس عليه (وصية من الله والله عليم حليم) قال قتادة كره الله الضرار فى الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه (تلك حدود الله) يعنى ما ذكر من الفرائض المحدودة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) قرأ اهل المدينة وابن عامر ندخله جنات وندخله نارا وفى سورة الفتح ندخله ونعذبه وفى سورة التغابن نكفر وندخله وفى سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء قوله عز وجل (واللاتى يأتين الفاحشة) يعنى الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعنى من المسلمين وهذا خطاب للحكام اى فاطلبوا عليهن اربعة من الشهود فيه بيان ان الزنا لا يثبت الا بأربعة من الشهود

(فان شهدوا فامسكوهن) فاحبسوهن (فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا كان فى أول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست فى البيوت حتى تموت ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد والتغريب وفى حق الثيب بالجلد والرجم أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أخبرنا الشافعى رضى الله عنهم أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا

استمعوا شهادة أربع عليهن و يشترط فى هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة ستارا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعنى الشهود بالزنا (فأمسكوهن فى البيوت) أى فاحبسوهن فى البيوت والحكمة فى حبسهن ان المرأة انما تقع فى الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست فى البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعنى تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان فى أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فبقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

﴿فصل﴾ اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا فى ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية الحد التى فى سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابى لم يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن فى البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها وأجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورجم المحصن وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة فى نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا فى جلد الثيب و رجمه فذهب طائفة الى أنه يجب الجمع بينهما و به قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله و رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزانى الرجم وحده لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزانى ونفيه سنة فمذهب الشافعى وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفى أحدا الا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعى لا نفى على النساء ويروى مثله عن على قال لان المرأة عورة وفى نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعى وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان أبا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزانى عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان * فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزانى مجنونا أو غير بالغ فلا جلد عليه قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذى (يأتيانها) يعنى يأتيان الفاحشة (منكم) يعنى من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت

البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال الشافعى رضى الله عنه وقد حدثنى الثقة ان الحسن كان يدخل بينه و بين عبادة حطان الرقاشى فلا أدرى أدخله عبد الوهاب فنزل عن كتابى أم لا قال شيخنا الامام الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة ثم نسخ الجلد فى حق الثيب و بقى الرجم عند أكثر أهل العلم وذهب طائفة الى انه يجمع بينهما روى عن على رضى الله عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العلماء على ان الثيب لا يجلد مع الرجم لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وعند أبى حنيفة رضى الله عنه التغريب أيضا منسوخ فى حق البكر وأكثر أهل العلم على انه ثابت روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان أبا بكر رضى الله عنه ضرب

لانه

وغرب وان عمر رضى الله عنه ضرب وغرب واختلفوا فى ان الامساك فى البيت كان حدا فنسخ أم كان حبسا ليظهر الحد على قولين قوله تعالى (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الرجل والمرأة والهاء راجعة الى الفاحشة قرأ ابن كثير اللذان واللذين وهاتان وهذان مشددة النون للتأكيد ووافقه أهل البصرة فى هذانك والآخرون بالتخفيف قال أبو عبيدة خص أبو عمرو هذانك بالتشديد لقلة الحروف فى الاء

(فآذوهما) فقال عطاء وقتادة يعني فعيروهما باللسان أما خفت الله أما استحييت من الله حيث زنيت قال ابن عباس رضي الله عنهما سبوهما واشتموهما قال ابن عباس هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير وضرب النعال فان قيل ذكر الحبس في الآية الاولى وذكر في هذه الآية الايذاء فكيف وجه الجمع قيل الآية الاولى في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الآية الاولى في الثيب وهذه في البكر (فان تابا) من الفاحشة (وأصلحا) العمل فيما بعد (فاعرضوا عنهما) فلا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) وهذا كله كان قبل نزول الحدود فنسخت بالجلد والرجم والجلد في القرآن قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والرجم في السنة أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما انهما أخبراه ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما اقض بيننا يا رسول الله بكتاب الله وقال الآخر وكان أفقههما أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي في أن أتكلم قال تكلم قال ان ابني كان عسيفا أي أجيرا على هذا فزنى بامرأته فاخبروني ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي ثم اني سألت أهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب

لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعني عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعني من الفاحشة (وأصلحا) يعني العمل فيما يأتي (فاعرضوا عنهما) أي اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى

الله أما غنمك وجاريتك فرد عليك وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا أي أمر أنيسا الاسلمي ان يأتي امرأة الآخر فان اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثني ابراهيم ابن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال قال عمر رضي الله عنه ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان

مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وأخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه والرجم في كتاب الله تعالى حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف وجملة حد الزنا ان الزاني اذا كان محصنا وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحرية والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان أو ذميا وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب أصحاب الرأي الى ان الاسلام من شرائط الاحصان ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وان كان الزاني غير محصن بان لم تجتمع فيه هذه الاوصاف نظر ان كان غير بالغ أو كان مجنونا فلا حد عليه وان كان حرا عاقلا بالغا غير انه لم يحصن بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام وان كان عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ان قلنا يغرب فيه قولان أصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين على نصف حد الحر قوله تعالى (انما التوبة على الله) قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فيكون على بمعنى عند وقيل من الله (للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد المراد من الآية العمد قال الكلبي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية

شريح أنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوى أنا على بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتى أنا حميد ابن زنجويه أنا أبو الاسود أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى قوله تعالى (فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات) يعنى المعاصى (حتى اذا حضر أحدهم الموت) ووقع فى النزع (قال انى تبت الآن) وهى حالة السوق حتى يساق بروحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع وذلك

الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة أن يأتى الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد فى زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى الغرغرة أن يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فأولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم ما فى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وآناب عن قريب * قوله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيآت) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر أحدهم الموت) يعنى وقع فى النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا * فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه * قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجا أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين * وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (أولئك اعتدنا لهم) أى هيأنا لهم (عذابا أليما) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) نزلت فى أهل المدينة

الايمان فرعون حين أدركه الغرق (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا) أى هيأنا وأعددنا (لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت فى أهل المدينة كانوا فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوى عصبته

فالتى تو به على تلك المرأة أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدى منه بما ورثته من الميت أو تموت هى فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها ولى زوجها ثوبه فهى أحق بنفسها فكانوا على هذا حتى توفى أبو قيس بن الاسلت الانصارى وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس بن أبى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدى منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أباقيس توفى وورث نكاحى ابنه فلا ينفق على ولا يدخل بى ولا يخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى فيك أمر الله فأنزل الله تعالى هذه الآية يأيها الذين

وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوى عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدى منه بما ورثت من الميت أو تموت هى فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفى أبو قيس بن الاسلت الانصارى وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أباقيس توفى وورث نكاحى ابنه فلا هو ينفق على ولا هو يدخل بى ولا يخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى أمر الله فيك فأنزل الله عز وجل يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعنى ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا أموالهن كرها يعنى وهن كارهات (ولا تعضلوهن) أى ولا تمنعوهن من الازواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعنى لتضجروهن فتفتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعنى فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة المبينة فقيل هى النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هى الزنا يعنى ان المرأة اذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال فى القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن تصنع لها كما تحب أن تصنع لك (فان كرهتموهن) يعنى فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل فى الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه * قوله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتين

آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قرأ حمزة والكسائى كرها بضم الكاف ههنا وفى التوبة وقرأ الباقون بالفتح قال الكسائى هما لغتان قال الفراء الكره بالفتح ما أكره عليه وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) أى لا تمنعوهن من الازواج ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن قيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح انه خطاب للازواج قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا فى الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله تعالى عن ذلك ثم قال (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة قال ابن مسعود وقتادة هى النشوز وقال بعضهم وهو قول الحسن هى الزنا يعنى ان المرأة اذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقال عطاء

 كان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك بالحدود وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء ووافق أهل المدينة والبصرة فى مبينات والباقون بكسرها (وعاشروهن بالمعروف) قال الحسن راجع الى أول الكلام يعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هى الاجمال فى القول والمبيت والنفقة وقيل هى أن يصنع لها كما تصنع له (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قيل هو ولد صالح أو يعطفه الله عليها (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أراد بالزوج الزوجة اذا لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة

(وآتيتم) أعطيتم (احداهن قنطارا) وهو المال الكثير صداقا (فلا تاخذوا منه) من القنطار (شيأ أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا وإثما مبينا) انتصابهما من وجهين أحدهما بنزع الخافض والثانى بالاضمار تقديره تصيبون فى أخذه بهتانا وإثما ثم قال (وكيف تأخذونه) على طريق الاستعظام (وقد أفضى بعضكم الى بعض) أراد به المجامعة ولكن الله حيى يكنى وأصل الافضاء الوصول الى الشئ من غير واسطة (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة وهو قول الولى عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال الشعبى وعكرمة هو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى قوله عز وجل (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم قال الاشعث ابن سوار توفى أبو قيس وكان من صالحى الانصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وانت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله عليه وسلم استأمره فاتته فأخبرته فأنزل الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) قيل بعد ما سلف وقيل معناه لكن ما سلف أى ما مضى فى الجاهلية فهو معفو عنه (انه كان فاحشة) أى انه فاحشة وكان فيه صلة والفاحشة أقبح المعاصى (ومقتا) أى يورث مقت الله والمقت أشد البغض (وساء سبيلا) و بئس ذلك طريقا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقيت وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابى عمرو بن امية وجل

بفاحشة وهى اما النشوز أو الزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك يا عمر وفى رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور أيسرها وأسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعنى من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعنى ظلما وقيل باطلا (وإثما مبينا) يعنى أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض) أصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال أفضى اليه أى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده أن الزوج اذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء أن يكون معها فى لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى أنه لما توفى أبو قيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأتته فأخبرته فأنزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) يعنى الا ما مضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أقبح المعاصى (ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) أى و بئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وأبو معيط بن أبى عمرو بن أمية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بى خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه * قوله عز وجل

أخبرنا محمد بن الحسن المروزى اخبرنا ابو سهل محمد بن عمر والسجزى انا الامام ابو سليمان الخطابى انا احمد بن هشام الحضرمى انا احمد بن عبد الجبار العطاردى عن حفص بن غياث عن اشعث بن سوار عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال مر بى خالى ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه

قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية بين الله تعالى فى هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة وجملة المحرمات فى كتاب الله تعالى أربع عشرة سبع بالنسب وسبع بالسبب فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات وهن ذوات الازواج وأما السبع بالنسب فقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم وهى جمع أم ويدخل فيه الجدات وان علون من قبل الام ومن قبل الاب (وبناتكم) وهى جمع البنت ويدخل فيهن بنات الاولاد وان سفلن (وأخواتكم) جمع الاخت سواء كانت من قبل الاب والام أو من قبل أحدهما (وعماتكم) جمع العمة ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وان علوا (وخالاتكم) جمع خالة ويدخل فيهن جميع أخوات أمهاتك وجداتك (وبنات الاخ وبنات الاخت) ويدخل فيهن بنات أولاد الاخ والاخت وان سفلن وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده والاصول هى الامهات والجدات والفصول البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هى الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده هن العمات والخالات وان علون وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وجملته انه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب أخبرنا أبو

الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى قال أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها أخبرتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت صوت رجل يستأذن فى بيت حفصة فقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله هذا رجل يستأذن فى بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقلت يا رسول الله لو كان فلانا حيا لعمها من الرضاعة أيدخل علىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وروى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا رضاع الا ما أنشر العظم وأنبت اللحم وانما يكون هذا فى حال الصغر وعند أبى حنيفة رضى الله عنه مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهو عند الاكثرين لاقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر والشرط الثانى أن يوجد خمس رضعات متفرقات يروى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعى رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم الى ان قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثورى ومالك والاوزاعى وعبد الله بن المبارك وأصحاب الرأى واحتج من ذهب الى أن القليل لا يحرم بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو العباس الاصم أنا محمد بن عبد الله بن

وجل (حرمت عليكم أمهاتكم) بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أو نسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النساء سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فأما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم وأصل أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هى الوالدة القريبة ويدخل فى حكمها كل امرأة رجع النسب اليها من جهة الاب أو من جهة الام بدرجة أو بدرجات وهى جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل أنثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهى عبارة عن كل امرأة شاركتك فى اصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهى كل امرأة شاركت أباك فى أصله وهن جميع أخوات الاب وأخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام أيضا وهى أخت أبى الام (وخالاتكم) جمع خالة وهى كل امرأة شاركت الام فى أصلها فيدخل فيه جميع أخوات الام وأخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب أيضا وهى أخت أم الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهى عبارة عن كل امرأة لاخيك أو لاختك عليها ولادة يرجع نسبها الى الاخ أو الاخت فيدخل فيهن جميع بنات أولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه * الصنف الثانى المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك فى قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) كل أنثى انتسبت باللبن اليها فهى أمك وبنتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى

عبد الحكم أنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة من الرضاع والمصتان هكذا روى بعضهم هذا الحديث ورواه عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها انها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن وأما المحرمات بالصهرية فقوله (وأمهات نسائكم) وجملته ان كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على الناكح أمهات المنكوحة وجداتها وان علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة سميت ربيبة لتربيته اياها وقوله في حجوركم أي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان اذا كان في تربيته دخلتم بهن أي جامعتموهن ويحرم عليه أيضا بنات المنكوحة وبنات أولادها وان سفلن

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة أخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع أحكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما ثبتت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين أخرجه مالك في الموطأ بأطول من هذا وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر الشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان أخرجه مسلم (م) عن أم الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية أن رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على ان هذا الا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء الى أن قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له * وقوله تعالى (وأمهات نسائكم) يعني اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء أن من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى أن أم المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلا ينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي * وقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله بها جاز له أن يتزوج بنتها ولا يجوز له أن يتزوج أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات

من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جاز له أن ينكح بنتها ولا يجوز له أن ينكح أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وقال في تحريم الربائب (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) يعني في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن أو متن وقال علي رضي الله عنه أم المرأة لا تحرم الا بالدخول بالبنت كالربيبة

(وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم) يعني ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو النزول وقيل ان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحلى وهو ضد العقد وجملته انه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وان سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد وانما قال من أصلابكم ليعلم ان حليلة المتبنى لا تحرم على الرجل الذى تبناه فان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان زيد قد تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الاب والجد وان علا فتحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الاب من الرضاع أو من النسب لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقد سبق ذكره وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء فى ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أبى الواطئ وعلى ابنه ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهبت جماعة الى أنه لا تحرم على الزانى أم المزنى بها وابنتها ولا تحرم الزانية على أبى الزانى وابنه وهو قول على وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما وبه قال سعيد ابن المسيب وعروة والزهرى واليه ذهب مالك والشافعى رحمهم الله تعالى وذهب قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأى ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها فهل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة فهل يجعل كالوطء فى تحريم

البنات بالدخول بالام * وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم) يعنى أزواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل أزواج أبنائه وأبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من أصلابكم) انما قال من أصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم * وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين) يعنى لا يجوز للرجل أن يجمع بين الاختين فى نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أو رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جاز له نكاح أختها الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هو أن يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع اوهبة اوعتق اوكتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو ان يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فأما أنا فلا أحب ان أصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لى من الامر شئ ثم أجد أحدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على بن أبى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك فى الموطأ * وقوله تعالى (الا ما قد سلف) يعنى لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء أن أنكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل على ذلك ما روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله انى أسلمت وتحتى أختان قال طلق أيتهما شئت أخرجه أبو داود ﴿فروع تتعلق بحكم الآية * الاول﴾ لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين

الرابية فيه قولان أصحهما وهو قول أكثر أهل العلم انه تثبت به الحرمة واثانى لا تثبت كالا تثبت بالنظر بالشهوة قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين) لا يجوز للرجل أن يجمع بين الاختين فى النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع فاذا نكح امرأة ثم طلقها بائنا جاز له نكاح أختها وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما لم يحل له وطء الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخبرنا أبو الحسن السرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها قوله تعالى (الا ما قد سلف) يعنى لكن ما مضى فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام وقال عطاء والسدى الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا أم يهودا وراحيل أم يوسف وكانتا أختين (ان الله كان غفورا رحيما)

قوله تعالى (والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم) يعنى ذوات الازواج لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الازواج وهذه السابعة من النساء اللاتى حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدرى نزلت فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن

أزواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم يعنى السبايا اللواتى سبين ولهن أزواج فى دار الحرب فيحل لما لكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان بالسبى يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا الى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء أراد بقوله الا ما ملكت أيمانكم ان تكون أمة فى نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه وقال ابن مسعود أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها وقيل أراد بالمحصنات الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع حرام منهن الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم فى الجوارى قوله تعالى (كتاب الله عليكم) نصب على المصدر أى كتب الله عليكم وقيل نصب على الاغراء أى الزموا ما كتب الله عليكم أى فرض الله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى وحفص أحل بضم الالف وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرأ الآخرون بالنصب اضمار أى أحل الله لكم ما وراء ذلكم أى ما سوى ذلكم الذى ذكرت من المحرمات (ان تبتغوا) تطلبوا (بأموالكم) ان تنكحوا بغداق أو تشتروا بثمن

المرأة وخالتها أخرجاه فى الصحيحين قال بعض العلماء فى حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحهما لم يجز لك الجمع بينهما ﴿الفرع الثانى﴾ المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت فى الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها فى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين ﴿الفرع الثالث﴾ التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لو أراد أن يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزنى بها على آباء الزانى ولا أبنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى أن الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وابى هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امرأة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثانى لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى (والمحصنات) يعنى وحرمت المحصنات (من النساء) واصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب قال ابو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن ببعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت ايمانكم) يعنى السبايا اللاتى سبين ولهن ازواج فى دار الحرب فيحل لما لكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبى يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فأصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته فى نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم فى الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعنى حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (واحل لكم ما وراء ذلكم) يعنى واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضى عدتها ومن ذلك ان من كان فى نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا * وقوله تعالى (ان تبتغوا بأموالكم) فيه

(محصنين) أى متزوجين أو متعففين (غير مسافحين) أى غير زانين ماخوذ من سفح الماء وصبه وهو المنى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أرادما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح (فآتوهن أجورهن) أى مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة الى مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك مباحا فى ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم ابن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نمير أنا أبى أنا عبد العزيز ابن عمر حدثنى الربيع بن سبرة الجهنى ان أباه حدثه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله تعالى قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شى فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر ابن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن على عن أبيهما عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية والى هذا ذهب عامة أهل العلم ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة وكان ابن عباس رضى الله عنهما يذهب الى ان الآية محكمة وترخص فى نكاح المتعة روى عن أبى نضرة قال سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن المتعة فقال اما تقرأ فى سورة النساء فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى قلت لا اقرأها هكذا قال ابن عباس هكذا أنزل الله ثلاث مرات وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما رجع عن ذلك وروى سالم عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول لا أعلم فى الاسلام شيأ أحل ثم حرم ثم

اضمار تقديره وأحل لكم أن تبتغوا أى تطلبوا بأموالكم أى تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن وفى الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم (محصنين) يعنى متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعنى غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمى الزنا سفاحا لان الزانى لا غرض له الا صب النطفة فقط * وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أرادما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعنى مهورهن وانما سمى المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة أجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهنى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسفاح هى أم نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هى قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله أنا ما أفتيت بإباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعى لا أعلم فى الاسلام شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الاثر والرأى وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فانها

غير المتعة قوله تعالى فآتوهن أجورهن أى مهورهن (فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد انهما اذا عقدا الى أجل بمال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى المال وان لم يتراضيا فارقها ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض (ان الله كان عليما حكيما) ﴿فصل فى قدر الصداق وفيما يستحب منه﴾ اعلم أنه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب ألا لا تغالوا صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولا أنكح شيأ من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هرون بن اسحق أنا يحيى بن محمد الحارثى أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادى عن محمد ابن ابراهيم عن أبى سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها كم كان صداق النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه قالت كان صداقه لازواجه اثنتى عشرة أوقية ونش قالت أتدرى ما النش قلت لا قال نصف أوقية فتلك خمسمائة درهم هذا صداق النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه اما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه فذهب جماعة الى أنه لا تقدير لاقله بل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات زبيب مهر وقال سعيد بن المسيب لو أصدقها سوطا جاز وقال قوم يتقدر بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبى حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبى حنيفة عشرة دراهم والدليل على انه لا يتقدر ما أخبرنا أبو الحسن السرخسى قال أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله انى وهبت نفسى لك فقامت طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم تكن لك فيها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شئ تصدقها قال ما عندى الا ازارى هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعطيتها اياه جلست لا ازار لك فالتمس شيأ قال ما أجده فقال فالتمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شئ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسورسماها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد زوجتكها بما معك من القرآن وفيه دليل على ان لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيأ وهذا يدل على جواز أى شئ كان من المال وقال ولو خاتما من حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفى الحديث دليل على انه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى رحمه الله وذهب بعض أهل العلم الى انه لا يجوز وهو قول اصحاب الرأى وكل عمل جاز الاستئجار عليه من البناء والخياطة وغير ذلك من الاعمال جاز أن يجعل صداقا ولم يجوزا بو حنيفة رضى الله عنه ان يجعل منفعة الحر صداقا والحديث حجة لمن جوزه بعدما اخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل فقال انى اريد ان أنكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج

لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أى عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبرى أولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن أجورهن يعنى مهورهن (فريضة) يعنى لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد انهما اذا عقدا عقدا الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التى لم يدخل بها نصف المهر الذى لا يجب عليه (ان الله كان عليما) يعنى بما يصلحكم أيها الناس فى منا كحكم وغيرها من سائر أموركم (حكيما) يعنى فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

﴿فصل فى قدر الصداق وما يستحب منه﴾ اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ألا لا تغالوا فى صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولا أنكح شيأ من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (م) عن أبى سلمة قال سألت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا قالت أتدرى ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء فى أقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثورى والشافعى

والشافعى وأحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبى حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبى حنيفة عشرة دارهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روى عن سهل ابن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد وهبت نفسى لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوّبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شئ فقال لا والله يارسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازارى هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شئ وان لبست لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبى صلى الله عليه وسلم مولّيا فأمر به فدعى له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معى سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفى رواية فقد أنكحتكها بما معك من القرآن أخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحميدى ففى هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز أى شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه أصحاب الرأى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا أو تمرا فقد استحل أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه ان امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فأجازه أخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر * قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فما ملكت أيمانكم) يعنى جارية أخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفى الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر أن ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب أبى حنيفة الا أن يكون فى نكاحه حرة والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فيفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو

قرأ الكسائى المحصنات بكسر الصاد حيث كان الا قوله فى هذه السورة والمحصنات من النساء وقرأ الآخرون بفتح جميعها (فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم) اماءكم (المؤمنات) أى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة وفيه دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما ان لا يجد مهر حرة والثانى ان يكون خائفا على نفسه من العنت وهو الزنا لقوله تعالى فى آخر الآية ذلك لمن خشى العنت منكم وهو قول جابر رضى الله عنه وبه قال طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى وجوّز أصحاب الرأى للحر نكاح الامة الا أن تكون فى نكاحه حرة أما العبد فيجوز له نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة أو أمة وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لا يجوز اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لانه قال فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات جوّز نكاح الامة بشرط ان تكون مؤمنة وقال فى موضع آخر وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب أى الحرائر جوّز نكاح الكتابية بشرط ان تكون

حرة وجوّز أصحاب الرأى للمسلم نكاح الامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين

(والله أعلم بايمانكم) أي لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) قيل بعضكم اخوة لبعض وقيل كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء (فانكحوهن) يعني الاماء (باذن أهلهن) أي مواليهن (وآتوهن أجورهن) مهورهن (بالمعروف) من غير مطل وضرار (محصنات) عفائف بالنكاح (غير مسافحات) أي غير زانيات (ولا متخذات أخدان) أي أحباب تزنون بهن في السر قال الحسن المسافحة هي ان كل من دعاها تبعته وذات خدن اي تختص بواحد لا تزني الا معه والعرب كانت تحرم الاولى

الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية بالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى (والله أعلم بايمانكم) قال الزجاج أي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعني أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك أمر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وأنفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وأنتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم أكفاء بعض (فانكحوهن باذن أهلهن) يعني اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة (وآتوهن أجورهن) يعني مهورهن (بالمعروف) يعني من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهورا مثالهن وأجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعني عفائف (غير مسافحات) يعني غير زانيات (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن وأكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعني حبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا أحصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فان أتين بفاحشة) يعني زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعني فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد وبجلد العبد للزنا اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول أكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر أخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها أي لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النووي وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء الثمين بالثمن الحقير

عنهما وبه قال طاوس ومعنى الاحصان عند الآخرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج وهذا شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا بالتزويج فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انها تجلد في الحد وهو ما اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد العزيز بن عبد الله حدثني الليث عن سعيد يعني المقبري عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنهم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فيجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من

وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب * فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم * فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بأن يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته أو بالاحسان اليها أو يزوجها أو غير ذلك والله أعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فأباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام فى قوله ليبين معناه أن يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) أى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) أى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما أمر به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يريد لكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم (أن تميلوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم أحكام الشرائع فهو عام فى كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة * وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى أصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من

شعر قوله تعالى (ذلك) يعنى نكاح الامة عند عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا يريد المشقة بغلبة الشهوة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لئلا يخلق الولد رقيقا (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) أى أن يبين لكم كقوله تعالى وأمرت لاعدل بينكم أى أن أعدل وقوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين وقال فى موضع آخر وأمرت أن أسلم ومعنى الآية يريد الله أن يبين لكم أى يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم قال عطاء يبين لكم ما يقربكم منه قال الكلبى يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) ويرشدكم (سنن) شرائع (الذين من قبلكم) فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم وقيل يرجع بكم من المعصية التى كنتم عليها الى طاعته وقيل يوفقكم للتوبة (والله عليم) بمصالح عباده فى أمر دينهم ودنياهم (حكيم) فيما دبر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) ان وقع منكم تقصير فى أمر دينكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن الحق (ميلا عظيما) باتيانكم ما حرم عليكم واختلفوا فى الموصوفين باتباع الشهوات فقال السدى هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع أهل الباطل (يريد الله ان يخفف عنكم) يسهل عليكم فى أحكام الشرع وقد سهل كما قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالدين الحنيفية السمحة السهلة (وخلق الانسان ضعيفا) قال طاوس والكلبى وغيرهما فى أمر النساء لا يصبر عنهن وقال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن هو انه خلق من ماء مهين بيانه قوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالحرام يعنى بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها وقيل هو العقود الفاسدة

(الا أن تكون تجارة) قرأ أهل الكوفة تجارة نصب على خبر كان أي الا أن تكون الاموال تجارة وقرأ الاخرون بالرفع أي الا أن تقع تجارة (عن تراض منكم) أي بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يجيز كل واحد من المتابعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار (ولا تقتلوا أنفسكم) قال أبو عبيدة أي لا تهلكوها كما قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل أراد به قتل المسلم نفسه أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت ابن الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة حدثنا أبو الفضل زيد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ عبد الرحمن المزني أنا أبو اسحق ابراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب ابن جرير أخبرنا أبي قال سمعت الحسن أخبرنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح رجل فيمن كان قبلكم فألم ألما شديدا ولم يرأ فجزع منه فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقال الحسن لا تقتلوا أنفسكم يعني اخوانكم أي لا يقتل بعضكم بعضا (ان الله كان بكم رحيما) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا سليمان بن حرب أنا شعبة عن علي بن مدرك قال سمعت أبا زرعة ابن عمرو بن جرير عن جده قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع استنصت الناس ثم قال لا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من المحرمات (عدوانا وظلما) فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشيء في غير موضعه (فسوف نصليه) ندخله في الآخرة (نارا) يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) هينا قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اختلفوا في الكبائر

المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما أكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي وأما أكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في أكل المال الباطل جميع العقود الفاسدة * وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال أنفسكم لانهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى أسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بأن تعملوا عملا ربما أدى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه تعالى أمر بني اسرائيل بقتل أنفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس وأكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعني يتجاوز الحد فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا) اي ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد * قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك

التى جعل الله اجتنابها تكفيرا للصغائر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال سمعت الشعبى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن اسمعيل أنا مسدد أنا بشر بن المفضل أنا الجريرى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله عز وجل وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا فقال الا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن عيسى البرنى أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثورى عن الاعمش ومنصور وواصل الأحدب عن أبى وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنهما قال قلت يارسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم أى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى سليمان عن ثور بن زيد عن أبى الغيث أنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا عبد الرحمن بن أبى شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى أنا على بن الجعد أنا شعبة عن سعيد بن ابراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن الكبائر أسبع هى قال هى الى السبعمائة أقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال عبد الله بن مسعود ما نهى الله تعالى عنه فى هذه السورة الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فهو كبيرة وقال على بن أبى طالب هى كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وقال الضحاك ما أوعد الله عليه حدا فى الدنيا أو عذابا فى الآخرة وقال الحسن بن الفضل ما سماه الله فى القرآن كبيرا أو عظيما نحو قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطأ كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما قال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يعفو واحتج بما أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن على الكرمانى أنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادى أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد أنا الحسن بن داود البلخى أنا يزيد بن هرون أنا حميد الطويل عن أنس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى منادمن بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك بن معول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها قال النبى صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته كما أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو الوليد انا مهدى بن ميمون بن غيلان عن انس قال انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان

ماروى عن أبى بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى

رمضان الى رمضان اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودى انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج حدثنى هرون بن سعيد الايلى انا ابن وهب عن ابى صخر ان عمر ابن اسحق مولى زائدة حدثه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنب الكبائر وله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) اى حسنا وهو الجنة قرأ أهل المدينة مدخلا بفتح الميم ههنا وفى الحج وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الادخال قوله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) الآية قال مجاهد قالت ام سلمة يارسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما جعل الله عزوجل للذكر مثل حظ الانثيين فى الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعيفات وهم أقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال قتادة والسدى لما انزل الله قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان تفضل على

صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان أعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل أو أمه فيسب أباه أو أمه وفى رواية من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هى قال هى الى السبعمائة أقرب وفى رواية الى السبعين أقرب الا أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال على بن أبى طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى منادمن بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيآت ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباه ذلك (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة أن من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هى كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما فى الدنيا بالحدود واما فى الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيآتكم) يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان أصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية ما لم تغش الكبائر وزاد فى رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم * وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه * قوله عزوجل (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وأكثر التمنى تصور ما لا حقيقة له وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل

النساء بحسنة تنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من الاجر (وللنساء نصيب مما اكتسبن) معناه ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء وذلك ان الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الازواج وحفظ الفروج قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا وسل وفسل اذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمزة الى السين والباقون بسكون السين مهموزا فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد والحسد ان يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمناها لنفسه أم لا وهو حرام والغبطة ان يتمنى لنفسه مثل مال صاحبه وهو جائز قال الكلبي لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن قوله واسألوا الله من فضله قال ابن عباس واسألوا الله من فضله أي من رزقه وقال سعيد بن جبير من عبادته فهو سؤال التوفيق للعبادة قال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسألة الا ليعطي (ان الله كان بكل شئ عليما ولكل جعلنا موالي) أي ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي أي عصبة يعطون (مما ترك الوالدان والاقربون) الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك أي من الذين تركوهم ويكون ما بمعنى من ثم

لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو أن نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين أحدهما أن يتمنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل ورب ما اعتقد في نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي * وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيأ في الدعاء والطلب لكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فانه أعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شئ عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على الجمل في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له * قوله تعالى (ولكل) يعني من الرجال والنساء (جعلنا موالي) يعني ورثة من بني عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الاول أصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وناري نارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر

فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون أي هم الوالدان والاقربون فعلى هذا القول الوالدان والاقربون هم الوارثون (والذين عقدت أيمانكم) قرأ أهل الكوفة عقدت بلا الف أي عقدت لهم أيمانكم وقرأ الآخرون عاقدت أيمانكم والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين من اليد والقسم وذلك انهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ومحالفتهم ان الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وناري ناريك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك في ابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى

(فآتوهم نصيبهم) أي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابراهيم ومجاهد أراد فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث لهم وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى أوفوا بالعقود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم فتح مكة لا تحدثون حلفا في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا فيه فانه لم يزده الاسلام الا شدة وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه

الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث فيوصى له وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ (ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء) الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير قاله مقاتل وقال الكلبي امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء فأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص قوله تعالى الرجال قوامون على النساء أي مسلطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير الرجال والتاديب (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية وقيل بالشهادة لقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقيل بالجهاد وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعة وقيل هو ان الرجل ينكح أربعا ولا يحل للمرأة الا زوج واحد وقيل بان الطلاق بيده وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالنبوة

وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم انما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة أخرجه مسلم * وقوله تعالى (ان الله كان على كل شيء شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين * قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أي متسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد في حفظها ولما أثبت القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بأمور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل

(وبما أنفقوا من أموالهم) يعني اعطاء المهر والنفقة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها قوله تعالى (فالصالحات قانتات) أي مطيعات (حافظات للغيب) أي حافظات للفروج في غيبة الازواج وقيل حافظات لسرهم (بما حفظ الله) قرأ أبو جعفر بما حفظ الله بالنصب أي يحفظهن الله في الطاعة وقراءة العامة بالرفع أي بما حفظهن الله بايصاء الازواج بحقهن وأمرهم باداء المهر والنفقة وقيل حافظات للغيب بحفظ الله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا عمرو بن الخطاب أنا محمد بن اسحق المسوحي أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وأصل النشوز التكبر والارتفاع ومنه النشز للموضع المرتفع (فعظوهن) بالتخويف من الله والوعظ بالقول (واهجروهن) يعني ان لم ينزعن عن ذلك

الرجال على النساء ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعني وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها أخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني المحسنات العاملات بالخير (قانتات) أي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن في غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله ومما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية * وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج وأمرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (واللاتي تخافون) أي تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) أي شرورهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا أمرها فاذا خالفت هذه الاحوال بأن رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن أمارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما أنت عليه واعلمي أن طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان أصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو أن يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق * وقوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت أخرجه ابو داود قوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله (ق) عن

بالقول فاهجروهن (في المضاجع) قال ابن عباس يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقال غيره يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن وقال عطاء ضربا بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حق المرأة أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تتجنوا عليهن الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن

عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن أبي ذئاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرت يقال ذئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشيء أحاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا أن مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان أبت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال الآخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل له أن يعظها عند خوف النشوز وهل له أن يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز أن يعظها وأن يهجرها أو يضربها عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي أخرى حتى ترجع عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك الينا وله عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه أزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلي في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال من أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على أن ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا بانت المرأة من نشوزها فالاولى بكم أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم * قوله تعالى (وان خفتم) يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أي ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين وأصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا وهو أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه

(ان الله كان عليا كبيرا) متعاليا من أن يكلف العباد مالا يطيقونه وظاهر الآية يدل على ان الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب فذهب بعضهم الى ظاهرها وقال اذا ظهر النشوز جمع بين هذه الافعال وحمل الخوف في قوله واللاتي تخافون نشوزهن على العلم كقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا أي علم ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة وقال هذه الافعال على ترتيب الجرائم فان خان نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها فان أبدت النشوز هجرها فان أصرت على ذلك ضربها قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينهما) يعني خلافا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقيل هو بمعنى الظن يعني ان ظننتم شقاق بينهما وجملته انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الامام حكما من أهله اليه وحكما من أهلها اليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث اليه ان كان رغبته في الصلح أو في الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح فذلك قوله عز وجل

(فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا) يعني الحكمين (يوفق الله بينهما) يعني بين الزوجين وقيل بين الحكمين (ان الله كان عليما خبيرا) اخبرنا عبد الوهاب محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا الثقفي عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في هذه الآية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها قال جاء رجل وامرأة الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما قوم من الناس فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي فقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقررت به واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين وأصح القولين انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع على ما لها الا باذنها وهو قول أصحاب الرأي لان عليا رضي الله عنه حين قال الرجل أما الفرقة فلا قال كذبت حتى تقر بمثل الذي اقررت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها والقول الثاني يجوز بعث الحكمين دون رضاهما فيجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المرأة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل أما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة * وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عز وجل (واعبدوا الله) يعني وحدوه وأطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل

حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا * وقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون أمر الآحاد الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها (ان يريدا اصلاحا) يعني الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما أن تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما أقررت به قال الشافعي والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى أن يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لان أقاربهما أعرف بحالهما من الاجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا أجنبيين جاز وفائدة الحكمين أن كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح أو في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل أن يطلق حكم الرجل أو يفتدي حكم المرأة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما أنه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج أن يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة أن يختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما أقررت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول علي للزوج كذبت أي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما أقررت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني أنه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة أن يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل أما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة * وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عز وجل (واعبدوا الله) يعني وحدوه وأطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل

(ولا تشركوا به شيأ) أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا علي أبو اسمعيل محمد بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون الازدي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله و رسوله أعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال فان حق الناس على الله ان لا يعذبهم قال قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال دعهم يعملون قوله تعالى (و بالوالدين احسانا) برابهما وعطفا عليهما (و بذي القربى) أي احسنوا بذي القربى (واليتامى والمساكين) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمرو بن زرارة أنا عبد العزيز

فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيأ) يعني وأخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير أو اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله و رسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحق عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيأ و يجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متأكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة و يتركوا العمل الذي ترفع لهم به الدرجات في الجنة * وقوله تعالى (و بالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برابهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما و يسعى في تحصيل مراده ما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فأدناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر أباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله تعالى (و بذي القربى) اي واحسنوا الى ذي القرابة وهو ذو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه و ينسأ له في اثره فليصل رحمه قوله ينسأ له في اثره معنى يؤخر له في اجله وعمره * وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) اي واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم الشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر * وقوله تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب) اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو

عبد الواحد بن أحمد المليحي ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم ابن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمه أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه قوله تعالى (والجار ذي القربى) أي ذي القرابة (والجار الجنب) أي البعيد الذي ليس بينك و بينه قرابة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا عبد الله بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال سمعت طلحة قال قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا أخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق أنا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا أبو عامر الخراز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق واذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن منهال أنا يزيد ابن زريع أنا عمرو بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه

الذي

سيوزنه قوله تعالى (والصاحب بالجنب) يعنى الرفيق فى السفر قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال على وعبد الله والنخعى هو المرأة تكون معه الى جنبه وقال ابن جريج وابن زيد هو الذى يصحبك رجاء نفعك (وابن السبيل) قيل هو المسافر لانه ملازم السبيل والاكثرون على انه الضيف اخبرنا الاستاذ الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق أنا شعيب عن عمرو الدمشقى أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع نافع بن جبير عن أبى شريح الخزاعى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت أخبرنا ابو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا مصعب عن مالك عن سعيد ابن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الكعبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل ان يثوى أى ان يقيم عنده حتى يحرجه قولة تعالى (وما ملكت أيمانكم) أى المماليك أحسنوا اليهم أخبرنا محمد بن الحسن المروزى أخبرنا أبو العباس الطحان انا أبو أحمد ابن محمد بن قريش انا على بن عبد العزيز المكى انا أبو عبيدة القاسم بن سلام انا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبى الخليل عن سفينة عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى مرض موته الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسمعيل انا عمرو بن حفص انا أبى انا الاعمش عن المعرور عن أبى ذر رضى الله عنه قال رأيت أبا ذر وعليه برد وعلى غلامه برد فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانا حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال كان بينى و بين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها فذكرنى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى ساببت فلانا قلت نعم قال أفنلت من أمه قلت نعم قال انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه أخبرنا الامام ابو على الحسين محمد القاضى انا ابو طاهر الزيادى اخبرنا ابو بكر محمد بن عمرو بن حفص التاجر انا سهل بن عمار انا يزيد بن هرون اخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السنجى عن مرة الطيب عن ابى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة

الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك و بينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشىء الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هى المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر المجتاز بك الذى قد انقطع به وقال الاكثرون المراد ابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمرو العدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد فى رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شىء عنده يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا أقام عنده ولم يقره اثم بذلك * وقوله تعالى (وما ملكت ايمانكم) يعنى المماليك فأحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذى عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن

(ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) المختال المتكبر والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبرا ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لان المتكبر يمنع الحق تكبرا أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسن القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام ابن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة (الذين يبخلون) البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ماله وفي الشرع منع الواجب (ويأمرون الناس بالبخل) قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر ابن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله تعالى هذه الآية (ومن (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني المال وقيل يبخلون بالصدقة (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) محل الذين نصب عطف على الذين الاول وقيل خفض عطف على قوله واعتدنا للكافرين نزلت في اليهود وقال

الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه * وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من أقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة ابن حبيب ونافع بن أبي نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ماله وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعني للفخار والسمعة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن

السدى فى المنافقين وقيل مشركى مكة المنفقين على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا وخليلا (فساء قرينا) أى فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير وقيل على القطع بالقاء الالف واللام كما تقول نعم رجلا عبد الله وكما قال تعالى بئس للظالمين بدلا وساء مثلا (وماذا عليهم) أى ما الذى عليهم وأى شئ عليه (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة) ونظمه وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فان الله لا يظلم أى لا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة وزن والذرة هى النملة الحمراء الصغيرة وقيل الذر أجزاء الهباء فى الكوة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل يريد ان الله لا يظلم شيأ كما قال فى آية أخرى ان الله لا يظلم الناس شيأ أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو عمر بكر بن محمد المزنى انا ابو بكر محمد بن عبد الله الحفيد انا الحسين ابن الفضل البجلى انا عفان انا همام انا قتادة عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخبرنا عبد الواحد المليحى انا ابو الطيب الربيع بن محمد بن أحمد بن حاتم البزار الطوسى انا احمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى حدثهم اخبرنا عبد الرزاق ح واخبرنا ابو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى اخبرنا جدى ابو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا ابو بكر محمد بن زكريا العذافرى اخبرنا اسحق بن ابراهيم الدبرى انا عبد الرزاق انا معمر عن يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص المؤمنون من النار وامنوا فما مجادلة احدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى اخوانهم الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فادخلتهم النار قال فيقول الله لهم اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار

(ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سوّل له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار ثم يلقيهم الله تعالى وغيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى وأى شئ عليهم وأى وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى أى وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعنى وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس النملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذى يكون فى الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله

اخذته الى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول ثم اخرجوا من كان فى قلبه وزن دينار من الايمان ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان فى قلبه مثقال ذرة من خير قال أبو سعيد رضى الله عنه من لم يصدق هذا فليقرأ هذه الآية ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال فيقولون ربنا اخرجنا من امرتنا فلم يبق فى النار أحد فيه خير ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقى ارحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار او قال قبضتين من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا لله خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما فيؤتى بهم الى ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل قال فتخرج أجسادهم مثل اللؤلؤ فى أعناقهم الخاتم مكتوب فيه هؤلاء عتقاء الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شئ فهو لكم قال فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين قال فيقول فان عندى لكم أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من ذلك فيقول رضاى عنكم فلا أسخط عليكم أبدا أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا محمد بن أحمد بن الحرث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثنى عامر بن يحيى عن أبى عبد الرحمن المعافرى ثم الجيلى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله اتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر او حسنة فبهت الرجل قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل مع اسم الله شئ وقال قوم هذا فى الخصوم وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى منادا لا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك فى كتاب الله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد فينادى

تعالى لا يظلم أحدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيآتي بمثقال ذرة أحب الي من الدنيا وما فيها (م) عن أنس ابن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضروزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذي (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شئ أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى منادمن عند الله ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي منادعلى رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق

منادعلى رؤس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت الى حقه فيأخذه ويقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل للملائكته انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يارب ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيآتهم فأضيفوها الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعفها له فذلك قوله تعالى (وان تك حسنة يضاعفها) قرأ أهل الحجاز حسنة بالرفع أي وان توجد حسنة وقرأ الآخرون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة يضاعفها أي يجعلها أضعافا كثيرة

(ويؤت من لدنه أجرا عظيما) قال أبو هريرة رضي الله عنه اذا قال الله تعالى آجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أي فكيف الحال وكيف يصنعون اذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني بنبيها يشهد عليهم بما عملوا (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) شاهدا يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا محمد بن يوسف انا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي قلت يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم فقرأت سورة النساء حتى اذا أتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قوله عز وجل (يومئذ) يوم القيامة (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) قرأ أهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعل كقوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول أي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيأ واحدا قال قتادة وأبو عبيدة يعني لو تخرقت الارض فساخوا فيها وعادوا اليها كما خرجوا عنها ثم تسوى بهم أي عليهم الارض وقيل ودوا لو أنهم لم يبعثوا لانهم انما نقلوا من التراب وكانت الارض مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان ترابا كما قال الله تعالى ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته وقال الآخرون بل هو كلام مستأنف يعني ولا يكتمون الله حديثا لان ما عملوه لا يخفى على الله ولا يقدرون على كتمانه وقال الكلبي وجماعة ولا يكتمون الله حديثا لان جوارحهم تشهد عليهم وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما اني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال هات ما اختلف عليك قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال أم السماء بناها الى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله طائعين فذكر في هذه خلق الارض قبل السماء وقال وكان الله غفورا رحيما وكان الله عزيزا حكيما فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما فلا أنساب في النفخة الاولى قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقل لم نكن مشركين فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرف ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض وخلق الارض في يومين ثم

فلبأت الى حقه ثم قال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكته انظروا في أعماله الصالحات فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو أعلم بذلك أعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما أي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سياآتهم فأضيفوها الى سياآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه وأسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذ هاله منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها أي يجعلها أضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعني من عنده (أجرا عظيما) يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال أبو هريرة اذا قال الله عز وجل أجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل أمة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل أمة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به مما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي القرآن فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيد ما دمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحد رواته * وقوله تعالى (يومئذ) يعني يوم القيامة (يود) أي يتمنى (الذين كفروا) يعني جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعني فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا أن لن يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم

خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين اخرين ودحوها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والاكام وما بينهما فى يومين آخرين ثم دحا الارض فى يومين فخلقت الارض وما فيها من شئ فى أربعة أيام وخلقت السموات فى يومين وكان الله غفورا رحيما أى لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موضع يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله فاعترفوا بذنبهم وفى موطن يتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) الآية والمراد من السكر السكر من الخمر عند الاكثرين وذلك ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاما ودعانا اسامن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلا ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا الى آخر السورة فأنزل الله تعالى هذه الآية وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر وقال الضحاك بن مزاحم أراد به سكر النوم نهى عن لصلاة عند غلبة النوم أخبرنا أبو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المفلس أنا هرون بن اسحاق الهمدانى أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه قوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا) نصب على الحال يعنى ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب وأصل الجنابة البعد

الارض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفى موطن لا يتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدمونى فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم على فى المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا فى المراد بالصلاة قولان أحدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى أن المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها فى غير أوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (ولا جنبا) يعنى ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجتناب وأصل الجنابة البعد

قوله تعالى (الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا) اختلفوا فى معناه فقال الا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيمموا منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون فى سفر ولا يجد ماء فيصلى بالتيمم وهذا قول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضى الله عنهم وقال الآخرون بل المراد من الصلاة موضع الصلاة كقوله تعالى و بيع وصلوات ومعناه لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه للخروج منه مثل أن ينام فى المسجد فيجنب أو يصيبه جنابة والماء فى المسجد أو يكون طريقه عليه فيمر به ولا يقيم وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعى والزهرى وذلك ان قوما من

الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم فى العبور واختلف أهل العلم فيه فاباح بعضهم المرور فيه على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى رحمهم الله ومنع بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأى وقال بعضهم يتيمم للمرور فيه اما المكث فيه فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لما روينا عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب وجوز أحمد المكث فيه وضعف الحديث لان راويه مجهول وبه قال المزنى ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلاة ولا يجوز له قراءة القرآن أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا عبد الرحمن بن أبى شريح انا أبو القاسم البغوى انا على بن الجعد انا شعبة أخبرنى عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول دخلت على على رضى الله عنه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الحاجة ويأكل معنا اللحم ويقرأ القرآن وكان لا يحجبه أو لا يحجزه عن القرآن شئ ليس الجنابة يجب باحد الامرين اما بنزول المنى أو بالتقاء الختانين وهو تغييب الحشفة فى الفرج وان لم ينزل وكان الحكم فى الابتداء ان من جامع امرأته فاكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخا أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا سفيان عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى الاشعرى سأل عائشة رضى الله عنها عن التقاء الختانين فقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى الختانان أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل

البعد سمى الذى أصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا عابرى سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء فى معنى قوله الا عابرى سبيل على قولين أحدهما ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء فى المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى واليه ذهب الشافعى وأحمد القول الثانى ان المراد من قوله الا عابرى سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب الا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا امنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون فى سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلى الى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى السبيل المسافرين منع الجنب من العبور فى المسجد وهو مذهب أبى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شئ الوجه الثانى أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد فى الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال

﴿فصل فى أحكام تتعلق بالآية﴾ اختلف العلماء فى العبور فى المسجد فاباح قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأى وقال قوم يتيمم للعبور فى المسجد واختلف العلماء فى المكث فى المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء أن تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث فى المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من أصحاب الشافعى وأجاب أحمد عن حديث عائشة بأنه فى رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون فى المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور فى مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن أم سلمة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقراءة

قوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به مرضا يضره امساس الماء مثل الجدري ونحوه او كان على موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء فيها التلف أو زيادة الوجع فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا وان كان بعض أعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها وتيمم للجريح لما اخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز الغاشاني انا ابو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي انا ابو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي انا داود سليمان بن الاشعث السجستاني انا موسى بن عبد الرحمن الانطاكي انا محمد بن سلمة عن الزبير بن حريق عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه فاحتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك قال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا ان كان أكثر اعضائه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بينهما قوله تعالى (أو على سفر) أراد انه اذا كان في سفر طويلا كان أو قصيرا وعدم الماء فانه يصلي لتيمم ولا اعادة عليه لما روى عن أبي ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجد الماء فليمسه بشره فان ذلك خير اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر اكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بان كان في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر الصلاة حتى يجد الماء قوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) أراد به اذا أحدث والغائط اسم للمطمئن من الارض وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنى عن الحدث بالغائط (أو لمستم النساء) قرأ حمزة والكسائي لمستم ههنا وفي المائدة وقر

القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ما روي عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ أخرجه الدارقطني ويجب الغسل بأحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق أو بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به المرض الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم * قوله تعالى (أو على سفر) يعني أو كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن أبي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أبا ذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود العس قدح من خشب يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال أما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقد رعليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه * وقوله تعالى (أو لامستم النساء)

الباقون لامستم واختلفوا فى معنى اللمس والملامسة فقال قوم هو الجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكنى باللمس عن الجماع لان الجماع لا يحصل الا باللمس وقال قوم هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى واختلف الفقهاء فى حكم هذه الآية فذهب جماعة الى انه اذا أفضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما ينتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهما وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى رضى الله عنهم وقال مالك والليث بن سعد وأحمد واسحق ان كان اللمس بشهوة نقض الطهر وان لم يكن بشهوة فلا ينتقض وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللمس بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى وقال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينتقض الا اذا أحدث الانتشار واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت كنت انام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى واذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن يحيى بن مسعود عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى ان عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت كنت نائمه الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدته من الليل فلمسته بيدى فوقعت يدى على قدميه وهو ساجد وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك واختلف قول الشافعى رضى الله عنه فيما لو لمس امرأة من محارمه كالام والبنت والاخت أو لمس أجنبية صغيرة أصح القولين انه لا ينتقض الوضوء لانها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلا واختلف قوله فى انتقاض وضوء الملموس على قولين احدهما ينتقض لاشتراكهما فى الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع والثانى لا ينتقض لحديث عائشة رضى الله عنها حيث قالت فوقعت يدى على قدميه وهو ساجد ولو لمس شعر امرأة او سنها اوظفرها لم ينتقض وضوءه عنده واعلم ان المحدث لا تصح صلاته ما لم يتوضأ اذا وجد الماء او يتيمم اذا لم يجد الماء اخبرنا حسان بن سعيد المنيعى اخبرنا بوطاهر الزيادى انا ابو بكر محمد بن الحسين القطان انا احمد بن يوسف السلمى انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه انا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ والحدث هو خروج الخارج من احد الفرجين عينا كان او اثرا والغلبة على العقل بجنون او اغماء على اى حال كان واما النوم فذهب الشافعى رضى الله عنه انه يوجب الوضوء الا ان ينام قاعدا ممكنا فلا وضوء عليه لما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب اخبرنا عبد العزيز الخلال انا ابو العباس الاصم اخبرنا الربيع انا الشافعى انا الثقة عن حميد الطويل عن انس رضى الله عنهما قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء فينامون احسبه قال قعودا حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن وذهب قوم الى ان النوم يوجب الوضوء بكل حال وهو قول ابى هريرة رضى الله عنه وعائشة رضى الله عنها وبه قال الحسن واسحق والمزنى وذهب قوم الى انه لو نام قائما او قاعدا او ساجدا فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجعا وبه قال الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى واختلفوا فى مس الفرج من نفسه او من غيره فذهب جماعة الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة وعائشة رضى الله عنها وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير واليه ذهب الاوزاعى والشافعى واحمد واسحق وكذلك المرأة تمس فرجها غير ان الشافعى رضى الله عنهم يقول لا ينتقض الا اذا تلمس بطن الكف او بطون الاصابع واحتجوا بما اخبرنا ابو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد اخبرنا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابى بكر بن

قرئ هنا وفى سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء فى معنى الملامسة على قولين أحدهما انه الجماع وهو قول على وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة والقول الثانى ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة فى اللمس باليد فأما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من قرأ أولامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا على الاطلاق لانه قد ورد فى الحديث النهى عن بيع الملامسة قال ابو عبيدة فى معناها هى أن يقول اذا لمست ثوبى أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة فى الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة فى غير المجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

﴿فصل فى أحكام تتعلق بالآية﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ اذا أفضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك فى الموطأ قال الشافعى وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه

ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هى الا أنت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذى انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقى يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت أنام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه فى الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بأنه يحتمل أن يكون غمزه لها على حائل ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت أو أجنبية صغيرة فأصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله أو لامستم النساء أو النظر الى المعنى فى النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لا فعل منه فى المباشرة رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل اللمس وان لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثانى انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه ﴿المسئلة الثالثة فى الحدث﴾ وهو الخارج من السبيلين عينا كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجاه فى الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لما روى عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطنى وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روى عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه أخرجه الترمذى وقال هو أصح شئ فى هذا الباب ﴿المسئلة الرابعة﴾ من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو اغماء أو نوم لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ اخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن أخرجه أبو داود وذهب قوم الى

محمد بن عمرو بن حزم انه سمع عروة بن الزبير يقول دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان من مس الذكر الوضوء فقال عروة ما علمت ذلك فقال مروان أخبرتنى بسرة بنت صفوان انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ وذهب جماعة الى انه لا يوجب الوضوء روى ذلك عن على وابن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى واحتجوا بما روى عن طلق بن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن مس الرجل ذكره فقال هل هو الا بضعة منك ويروى هل هو الا بضعة أو مضغة منه ومن أوجب الوضوء منه قال هذا منسوخ بحديث بسرة لان أبا هريرة يروى أيضا ان الوضوء من مس الذكر وهو متأخر الاسلام وكان قدوم طلق بن على على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمن الهجرة حين كان يبنى المسجد واختلفوا فى خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة وغيرهما من القئ ونحوه فذهب جماعة الى انه لا يوجب الوضوء روى ذلك عن عبد الله بن عمرو عبد الله بن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى رحمهم الله وذهبت جماعة الى ايجاب الوضوء بالقئ والرعاف والفصد والحجامة منهم سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد ان

واسحاق واتفقوا على ان القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لا يوجب الوضوء ولو اوجب الوضوء كثيره لا وجب قليله الوضوء كالفرج (فلم تجدوا ماء فتيمموا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة روى حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدء التيمم ما أخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسى اخبرنا ابو على زاهر بن احمد السرخسى اخبرنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى اخبرنا ابو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضى الله عنه فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضى الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال أحبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبنى أبو بكر رضى الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هى بأول بركتكم يا آل ابا بكر قالت عائشة رضى الله عنها فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته واخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبيد بن اسمعيل انا ابو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه فى طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة فتيمموا أى اقصدوا (صعيدا طيبا) أى ترابا طيبا ظاهرا نظيفا قال ابن عباس رضى الله عنهما الصعيد هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لان النبى صلى الله عليه وسلم قال وجعلت تربتها لنا طهورا وجوز أصحاب الرأى التيمم بالزرنيخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الارض حتى قالوا لو ضرب يديه على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه و يديه صح تيممه وقالوا الصعيد وجه الارض لما روى عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وهذا مجمل وحديث حذيفة فى تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضى على المجمل وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ونحوهما وقال ان الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الارض والقصد الى التراب

أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبى هريرة وعائشة و به قال الحسن واسحق والمزنى وذهب قوم الى أنه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا وهو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع و به قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فاذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث ﴿المسئلة الخامسة﴾ من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم الى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبى وقاص وأبى هريرة وعائشة و به قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعى والشافعى واحمد واسحق غير ان الشافعى قال ينتقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمرأة فى ذلك سواء و يدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح ولابى داود والنسائى نحوه وعن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم الى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول على وابن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة و به قال الحسن واليه ذهب الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى واحتجوا بما روى عن طلق بن على قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوى فقال يا نبى الله ما ترى فى مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هل هو الا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن على بأن قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى أول الهجرة وهو يبنى المسجد وأبو هريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبى هريرة ناسخا لحديث طلق بن على وأيضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند اهل الحديث *وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة و يدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها

مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبى بكر الصديق فقالوا ألا ترى الى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه فى الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهى بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أى أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعنى فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مأمور بالتطهر بالماء فاذا أعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعى اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعى قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد فى كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم فى اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو فى الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا فى الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التى لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبال أكان فى الموضع تراب أولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعى فى تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعى فى تفسير الصعيد وهو القدوة فى اللغة وقوله فى ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيدة فى أنه التراب وجميع الاقوال فى الصعيد صحيحة فى اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس فى قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى الى أنه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذى ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى فى سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك فى الصخر الذى لا تراب عليه وأيضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك فى الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك الى أنه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا الا ان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض

شرط لصحة التيمم لان الله تعالى قال فتيمموا والتيمم القصد حتى لو وقف فى مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح

قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أى اقصدوا أرضا فوجب أن يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل فى قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأجيب عنه بأن هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة فى تخصيص التراب والمفسر يقضى على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض وأجيب عنه بما تقدم من الادلة * وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه الممسوح فى التيمم هو المحدود فى الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ما روى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقى ولم يضعفه وروى الشافعى عن ابراهيم بن محمد عن أبى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبى جهيم بن الحرث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابى داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر فى حاجة الى ابن عباس فلما أن قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل فى سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل أن يتوارى فى السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعنى أن أرد عليك أولا الانى لم أكن على طهر وفى رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما فى هذا الباب فان البيهقى أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعنى مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبى صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهرى الى أنه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول على وابن عباس وبه قال الشعبى وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعى ومالك وأحمد واسحق وداود الظاهرى واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة فاجنبت فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفى رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه فى الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع فى حد السرقة وقال أبو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى أن الممسوح فى التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع فى حد السرقة ومن ذهب الى أن الممسوح فى التيمم الى المناكب والآباط نظرا الى أن مسمى اليد يطلق على

قوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم

ان الله كان عفوا غفورا) اعلم ان مسح الوجه واليدين واجب فى التيمم واختلفوا فى كيفيته فذهب أكثر أهل العلم الى انه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه ولا يجب ايصال التراب الى ما تحت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه الى المرفقين لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن أبى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على السلام ففيه دليل على وجوب مسح اليدين الى المرفقين كما يجب غسلهما فى الوضوء الى المرفقين ودليل على ان التيمم لا يصح مما لم يعلق باليد غبار التراب لان النبى صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهرى الى انه يمسح اليدين الى المنكبين لما روى عن عمار انه قال تيممنا الى المناكب وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبى صلى الله عليه وسلم كما روى انه قال أجنبت فتمكعت فى التراب فلما سأل النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالوجه والكفين وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول على وابن عباس رضى الله عنهم وبه قال الشعبى وعطاء بن أبى رباح ومكحول واليه ذهب الاوزاعى وأحمد واسحق واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا آدم أنا شعبة أخبرنا الحكم عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر انا كنا فى سفر أنا وأنت فاما أنت فلم تصل وأما أنا فتمكعت فصليت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما كان يكفيك هكذا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وقال محمد بن اسمعيل انا محمد بن كثير عن شعبة باسناده فقال عمار لعمر رضى الله عنه تمكعت فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يكفيك الوجه والكفان وفى الحديث دليل على ان الجنب اذا لم يجد الماء يصلى بالتيمم وكذلك الحائض والنفساء اذا طهرتا وعدمتا الماء وذهب عمر وابن مسعود رضى الله عنهما الى ان الجنب لا يصلى بالتيمم بل يؤخر الصلاة الى أن يجد الماء فيغتسل وحملا قوله تعالى أو لمستم النساء على اللمس باليد دون الجماع وحديث عمار رضى الله عنه حجة وكان عمر نسى ما ذكره عمار فلم يقنع بقوله وروى ان ابن مسعود رضى الله عنه رجع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه أيضا ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن عباد بن منصور عن أبى رجاء العطاردى عن عمران بن حصين رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان جنبا ان يتيمم ثم يصلى فاذا وجد الماء اغتسل وأخبرنا عمر بن عبد العزيز انا أبو القاسم بن جعفر الهاشمى انا أبو على اللؤلؤى انا أبو داود السجستانى انا مسدد انا خالد الواسطى عن خالد الحذاء عن أبى عمرو بن بجدان عن أبى ذر رضى الله عنهم قال اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر انى أبدى فيها فبدوت الى الربذة وكان تصيبنى الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه

جميعها ومن ذهب الى أن الممسوح فى التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد الممسولة فى الوضوء هى الممسوحة فى التيمم فيحمل المطلق الذى فى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذى فى قوله تعالى فى آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

﴿فصل﴾ وأركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثانى قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله أن ينوى استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتى فرض بتيمم واحد وهو قول على وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبى والنخعى وقتادة واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلى به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثورى وأصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز أن يصلى بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء فى السفر بأن يطلبه فى رحله وعند رفقائه وان كان فى صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أبى حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء فى بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلى ولا اعادة عليه والله اعلم * وقوله تعالى (ان الله كان عفوا) يعنى يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة

وسلم فقال أبوذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير ومسح الوجه واليدين في التيمم تارة يكون بدلا عن غسل بعض أعضاء الطهارة بان يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه ان يتيمم بدلا عن غسله ولا يصح التيمم لصلاة الوقت الا بعد دخول الوقت ولا يجوز ان يجمع بين فريضتين بتيمم واحد لان الله تعالى قال اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الى ان قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء أو التيمم اذا لم يجد الماء عند كل صلاة الا ان الدليل قد قام في الوضوء فان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقي التيمم على ظاهره وهذا قول علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها وان يقرأ القرآن ان كان جنبا وان كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو ان يطلبه في رحله ومن رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره ينظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو وجد ارعدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم أجد الا لمن طلب وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط فان رأى الماء ولكنه بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في البئر وليست معه آلة الاستقاء فهو كالمعدوم يصلي بالتيمم ولا اعادة عليه قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني يهود المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فانزل الله تعالى هذه الآية (يشترون) يستبدلون (الضلالة) يعني بالهدى (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي عن السبيل يا معشر المؤمنين (والله أعلم بأعدائكم) منكم فلا تستنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) قال الزجاج اكتفوا بالله وليا واكتفوا بالله نصيرا (من الذين هادوا) قيل هي متصلة بقوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هي مستأنفة معناه من الذين هادوا من يحرفون كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أي من له منزلة معلومة يريد فريق (يحرفون الكلم) يغيرون الكلم (عن مواضعه) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أي اسمع منا ولا نسمع منك غير مسمع أي غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في

ويسرها عليهم لان من كانت عادته أن يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى بان يرخص للعاجزين أمر العبادة * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فأنزل الله تعالى ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا الاسلام (والله اعلم بأعدائكم) يعني انه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره * وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فأما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم

أنفسهم لا سمعت (وراعنا) أى ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة (ليا بالسنتهم) تحريفا (وطعنا) قدحا (فى الدين) لان قولهم راعنا من المراعاة وهم يحرفونه ويريدون به الرعونة (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا) أى انظر الينا مكان قولهم راعنا (لكان خيرا لهم وأقوم) أى اعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) الا نفرا قليلا منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم قوله عز وجل (ياأيها الذين أوتوا الكتاب) يخاطب اليهود (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى

يقولون فى انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه (وراعنا) أى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك أى اصرف سمعك الى كلامنا وأنصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعنى ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعنى بدل قولهم لا سمعت (وانظرنا) يعنى بدل قولهم راعنا أى انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعنى عند الله (وأقوم) يعنى أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله) يعنى طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعنى فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (ياأيها الذين أوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل أن نطمس وجوها) أصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا فى المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقته والثانى أن يحمل على مجازه أما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردها على أدبارها) يعنى نجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا اعقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به تلمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعنى على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعنى بتغيير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام من حيث جاؤا وهو اجلاء بنى النضير * فان قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتى أهله فأسلم وقال يارسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول وجهى الى قفاى وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية فى خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يارب أسلمت مخافة أن يصيبنى وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا

قيل قد أوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ بان فى اليهودية قبل قيام الساعة وقيل هذا كان وعيد بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقين وقيل أراد به فى القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أى نتركهم فى الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على أدبارها فى الكفر والضلالة وأصل الطمس المحو والافساد والتحويل وقال ابن زيد نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التى هم بها فنردها على أدبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤا منه وهو الشام وقال قد مضى ذلك وتأوله فى اجلاء بنى النضير الى أذرعات وأريحا من الشام

(أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فنجعلهم قردة وخنازير (وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به) قال الكلبي نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك انه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذي صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وأنت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لا تبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل صالحا فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي أخبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات وقال أبو مجلز عن ابن عمر رضي الله عنه لما نزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله فمسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس اني لا رجو له كما أنه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن علي بن أبي طالب قال ما في القرآن أحب الى من

بان لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نجعلهم قردة كما فعلنا بأوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معنا دمن قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فنجعل الكناية في قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم * وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعني لا بد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمي أمرا لانه عن أمره كان * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبري معناه يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت في وحشي وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لا تبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي أخبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان بها الى أن مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس اني لا رجو له كما أنه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن علي بن أبي طالب قال ما في القرآن أحب الى من

فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير قال ابن عمر رضي الله عنه كنا على عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات حكى عن علي رضي الله عنه ان ارجى آية في القرآن قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

(ومن يشرك بالله فقد افترى) اختلق (اثما عظيما) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد انا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيأ دخل النار أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أخبرنا أبو معمر انا عبد الوارث عن حسين يعني المعلم عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر حدثه ان أبا الاسود الديلي حدثه أن أبا ذر حدثه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر وكان أبو ذر اذا حدث بهذا قال وان رغم أنف أبي ذر قوله تعالى (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) الآية قال الكلبي نزلت في رجال من اليهود منهم بحري بن عمرو النعمان بن أوفى ومرحب بن زيد أتوا بأطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب فقال لا قالوا وما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة يزعمون انهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أنصار الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو تزكية بعضهم لبعض روى عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول والله انك كيت وذيت ويرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية قوله تعالى (بل الله يزكي) أي يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح (من يشاء ولا يظلمون

هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار * وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعني يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) أي اختلق (اثما عظيما) يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) نزلت في رجال من اليهود أتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها بزكاء العمل أو بزيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون انهم أزكياء لانهم برؤا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعني ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيأ والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعني قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم (وكفى به) أي بذلك الكذب (اثما مبينا) قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود

فتيلا) وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقرة التي على ظهر النواة وقيل الفتيل من الفتل وهو ما يجعل بين الاصبعين من الوسخ عند الفتل قوله تعالى (انظر) يا محمد (كيف يفترون على الله) يختلقون على الله (الكذب) في تغييرهم كتابه (وكفى به) بالكذب (اثما مبينا) قوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) اختلفوا فيهما فقال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقال أبو عبيدة هما كل معبود يعبد من دون الله قال الله تعالى أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال عمر الجبت السحر والطاغون الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطاغوت شياطين الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغتر به الناس وقال محمد بن سيرين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وأبو العالية الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وروى عن عكرمة الجبت بلسان الحبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف دليله قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار انا أحمد

ابن منصور الرمادى انا عبد الرزاق انا معمر عن عوف العبدى عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغى الانسان (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف فى سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبى سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود فى دور

اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبى سفيان فأحسن مثواه ونزل باقى اليهود على قريش فى دورهم فقال لهم أهل مكة أنتم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجىء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودیننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله تعالى ألم تر يعنى يا محمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ٣ ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا أخذ ذات اليمين مضى فى حاجته واذا أخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشىء فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغى الانسان وقيل الجبت هو حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه (للذين كفروا) يعنى لكفار قريش (هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب ابن الاشرف وأصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعنى ينصره * قوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شىء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشىء الحقير التافه الذى لا قيمة له * قوله عز وجل (أم يحسدون الناس

قريش فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فاينا أهدى طريقا نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودیننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من

الكتاب يعنى كعبا وأصحابه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى الصنمين ويقولون للذين كفروا أبى سفيان وأصحابه هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم سبيلا دينا (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم) يعنى ألهم والميم صلة (نصيب) حظ (من الملك) وهذا على جهة الانكار يعنى ليس لهم من الملك شىء ولو كان لهم من الملك شىء (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) لحسدهم وبخلهم النقير النقطة التى تكون فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وقال أبو العالية هو نقر الرجل الشىء بطرف أصبعيه كما ينقر الدرهم (أم يحسدون الناس) يعنى اليهود يحسدون الناس قال قتادة المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على النبوة وما أكرمهم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه

وسلم وقيل أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده حسدوه على ما أحل الله له من النساء وقالوا ماله هم الا النكاح وهو المراد من قوله (على ما آتاهم الله من فضله) وقيل حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) أراد بآل ابراهيم داود وسليمان و بالكتاب ما أنزل الله اليهم و بالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء فانه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا قال الله تعالى (فمنهم من آمن به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي الهاء في قوله من آمن به وصد عنه راجعة الى ابراهيم وذلك ان ابراهيم زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع ابراهيم عليه السلام فاحتاج اليه الناس فكان يقول من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه ومن لم يؤمن به منعه

قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) ندخلهم نارا (كلما نضجت) أحرقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير الجلود المحترقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه للقارئ أعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد ابن اسمعيل انا معاذ بن أسيد أنا الفضل بن موسى انا الفضيل عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج انا شريح بن يونس انا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هرون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصناعة والصفة تبدلت وكمن يترك أخاه صحيحا ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول انا غيري الذي عهدت وهو عين الاول الا ان صفته تغيرت وقال السدي يبدل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر ثم يعاد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلدا آخر وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل انه قال ليذوقوا العذاب ولم يقل لتذوق وقال عبد العزيز بن يحيى ان الله عز وجل يلبس أهل النار جلودا لا تألم فيكون زيادة عذاب عليهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره كما قال سرابيلهم من قطران فالسرابيل تؤلمهم وهي لا تألم

على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمني زوال النعمة ممن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعني انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى وردّ عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني انه قد حصل في أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة و بالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته (فمنهم) يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أي أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا * قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار. والمعنى ان الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعني احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة

المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبى هريرة يرفعه ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام * فان قلت كيف تعذب جلودا لم تكن فى الدنيا ولم تعص * قلت يعاد الجلد الاول فى كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمى خاتما غيره فالثانى هو الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهى النفس التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر فى كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق و يصل ألمها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلنا هم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفى فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد أجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة فى عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره * وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) أى انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ما نالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا بأن احساسهم به فى كل حال كاحساس الذائق فى تجديد وجدان الذوق من غير نقصان فى الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه أحد (حكيما) يعنى فى تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) يعنى باقين فيها (أبدا) يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعنى فى الجنات (أزواج مطهرة) يعنى مطهرات من الحيض والنفاس وسائر أقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة * فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس يؤذى حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون و يعرفون وذلك لان بلاد العرب فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * قوله عز وجل (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال البغوى نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى على بن أبى طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح وأن يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان و يعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله عز وجل فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى أولادهم الى يوم القيامة * قلت وفيما ذكره البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير أن عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة فى هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد وابنهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعنى انهم وجوه أهل مكة فأسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه

الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) كنينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا برد قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنع المفتاح فلوى على رضى الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس المفتاح ان يعطيه و يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله تعالى هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان و يعتذر اليه ففعل ذلك على رضى الله عنه فقال له عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله تعالى فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة

فى أولادهم الى يوم القيامة وقيل المراد من الآية جميع الامانات اخبرنا ابو طاهر محمد بن على الزاد

أنا ابو بكر محمد بن ادريس انا الحسن بن سفيان النسوى أنا شيبان بن أبي شيبة اخبرنا ابو هلال عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له قوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أى بالقسط (ان الله نعما) أى نعم الشئ الذى (يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا ابو منصور محمد ابن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتى أنا حميد بن زنجويه أنا ابن عباد أنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا عبد الرحمن بن أبى شريح أنا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى أنا على بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر

الجرجانى وابو احمد بن محمد بن احمد المعلم الهروى قال انا ابو الحسن على بن عيسى المسالينى

وقال خذوها يا بنى طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزى فى تفسير هذه الآية من رواية أبى صالح عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبى أنت وأمى اجمعه لى مع السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه العباس فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فأعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال ها كه يا رسول الله بأمانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففى هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب فى قوله ان الله يأمركم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره أن يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب فى قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور أن تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وأن تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة فى جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فى ذلك جميع الامانات التى يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة فى عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة فى كل شئ حتى فى الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات القسم الثانى هو رعاية الامانة مع نفسه وهو أن لم الله به عليه من سائر أعضائه فأمانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع أن لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعوارى الى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب ويدخل فى ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل فى ذلك أيضا عدل الامراء والملوك فى الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التى أمر الله عز وجل بأدائها الى أهلها وروى البغوى بسنده عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) يعنى وان الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم أن يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى أن يسوى بين الخصمين فى خمسة أشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه أن يكون مقصودا الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذى * وقوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم

واذا

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) اختلفوا فى اولى الامر قال ابن عباس وجابر رضى الله عنهم هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد دليله قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا أخبرنا ابو على حسان بن سعد المنيعى أنا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا ابو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثنى نافع عن عبد الله رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة أخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن محمد الراودى أنا ابو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرنى عبادة بن الوليد بن عبادة ان أباه أخبره عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم أخبرنا ابو عبد الله عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد القفال أنا ابو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا بكر بن محمد بن همدان الصيرفى أنا محمد بن يونس الكديمى قال أخبرنا ابو داود الطيالسى عن شعبة عن أبى التياح عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اسمع وأطع ولو لعبد حبشى كان رأسه زبيبة أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى أنا ابو العباس أنا محمد بن أحمد المحبوبى انا ابو عيسى الترمذى أنا موسى بن عبد الرحمن الكندى أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثنى سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا اذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وقيل المراد أمراء السرايا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا صدقة بن الفضل انا حجاج بن محمد عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال عكرمة أراد بأولى الامر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التهمى أنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسى أنا ابو عمرو بن أبى غزرة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أدرى ما بقائى فيكم

واذا أديتم الامانة فهو يبصر فعلكم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار انى قد أمنته وقد أسلم فقال خالد أتجير على وأنا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير الثانية على أمير فأنزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى أولى الامر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله وأولى الامر منكم يعنى وأطيعوا أولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس أيضا قال على بن أبى طالب حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن يؤمر بمعصية الله فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولى الامر أبا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر أخرجه

فاقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال عطاء هم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار الآية أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة انا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحرث انا محمد بن يعقوب الكسائى قال أخبرنا عبد الله بن محمود انا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل المكى عن الحسن عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قوله عز وجل (فان تنازعتم) أى اختلفتم (فى شئ) من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من النزع فكان المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان (فردوه الى الله والرسول) أى الى كتاب الله والى رسوله ما دام حيا وبعد وفاته الى سنته والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فان لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله تعالى والرسول ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك) أى الرد الى الله والرسول (خير وأحسن تأويلا) أى أحسن مآلا وعاقبة قوله تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الآية قال الشعبى كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودى نتحاكم الى محمد لانه عرف انه لا يأخذ الرشوة ولا

يميل فى الحكم وقال المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه انهم يأخذون الرشوة ويميلون فى الحكم فاتفقا على ان يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما اليه فنزلت هذه الآية قال جابر كانت الطواغيت التى يتحاكمون اليها واحد فى جهينة وواحد فى أسلم وفى كل حى واحد كهان وقال الكلبى عن أبى صالح وابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر رضى الله عنه فاتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاصم اليك فقال عمر رضى الله عنه للمنافق أكذلك قال نعم قال لهما رويدكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر رضى الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به أو أخذ ديته مائة وسق تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا وكانت النضير وهم حلفاء الاوس أشرف وأكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك فقالت بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتكم ستون وسقا وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا ونحن وأنتم اليوم اخوة ودينا ودينكم واحد فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا الى أبى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين لا بل الى النبى صلى الله عليه وسلم

الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن أنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) أى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله أخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعنى واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك أى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم له وأعظم أجرا * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أمروا أن يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه و بين يهودى خصومة فقال اليهودى نتطلق الى محمد وقال المنافق بل نتطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى أن يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به وأخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة فى الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم نتطلق الى أبى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين بل نتطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق دينى فأبوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آتى القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاى وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به فى هذه الآية الكذب لان الآية نازلة فى المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة فى الذين نافقوا من مؤمنى أهل الكتاب و يدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف فى قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن فى قول السدى وقد أمروا أن يكفروا به يعنى بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (و يريد الشيطان أن يضلهم) يعنى عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعنى للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) يعنى هلموا الى حكم الله الذى أنزله فى كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعنى يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا وأى اعراض وانما أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا * قوله عز وجل (فكيف اذا أصابتهم مصيبة) يعنى فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت أيديهم) يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم و رضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هى قتل عمر لذلك المنافق وقيل هى كل مصيبة تصيب المنافقين فى الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعنى المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان أردنا) أى ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعنى فى التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعنى بين الخصمين لا مخالفة لك فى حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذى قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا فى حكمه و يوفق بينه و بين

وأبى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة أوسق قال لا بل مائة وسق ديتى فابوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى ان يحكم بينهم فانزل الله تعالى آتى القصاص وهذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى الى أبى بردة الكاهن أو كعب بن الاشرف (وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) أى يعرضون عنك اعراضا (فكيف اذا أصابتهم مصيبة) هذا وعيد أى فكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة (بما قدمت أيديهم) يعنى عقوبة صدودهم وقيل هى كل مصيبة تصيب جميع المنافقين فى الدنيا والآخرة وتم الكلام ههنا ثم عاد الكلام الى ما سبق يخبر عن فعلهم فقال (ثم جاؤك) يعنى يتحاكمون الى الطاغوت ثم جاؤك أى يجيؤنك يحلفون وقيل أراد بالمصيبة قتل عمر رضى الله عنه المنافق ثم جاؤا يطلبون ديته (يحلفون بالله ان أردنا) ما أردنا بالعدول عنه فى المحاكمة أو بالرافع الى عمر (الا احسانا وتوفيقا) قال الكلبى الا احسانا فى القول وتوفيقا صوابا وقال ابن كيسان حقا وعدلا نظيره

ليحلفن ان أردنا الا الحسنى وقيل هو احسان بعضهم الى بعض وقيل هو تقريب الامر من الحق لا القضاء على مر الحكم والتوفيق هو موافقة الحق وقيل هو التأليف والجمع بين الخصمين

(أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق أي علم ان ما في قلوبهم خلاف ما في السنتهم (فاعرض عنهم) أي عن عقوبتهم وقيل فاعرض عنهم عن قبول عذرهم وعظهم باللسان (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) قيل هو التخويف بالله وقيل ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا قال الحسن القول البليغ ان يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لانه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ وقال الضحاك فاعرض عنهم وعظهم في الملا وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا في السر والخلاء وقيل هذا منسوخ بآية القتال قوله عز وجل (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) أي بأمر الله لان طاعة الرسول وجبت بأمر الله قال الزجاج ليطاع باذن الله لان الله قد أذن فيه وأمر به وقيل الا ليطاع كلام تام كاف باذن الله تعالى أي بعلم الله وقضائه أي وقوع طاعته يكون باذن الله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بتحاكمهم الى الطاغوت (جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا أبو اليمان انا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن الزبير رضي الله عنه كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير رأيا أى أراد سعة له وللانصار فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في

خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فأهدر الله دم ذلك المنافق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فأعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو أن يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملا وقل لهم في أنفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا أي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر أنجع وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس * قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعني بأمر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لان الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته تكون باذن الله لانه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا رحيما) يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم * قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

فيما صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية الا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وروى ان الانصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه (١) حاطب بن أبي بلتعة فلما خرج مر على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقيه فقط له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم مني

(١) قوله اسمه حاطب فيه نظر فان حاطبا مهاجري بدري لا أنصاري اهـ مصححه

فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية فى الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن أبيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا أى أراد سعة له وللانصارى فلما أحفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك قوله فى شراج الحرة الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير وقوله فلما أحفظ أى أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعنى أصل الجدار وقوله فاستوعى له أى استوفى له حقه فى صريح الحكم وهو ان من كان أرضه أقرب الى فم الوادى فهو أولى بأول الوادى وحقه تمام الساقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير فى الساقى على وجه المسامحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوى وروى انهما لما خرجا مر اعلى المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه فقطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولوأمرنى محمد أن أقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد والشعبى نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فور بك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد للكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت) يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك فى شئ من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك * قوله عز وجل (ولو أنا كتبنا عليهم) أى فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى لرجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى قرأ ابن عامر وأهل الشام الا قليلا بالنصب على الاستثناء وكذلك هو فى مصحف أهل الشام وقيل فيه اضمار تقديره الا أن يكون قليلا منهم وقرأ الآخرون قليل بالرفع على

الصدق ولوأمرنى محمد ان أقتل نفسى لفعلت فانزل الله فى شان حاطب بن أبى بلتعة فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك وقال مجاهد والشعبى نزلت فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى عمر رضى الله عنه قوله تعالى فلا أى ليس الامر كما يزعمون انهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ثم استأنف القسم وربك لا يؤمنون ويجوز ان يكون لا فى قوله فلا صلة كما فى قوله فلا أقسم حتى يحكموك أى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) أى اختلف واختلط من أموره والتبس عليهم حكمه ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقا (مما قضيت) قال الضحاك اثما أى يأثمون بانكارهم ما قضيت (ويسلموا تسليما) أى ينقادوا لامرك انقيادا قوله تعالى (ولو انا كتبنا) أى فرضنا وأوجبنا (عليهم ان اقتلوا أنفسكم) كما أمرنا بنى اسرائيل (أو اخرجوا من دياركم) كما أمرنا بنى اسرائيل بالخروج من مصر (ما فعلوه) معناه ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول والرضى بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله (الا قليل منهم) نزلت فى ثابت بن قيس وهو من القليل الذى استثنى الله قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله

الضمير الفاعل فى قوله فعلوه تقديره الا نفر قليل فعلوه (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه (لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) تحقيقا أو تصديقا لايمانهم (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) ثوابا وافرا (ولهديناهم صراطا مستقيما) أى الى الصراط المستقيم قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم قد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقال قتادة قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال فى الجنة وأنت فى الدرجات العلا ونحن أسفل منك وكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله فى أداء الفرائض والرسول فى السنن فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين أى لا تفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم لانهم يرفعون الى درجة الانبياء (والصديقين) وهم أفاضل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والصديق المبالغ فى الصدق (والشهداء) قيل هم الذين استشهدوا فى يوم أحد وقيل الذين استشهدوا فى سبيل الله وقال عكرمة النبيون ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديق أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم (والصالحين) سائر الصحابة رضى الله عنهم (وحسن أولئك رفيقا) يعنى رفقاء فى الجنة والعرب تضع الواحد موضع الجمع كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا أى أطفالا ويقولون الدبر أى الادبار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا ابو محمد الحسن بن أحمد المخلدى انا ابو العباس السراج أنا قتيبة بن سعيد انا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب أخبرنا احمد بن

عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى لرجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا أن يكون قليلا منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تثبيتا) يعنى تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى اثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو أن نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة * قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم انى اذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا اراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله فى الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى فى أداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول أى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة (من النبيين) يعنى أن المطيعين مع النبيين فى الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى بكر فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو أفضل أتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته فى الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله فى سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعنى المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما أحسن أولئك (رفيقا)

عبد الله الصالحي وأبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي قالا أخبرنا احمد بن الحسن الحيري أنا ابو العباس الاصم انا ابو يحيى زكريا بن يحيى المروزي انا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء الا أني أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) أي بثواب الآخرة وقيل من أطاع رسول الله وأحبه وفيه بيان انهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم وانما نالوها بفضل الله عز وجل أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب انا علي بن عبيد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) من عدوكم أي عدتكم وآلتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل والشبه والشبه (فانفروا) اخرجوا (ثبات) أي سرايا متفرقين سرية بعد سرية والثبات جماعات في تفرقة واحدتها ثبة (أو انفروا جميعا) أي مجتمعين كلكم مع النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار الاسلام لا في حقيقة الايمان ليبطئن أي ليتأخرن وليثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وكان رأس المنافقين والبطء والتبطئة التأخر عن الامر يقال ما أبطأ بك أي ما أخرك عنا ويقال ابطأ بطاء وبطأ يبطئ تبطئة (فان أصابتكم مصيبة) اي قتل وهزيمة (قال قد أنعم الله علي) بالقعود (اذ لم أكن معهم شهيدا) أي حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح وغنيمة (ليقولن) هذا المنافق وفيه تقديم وتاخير وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة متصل بقوله فان أصابتكم مصيبة تقديره فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب تكن بالتاء والباقون بالياء أي ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن (ياليتني كنت معهم) في تلك الغزاة (فأفوز فوزا عظيما) أي آخذ نصيبا وافرا من الغنيمة وقوله فأفوز نصب على جواب التمني بالفاء كما تقول وددت أن أقوم فيتبعني الناس قوله تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة) قيل نزلت في المنافقين ومعنى يشرون أي يشترون يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين المخلصين معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة

يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء الا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي اياهم وان لم أعمل باعمالهم * وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعني الذي أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) يعني أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) أي قتل وهزيمة (قال) يعني هذا المنافق (قد أنعم الله علي) يعني بالقعود (اذ لم أكن معهم) يعني مع المؤمنين (شهيدا) يعني حاضرا الوقعة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أي فتح وغنيمة (ليقولن) يعني هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من أهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر (ياليتني كنت معهم) في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) أي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل في سبيل الله) هذا خطاب للمنافق أي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله (الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة) أي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه

(ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) يعنى يستشهد (أو يغلب) يظفر (فسوف نؤتيه) فى كلا الوجهين (أجرا عظيما) ويدغم أبو عمرو والكسائى الباء فى الفاء حيث كان أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيل الله لا يخرجه من بيته الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى انا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر الجوهرى أنا احمد بن على الكشميهنى أنا على بن حجر انا اسمعيل بن جعفر أنا محمد ابن عمرو بن علقمه عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القانت الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله بما يرجعه من غنيمة وأجر أو يتوفاه فيدخله الجنة قوله تعالى (ومالكم لا تقاتلون) لا تجاهدون (فى سبيل الله) فى طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد (والمستضعفين) أى عن المستضعفين وقال ابن شهاب فى سبيل المستضعفين لتخليصهم وقيل فى تخليص المستضعفين من أيدى المشركين وكان بمكة جماعة (من الرجال والنساء والولدان) يلقون من المشركين أذى كثيرا (الذين) يدعون و (يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) يعنى مكة الظالم أى المشرك أهلها يعنى القرية التى من صفتها ان أهلها مشركون وانما خفض الظالم لانه نعت للاهل فلما عاد الاهل الى القرية صار الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه (واجعل لنا من لدنك وليا) أى من يلى أمرنا وادخال

استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) أى فيستشهد (أو يغلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما (أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدى الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمى من المستضعفين وفى رواية ابن أبى مليكة قال قال ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمى ممن عذر الله أنا من الولدان وأمى من النساء فعلى هذا الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) يعنى الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى وليا يلى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى * قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) يعنى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويف أولياء الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان

(واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى من يمنع العدو عنا فاستجاب الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيرا ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين قوله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) أى فى طاعته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أولياء الشيطان) اى حزبه وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان) مكره (كان ضعيفا) كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف ان يأخذوه فهرب وخذلهم

قوله تعالى (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يارسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فلما هاجروا الى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم قال الله تعالى (فلما كتب) فرض (عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس) يعني يخشون مشركي مكة (كخشية الله) أي كخشيتهم من الله (أو أشد) أكبر (خشية) وقيل معناه وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) الجهاد (لولا) هلا (أخرتنا الى أجل قريب) يعني الموت أي هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا واختلفوا في

هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل

وادخال كان في قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يارسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على أن فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي فرض عليهم جهاد المشركين وأمروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعني اذا جماعة من الذين سألوا أن يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعني يخافون مشركي مكة (كخشية الله أو أشد خشية) أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) أي قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) أي ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع * قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهادا أعدائه أفضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شئ بقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعنادا اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب في الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اي جدب

قاله قوم من المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا وأهل الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد (قل) يا محمد (متاع الدنيا) أي منفعتها والاستمتاع بها (قليل والآخرة) وثواب الآخرة (خير) أفضل (لمن اتقى) الشرك ومعصية الرسول (ولا تظلمون فتيلا) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون بالتاء أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن معاوية الصيدلاني أخبرنا الاصم انا عبد الله بن محمد بن شاكر انا محمد بن بشر العبدي انا مسعر بن كدام عن اسمعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) أي ينزل بكم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله تعالى عليهم بقوله أينما تكونوا يدرككم الموت (ولو كنتم في بروج مشيدة) والبروج الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه في قصور محصنة وقال عكرمة مجصصة والشيد الجص (وان تصبهم حسنة) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه قال الله تعالى وان تصبهم يعني اليهود حسنة أي خصب ورخص في السعر (يقولوا هذه من عند الله) لنا (وان تصبهم سيئة) يعني الجدب وغلاء الاسعار

(يقولوا هذه من عندك) أى من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد يقولوا هذه من عندك أى أنت الذى حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين (قل) لهم يا محمد (كل من عند الله) أى الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال (فمال هؤلاء القوم) يعنى المنافقين واليهود (لا يكادون يفقهون حديثا) أى لا يفقهون قولا وقيل الحديث ههنا هو القرآن أى لا يفقهون معانى القرآن قوله فمال هؤلاء قال الفراء كثرت فى الكلام هذه الكلمة حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانهما حرف واحد ففصلوا اللام بما بعدها فى بعضه ووصلوها فى بعضه والاتصال القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لانها لام خافضة قوله عز وجل (ما أصابك من حسنة) خير ونعمة (فمن الله) (٤٦٨) وما أصابك من سيئة) بلية أو أمر تكرهه (فمن نفسك) أى بذنوبك والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره نظيره قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم فيه لانه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصى بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن وذلك ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها اليهم فقال ما أصابك ولا يقال فى الطاعة والمعصية أصابنى انما يقال أصبتها ويقال فى المحن أصابنى بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها اليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل معنى الآية

تعالى

ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك أى يعنى فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم لك فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك قيل قوله قل كل من عند الله أى الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك أى وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم يدل عليها ما روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمر تقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله

فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنى من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت الذى حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) أى قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فأما الحسنة فانعام من الله وأما السيئة فابتلاء منه (فمال هؤلاء القوم) أى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها * قوله تعالى (ما أصابك من حسنة) يعنى من خير ونعمة (فمن الله) يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما أصابك من سيئة) يعنى من شدة ومكروه ومشقة وأذى (فمن نفسك) يعنى فمن قبل نفسك وبذنبك اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفى المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برىء لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك أى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبى ما أصابك من خير فالله هداك له وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنات الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية أصابنى وانما يقال أصبتها ويقال فى النعم والمحن أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته ووعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان أصابنى خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل فى معنى الآية ما أصابك من حسنة أى النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما أصابك من سيئة أى من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعنى فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم اياك * فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الآية * قلت أما اضافة الاشياء كلها الى الله

(وأرسلناك) يامحمد (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على ارسالك وصدقك وقيل كفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أي من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله (ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك) يامحمد (عليهم حفيظا) أي حافظا و رقيبا بل كل أمورهم الي قيل نسخ الله عزوجل هذا بآية السيف وأمره بقتال من خالف الله ورسوله (ويقولون طاعة) يعني المنافقين يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم انا آمنا بك فرنا فامرك طاع قال النحويون أي أمرنا وشأننا أن نطيعك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) قال قتادة والكلبي بيت أي غير و بدل الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم و يكون التبييت بمعنى التبديل وقال أبو عبيدة والقتبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهارا وكل ما قدر بليل فهو مبيت وقال أبو الحسن الاخفش. تقول العرب للشيء اذا قدر بيت يشبهونه بتقدير بيوت الشعر (والله يكتب) أي يثبت و يحفظ (ما يبيتون) ما يزورون و يغيرون و يقدرون وقال الضحاك عن ابن عباس يعني ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) يامحمد ولا تعاقبهم يامحمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم في ضلالتهم فأنا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم و ينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم * قوله عزوجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا

تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا و يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) يعني وأرسلناك يامحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما أرسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عزوجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فأنزل الله هذه من يطع الرسول يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيفيتها ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله (ومن تولى) أي أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فرنا بأمرك طاعة أي أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التبييت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير و بدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يتوب على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه و يتوب فخص من يصر على النفاق والذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل و بيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي يثبت و يحفظ عليهم (ما يبيتون) يعني ما يزورون و يغيرون و يقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لا تعاقبهم يامحمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم في ضلالتهم فأنا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم و ينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم * قوله عزوجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا

يامحمد ولا تعاقبهم وقيل لا تخبر بأسمائهم منع الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخبار بأسماء المنافقين (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) أي اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا وناصرا قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) يعني أفلا يتفكرون في القرآن والتدبر هو النظر في آخر الامر ودبر كل شيء آخره

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أى تفاوتا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس وقيل لوجدوا فيه أى فى الاخبار عن الغيب بما يكون وبما يكون اختلافا كثيرا أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به انه كلام الله تعالى لان ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف قوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى واذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الامن أى الفتح والغنيمة أو الخوف القتل والهزيمة أذاعوا به أشاعوه وأفشوه (ولو ردّوه الى الرسول) الى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يحدث به (والى أولى الامر منهم) أى ذوى الرأى من الصحابة مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجونه وهم العلماء أى علموا ما ينبغى أن يكتم وما ينبغى أن يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبط الماء اذا استخرجه وقال عكرمة يستنبطونه أى يحرصون عليه ويسألون عنه وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا تلك الاخبار من المؤمنين والمنافقين

يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التى عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى أسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين وأخبارهم وما يأتى فى المستقبل من أمور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه * قوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غابوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعنى القتل والهزيمة أذاعوا به أى أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

(ولو ردّوه) يعنى الامر الذى تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره (والى أولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى أولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب وما ينبغى لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغى أن يكتم من الامور وما ينبغى أن يذاع منها والنبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعانى والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفى الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى أولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغى أن يشاع أو يكتم * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعنى لبقيتم على الكفر والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء فى هذا الاستثناء والى ما ذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول

لو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى ذوى الرأى والعلم لعلمه الذين يستنبطونه منهم أى يحبون أن يعلموه ابن على حقيقته كما هو (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) كلكم (الا قليلا) فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل

الشيطان قيل هو راجع الى ماقبله قيل معناه أذاعوا به الا قليلا لم يفشه وعنى بالقليل المؤمنين وهذا قول الكلبي واختيار الفراء وقال لان علم السر اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعة قد تكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفي الآية دليل على جواز القياس فان من العلم مايدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه مايدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص قوله

ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا فأخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى مايليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي * قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لاتدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لاتكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرّض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أي لعل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان أبا سفيان بداله عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله أشد بأسا) أي أعظم صولة (وأشد تنكيلا) يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره * قوله عزوجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) أي ضعف وقيل نصيب (منها) أي من وزرها

تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله عزوجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك أي لا تدع جهاد العدو والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصرة وعاتبهم على ترك القتال وانما في قوله تعالى فقاتل جواب عن قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما فقاتل (وحرّض المؤمنين) على القتال أي حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال فقال جل ذكره (عسى الله) أي لعل الله (أن يكفّ بأس الذين كفروا) أي قتال المشركين

وعسى من الله واجب (والله أشد بأسا) أي أشد صولة وأعظم سلطانا (وأشد تنكيلا) أي عقوبة قوله عزوجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أي نصيب منها قال ابن عباس رضي الله عنهما الشفاعة الحسنة هي الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة واساءة القول في الناس ينال به الشر وقوله كفل منها أي من وزرها وقال مجاهد هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وان لم يشفع أخبرنا أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المليحي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا سفيان الثوري عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة عن أبيه أبي موسى رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله

(وكان الله على كل شئ مقيتا) قال ابن عباس رضى الله عنهما مقتدرا أو مجازيا قال الشاعر

وذى ضغن كففت النفس عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعنى قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن أبى موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ماشاء وفى رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره * قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة فى الدنيا أو فى الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به فى الآية يعنى اذا سلم عليكم المسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه أتم وأحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان فى حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (أو ردوها) يعنى أو ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شئ من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجاز

﴿ فصل فى فضل السلام والحث عليه ﴾ (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أى الاسلام خير معناه أى خصال الاسلام خير (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن أبى أمامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشى السلام أخرجه ابن ماجه

﴿ فصل فى أحكام تتعلق بالسلام ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى فى كيفية السلام ﴾ (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بواو العطف فى قوله وعليكم عن عمران ابن حصين قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه وروى أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد ﴿ المسئلة الثانية فى حكم السلام ﴾ الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضى حسين من أصحاب الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة فى بيت أو مجلس أو مسجد

على لسان رسوله ماشاء قوله تعالى وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال مجاهد شاهدا وقال قتادة حافظا وقيل معناه على كل حيوان مقيتا أى يوصل القوت اليه وجاء فى الحديث كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت ويقيت قوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) التحية دعاء بطول الحياة والمراد بالتحية هنا السلام يقول اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوا بأحسن منها أو ردوها كما سلم فاذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد مثله روى ان رجلا سلم على ابن عباس رضى الله عنهما قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام ينتهى الى البركة وروى عن عمران بن حصين ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون واعلم ان السلام سنة ورد السلام فريضة وهو فرض على الكفاية فاذا

وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والامر للوجوب لان فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم أثموا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود ﴿المسئلة الثالثة فى آداب السلام﴾ السنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذى ولفظه قال قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روى عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه فى الصحيحين وفى رواية لابى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فان كن جماعات فى مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفى رواية الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض ﴿المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها﴾ فمن ذلك الذى يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر أن رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره أن يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء ﴿المسئلة الخامسة فى حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى﴾ اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس أن يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يا نبى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ما قلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا

فقل وعليك قوله تعالى (ان الله كان على كل شئ حسيبا) أى على كل شئ من رد السلام بمثله أو بأحسن منه حسيبا

على الحسين بن محمد القاضى انا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى انا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص التاجر انا ابراهيم ابن عبد الله بن عمر بن بكر الكوفى انا وكيع عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا قتيبة انا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمر ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال ان تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ومعنى قوله أى الاسلام خير يريد أى خصال الاسلام خير وقيل فحيوا بأحسن منها معناه أى اذا كان الذى سلم مسلما أوردوها مثلها اذا لم يكن مسلما أخبرنا أبو الحسن السرخسى انا زاهر بن أحمد انا أبو اسحق الهاشمى انا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن يسار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول أحدهم السام عليك

أى محاسبا مجازيا وقال مجاهد حفيظا وقال أبو عبيدة كافيا يقال حسبى هذا أى كفانى قوله تعالى (اللهلا اله الا هو ليجمعنكم) اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) وسميت القيامة قيامة لان الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وقيل لقيامهم الى الحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا) أى قولا ووعدا وقرأ حمزة والكسائى أصدق وكل صادسا كنة بعدها دال باشمام الزاى (فالكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزولها فقال قوم نزلت فى الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضى الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون

وقال بعضهم اعف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا أبو الوليد انا شعبة عن عدى بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد بن ثابت قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فالكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا وقال انها طيبة تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة وقال مجاهد قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقال بعضهم نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى تباعدوا من المدينة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى فارقناك عليه من أيها الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين فنزلت هذه الآية وقال بعضهم هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فالكم يامعشر المؤمنين فى المنافقين فئتين أى صرتم فيهم فئتين أى فرقتين (والله أركسهم) أى نكسهم وردهم الى الكفر (بما كسبوا) باعمالهم غير الزاكية (أتريدون أن تهدوا) أى ان ترشدوا (من أضل الله) وقيل معناه أتقولون ان هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله

السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لا ريب فيه) يعنى لا شك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعنى لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب * قوله عز وجل (فالكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فالكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كما تنفى الكير خبث الحديد وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين فنزلت هذه الآية وقال بعضهم هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فالكم يامعشر المؤمنين فى المنافقين فئتين أى صرتم فيهم فئتين أى فرقتين (والله أركسهم) أى نكسهم وردهم الى الكفر (بما كسبوا) باعمالهم غير الزاكية (أتريدون أن تهدوا) أى ان ترشدوا (من أضل الله) وقيل معناه أتقولون ان هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله

(ومن يضلل الله) أى ومن يضلل الله عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) أى طريقا الى الحق قوله تعالى (ودوا) تمنوا يعنى أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا (لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر وقوله فتكونون لم يرد به جواب التمنى لان جواب التمنى بالفاء منصوب انما أراد النسق أى ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون أى ودوا لو تدهنون ووددوا لو تدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) منع عن موالاتهم (حتى يهاجروا فى سبيل الله) معكم قال عكرمة هى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحوهما من الآيات وهجرة المؤمنين وهى الخروج فى سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرين محتسبين كما حكى ههنا وفى هذه الآية منع موالاة المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا فى سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين مانهى الله عنه وهى ماقال النبى صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر مانهى الله عنه

أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى * قوله تعالى (ودّوا) يعنى تمنى أولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون أنتم يامعشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا أو يهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه الاولى هجرة المؤمنين فى أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفى هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين مانهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين أى خذوهم أيها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعنى أين وجدتموهم فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعنى فى هذه الحالة (ولا نصيرا) يعنى ينصركم على أعدائكم لانهم أعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم أو ينتمون اليهم أو يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم و بينهم ميثاق أى عهدوهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ماله الهلال وفى رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذين بينكم و بينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم (أو جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل أن يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل أن يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم أقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدا قريشا أن لا يقاتلوهم (أن يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم و بينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون

قوله تعالى (فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد والهجرة (فخذوهم) أى خذوهم أسارى ومنه يقال للاسير أخيذ (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) ثم استثنى طائفة منهم فقال (الا الذين يصلون الى قوم) وهذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون أى ينتسبون اليهم و يتصلون بهم و يدخلون فيهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريدون يلجؤن الى قوم (بينكم و بينهم ميثاق) أى عهدوهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى قبل خروجه الى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ماله هلال وقال الضحاك عن ابن عباس أراد بالقوم الذين بينكم و بينهم ميثاق بنى بكر بن زيد بن مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة وقوله (أو جاؤكم) أى يتصلون بقوم جاؤكم (حصرت صدورهم) أى ضاقت صدورهم قرأ الحسن و يعقوب حصرت منصوبة منونة أى ضيقة صدورهم يعنى القوم الذين جاؤكم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا قريشا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلوهم حصرت ضاقت صدورهم (أن يقاتلوكم) أى عن قتالكم للعهد الذى بينكم (أو يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم و يجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعنى قريشا قد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم أو بمعنى الواو كانه يقول الى قوم بينكم و بينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أى قد حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون و بنو بكر نهى الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدماء

قوله تعالى (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين يقول ان ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم (فان اعتزلوكم) أي اعتزلوا قتالكم (فلم يقاتلوكم) ومن اتصل بهم ويقال يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) أي الصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا بالقتل والقتال قوله تعالى (ستجدون آخرين) قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن في الفريقين وقال الضحاك عن ابن عباس هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة (يريدون أن يأمنوكم) فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) فلا يتعرضوا لهم (كلما ردّوا الى الفتنة) أي دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) أي رجعوا وعادوا الى الشرك

(فان لم يعتزلوكم) أي فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم) أي المقادة والصلح (ويكفوا أيديهم) ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم (فخذوهم) أسراء (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي وجدتموهم (وأولئكم) أي أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنها الحرث وأبي جهل بن هشام وهما أخواه لامه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الاطم وقالا له انزل فان أمك لم يؤوها سقف الا بيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوه بالله نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاهم الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذي كنت عليه فوالله ان كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا أبدا الا قتلتك ثم ان عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال الناس ويحك أي شيء قد صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحرث ما قد علمت وانى لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما

قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا بأهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو لجأ الى معاهد أو ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين ومواد عتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله أمر أن لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام أو القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما ألقى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهي قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن أن يقال انها منسوخة * قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون أن يأمنوكم) يعني يريدون باظهار الايمان أن يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعني كلما دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤوسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم) أي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعني أسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعني حيث أدركتموهم (وأولئكم) يعني أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن

كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطا وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله (الا خطا) استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة) كاملة (الى أهله) اى الى اهل القتيل الذين يرثونه (الا ان يصدقوا) اى يتصدقوا بالدية فيعفوا او يتركوا الدية (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اراد به اذا كان الرجل مسلما فى دار الحرب منفردا مع الكفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وقرابته فى دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله (٤٧٧)

الا خطأ) الآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وأبى جهل ابنى هشام وهما أخوا عياش بن أبى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيانى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد ابن أبى أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو فى الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤوها سقف بعد ك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شئ تحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثقا فى الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذى أرادوا فأتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقى الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أى شئ صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من أمرى وأمر الحرث ما قد علمت وانى لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما أباه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى أهله) أى وعليه دية كاملة مسلمة الى أهل القتيل الذين يرثونه (الا أن يصدقوا) يعنى الا أن يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوعنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) أى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن

وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد قوله تعالى (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) اراد به اذا كان المقتول كافرا ذميا او معاهدا فيجب فيه الدية والكفارة والكفارة تكون باعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا وتكون فى مال القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) والقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا فى خلال الشهرين او نسى النية او نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان فصل يوما بعذر مرض او سفر فهل ينقطع التتابع اختلف اهل العلم فيه فمنهم من قال ينقطع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعى واظهر قولى الشافعى رضى الله عنه لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع وعليه ان يبنى وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبى ولو حاضت المرأة فى خلال الشهرين أفطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت على ما أصابت لانه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل يخرج عنه باطعام ستين مسكينا فيه قولان أحدهما يخرج كما فى كفارة الظهار والثانى لا يخرج لان الشرع لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين

(توبة من الله) أى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليما) بمن قتل خطأ (حكيما) فيما حكم به عليكم أما الكلام فى بيان الدية فاعلم ان القتل على ثلاثة أنواع عمد محض وشبه عمد وخطأ محض اما المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقصد به القتل غالبا فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافئ أودية مغلظة فى مال القاتل حالة وشبه العمد ان يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالبا بان ضربه بعصا خفيفة او حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين والخطأ المحض هو ان لا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل تجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وتجب الكفارة فى ماله فى الانواع كلها وعند أبى حنيفة رضى الله عنه قتل العمد لا يوجب الكفارة لانه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا

الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

﴿ فصل فى أحكام تتعلق بالآية ﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل﴾ قال الشافعى القتل على ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ أما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافئ أودية حالة مغلظة فى مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا أن يقصد رمى مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين أو شعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد ﴿المسئلة الثانية فى حكم الديات﴾ فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء ألفى شاة وعلى أهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى أن دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والاصل فى ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائى فمن ذهب الى أن

عدمت الابل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير فى قول وفى قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم لما روى عن عمر رضى الله عنه فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم وذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى رضى الله عنهما وبه قال مالك وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الرجل ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الدية روى عن عمر رضى الله عنه انه قال دية اليهودى والنصرانى أربعة آلاف درهم ودية المجوسى ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب والحسن واليه ذهب الشافعى رضى الله عنه وذهب قوم دية الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله والدية فى العمد المحض وشبه العمد مغلظة بالسن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة فى بطونها أولادها وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى رضى الله عنه لما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى رضى الله عنه انا ابن عيينة عن على بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان فى قتل العمد الخطأ بالسوط والعصا مائة من الابل مغلظة منها أربعون خلفة فى بطونها أولادها وذهب قوم الى ان الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت

مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأمادية الخطأ مخففة وهي أخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان ابن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله وأبدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ودية الاطراف على هذا التقدير ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم عصبات القاتل من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية نزلت في مقيس ابن صبابة الكندي وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه الى مقيس فيقتص منه وان لم تعلموا أن تدفعوا اليه ديته فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا (فجزاؤه جهنم

دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ألا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل أربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية أخرى ألا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون في بطونها أولادها أخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأمادية الخطأ مخففة وهي أخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر ابن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم أبناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأي والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم

﴿ المسئلة الثالثة في حكم الكفارة ﴾ الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له أن ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية أو نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي لانه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه أن يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكره بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطأ والله أعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه الى أخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه وادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله

خالدا فيها) بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن أمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة قوله تعالى (وغضب الله عليه ولعنه) أى طرده عن الرحمة (وأعد له عذابا عظيما) اختلفوا فى حكم هذه الآية فحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له فقيل له أليس قد قال الله فى سورة الفرقان ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق الى ان قال ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب فقال كانت هذه فى الجاهلية وذلك ان أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله الا من تاب وآمن فهذه لاولئك وأما التى فى النساء فالرجل اذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مسلما متعمدا فجزاؤه جهنم وقال زيد بن ثابت لما نزلت التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان وقال ابن عباس رضى الله عنهما تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شئ والذى عليه الاكثرون وهو مذهب أهل السنة ان قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى وانى (٤٨٠) لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون عليك سبة أقتل الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار ارباب قارع
وأدركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصد القتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن أمنه من أهلها فقتله وهو متعلق بأستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعنى وطرده عن رحمته (وأعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه فى الصحيحين وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثفت الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق

وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فهو تشديد ومبالغة فى الزجر عن القتل كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم جاء يقال لك توبة ويروى مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما وليس فى الآية متعلق لمن يقول بالتخليد فى النار بارتكاب الكبائر لان الآية نزلت فى قاتل وهو كافر وهو مقيس بن صبابة وقيل انه وعيد ان قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب ايمانه ومن استحل قتل أهل الايمان لايمانهم كان كافرا مخلدا فى النار وقيل قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها معناه هى جزاؤه ان جازاه ولكنه ان شاء عذبه وان شاء غفر له بكرمه فانه وعد ان يغفر لمن يشاء حكى ان عمرو بن عبيد جاء الى أبى عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده فقال لا بستة فقال أليس قد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال له أبو عمرو بن العلاء من العجم أتيت يا أبا عثمان ان العرب لا تعد الاخلاف فى الوعيد خلفا وذما وانما تعد اخلاف الوعد خلفا وذما وأنشد

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

والدليل على ان غير الشرك لا يوجب التخليد فى النار ما روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا أبو اليمان انا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى أبو ادريس عائذ الله بن عبد الله ان عبادة بن الصامت رضى الله عنه وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ ثم ستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك

قوله عز وجل (يا أيها آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف ان يكونوا من غير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف انهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فغشاه أسامة ابن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت اني لم أكن اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي بعد ثلاث مرات وقال اعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله انما قال خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله

بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية بثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى أن هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى أن ناسخها الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

﴿فصل﴾ وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا كرر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل أولى والله أعلم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن

عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار الاسلام يجب أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعي أن الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه و يعترف أنه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لا انه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود أو التنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته * وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغانم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام و يتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي ألقى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم أنتم من قبل يعني من قبل أن يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أي ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تاكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فلا تتهاونوا في القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عز وجل

يعني اذا سافرتم في سبيل الله التثبيت أي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبين يقال تبينت الامر اذا تأملته (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم) هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي المعاذة وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقرأ الآخرون السلام وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لانه كان قد سلم عليهم وقيل السلم والسلام واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا فذلك قوله تعالى (لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعني تطلبون الغنم والغنيمة وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغانم) أي غنائم (كثيرة) وقيل ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتمون ايمانكم من المشركين (فمن الله عليكم) باظهار الاسلام وقال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمن الله عليكم بالهداية وقيل معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا اله الا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة (فتبينوا) أن تقتلوا مؤمنا (ان الله كان بما تعملون خبيرا) قلت اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الاسلام فعليهم ان يكفوا عنهم فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أغار عليهم (الا

اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن عبد الملك بن نوفل

ابن مساحق عن ابن عصام عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية قال اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم أذانا فلا تقتلن أحدا قوله تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا ابراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه انه قال رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست الى جنبه فاخبرنا ان زيد بن ثابت رضي الله عنه اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي فقال يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعمى فانزل الله تعالى عليه وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله تعالى (غير أولى الضرر) فهذه الآية في فضل الجهاد والحث عليه فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن الجهاد غير أولى الضرر قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء أي الا أولى الضرر وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت القاعدين يريد لا يستوى القاعدون الذين هم غير أولى الضرر أي غير أولى الزمانة والضعف في البدن والبصر (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء غير أولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسي انا عبد الرحيم بن منيب انا يزيد بن هرون اخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر وروى القاسم عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر قوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أي فضيلة وقيل أراد بالقاعد ها هنا أولى الضرر فضل الله المجاهدين عليهم درجة لان المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولى الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم وقال مقاتل يعني المجاهد والقاعد المعذور (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) يعني على القاعدين من غير عذر (درجات منه

(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال أملى علي النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير أولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وفي رواية أخرى لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول وأضافها الى البخاري ومسلم ولم أجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير أولى الضرر يعني أولى الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولى الضرر فضل الله المجاهدين على أولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب

ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) قال ابن محيريز في هذه الآية هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقيل الدرجات هي الاسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني انا أبو محمد محمد بن علي بن محمد ابن شريك الشافعي انا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجورندي انا يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب حدثني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة قال فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله ثلاثا أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي

أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد ابن علي التياه انا أبي انا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرز انا محمد بن يحيى انا مشيح بن النعمان انا فليح عن هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله و رسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله عزوجل أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أوجلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا ننذر الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة واعلم ان الجهاد في الجملة فرض غير انه ينقسم الى فرض العين وفرض الكفاية ففرض العين ان يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم حرا كان أو عبدا غنيا كان أو فقيرا دفعا عن أنفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعدهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعدهم من المسلمين عونهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الاعلى طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم البعيد والفقراء ومن هذا القبيل ان يكون الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلا والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عن الجهاد ولكن لا يفترض لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال وكلا وعد الله الحسنى فلو كان فرضا على الكافة

القاعدون

لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم حرا كان أو عبدا غنيا كان أو فقيرا دفعا عن أنفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعدهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعدهم من المسلمين عونهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الاعلى طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم البعيد والفقراء ومن هذا القبيل ان يكون الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلا والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عن الجهاد ولكن لا يفترض لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال وكلا وعد الله الحسنى فلو كان فرضا على الكافة

ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله و رسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أوجلس في أرضه التي ولد فيها قالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة * فان قلت قد ذكر الله عزوجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فما وجه الحكمة في ذلك * قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم * قوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها و يصفح عنها (و رحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عزوجل قال قال أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان أرجعته أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائي

﴿فصل﴾ اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين أن يدخل العدو دار قوم من المؤمنين و بلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعدهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين أو بعدهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الأبعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض أعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق

لا يستحق القاعد العقاب لا الثواب قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ظالمي أنفسهم بالشرك وهو نصب على الحال أي في حال ظلمهم قيل أي بالمقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم تقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الا بالهجرة ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم فيم كنتم فذلك قوله تعالى (قالوا فيم كنتم) أي في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم أفي المسلمين أم في المشركين سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (في الارض) يعني أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني الى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم وقال (فأولئك مأواهم) منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) أي بئس المصير الى جهنم ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا الى الخروج وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة (فأولئك) يعني المستضعفين وأهل الاعذار (عسى الله أن يعفو عنهم) يتجاوز عنهم من الله واجب لانه للاطماع والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله اليه (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا معاذ بن فضالة انا هشام عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ان يدعو على أحد أو يدعو لاحد قنت بعد الركوع فربما قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في الركعة الآخرة من صلاة العشاء اللهم انج عياش بن أبي ربيعة اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف يجهر بذلك قوله تعالى (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مراغما أي متحولا يتحول اليه وقال مجاهد متزحزحا عما يكره وقال أبو عبيدة المراغم المهاجر

القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية نزلت في أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فأنزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان أحدهما انه قبض أرواحهم الثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي أنفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي أنفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في أي الفريقين كنتم أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعني عاجزين (في الارض) يعني في أرض مكة (قالوا) يعني قال لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني الى المدينة وتخرجوا من بين أظهر المشركين فأكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين وأعلمنا بكذبهم (فأولئك) يعني من هذه صفتهم (مأواهم) يعني منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعني بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فأولئك) يعني المستضعفين وأهل الاعذار (عسى الله أن يعفو عنهم) يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف * قوله عز وجل (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا يعني ان

يقال راغمت قومي وهاجرتهم وهو المضطرب والمذهب قيل سميت المهاجرة مراغمة لان من يهاجر يراغم قومه وسعة أي

المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوّى ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم أنفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم أي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب في الارض وأنشد الزجاج في المعنى

الى بلد غير داني المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومي أي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغني الى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعني قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع أجره على الله) يعني فقد وجب أجره بحكم الوعد والتفضل والكرم لا بوجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به أما تمام الاجر فلا والقول الاول أصح لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى أن خرج مهاجرا * قوله عز وجل (واذا ضربتم في الارض) يعني اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (أن تقصروا من الصلوة) يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم أره لاحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكر وافي تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين أحدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في أدائها وهو أن يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا أن تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة أولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهري الى أن جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى أن القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روى

في الرزق وقيل سعة من الضلالة الى الهدى وروى انه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغني المدينة وابعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فانزل الله (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) أي قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع) أي وجب (أجره على الله) بايجابه على نفسه فضلا منه (وكان الله غفورا رحيما) قوله عز وجل (واذا ضربتم في الارض) أي سافرتم (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (ان تقصروا من الصلوة) يعني من أربعة ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء (ان خفتم أن يفتنكم) أي يغتالكم ويقتلكم (الذين كفروا) في الصلاة نظيره قوله تعالى على خوف من

عن

فرعون وملئهم ان يفتنهم اي يقتلهم

(ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة اعلم ان قصر الصلاة فى السفر جائز باجماع الامة واختلفوا فى جواز الاتمام فذهب أكثرهم الى ان القصر واجب وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس رضى الله عنهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأى لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وذهب قوم الى جواز الاتمام روى ذلك عن عثمان وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما وبه قال الشافعى رضى الله عنه ان شاء أتم هو وان شاء قصر والقصر أفضل اخبرنا الامام عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن طلحة بن عمر وعن عطاء بن أبى رباح عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة وأتم وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ولفظ لا جناح انما يستعمل فى الرخص لا فيما يكون حتما فظاهر الآية يوجب ان القصر لا يجوز الا عند الخوف وليس الامر على ذلك انما نزلت الآية على غالب أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو والقصر جائز فى السفر فى حال الامن عند عامة أهل العلم والدليل عليه ما اخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم أنا الربيع انا الشافعى انا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود عن ابن جريج اخبرنى عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى عمار عن عبد الله بن باباه عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انما قال الله تعالى ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر رضى الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن طلحة بن عمر وعن عطاء بن أبى رباح عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة وأتم وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ولفظ لا جناح انما يستعمل فى الرخص لا فيما يكون حتما فظاهر الآية يوجب ان القصر لا يجوز الا عند الخوف وليس الامر على ذلك انما نزلت الآية على غالب أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو والقصر جائز فى السفر فى حال الامن

عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن فى ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن أمرنا أن نصلى ركعتين فى السفر أخرجه النسائى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذى والنسائى وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم أن كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن * فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا فى حال الأمن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف * قلت انما نزلت الآية على غالب أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب فى الوقوع * وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة فلعلمى بهذا رخصت لكم فى قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع

﴿ فصل فى أحكام تتعلق بالآية ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ فى حكم القصر قصر الصلاة فى حالة السفر جائز باجماع الأمة وانما اختلفوا فى جواز الاتمام فى حال السفر فذهب أكثر العلماء الى أن القصر واجب فى السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها فى الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفى رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين

عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا عبد الوهاب عن أيوب السختيانى عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة آمنا لا يخاف الا الله فصلى ركعتين وذهب قوم الى ان ركعتى المسافر ليستا بقصر انما القصر ان يصلى ركعة واحدة فى الخوف يروى ذلك عن جابر رضى الله عنه وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وجعلوا شرط الخوف المذكور فى الآية باقيا وذهب أكثر أهل العلم الى ان الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان أو آمنا واختلف أهل العلم فى مسافة القصر فقالت طائفة يجوز القصر فى السفر الطويل والقصير روى ذلك عن أنس رضى الله عنه وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة اما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر فى السفر القصير واختلف فى حد ما يجوز به القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم يقصران ويفطران فى أربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد واسحق وهو قول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى رضى الله عنه قال مسيرة ليلتين قاصدتين وقال فى موضع ستة وأربعون ميلا بالهاشمى وقال سفيان الثورى وأصحاب الرأى مسيرة ثلاثة أيام وقيل قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما

قبله روى عن أبى أيوب الانصارى انه قال نزل قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثله فى القرآن كثير ان يجىء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه كقوله تعالى الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذه حكاية عن امرأت العزيز وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب اخبار عن يوسف عليه السلام قوله

تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهم ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا الا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فعلمه صلاة الخوف وجملته ان العدو اذا كانوا فى معسكرهم فى غير ناحية القبلة فيجعل الامام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم و يشرع الامام مع طائفة فى الصلاة فاذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائما حتى أتموا صلاتهم وذهبوا الى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى أتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم وهذه رواية سهل ابن أبى حثمة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع واليه ذهب مالك والشافعى عليه

فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر أخرجاه فى الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبى وقاص واليه ذهب الشافعى وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا و يدل على ذلك ما روى البغوى بسند الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بأبى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب على أخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ولفظة ولا جناح انما تستعمل فى الرخصة لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين أولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الادلة وأحاديث ودلائل الشرع ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم الى أنها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعى وأحمد ﴿المسئلة الثالثة﴾ ذهب الشافعى ومالك وأحمد والجمهور الى أنه يجوز القصر فى كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر فى سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثورى يجوز ذلك ﴿المسئلة الرابعة﴾ اختلف العلماء فى مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله وروى ذلك عن أنس أيضا وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر فى السفر القصير واختلفوا فى حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران و يفطران فى مسيرة أربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر فى أقل من ثلاثة أيام

﴿فصل﴾ قيل قوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن أبى أيوب الانصارى أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا فى القرآن كثير يجىء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) الآية روى عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله

وأحمد واسحق أنا أبو الحسن المرخسى أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما فأتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا

وأنوالا نفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك أحسن ما سمعت فى صلاة الخوف وأخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا مسدد انا يحيى عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبى حثمة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا وذهب قوم الى ان الامام اذا قام الى الركعة الثانية تذهب الطائفة الاولى فى خلال الصلاة الى وجاه العدو وتأتى الطائفة الثانية فيصلى بهم الركعة الثانية و يسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون الى وجاه العدو وتعود الطائفة الاولى فتتم صلاتها ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها وهذه رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى كذلك وهو قول أصحاب الرأى أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى انا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى انا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى انا أبو عيسى الترمذى انا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب انا يزيد بن زريع انا معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا فى مقام أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم فقام هؤلاء فصلوا ركعتهم وكلتا الروايتين صحيحة فذهب قوم الى ان هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعى رضى الله عنه الى حديث سهل بن أبى حثمة لانه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ فى حراسة العدو وذلك لان الله تعالى قال فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم أى اذا صلوا ثم قال ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهذا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلوا وقال فليصلوا معك ومقتضاه ان يصلوا تمام الصلاة فظاهره يدل ان كل طائفة تفارق الامام بعد تمام الصلاة والاحتياط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء والاحتياط لامر الحرب من حيث انهم اذا لم يكونوا فى الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والهرب ان احتاجوا اليه ولو صلى الامام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز أنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق الحافظ قال أنا الصاغانى أنا عفان بن مسلم ثنا أبان العطار عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا فندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فعلمه صلاة الخوف وروى عن أبى عياش الزرقى فى سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفى رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم فى الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذا كنت يا محمد فى أصحابك وشهدت معهم القتال

فأقمت لهم الصلوة أى أردت اقامتها لهم فحذف المفعول الثانى لدلالة الكلام عليه وقيل معناه فأقمت معهم الصلوة فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه أى من قومه وقيل معناه فأقمت بنفسك لهم الصلوة أى كن لهم اماما فى الصلاة وقيل معناه فأقمت لهم الصلوة أى بينت لهم كيفية الصلاة وقيل معناه

عند عامة أهل العلم ويحكى عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له وقال الامام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه كل حديث روى فى أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز روى فيها ستة أوجه أو سبعة أوجه وقال مجاهد فى سبب نزول هذه الآية عن أبى عياش الزرقى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم فى الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم أى شهيدا معهم فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) أى فلتقف كقوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا أى وقفوا (وليأخذوا أسلحتهم) واختلفوا فى الذين يأخذون أسلحتهم فقال بعضهم أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الامام يصلون ويأخذون الاسلحة فى الصلاة فعلى هذا انما يأخذه اذا كان لا يشغله عن الصلاة فلا يؤذى من بجنبه فاذا شغلته حركته وثقلته عن الصلاة كالجعبة والترس الكبير أو كان يؤذى من بجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل وليأخذوا أسلحتهم أى الباقون الذين قاموا فى وجه العدو (فاذا سجدوا) أى صلوا (فليكونوا من ورائكم) يريد مكان الذين هم وجاه العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) وهم الذين كانوا فى وجه العدو (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) قيل هؤلاء الذين أتوا وقيل هم الذين صلوا (ودالذين كفروا) يتمنى الكفار (لو تغفلون) أى لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة

فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعنى اذا حان وقت الصلاة وأقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلى بهم (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا فى هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل أراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون أسلحتهم فى الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذى من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين بقوا فى وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمر اللفريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعنى اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعنى فلينصرفوا الى المكان الذى هو فى وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعنى ولتأت الطائفة التى كانت فى وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التى بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعنى ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فى دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح * فان قلت لم ذكر فى أول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة * قلت لان العدو قلما ينتبه للمسلمين فى أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين فى المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين فى الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة فى الاقدام على المسلمين فلاجرم ان الله تعالى أمرهم فى هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعنى تمنى الكفار (لو تغفلون) يعنى لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم) يعنى حوائجكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعنى فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

﴿فصل فى أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ قال أبو يوسف والحسن ابن زياد من أصحاب أبى حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزنى من أصحاب الشافعى كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبى صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى أن هذا الحكم لما ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت فى حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن على بن أبى طالب أنه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة بأن هذا وان كان قد خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فان سائر أمته داخلون فى هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء الا أن يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم ﴿المسئلة الثانية﴾ قال الخطابى صلاة الخوف أنواع صلاها النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فى ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وأبلغ فى الحراسة فهى مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو فى غير جهة

جهة القبلة فرق الامام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس و يصلى بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتى الطائفة الثانية التى كانت تحرس فيصلى بهم الركعة الثانية و يثبت جالسا فى التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم و يدل على ذلك ماروى عن يزيد ابن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم أخرجاه فى الصحيحين الذى صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبى حثمة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعى لانه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ فى حراسة العدو وأما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها أحوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجىء والذهاب وكونها أحوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا فى الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى أن الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم فى صلاتهم ثم تأتى الطائفة الثانية فتصلى مع الامام الركعة الثانية و يسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتى الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبى حنيفة و يدل على ذلك ماروى عن ابن عمر قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا وأقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين وأربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه النسائى قال أبو بكر السنى سمع الزهرى من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذى أخرجاه فى الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا فى مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفى رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى بعض أيامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة و بهذه الرواية المخرجة فى الصحيحين أخذ الاوزاعى وأشهب المالكى وهو جائز عند الشافعى أيضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين أن الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهى فى حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمنفرد فى حكم صلاته ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ فيما اذا كان العدو فى ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا و بين القبلة فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف المؤخر فى نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا فى

(ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم) رخص فى وضع السلاح فى حال المطر والمرض لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) أى راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم والحذر ما يتقى به من العدو وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا محاربا و بنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أصحابه فجلس رسول الله فى ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحارث بما شئت ثم أهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن قال لا أحد قال تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل انا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا ويلك ما منعك منه قال لقد أهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعنى من عدوكم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون به * قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعنى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله فى جميع أحوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله

الركعة الاولى فقام الصف المؤخر فى نحر العدو فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبى صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخارى طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع و بهذا الحديث أخذ الشافعى ومن وافقه فيما اذا كان العدو فى جهة القبلة ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا و ركبانا يومؤن بالركوع والسجود الى أى جهة كانت هذا مذهب الشافعى ومذهب أبى حنيفة انهم لا يصلون فى هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة فى كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم * وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أى ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم فى وضع السلاح فى حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعنى راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا بنى محارب و بنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فأكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن فقال لا أحد فقال أتشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى أصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم أى من عدوكم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية كان عبد الرحمن بن عوف جريحا (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يهانون فيه والجناح الاثم من جنحت اذا عدلت عن القصد (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى صلاة الخوف أى فرغتم منها (فاذكروا الله) أى صلوا لله (قياما) فى حال الصحة (وقعودا) فى حال المرض (وعلى جنوبكم) عند الجرح والزمانة وقيل اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد

على كل حال اخبرنا عمرو بن عبد العزيز الكاشاني انا القاسم بن جعفر الهاشمي انا ابو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي انا ابو داود السجستاني انا محمد بن العلاء انا ابن أبي زائدة عن أبيه عن خالد بن سلمة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه (فاذا اطمأننتم) أي سكنتم وأمنتم (فاقيموا الصلوة) أي أتموها أربعا بأركانها (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قيل واجبا مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان وقال مجاهد أي فرضا موقتا وقته الله تعالى عليهم وقد جاء بيان أوقات الصلاة في الحديث اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن أحمد الطوسي انا ابو بكر عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع انا سفيان عن عبد الرحمن بن الحارث عن عياش بن أبي ربيعة الزرقي عن حكم بن أبي حكيم عن عباد بن حنيف عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمني جبريل عليه السلام عند باب البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل الاول وصلى بي الفجر حين أسفر ثم التفت الي فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين اخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر بن الحسن الحيري انا وكيع انا حاجب بن أحمد ثنا عبد الله بن هاشم ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا ابو بكر ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سائلا اتاه فسأله عن مواقيت الصلاة قال فلم يرد عليه شيأ ثم أمر بلالا فاذن ثم أمره فاقام الصلاة حين انشق الفجر فصلى ثم أمره فاقام الظهر والقائل يقول قد زالت الشمس أو لم تزل وهو كان أعلم منهم ثم أمره فاقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ثم أمره فاقام المغرب حين غابت الشمس ثم أمره فاقام العشاء حين سقط الشفق قال وصلى الفجر من الغد والقائل يقول طلعت الشمس أو لم تطلع وصلى الظهر قريبا من وقت العصر بالامس وصلى العصر والقائل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل الاول ثم قال أين السائل عن وقت الصلاة فقال الرجل انا يا رسول الله قال ما بين هذين الوقتين وقت قوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) الآية سبب نزولها ان أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم أي لا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا تألمون) تتوجعون من الجراح (فانهم يألمون) أي يتوجعون يعني الكفار (كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أي وأنتم مع ذلك تأملون من الاجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون وقال بعض المفسرين المراد بالرجاء الخوف لان كل راج خائف ان لا يدرك مأموله ومعنى لآية ترجون من الله أي وتخافون من الله أي تخافون من عذاب الله ما لا يخافون قال الفراء رحمه الله ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف الا مع الجحد كقوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافونه وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمته ولا يجوز رجوتك بمعنى خفتك ولا خفتك وانت تريد رجوتك

عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعني فاذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلوة) يعني فأتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين * قوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة في ذلك وألزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالكم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله ما لا يرجون) يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في

(وكان الله عليما حكيما) قوله تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) الاية روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا له انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى أن طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به الى دار زيد السمين وتركه على بابه وحمل الدرع الى بيته فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة الى دار زيد السمين فأخذه وحمله الى النبي صلى الله عليه وسلم فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يد زيد اليهودي وقال مقاتل ان زيدا السمين

الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعني انه تعالى لا يأمركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم * قوله عز وجل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فأنزل الله هذه الآية انا أنزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعني بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد (للخائنين خصيما) يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعني بعباده المؤمنين

﴿فصل﴾ وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بأن يقضي على اليهودي بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فأمره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى

أودع درعا عند طعمة فجحدها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق بالامر والنهي — منازلهم
والفصل لتحكم بين الناس بما أراك الله بما علمك الله وأوحى اليك (ولا تكن للخائنين) طعمة (خصيما) مع مينا مدافعا عنه (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودي وقال مقاتل واستغفر الله من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا رحيما)

ولا تجادل) لا تخاصم (عن الذين يختانون أنفسهم) أي يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة (ان الله لا يحب من كان خوانا) خائنا (أثيما) بسرقه الدرع أثيما في رميه اليهودي قيل انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة اما الذنب تقدم على النبوة أو لذنوب أمته وقرابته

منازلهم ودرجاتهم والله أعلم * قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعني خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودي وهو بريء وانما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات ويروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة * قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعني يستترون حياء من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن أبيرق (ولا يستخفون من الله) يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعني والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في أذهانهم وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه (في الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعني اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (أم من يكون عليهم وكيلا) يعني محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم * قوله تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسيء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ أي قبيحا أو يظلم نفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) فيغفر له

أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع (يستخفون من الناس) أي يستترون ويستحيون من الناس يريد بني ظفر بن الحارث (ولا يستخفون من الله) أي لا يستترون ولا يستحيون من الله (وهو معهم اذ يبيتون) يقولون ويؤلفون والتبييت تدبير الفعل ليلا (ما لا يرضى من القول) وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودي لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم (وكان الله بما يعملون محيطا) ثم يقول لقوم طعمة (ها أنتم هؤلاء) أي يا هؤلاء (جادلتم) أي خاصمتم (عنهم) يعني عن طعمة وفي قراءة أبي بن كعب عنه (في الحيوة الدنيا) والجدال شدة المخاصمة من الجدل وهو شدة الفتل فهو يريد فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل الجدال من الجدالة وهي الارض فكأن كل واحد من الخصمين يريد قهر صاحبه وصرعه على الجدالة (فمن يجادل الله عنهم) يعني عن طعمة (يوم القيامة

اذا أخذه الله بعذابه (أم من يكون عليهم وكيلا) كفيلا أي من الذي يذب عنهم ويتولى أمرهم يوم القيامة ثم استأنف فقال (ومن يعمل سوأ) يعني السرقة (أو يظلم نفسه) برميه البريء وقيل ومن يعمل سوأ أي شركا أو يظلم نفسه يعني انما دون الشرك (ثم يستغفر الله) أي يتب اليه ويستغفره (يجد الله غفورا رحيما) يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية

هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه عم الكل والحكم الثانى ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعنى انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فانى لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت فى طعمة أيضا (وكان الله عليما) يعنى بسارق الدرع (حكيما) يعنى اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته أن يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو اثما) قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريئا) يعنى ثم يقذف بما جناه بريأ منه وهو نسبة السرقة الى اليهودى ولم يسرق * فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير فى قوله ثم يرم به * قلت معناه ثم يرم بأحد هذين المذكورين بريأ وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى بأحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذى يتحير فى عظمه (واثما مبينا) يعنى ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم ويرميه البرىء باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعنى يا محمد بالنبوة ورحمته يعنى بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعنى من بنى ظفر وهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعنى عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمى بها اليهودى (وما يضلون الا أنفسهم) يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له أنه برىء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) يعنى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فأنت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شئ فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره أحد (وأنزل الله عليك الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى القضاء بهما يعنى وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك فى الشبهات (وعلمك مالم تكن تعلم) يعنى من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب مالم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم مالم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعنى ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من أرادك بسوء ففى هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه * قوله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم) يعنى من نجوى قوم طعمة وقيل هى عامة فى جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا وناجيته سارر ته وأصله أن يخلو فى نجوة من الارض وقيل أصله من النجى والمعنى لا خير فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه

(وكان الله عليما) بسارق الدرع (حكيما) حكم بالقطع على السارق (ومن يكسب خطيئة) أى سرقة الدرع (أو اثما) بيمينه الكاذبة (ثم يرم به) أى يقذف بما جنى (بريئا) منه وهو نسبة السرقة الى اليهودى (فقد احتمل بهتانا) البهتان هو البهت وهو الكذب الذى يتحير فى عظمه (واثما مبينا) أى ذنبا بينا وقوله ثم يرم به ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والاثم رد الكناية الى الاثم أو جعل الخطيئة والاثم كالشئ الواحد قوله تعالى (ولولا فضل الله عليك ورحمته) يقول للنبى صلى الله عليه وسلم (لهمت) لقد هممت أى أضمرت (طائفة منهم) يعنى قوم طعمة (أن يضلوك) يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدافع عن طعمة (وما يضلون الا أنفسهم) يعنى يرجع وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) يريد ان ضرره يرجع اليهم (وأنزل الله عليك الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى القضاء بالوحى (وعلمك مالم تكن تعلم) من الاحكام وقيل من علم الغيب (وكان فضل الله عليك عظيما) قوله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم) يعنى قوم طعمة وقال مجاهد الآية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرا كان أو جهرا فمعنى الآية لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم

(الا من أمر بصدقة) أي الا في نجوى من أمر بصدقة فالنجوى يكون متصلا وقيل النجوى ها هنا الرجال المتناجون كما قال الله تعالى واذهم نجوى الا من أمر بصدقة وقيل هذا استثناء منقطع يعني لكن من أمر بصدقة أي حث عليها (أو معروف) أي بطاعة الله وما يعرفه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو اصلاح بين الناس) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر بن احمد الحسن الحيري انا حاجب ابن أحمد الطوسي انا محمد بن حماد انا ابو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سالم هو ابن ابي الجعد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قال قلنا بلى قال اصلاح ذات البين وان افساد ذات البين هي الحالقة أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار انا احمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أمه أم مكتوم بنت عقبة وكانت من المهاجرات الاول قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا قوله تعالى (ومن يفعل ذلك) أي هذه الاشياء التي ذكره (ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضاه (فسوف نؤتيه) في الآخرة (أجرا عظيما) قرأ ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء يعني يؤتيه الله وقرأ الآخرون بالنون قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك انه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة

(الا من أمر بصدقة) يعني الا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها (أو معروف) يعني أو أمر بطاعة الله وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو اصلاح بين الناس) يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعني هذه الاشياء التي ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (أجرا عظيما) لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله * قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة أيضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان وأصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) أي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا وتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار روي ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به)

فهرب الى مكة وارتد عن الدين فقال تعالى ومن يشاقق الرسول أي يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) من التوحيد والحدود (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير طريق المؤمنين (نوله ما تولى) أي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا (ونصله جهنم وساءت مصيرا) روي أن طعمة بن أبيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح فأخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فأخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فأخذ فألقي في البحر وقيل انه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنما لهم الى أن مات فأنزل الله تعالى فيه (ان الله لا يغفر أن يشرك به

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) أى ذهب عن الطريق وحرم الخير كله وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جرأة على الله وما توهمت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى فأنزل الله تعالى هذه الآية قوله تعالى (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت فى أهل مكة أى ما يعبدون كقوله تعالى وقال ربكم ادعونى أى اعبدونى بدليل قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى قوله من دونه أى من دون الله الا اناثا أراد بالاناث الاوثان لانهم كانوا يسمونها باسم الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان فكان فى كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم ولذلك قال (وان يدعون الا شيطانا مريدا) هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل وان المراد بالاناث الاوثان قراءة ابن عباس رضى الله عنه ان يدعون من دونه الا أثنا جمع الوثن فصير الواو همزة وقال الحسن وقتادة الا اناثا أى موانا لا روح فيه لان أصنامهم كانت من الجمادات سماها اناثا لانه يخبر عن الموات كما يخبر عن الاناث ولان الاناث أدون الجنسين كما ان الموات أرذل من الحيوان وقال الضحاك أراد بالاناث لائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون الملائكة اناث كما قال الله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قوله وان يدعون الا شيطانا مريدا أى وما يعبدون الا شيطانا مريدا لانهم اذا عبدوا الاصنام فقد أطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة وأرادا بليس (لعنه الله) أى أبعده الله من رحمته (وقال) يعنى قال ابليس (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) أى حقا معلوما فما أطيع فيه ابليس فهو مفروضه وفى بعض التفاسير من كل الف واحد لله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون لابليس وأصل الفرض فى اللغة القطع ومنه الفرضة فى النهر وهى الثلمة تكون فيه وفرض القوس والشراك للشق الذى يكون فيه الوتر والخيط الذى يشد به الشراك

نزلت فى طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب غير انى لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى عند الله فأنزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بأن الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها فى حال الشرك (ويغفر مادون ذلك) يعنى مادون الشرك (لمن يشاء) يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه * فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك * قلت فائدة ذلك التأكيد أولان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة (٣) نزلت فى سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية فى سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت فى أهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناثا أقوال أحدها أنهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بنى فلان والقول الثانى اناثا يعنى أمواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذا الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحى كما ان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) أى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) أى أبعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون

---

(٣) قوله وهو ان الآية المتقدمة الخ الذى ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت فى أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية أو فى قاتل حمزة وأصحابه أو فى جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى قل ياعبادى الآية ولم يتقدم لسرقة طعمة ذكرا على انه لا يظهر أن تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهر اه

خطواته

خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم انه لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره أنس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الآية سؤالان * الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال في موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار * السؤال الثاني من أين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال في الاعراف ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولأحرصن في ذلك لا أنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان أكثر الخلائق لا يؤمنون * وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان

كما قال لازينن لهم في الارض (ولامنينهم) قيل أمنينهم ركوب الاهواء وقيل أمنينهم ان لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الآخرة مع ركوب المعاصي (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله نظيره قوله تعالى لا تبديل لخلق الله أي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم لان فيه غرضا ظاهرا وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) أي ربا يطيعه (فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم) فوعده وتمنيته ما يوقعه في قلب الانسان من طول العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويمنيهم بان لا بعث ولا جنة ولا نار

(ومايعدهم الشيطان الا غرورا) أى باطلا (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) أى مفرا ومعدلا عنها قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف والمساكن (خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) الآية قال مسروق وقتادة والضحاك أراد ليس بأمانيكم أيها المسلمون ولا أمانى أهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى وقال مجاهد أراد بقوله ليس بأمانيكم يامشركى أهل الكتاب وذلك انهم قالوا لا بعث ولا حساب وقال أهل الكتاب لن تمسنا النار الا أياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فأنزل الله تعالى ليس بأمانيكم أى ليس الامر بالامانى وانما الامر بالعمل الصالح (من يعمل سوأ يجز به) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة الآية عامة فى حق كل عامل وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا يارسول الله وأينا لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة تقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأما من يكون جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسى ثنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه فى بغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان والحرث بن محمد قالا ثنا روح هو ابن عبادة ثنا موسى بن عبيدة أخبرنى مولى ابن سباع قال سمعت عبد الله ابن عمر يحدث عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه هذه الآية من يعمل سوأ يجز به (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت على قال قلت بلى قال فأقرأنيها قال ولا أعلم الا انى وجدت انقصاما فى ظهرى حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى وأينا لم يعمل سوءا نالجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة

لا يلتفت الى شئ منها فر بما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) يعنى باطلا وضلالا (أولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولا يجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلد فيها ولما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (أبدا) بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا انقطاع له ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها أبدا دليل على أن الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لانه لو أفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لا ينقطع * وقوله عز وجل (وعد الله حقا) يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا (ومن أصدق من الله قيلا) يعنى ليس أحد أصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا * قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) الامنية أفعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه وأراده وفى المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قولان أحدهما انه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (من يعمل سوأ يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوأ يعنى شركا فات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا هو الكافر فأما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوأ يجز به الا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله وأينا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون

في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأما من كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأنيها فلا أعلم الا أني وجدت انقصاما في ظهري فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون بأعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله * وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان * قوله عز وجل (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على أمرين أحدهما الاعتقاد والية الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل والية الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعني دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز أن يكون حالا لابراهيم ويجوز أن يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك * فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب * قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا

قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) أي مقدار النقير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم وحم المؤمن زاد أبو عمرو ويدخلونها في سورة فاطر وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية ومن يعمل من الصالحات الآية ونزلت أيضا (ومن أحسن دينا) أحكم دينا (ممن أسلم وجهه لله) أي أخلص عمله لله وقيل فوض أمره الى الله (وهو محسن) أي موحد (واتبع ملة ابراهيم) يعني دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) أي مسلما مخلصا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن دين ابراهيم الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص بها ابراهيم لانه كان مقبولا عند الامم أجمع وقيل لانه بعث داعيا الى ملة ابراهيم وزيدت له أشياء

(واتخذ الله ابراهيم خليلا) صفيا والخلة صفاء المودة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ابراهيم عليه السلام أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان ابراهيم عليه السلام انما يريده لنفسه لاحتملنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم عليه السلام فمروا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة فانا نستحي أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر سهلة ثم أتوا ابراهيم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم ابراهيم لمكان الناس بنا به فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشيء قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى بأجود دقيق حواري يكون فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله ابراهيم خليلا قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة فسمي خليلا لان الله أحبه واصطفاه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمي خليلا أي فقيرا الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله عز وجل والاول أصح لان قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا يقتضي الخلة من

صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته * وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد أثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من أجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انما الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحي أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس بنا به فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى بأجود دقيق يكون حواري فامرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

(فصل) الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي ثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا بشر بن عمر ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلا

قوله عز وجل (ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا) أي أحاط علمه بجميع الاشياء قوله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في بنات أم كحة وميراثهن عن أبيهن وقد مضت القصة في أول السورة وقالت عائشة رضي الله عنها هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن ذلك قوله عز وجل ويستفتونك أي يستخبرونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) قيل معناه ويفتيكم في ما يتلى عليكم وقيل يفتيكم في ما يتلى عليكم يريد الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن وهو قوله عز وجل وآتوا اليتامى أموالهم قوله (في يتامى النساء) هذا اضافة الشئ الى نفسه لانه أراد باليتامى النساء (اللاتي لا تؤتونهن) أي لا تعطونهن (ما كتب لهن) من صداقهن (وترغبون أن تنكحوهن) أي في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقال الحسن وجماعة أراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لانهم كانوا لا يرثون النساء وترغبون ان تنكحوهن أي عن نكاحهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) يريد ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لانهم كانوا لا يورثون الصغار يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى أموالهم يعني باعطاء حقوق الصغار

﴿فصل﴾ وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وأنا حبيب الله ولا فخر أخرجه الترمذي بأطول منه * قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز أن يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله عز وجل (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (في يتامى النساء) قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى أم كحة (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق * وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا

(وأن تقوموا لليتامى بالقسط) أى و ينتيكم فى أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يجازيكم عليه قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) الآية نزلت فى عمرة و يقال فى خولة بنت محمد بن مسلمة وفى زوجها سعد ابن الربيع و يقال رافع بن خديج تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة وآثرها عليها وجفا ابنة محمد بن مسلمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فنزلت فيها هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها و يتزوج عليها غيرها فقالت لا تطلقنى ودعنى أقوم على أولادى واقسم لى من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الىّ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى وان امرأة

خافت أى علمت من بعلها أى من زوجها نشوزا أى بغضا قال الكلبى يعنى ترك مضاجعتها أو اعراضا بوجهه عنها وقلة محادثتها (فلا جناح عليهما) أى على الزوج والمرأة (أن يصالحا) أى يتصالحا وقرأ أهل الكوفة أن يصلحا من الاصلاح (بينهما صلحا) يعنى فى القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد دخلت فى السن وانى أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أو ثرها عليك فى القسمة ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فأقيمى وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هى المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان فان أمسكها ووفاها حقها مع كراهية فهو محسن وقال سليمان بن يسار فى هذه الآية

لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعنى فيجازيكم عليه * قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها و يتزوج غيرها فتقول له امسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة و يقال اسمها خولة وفى زوجها سعد بن الربيع و يقال له رافع بن خديج تزوجها وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها و يتزوج غيرها فقالت لا تطلقنى ودعنى أقوم على أولادى واقسم لى كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الىّ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعنى علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعنى من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعنى بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعنى بوجهه عنها أو يعبس فى وجهها أو يترك مضاجعتها أو يسىء عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة فى القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعنى فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعنى فى القسمة والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت فى السن وأنا أريد أن أتزوج امرأة جميلة شابة أو ثرها عليك فى القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمى وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هى المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان وان أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعنى اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقنى

عن ابن عباس رضى الله عنهما فان صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت فان أنكرته وامسكنى بعد الصلح فذلك لها ولها حقها وقال مقاتل بن حيان فى هذه الآية هو ان الرجل يكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة فيقول للكبيرة أعطيتك من مالى نصيبا على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه فان أبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما فى القسم وعن على رضى الله عنه فى هذه الآية قال تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر فتكره فرقته فان أعطته من مالها فهو له حل وان أعطته من أيامها فهو حل له (والصلح خير) يعنى اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة كما روى ان سودة رضى الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يفارقها فقالت لا تطلقنى وكفانى أن ابعث فى نسائك وقد جعلت نوبتى لعائشة رضى الله عنها فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومين يومها و يوم سودة رضى الله عنهما

قوله تبارك وتعالى (وأحضرت الانفس الشح) يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الاخر والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير (وان تحسنوا) أي تصلحوا (وتتقوا) الجور وقيل هذا خطاب مع الازواج أي وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب (ولو حرصتم) على العدل (فلا تميلوا) أي الى التي تحبونها (كل الميل) في القسم والنفقة أي لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم (فتذروها كالمعلقة) أي فتدعوا الاخرى كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل وقال قتادة كالمحبوسة وفي قراءة أبي بن كعب كانها مسجونة وروى عن أبي قلابة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ورواه بعضهم عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها متصلا وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل (وان تصلحوا وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا) يعني الزوج والمرأة بالطلاق (يغن الله كلا من سعته) من رزقه يعني المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة أخرى (وكان الله واسعا حكيما) واسع الفضل والرحمة حكيما فيما أمر به ونهى عنه وجملة حكم الآية ان الرجل اذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فانه يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة فانه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة

على قديمات عنده يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال على التوالي ان كانت بكرا وان كانت ثيبا فثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يوسف بن راشد ثنا أبو أسامة ثنا سفيان الثوري ثنا أيوب وخالد عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا ثم قسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له ان يحمل بعض نسائه معه بعد ان يقرع بينهن فيه ثم لا يجب عليه ان يقضي للباقيات مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا عمي محمد بن علي بن شافع عن ابن شهاب عن عبيد الله بن

وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (وأحضرت الانفس الشح) الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا أيها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها أمانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي * وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعني بالعدل في القسم (وتتقوا) يعني الجور في القسم (فان الله كان غفورا) يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه (وان يتفرقا) يعني ان لم يصطلحا وأرادا الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعني فيما أمر به ونهى عنه

﴿فصل﴾ فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهن في

عبيد الله عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها أما اذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها قوله تعالى (ولله ما في السموات

القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة أما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى أبو قلابة عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه * قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) يعني عبيدا وملكا قال أهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله أشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعني ووصينا كم يا أهل القرآن في كتابكم (أن اتقوا الله) أي بأن تتقوا الله وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا ما أوصاكم به (فان لله ما في السموات وما في الارض) يعني فان لله ملائكة في السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم بأصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعني محمودا على نعمه عليهم (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا * فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض * قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به أما الآية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغني عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه أنه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا أي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تعديدها لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شئ أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء * قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت

وما في الارض) عبيدا وملكا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني أهل التوراة والانجيل وسائر الامم المتقدمة في كتبهم (واياكم) يا أهل القرآن في القرآن (أن اتقوا الله) أي وحدوا الله وأطيعوه (وان تكفروا) بما أوصاكم الله به (فان لله ما في السموات وما في الارض) قيل فان لله ملائكة في السموات والارض هي أطوع له منكم (وكان الله غنيا) عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم (حميدا) محمودا على نعمه (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) قال عكرمة عن ابن عباس يعني شهيدا ان فيها عبيدا وقيل دافعا ومجيرا فان قيل فأي فائدة في تكرار قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قيل لكل واحد منهما وجه أما الاول فمعناه لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما الثاني فيقول فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا أي هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون وأما الثالث فيقول ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا أي له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره قوله تعالى (ان يشأ يذهبكم) يهلككم (أيها الناس) يعني الكفار (ويأت بآخرين) يقول بغيركم خير منكم وأطوع (وكان الله على ذلك قديرا) قادرا (من كان يريد ثواب الدنيا

في

فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يريد من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد بها الله عز وجل آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع عنه فيهما أراد الله وليس له في الآخرة من ثواب ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب وجزاه الجنة في الآخرة قوله تعالى (وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) يعني كونوا قائمين بالشهادة بالقسط أي بالعدل لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له (ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) في الرحم أي قولوا الحق ولو على أنفسكم بالاقرار أو الوالدين والاقربين فأقيموها عليهم لله ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) منكم أي أقيموا على المشهود عليه وان كان غنيا وللمشهود له وان كان فقيرا فالله أولى بهما منكم أي كلوا أمرهما الى الله وقال الحسن معناه الله أعلم بهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لا تجوروا وتميلوا الى الباطل من الحق وقيل معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا أي لتكونوا عادلين كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك (وان تلووا) أي تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق (أو تعرضوا) عنها فتكتموها ولا تقيموها ويقال تلووا أي تدافعوا في اقامة الشهادة يقال لويته حقه اذا دفعته وأبطلته وقيل هذا خطاب مع الحكام في ليهم الاشتقاق يقول وان تلووا أي تميلوا الى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه قرأ ابن عامر وحمزة تلوا بضم اللام قيل أصله تلووا فحذفت احدى الواوين تخفيفا وقيل معناه وان تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتتركوا أداءها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين

في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بأن الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطؤن في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صفوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فأنزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والاقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه أو أقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الاقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كلوا أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله أولى بالغني والفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا) قرئ بواوين ومعناه أن يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) يعني أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلوا عن القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلوا يعني تميلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه فلا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيجازيكم بأعمالكم * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب

فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبموسى عليه السلام والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وأنزل بضم النون والالف وقرأ الآخرون نزل وأنزل بالفتح أي أنزل الله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) فلما نزلت هذه الآية قالوا فانا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتاب كان قبل القرآن والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال

الضحاك أراد بهم اليهود والنصارى يقول يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد والقرآن وقال مجاهد أراد بهم المنافقين يقول يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال ابو العالية وجماعة هذا خطاب للمؤمنين يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي أقيموا واثبتوا على الايمان كما يقال للقائم قم حتى ارجع اليك أي اثبت قائما قيل المراد به أهل الشرك يعني يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله ورسوله قوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به وكفرهم به تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا العذاب هل تقبل توبته حكي عن علي رضي الله عنه انه لا تقبل توبته بل يقتل لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم وأكثر أهل العلم على قبول توبته وقال مجاهد ثم ازدادوا كفرا أي ماتوا عليه (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا على ذلك (ولا ليهديهم سبيلا) أي طريقا الى الحق فان قيل ما معنى قوله لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم انه لا يغفر الشرك وان كان أول مرة قيل معناه ان الكافر اذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق فان أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كفره السابق الذي كان يغفر له لو دام على الاسلام (بشر المنافقين) أي اخبرهم يا محمد (بان لهم عذابا أليما) والبشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان أو غير سار وقال الزجاج معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما تقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف أي بدلا لك من التحية ثم وصف المنافقين فقال

وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذي نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب الذي أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بألسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجري عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكي عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم الى أن توبته مقبولة * وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) يعني أخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم

(الذين يتخذون الكافرين أولياء) يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا و بطانة (من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) أى المعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل أيطلبون عندهم القوة (فان العزة) أى القوة والغلبة والقدرة (لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب) قرأ عاصم و يعقوب نزل بفتح النون والزاى أى نزل الله وقرأ الآخرون نزل بضم النون وكسر الزاى أى عليكم يامعشر المسلمين (ان اذا سمعتم آيات الله) يعنى القرآن (يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) يعنى مع الذين يستهزؤن (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى يأخذوا فى حديث غير الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا اشارة الى ما أنزل الله فى سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما دخل فى هذه الآية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) أى ان قعدتم عندهم وهم يخوضون و يستهزؤن و رضيتم به فأنتم كفار مثلهم وان خاضوا فى حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة وقال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا فى حديث غيره لقوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والاكثرون على الاول وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى قوله (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم) ينتظرون بكم الدوائر يعنى المنافقين (فان كان لكم فتح من الله) يعنى ظفر وغنيمة (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) يعنى دولة وظهورا على المسلمين (قالوا) يعنى المنافقين للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان أى استولى وغلب يقول ألم نخبركم بعورة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونطلعكم على سرهم قال المبرد يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم) ونصرفكم (من المؤمنين) أى عن الدخول فى جملتهم وقيل معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين أى ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وأمورهم ومراد المنافقين بهذا الكلام اظهار المخالفة للكافرين

العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب أى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعنى يتخذون اليهود أولياء وأنصارا و بطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيبتغون عندهم العزة) يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان العزة لله جميعا) يعنى فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يامعشر المسلمين (فى الكتاب) يعنى القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها) قال المفسرون الذى أنزل عليهم فى النهى عن مجالستهم هو قوله تعالى فى سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وهذا أنزله بمكة لان المشركين كانوا يخوضون فى القرآن و يستهزؤن به فى مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم و يخوضون معهم فى الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى يأخذوا فى حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن و بمحمد صل الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل فى هذه الآية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعنى انكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فأنتم وهم فى الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر أو خالط أهله كان فى الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فلا مرفيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض فى بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) أى انهم اجتمعوا فى الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم فى عذاب جهنم يوم القيامة * قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت فى المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعنى المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعنى فى الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أى دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعنى المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعنى من صلاتهم والدخول فى دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار * فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر

(فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى بين أهل الايمان وأهل النفاق (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال على فى الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم أى حجة وقيل ظهورا على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) أى يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم

أى يجازيهم على خداعهم وذلك انهم يعطون نورا يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) أى متثاقلين لا يريدون بها الله فان رآهم أحد صلوا والا انصرفوا فلا يصلون (يراؤن الناس) أى يفعلون ذلك مرآة للناس لا اتباعا لامر الله (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن انما قال ذلك لانهم يفعلونها رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيرا وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين لان الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير (مذبذبين بين ذلك) أى مترددين متحيرين بين الكفر والايمان (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أى ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أى طريقا الى الهدى أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجانى قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسى انا محمد بن عيسى الجلودى انا ابراهيم بن محمد بن سفيان انا مسلم بن الحجاج انا محمد بن المثنى انا عبد الوهاب يعنى الثقفى انا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهى الله المؤمنين

الكافرين نصيبا * قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنىء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه فى الدنيا ولهم فى الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين فى الدنيا لا لاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان أحدهما وهو قول علىّ بن أبى طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علىّ بن أبى طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلونا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية * قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعنى انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين يقول لا تتولوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا

عن موالاة الكفار. وقال (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى حجة بينة فى عذابكم ثم ذكر منازل المنافقين فقال جل ذكره (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) قرأ أهل الكوفة فى الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر قال ابن مسعود رضى الله عنه فى الدرك الاسفل فى توابيت من حديد مقفلة فى النار وقال أبو هريرة بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق وآمنوا (وأصلحوا) عملهم (واعتصموا بالله) وثقوا بالله (وأخلصوا دينهم لله) أراد الاخلاص بالقلب لان النفاق كفر القلب فزواله يكون باخلاص القلب (فأولئك مع المؤمنين) قال الفراء من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين) فى الآخرة (أجرا عظيما) يعنى الجنة وحذفت الياء من يؤت فى الخط لسقوطها فى اللفظ وسقوطها فى اللفظ لسكون اللام فى الله قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) أى ان شكرتم نعماءه (وآمنتم) به فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر فان تعذيبه عباده لا يزيد فى ملكه وتركه عفو بتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة والشكر اظهارها (وكان الله شاكرا عليما) فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده واضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله الثواب قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) يعنى لا يحب الله الجهر بالقبيح من القول الا من ظلم فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وان يدعو عليه قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال الحسن دعاؤه عليه ان يقول اللهم أعنى عليه اللهم استخرج حقى منه وقيل ان شتم جاز أن يشتم مثله لا يزيد عليه أخبرنا أبو عبد الله الحرقى أنا أبو الحسن الطيسفونى أنا عبد الله

فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) يعنى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع درجات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متدارکة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هى توابيت من حديد مقفلة عليهم فى النار * فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر * قلت ان المنافق مثل الكافر فى الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء أسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر وقيل هو الذى يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين * وقوله تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعنى ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعنى من النفاق (وأصلحوا) يعنى أصلحوا الاعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعنى وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به (وأخلصوا دينهم لله) يعنى وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التى عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فأولئك) يعنى التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعنى فى الجنة وقيل مع بمعنى من أى من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة * قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد فى ملكه وتركه عفو بتة لا ينقص من سلطانه لانه الغنى الذى لا يحتاج الى شئ من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر أوجبه العدل والحكمة فان قدم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعانى فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته أولا الى ما عليه من النعمة العظيمة فى ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان فى الذكر (وكان الله شاكرا) يعنى مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر فى صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعنى بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك * قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال أهل المعانى يعنى انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به

ابن عمر الجوهري انا أحمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر انا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ويذكر ما صنع به أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل انا قتيبة بن سعيد انا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر انه قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرونا فما ترى فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم الا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهر وأله بالسوء من القول وقيل معناه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهره من ظلم والقراءة الاولى هي المعروفة (وكان الله سميعا) لدعاء المظلوم (عليما) بعقاب الظالم قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) يعني حسنة فيعمل بها كتبت له عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة وهو قوله (أو تخفوه) وقيل المراد من الخير المال يريد ان تبدوا صدقة تعطونها جهرا أو تخفوها فتعطونها سرا (أو تعفوا عن سوء) أي عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله) الآية نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي دينا بين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه (أولئك هم الكافرون حقا) حقق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم

أيضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثنا منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصب ونحو ذلك وان شتم جاز له أن يشتم بمثله ولا يزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد الا ان يكون مظلوما فانه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله أن يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق * قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلاة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو رفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه * قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون أن يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم

لئلا

(وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله) كلهم (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني بين الرسل وهم المؤمنون يقولون لا نفرق بين أحد من رسله (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) بإيمانهم بالله وكتبه ورسله قرأ حفص عن عاصم يؤتيهم بالياء أي يؤتيهم الله والباقون بالنون (وكان الله غفورا رحيما) قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب) الآية وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام فانزل الله عليه يسألك أهل الكتاب (ان تنزل عليهم كتابا من السماء) وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد قوله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) أي أعظم من ذلك يعني السبعين الذي خرج بهم موسى عليه السلام الى الجبل (فقالوا أرنا الله جهرة) أي عيانا قال أبو عبيدة معناه قالوا جهرة أرنا الله (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل) يعني الها (من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم قيل هذا استدعاء الى التوبة معناه ان أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) أي حجة بينة من المعجزات وهي الآيات التسع (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا

لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (وأعتدنا) يعني وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك) يعني من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر * قوله تعالى (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهد الك بأنك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت * وقوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو آتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت (فقالوا) يعني اسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعني عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فاني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم

(وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه (وقتلهم الانبياء) يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود * قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم * قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعني ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان أدللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان أعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى ألقي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين أحيط به وبهم من غير

وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش وبجزمها الآخرون ومعناه لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أي فبنقضهم وما صلة كقوله تعالى فبما رحمة من الله ونحوها (وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) أي ختم عليها (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه لان من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبدا وأراد بالقليل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) حين رموها بالزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه وقيل انهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه وقيل غير ذلك كما ذكرناه في سورة آل عمران

قوله تبارك وتعالى (وان الذين اختلفوا فيه) فى قتله (لفى شك منه) أى فى قتله قال الكلبى اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان الله تعالى القى شبه عيسى عليه السلام على وجه صاحبه فوس ولم يلقه على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس جسد عيسى عليه السلام فاختلفوا قال السدى اختلافهم من حيث انهم قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى قال الله تعالى (مالهم به من علم) من حقيقته انه قتل أو لم يقتل (الا اتباع الظن) لكنهم يتبعون الظن فى قتله قال الله جل جلاله (وما قتلوه يقينا) أى ما قتلوا عيسى يقينا (بل رفعه الله اليه) وقيل قوله يقينا يرجع الى ما بعده وقوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رفعه الله اليه يقينا والهاء فيما قتلوه كناية عن عيسى عليه السلام وقال الفراء رحمه الله معناه وما قتلوا الذى ظنوا انه عيسى يقينا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه وما قتلوا ظنهم يقينا (وكان الله عزيزا) منيعا بالنقمة من اليهود (حكيما) حكم باللعنة والغضب عليهم فسلط عليهم بنطيونس بن اسبسيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى ومامن أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم وقوله قبل موته اختلفوا فى هذه الكناية فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدى انها كناية عن الكتابى ومعناه ومامن أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته اذا وقع فى البأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو غرق أو تردى فى بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة وهذه رواية على بن طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال فقيل لابن عباس رضى الله عنهما أرأيت ان من خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء قال فقيل أرأيت ان ضرب عنق أحدهم قال يتلجلج به لسانه وذهب قوم

مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزى الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من أرادا بتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون ألقى شبهه على بعض أصحابه بعد ما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفى أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (لفى شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (مالهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره (الا اتباع الظن) يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعنى علمه علما تاما وأصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية * وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بنطيونس بن اسبسيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة * قوله تعالى (وان من أهل الكتاب) يعنى ومامن أحد من أهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الا ليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه أولى (قبل موته) اختلف المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه

ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع فى اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذ حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير الى أن الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضا والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واما مامن أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ماهو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية ومامن أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه * وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم

وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون وقال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قبل موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات وروى عن عكرمة ان الهاء فى قوله ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كتابى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى راجعة الى الله عز وجل يقول وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه قوله تعالى (ويوم القيامة يكون) يعنى عيسى عليه السلام (عليهم شهيدا) انه قد بلغهم رسالة ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم وكل نبى شاهد على أمته قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح

(حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهي ماذكر في سورة الانعام فقال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ونظم الآية فبظلم من الذين هادوا وهو ماذكرنا (و بصدهم) و بصرفهم أنفسهم وغيرهم (عن سبيل الله كثيرا) أي عن دين الله صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) في التوراة (وأكلهم أموال الناس بالباطل) من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم عاقبناهم بان حرمنا عليهم طيبات وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شئ من الطيبات التي كانت حلالا لهم قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم) يعني ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولو البصائر وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) يعني المهاجرين والأنصار (يؤمنون بما أنزل اليك) يعني القرآن (وما أنزل من قبلك) يعني سائر الكتب المنزلة (والمقيمين الصلوة) اختلفوا في وجه انتصابه فحكى عن عائشة رضي الله عنها وابان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله ان هذان لساحران قالوا ذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح وقيل نصب على اضمار فعل تقديره أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما أنزل اليك والى المقيمين

(حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعني ماحرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ماذكر من نقضهم الميثاق وماعدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهي ماذكر في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا بهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ماوصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه و روى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه و بغي بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيأ أنتهي اليه فتركته ولقد أنصف الواحدي فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال و بيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل * فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ماحرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ماسيقع منهم * قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (و بصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ماتقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم أن قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم و بين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولو البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعني بالله ورسله (يؤمنون بما أنزل اليك) يعني بالقرآن الذي أنزل اليك (وما أنزل من قبلك) يعني و يؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمين الصلوة) اختلف العلماء في وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن

عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد وربما غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحن بهم ثم اختلاف العلماء في المقيمين الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره * وقوله تعالى (والمؤتون الزكوة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (أولئك) يعني من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم أجرا عظيما) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة * قوله عز وجل (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام وكان أطول الانبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن

الصلاة ثم قوله (والمؤتون الزكوة) رجوع الى النسق الاول (والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون قوله تعالى (انا أوحينا اليك) هذا ابتداء على ما سبق من قوله يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فنزل وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأنزل انا أوحينا اليك (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) فذكر عدة من الرسل الذين أوحى اليهم وبدأ بذكر نوح عليه السلام لانه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه أول نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض جميعا بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم ينتقص له قوة ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره

قوله تعالى (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) قرأ الاعمش وحمزة زبوراء والزبور بضم الزاى حيث كان بمعنى جمع زبور أى آتينا داود كتبا وصحفا مزبورة أى مكتوبة وقرأ الآخرون بفتح الزاى وهو اسم الكتاب الذى أنزل الله تعالى على داود عليه السلام وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يمر الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بنى اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجىء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب لم يرذلك ونفروا من حوله فقيل له ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية أخبرنا ابو سعيد الشريحى انا ابو اسحق الثعلبى انا ابو بكر الجوزقى انا ابو العباس الرغوف انا يحيى بن زكريا انا الحسن ابن حماد بن سعيد الاموى عن طلحة بن يحيى عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقال أما والله يارسول الله لو علمت انك تستمع لحبرته تحبيرا وكان عمر رضى الله عنه اذا رآه يقول ذكرنا يا ابا موسى فيقرأ عنده قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) أى وكما أوحينا الى نوح والى الرسل رسلا نصب بنزع حرف الصفة

وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعنى وآتينا داود كتابا من زبورا يعنى مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجىء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدى زاد البرقانى قلت والله يارسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام * قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود لموسى لم يذكرنا الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعنى سميناهم فى القرآن وعرفناك أخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعانى الذين نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم * وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل فى مخلوقك شئ يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شبها بكلامى أشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا

وقيل معناه وقصصنا عليك رسلا وفى قراءة أبى ورسل قد قصصناهم عليك من قبل (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) قال الفراء العرب تسمى ما يوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام كلاما ارادة يقال أراد فلان ارادة يريد حقيقة الارادة ويقال أراد الجدار ولا يقال أراد الجدار ارادة لانه مجاز غير حقيقة قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت الينا كتابا وفيه دليل على

أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا الى خلق مبشرين من أطاعني واتبع أمري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف أمري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فلذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة أولى * وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على أن الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على أن معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات * فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

* قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين * وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله (حكيما) يعني في ارساله الرسل * قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله أعلم انكم لتعلمن أني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعني ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا اليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا أن القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بأنك أهل لانزاله

ان الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسول قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (وكان الله عزيزا حكيما) أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل انا أبو عوانة انا عبد الملك عن ورّاد كاتب المغيرة قال قال سعد بن عبادة رضي الله عنه لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم اني والله أعلم انكم لتعلمن أني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك والله فأنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك ان جحدوك وكذبوك (أنزله بعلمه

عليك

والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم (قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا) قيل انما قال وظلموا اتبع ظلمهم بكفرهم تأكيدا وقيل معناه كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) يعني دين الاسلام (الا طريق جهنم) يعني اليهودية (خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وهذا في حق من سبق حكمه فيهم انهم لا يؤمنون (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم) تقديره فآمنوا يكن الايمان خيرا لكم (وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله وكذلك الملكانية وقالت النسطورية عيسى هو ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة فانزل الله تعالى هذه الآية ويقال الملكانية يقولون عيسى هو الله واليعقوبية يقولون ابن الله والنسطورية يقولون ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يقال له بولص سيأتي في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقال الحسن يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى فانهم جميعا غلوا في أمر عيسى فاليهود بالتقصير والنصارى بمجاوزة الحد وهو في الدين حرام قال الله تعالى لا تغلوا في دينكم لا تشددوا في دينكم فتفتروا على الله الكذب

عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعني يشهدون بأن الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بأنه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعني وحسبك يا محمد أن الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعني عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني لمن علم منهم أنهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون (الا طريق جهنم) يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعني في جهنم (أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعني هينا * قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب (قد جاءكم الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق (من ربكم) يعني من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي أنتم عليه (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله ما في السموات والارض) يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على من يشاء (وكان الله عليما) يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله (حكيما) يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك أن الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام فأما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى

(ولا تقولوا على الله الا الحق) لا تقولوا ان له شريكا وولدا (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) وهى قوله كن فكان بشرا من غير اب وقيل غيره (ألقاها الى مريم) أى أعلمها وأخبرها بها كما يقال القيت اليك كلمة حسنة (وروح منه) قيل هو روح كسائر الارواح الا ان الله تعالى أضافه الى نفسه تشريفا وقيل الروح هو النفخ الذى نفخه جبريل عليه السلام فى درع مريم فحملته باذن الله تعالى سمى النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح واضافه الى

نفسه لانه كان بأمره وقيل روح منه أى ورحمة منه فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل الروح الوحى أوحى الى مريم بالبشارة والى جبريل عليه السلام بالنفخ والى عيسى عليه السلام ان كن فكان كما قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره يعنى بالوحى وقيل أراد بالروح جبريل عليه السلام معناه كلمته ألقاها الى مريم والقاها أيضا روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام كما قال تنزل الملائكة والروح يعنى جبريل فيها وقال فأرسلنا اليها روحنا يعنى جبريل أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل انا صدقة بن الفضل انا الوليد عن الاوزاعى حدثنى عمرو بن هانى حدثنى جنادة بن أمية عن عبادة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (فآمنوا بالله ورسوله

لا تفرطوا فى أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم أرشدهم الى طريق الحق فى أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة (ألقاها الى مريم) يعنى أوصلها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما أضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه وقيل أدخل النكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل * وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعنى فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها * وقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة أقانيم وذلك انهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعنى يكون الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله اله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعنى لا ينبغى أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعنى انه تعالى كاف فى تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم

والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (فآمنوا بالله ورسله وقوله ولا تقولوا ثلاثة) أى ولا تقولوا هم ثلاثة وكانت النصارى تقول أب وابن وروح قدس (انتهوا خيرا لكم) تقديره انتهوا يكن الانتهاء خيرا لكم (انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد) واعلم ان التبنى لا يجوز لله تعالى لان التبنى انما يجوز لمن يتصور له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا)

* وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أي أنفت منه وأصله من نكفت الشئ نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح أن يكون عبدا لله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أن يكونوا عبيد الله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بأن عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبد الله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيد الله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقي الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله أو أنهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله * وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيأ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لا نفسهم (وليا) يعني ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقي في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم وأما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن تستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فأما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من

يتعظم والاستنكاف التكبر مع الانفة (ولا الملائكة المقربون) وهم حملة العرش لا يأنفون أن يكونوا عبيدا لله ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر لان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقي الا الى الاعلى لا يقال لا يستنكف فلان من كذا ولا عبده انما يقال فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه ولا حجة لهم فيه لانه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل رد على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله وقاله ردا على النصارى بزعمهم فانهم يقولون بتفضيل الملائكة قوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) قيل الاستنكاف هو التكبر مع الانفة والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) من تضعيف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هذا قول أكثر المفسرين وقيل هو القرآن والبرهان والحجة (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) بينا يعني القرآن (فاما الذين آمنوا بالله

رسول وأنزل من كتاب (واعتصموا به) يعنى بالله فى أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموا به أى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم فى رحمة منه) يعنى فسيدخلهم فى رحمته التى ينجيهم بها من أليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعنى ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) · نزلت فى جابر بن عبد الله الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعودانى ماشيين فاغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف أصنع فى مالى كيف أقضى فى مالى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وفى رواية فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال هكذا نزلت وفى رواية للترمذى وكان لى تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع أخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح فى وجهى فأفقت فقلت يارسول الله ألا أوصى لاخواتى بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد أنزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسيره والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لاعجز ان ظننت أن امارتك تحملنى أن أحدثك فيها مالم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يامحمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم فى أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد الا بون ولا أحد الا ولاد * قوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله أخت) يعنى ولذلك الهالك أخت وأراد بالاخت من أبيه وأمه أو من أبيه (فلها نصف ماترك) يعنى فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند أبى حنيفة وأهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة * وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت أخا من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فأما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أراد بنتين فصاعدا وهو ان مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من لخوته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا)

واعتصموا به) امتنعوا به من زيغ الشيطان (فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل) يعنى الجنة (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) نزلت فى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل وتوضأ وصب على من وضوئه فعقلت فقلت يارسول الله لمن الميراث انما يرثنى كلالة فنزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقد ذكر معنى الكلالة وحكم الآية فى أول سورة وفى هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وللاب قوله يستفتونك أى يستخبرونك ويسألونك قل الله يفتيكم فى الكلالة (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها) يعنى اذا ماتت الاخت فجميع ميراثها للاخ (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ابن فلا شئ للاخ وان كان ولدها أنثى فللاخ ما فضل عن فرض البنات (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أراد اثنين فصاعدا وهو ان مات وله اخوات فلهن الثلثان (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا) قال الفراء رحمة الله عليه وأبو عبيدة معناه ان لا تضلوا وقيل معناه يبين الله لكم كراهة ان تضلوا

يعنى

يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوى وفيه نظر لانه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم بعثه فى الحجة التى أمره عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فاذن معنا فى أهل منى ببراءة ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبى بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوى ثم نزلت فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثانى وأوله تفسير سورة المائدة ﴾

(والله بكل شئ عليم) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن رجاء انا اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء رضى الله عنهم قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبى صلى الله عليه وسلم عاما ونزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها ستة أشهر ثم نزلت فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آيات الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما

﴿ فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

٢ مقدمة الكتاب وهي تتضمن ثلاثة فصول
٤ الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه
٦ الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده
٧ الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف
١٢ فصل في معنى التفسير والتأويل
١٢ القول في الاستعاذة
١٣ ﴿ تفسير سورة الفاتحة ﴾
١٤ فصل في ذكر فضلها
١٦ فصل في حكم البسملة وفيه مسئلتان
٢٠ فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان
٢٢ ﴿ تفسير سورة البقرة ﴾
٢٢ فصل في فضلها
٣٩ فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام
٤٩ ذكر سياق قصة فرق البحر بني اسرائيل
٥١ ذكر القصة في ميعاد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة
٥٨ ذكر الاشارة الى قصة أهل السبت
٥٩ ذكر الاشارة الى قصة ذبح البقرة
٦٢ فصل في حكم القتيل اذا وجد في موضع ولم يعرف قاتله
٧٧ فصل في القول بعصمة الملائكة
٨٠ فصل في حكم النسخ
١١١ فصل في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين
١١٢ فصل اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة
١١٤ فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم (أي قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة الخ)
١٢٠ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى فمن اضطر غير باغ الخ) وفيه مسائل
١٣٢ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى ومن كان مريضا الخ) وفيه مسائل
١٣٤ فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه
١٣٥ فصل في فضل الدعاء وآدابه
١٣٩ فصل حكم الاعتكاف
١٤٠ فصل في حكم أكل المال بالباطل
١٤٦ فصل واتفقت الامة على وجوب الحج الخ
١٧٥ فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها
١٧٨ فصل وأما الميسر الخ
١٨٢ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى يسئلونك عن المحيض الخ) وفيه مسائل

صحيفة

١٨٦ فصل فى بيان حكم الآية (أى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الخ) وفيه مسائل
١٨٩ فصل فى أحكام العدة وفيه مسائل
١٩٣ فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل
٢٠٠ فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل
٢٠٤ فصل فى حكم هذه الآية (أى قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الخ) وفيه فروع
٢٠٦ فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى
٢١٣ ذكر الاشارة الى قصة الملأ من بنى اسرائيل مع نبيهم
٢٢٥ فصل فى فضل آية الكرسى
٢٥١ فصل فى حكم الربا وفيه مسائل
٢٥٥ فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه
٢٦٦ ﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾
٢٩٦ ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى فلما أحس عيسى الخ
٣٢٣ فصل فى فضل البيت والحج والعمرة
٣٢٤ فصل فى أحكام تتعلق بالحج
٣٥٤ فصل فى فضل الاستغفار
٣٧٠ فصل فى ذكر أحاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال
٣٧٧ فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله
٣٩٥ ﴿ تفسير سورة النساء ﴾
٤٠١ فصل فى أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل
٤٠٦ فصل فى الحث على تعليم الفرائض
٤٠٦ فصل فى بيان أحكام الفرائض
٤٠٧ فصل وأسباب الارث ثلاثة الخ
٤٠٧ فصل والسهام المحدودة فى الفرائض الخ
٤٠٨ فصل روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء الخ
٤١٤ فصل اتفق العلماء على ان هذه الآية (أى قوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الخ) منسوخة
٤٢٤ فصل فى قدر الصداق وما يستحب منه
٤٤٣ فصل فى أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى الخ)
٤٤٥ فصل فى أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر الخ)
٤٥٠ فصل وأركان التيمم خمسة
٤٧٢ فصل فى فضل السلام والحث عليه
٤٧٢ فصل فى أحكام تتعلق بالسلام
٤٧٨ فصل فى أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ الخ)
٤٨١ فصل وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية (أى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الخ)
٤٨٤ فصل اعلم أن الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية الخ
٤٨٧ فصل فى أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من

صحيفة

الصلاة الخ)
٤٨٨ فصل قيل قوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده الخ
٤٩٠ فصل فى أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى واذا كنت فيهم الخ) وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل
٤٩٤ فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء (أى قوله تعالى واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما)
٥٠٣ فصل وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
٥٠٥ فصل فى ما يتعلق بالقسم بين الزوجات

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
(الذى بهامش الخازن)

صحيفة

٢ مقدمة الكتاب
٧ فصل فى فضائل القرآن وتعليمه
٩ فصل فى فضائل تلاوة القرآن
١١ فصل فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم
١٣ سورة الفاتحة
٢١ فصل فى فضل فاتحة الكتاب
٢٢ سورة البقرة
٤٩ ذكر سياق قصة فرق البحر بنى اسرائيل
٥١ ذكر القصة فى ميعاد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة
٥٨ ذكر الاشارة الى قصة أهل السبت
٥٩ ذكر الاشارة الى قصة ذبح البقرة
٢٦٦ سورة آل عمران
٢٩٦ ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى فلما أحس عيسى الخ
٣٩٥ سورة النساء

(تمت)

ما شاء الله كان

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل

تأليف الامام العلامه قدوة الامه وعلم الائمه ناصر

الشريعة ومحيي السنه علاء الدين على بن محمد بن

ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن

فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من

رمضان سنة ٧٢٥ هجريه

تغمده الله برحمته

آمين

﴿ وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمعالم التنزيل ﴾

﴿ تأليف الامام الجليل محيي السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى ﴾

﴿ عليه سحائب الرحمة والرضوان ﴾

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

(معالم التنزيل فى التفسير) للامام محيي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ نقل فيه بالاسناد عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة التقدم العلمية بمصر

(سنة ١٣٣١ هجريه)

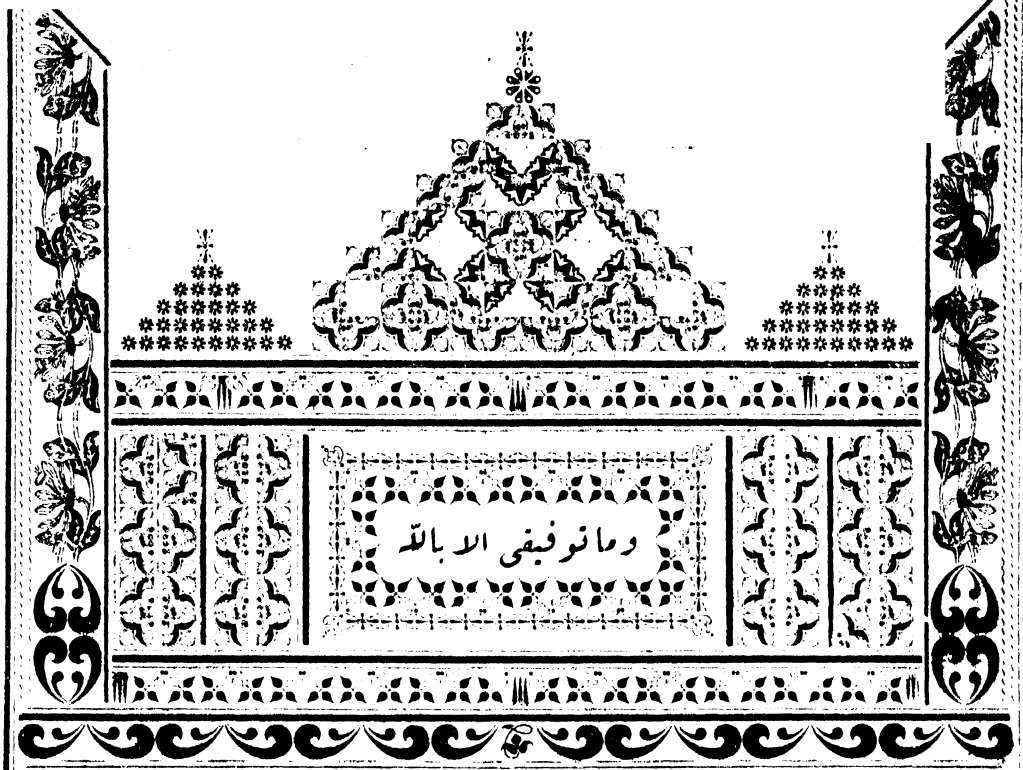
﴿ على نفقة أبناء المرحوم مولوى محمد بن غلام رسول السورتى

عبد الستار وعبد الصمد وعبد الرزاق أصحاب المكتبة المحمدية

فى (بومباى) حفظهم الله ﴾

﴿ سورة المائدة ﴾
مدنية كلها الا قوله اليوم أكملت لكم دينكم الآية فانها نزلت بعرفات وهى مائة وعشرون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
روى عن أبى ميسرة قال أنزل الله تعالى فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها قوله أحلت لكم بهيمة الانعام وقوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وتمام الطهور فى قوله اذا قمتم الى الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى بالعهود قال الزجاج هى أوكد العهود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه أى ألزمته ذلك باستئناف وأصله من عقد الشئ بغيره ووصل به كما يعقد الحبل بالحبل اذا وصل واختلفوا فى هذه العقود قال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب يعنى يا أيها الذين آمنوا



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير سورة المائدة ﴾

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها * فان قلت لم خص النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها * قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فأكد اجتناب الظلم فى هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم فى شئ من جميع أشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن قال البغوى روى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها وهى قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر فى قوله اذا قمتم الى الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعنى العهود قال الجماعة واختلفوا فى المراد بهذه العقود التى أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التى عهدتها اليكم فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم

بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال الآخرون هو عام قال قتادة أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية قال ابن مسعود رضي الله عنه هي عهود الايمان والقرآن وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم (أحلت لكم بهيمة الانعام) قال الحسن وقتادة هي الانعام كلها وهي الابل والبقر والغنم وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الانعام وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣) قال بهيمة الانعام هي الاجنة ومثله

بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما أخذه على عباده في القرآن فيما أحل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري وأولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه أوفوا أيها المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم وألزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لان الله تعالى أتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع أهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما أضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما أضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها اذا ذبحت أو نحرت ذهب أكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنين ذكاته ذكاة أمه أخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لا يحل أكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام * وقوله تعالى (الا ما يتلى عليكم) يعني في القرآن تحريمه وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلي الصيد وأنتم حرم) يعني أحللت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم أن يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم ما يريد) يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما أراد تحريمه وفرض ما يشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري أتى المدينة وحده وخلف

عن الشعبي قال هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها اذا ذبحت أو نحرت ذهب أكثر أهل العلم الى تحليله قال الشيخ رحمه الله تعالى قرأت على أبي عبد الله محمد بن الفضل الخرقي فقلت قرأ على أبي سهل محمد بن عمر ابن طرفة الشجري وأنت حاضر فقيل له حدثكم أبو سليمان الخطابي انا أبو بكر ابن داسه انا أبو داود السجستاني انا مسدد انا هشيم عن مخلد عن أبي الوداك عن أبي سعيد رضي الله عنهم قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله فقال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى أبو الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكاة الجنين ذكاة أمه وشرط بعضهم الاشعار قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها في ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحل أكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام

وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها وهي الظباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها أبهمت عن التمييز وقيل لانها لا نطق لها (الا ما يتلى عليكم) أي ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة الى قوله وما ذبح على النصب (غير محلي الصيد) وهو نصب على الحال أي لا محلي الصيد ومعنى الآية أحلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما كان منها وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام فذلك قوله تعالى (وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري أتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الام تدعو الناس فقال له الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن

الا ان لى أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان الشيطان ثم خرج شريح من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج حاجا فى حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون للنبى صلى الله عليه وسلم هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فأبى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا

لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هى مناسك الحج وكان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقال أبو عبيدة شعائر الله هى الهدايا المشعرة والاشعار من الشعار وهى العلامة واشعارها اعلامها بما يعرف انها هدى والاشعار ههنا أن يطعن فى سنام البعير بحديده حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة انها هدى وهى سنة فى الهدايا اذا كانت من الابل لما أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فتلت قلائد بدن النبى صلى الله عليه وسلم بيدى ثم قلدها وأشعرها وأهداها فما حرم عليه شئ كان أحل له وقاس الشافعى البقر على الابل فى الاشعار وأما الغنم فلا تشعر بالجرح فانها لا تحتمل الجرح لضعفها وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لا يشعر الهدى وقال

حلفت

عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما لا تحلوا شعائر الله هى أن تصيد وأنت محرم بدليل قوله تعالى وذا حللتم فاصطادوا وقال السدى أراد حرم الله وقيل المراد منه النهى عن القتل فى الحرم وقال عطاء شعائر الله حرمات الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة قوله (ولا الشهر الحرام) أى بالقتال فيه وقال ابن زيد هو النسيء وذلك انهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (ولا الهدى) هو كل ما يهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة (ولا القلائد) أى الهدايا المقلدة يريد ذوات القلائد وقال عطاء أراد أصحاب القلائد وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم بشئ من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض لهم فنهى الشرع عن استحلال شئ منها وقال مطرف بن الشخير هى القلائد نفسها

خيله خارج المدينة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فأبى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها أن يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شئ كان له حلالا أخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند أبى حنيفة لا يجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس (١) فى معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هى أن تصيد وأنت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيأ من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها (ولا الشهر الحرام) أى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسيء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد أحللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسيء فى سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

---

(١) قوله وقال ابن عباس الخ كأن هذا قول ثان له رضى الله عنه اذ تقدم له غير هذا اه

وذلك ان المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة و يتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها قوله تعالى

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعنى ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعنى يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق والارباح فى التجارة (ورضوانا) يعنى و يطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون فى حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

﴿فصل﴾ اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل فى الشهر الحرام و فى الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لا منسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ماندبنا الى أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم * وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه أن يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه انه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعنى لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه

(ولا آمين البيت الحرام) أى قاصدين البيت الحرام يعنى الكعبة فلا تتعرضوا لهم (يبتغون) يطلبون (فضلا من ربهم) يعنى الرزق بالتجارة (ورضوانا) أى على زعمهم لان الكافر لا نصيب له فى الرضوان وقال قتادة هو أن يصلح معايشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة لان المسلمين والمشركين كانوا يحجون وهذه الآية الى ههنا منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقلائد قوله عز وجل (واذا حللتم) أى من احرامكم (فاصطادوا) أمر اباحة أباح للحلال أخذ الصيد كقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة لا يحملنكم يقال جرمنى فلان على ان صنعت كذا أى حملنى وقال الفراء لا يكسبنكم يقال جرم أى كسب وفلان جريمة أهله أى كاسبهم وقيل لا يدعونكم (شنآن قوم) أى بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شئت قرأ ابن عامر وأبو بكر شنآن بسكون النون الاولى وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح أجود لان المصادر أكثرها فعلان بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها (أن صدوكم عن المسجد الحرام) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتح الالف

اى لا ن صدوكم ومعنى الاية ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لانهم صدوكم وقال محمد بن جرير لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم (أن تعتدوا) عليهم بالقتل وأخذ الاموال (وتعاونوا) أى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة النهى وقيل البر الاسلام والتقوى السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) قيل الاثم الكفر والعدوان الظلم وقيل الاثم المعصية والعدوان البدعة اخبرنا ابو القاسم عبد (٦) الكريم بن هوازن القشيرى أنا ابو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى طاهر الدقاق ببغداد اخبرنا ابو الحسن على بن محمد بن الزبير القريشى أنا الحسن على بن عفان أنا يزيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ابن مالك الحضرمى عن أبيه عن النواس بن سمعان الانصارى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم قال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أى ماذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى (والمنخنقة) وهى التى تخنق فتموت قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها (والموقوذة) هى المقتولة بالخشب قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فاذا ماتت أكلوها (والمردية) هى التى تتردى من مكان عال أو فى بئر فتموت (والنطيحة) هى التى تنطحها أخرى فتموت وهاء التأنيث تدخل فى الفعيل اذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فاذا حذفت الاسم الهاء

السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (أن تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعنى ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعنى ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله) أى احذروا الله أن تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى فى أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجارى وكانت العرب فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم فى سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء فى ذلك * وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعنى ماذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعنى المقتولة بالخشب وكانت العرب فى الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعنى التى تتردى من مكان عال فتموت أو فى بئر فتموت والتردى هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل فى هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم (والنطيحة) يعنى التى تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب فى الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها فى حكم الميتة فأما الهاء فى هذه الكلمات التى تقدمت أعنى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم أثبتت الهاء فى النطيحة مع انها فى الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفى مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعنى كف مخضوبة وعين مكحولة * قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء

وأفردت الصفة أدخلوا الهاء فقالوا رأينا كحيلة وخضيبة وهنا أدخل الهاء لانه لم يتقدمها الاسم فلو أسقط الهاء لم يدر أنها صفة مؤنث أم مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة وأكيلة السبع

(وما أكل السبع) يريد ما بقي مما أكل السبع وكان أهل الجاهلية يأكلونه (الا ماذكيتم) يعني الا ما أدركتم ذكاته من هذه الاشياء وأصل التذكية الاتمام يقال ذكيت النار اذا أتممت اشتعالها والمراد هنا اتمام فري الاوداج وانهار الدم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل غير السن والظفر وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المرىء والحلقوم وكماله ان يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر الا السن والظفر فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح بهما وانما يحل ماذكيته بعد ما جرحه السبع وأكل شيأ منه اذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فاما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم (٧) الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته

الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان * وقوله تعالى (وما أكل السبع) قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لان ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه (الا ماذكيتم) يعني الا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما أكل السبع وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الاول وأما كيفية ادراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين ان أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم الى أن السبع اذا جرح فأخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعا يأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة وأصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المرىء والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرىء مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آلة الذبح فكل ما أنهر الدم وفري الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعني وحرم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه أنصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة بأصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب أو لاجل النصب فهو حرام (وأن تستقسموا بالازلام) يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى واحد نهاني وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أي ليس عليه شيء

وكذلك المتردية والنطيحة اذا أدركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد في الهواء فاصابه فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته فان سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا أن يكون السهم أصاب مذبحه في الهواء فيحل كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح (وما ذبح على النصب) قيل النصب جمع واحده نصاب وقيل هو واحد وجمعه انصاب مثل عنق وأعناق وهو الشيء المنصوب واختلفوا فيه فقال مجاهد وقتادة كانت حول البيت ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هي بأصنام انما الاصنام هي المصورة المنقوشة وقال الآخرون هي الاصنام المنصوبة ومعناه وما ذبح على اسم النصب قال ابن

زيد وما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به هما واحد قال قطرب على بمعنى اللام أي وما ذبح لاجل النصب (وأن تستقسموا بالازلام) أي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام والاستقسام هو طلب القسم والحكم من الازلام والازلام هي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم بفتح الزاي وضمها كانت أزلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط يكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد نعم وعلى واحد لا وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل ليس عليه شيء فكانوا اذا أرادوا أمرا من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره أو تداور وافي نسب أو اختلفوا في تحمل عقل جاؤا الى هبل وكان أعظم أصنام قريش بمكة وجاؤا بمائة درهم أعطوها صاحب القداح حتى يجيل

القداح ويقولون ياالهنا انا أردنا كذا وكذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية فاذا أجالوا

وكانت العرب فى الجاهلية اذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا فى نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربى لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التى كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهى النردوكلها حرام لايجوز اللعب بشئ منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبوداود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ماعبد من دون الله عزوجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوى بسنده الثعلبى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أواستقسم بالازلام أوتطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة * وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعنى ماذكر من هذه المحرمات فى هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ماخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول أصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعنى يئسوا أن ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون فى أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يخفونا ولم تردبه يوما بعينه يعنى وهو الآن يخفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون الذين آمنوا أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) أى وخافوا مخالفة أمرى وأخلصوا الخشية لى * قوله عزوجل (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحى وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال ياأمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر انى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت فى يوم عيدين فى يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان فى ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ياعمر فقال أبكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل

على نسب فان خرج منكم كان وسيطا منهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا اختلفوا فى عقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله عزوجل عن ذلك وحرمه وقال (ذلكم فسق) قال سعيد ابن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال مجاهد هى كعاب فارس والروم التى يتقامرون بها وقال الشعبى وغيره الازلام للعرب والكعاب للعجم وقال سفيان بن وكيع هى الشطرنج وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصا أخبرنا أبو سعيد الشريحى أخبرنا أبو اسحق الثعلبى انا ابن فنجويه انا فضل الكندى أخبرنا الحسن بن داود الحشاب انا سويد بن سعيد انا أبو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعنى ان ترجعوا الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون فى عود المسلمين الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا ويئس وأيس بمعنى واحد (فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم

لاثنتى

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون انا أبو العميس انا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أية آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعد وروى هرون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا اكمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت وكانت هذه الآية نعى النبي صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته في الثاني عشر من شهر ربيع الاول أما تفسير الآية قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم يعني يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في أول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم وأما في آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلا دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لا مرى والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وأنتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا

لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في أول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم وأما في آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلا دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لا مرى والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وأنتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا

لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود ولجهاد والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والاحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ويروى عنه ان آية الربا نزلت بعدها وقال سعيد بن جبير وقتادة أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأمنتكم من العدو وقوله عز وجل وأتممت عليكم نعمتي يعني وأنجزت وعدي في قولي ولأتم نعمتي عليكم فكان من تمام نعمته ان دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا سمعت عبد الواحد قال سمعت عبد الواحد المليحي قال سمعت أبا محمد بن حاتم قال سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المروزي سمعت أبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي سمعت عبد الملك بن مسلمة انا مروان المصري سمعت ابراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه قوله عز وجل (فمن اضطر في مخمصة) أي جهد في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاويا (غير متجانف لاثم) أي مائل الى اثم وهو ان يأكل فوق الشبع وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده (فان الله غفور رحيم) وفيه اضمار أي فأكله فان الله غفور رحيم اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الحسن المروزي انا ابو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان انا ابو أحمد محمد بن

دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فأما الايمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول اياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزي * وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا أنها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة أو الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يارسول الله قال أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ماذا الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات

قريش بن سليمان انا ابو الحسن علي بن عبد العزيز المكي انا ابو عبيدة القاسم بن سلام انا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي قال رجل يارسول الله انا نكون بالارض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال مالم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتفئوا بها بقلا فشأنكم بها قوله (يسألونك ماذا أحل لهم) الآية قال سعيد ابن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية وقيل سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب قالوا يارسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها فنزلت هذه الآية فلما نزلت أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك مالا نفع فيه منها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي انا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران انا اسمعيل بن محمد الصفار انا أحمد بن منصور الزيادي انا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ كلبا الا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط والاول أصح في سبب نزول الآية (قل أحل لكم الطيبات) يعني الذبائح على اسم الله تعالى وقيل كل ما تستطيبه العرب وتستلذه فلا

من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة (وما علمتم من الجوارح) يعنى وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح واختلفوا

فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة * وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعنى وأحل صيدما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى الذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أى اكتسبتم مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله ففى الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها أمور منها انه اذا أشليت (١) على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها أن لا ينفر منه اذا أراده وأن يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فانى أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدرى أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيأ فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وهو أصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم فى أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وبه قال مالك لما روى عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود واما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا أو المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبى ثعلبة الخشنى قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم أهل كتاب أفنأكل فى آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) دخلت من فى قوله مما للتبعيض لانه انما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعنى اذا

فى هذه الجوارح فقال الضحاك والسدى هى الكلاب دون غيرها ولا يحل ما صاده غير الكلب الا ان تدرك ذكاته وهذا غير معمول به بل عامة أهل العلم على ان المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالبازى والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها سميت جارحة لجرحها أربابها أقواتهم من الصيد أى كسبها يقال فلان جارحة أهله أى كاسبهم (مكلبين) والمكلب الذى يغرى الكلاب على الصيد ويقال للذى يعلمها أيضا مكلب والكلاب صاحب الكلاب ويقال للصائد بها أيضا كلاب ونصب مكلبين على الحال أى فى حال تكليبكم هذه الجوارح أى اغرائكم اياها على الصيد وذكر الكلاب لانها أكثر وأعم والمراد جميع جوارح الصيد (تعلمونهن) تؤدبونهن آداب أخذ الصيد (مما علمكم الله) أى من العلم الذى علمكم الله قال السدى أى كما علمكم الله من بمعنى الكاف (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) أراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالا والتعليم هو ان يوجد فيها ثلاثة أشياء اذا أشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل واذا وجد ذلك منه مرارا وأقلها ثلاث مرات كانت معلمة تحل قتيلها اذا خرجت بارسال صاحبها أخبرنا عبد الواحد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد

(١) قوله اذا أشليت قال فى الصحاح وقول الناس أشليت الكلب على الصيد خطأ وقال أبو زيد أشليت الكلب دعوته وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وآسدته اذا أغريته به ولا يقال أشليته انما الاشلاء الدعاء اه

ابن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا موسى بن اسمعيل انا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فامسك وقتل فكل وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه واذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانك لا تدري أيها قتل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا أثر سهمك فكل وان وقع في الماء فلا تأكل واختلفوا فيما اذا أخذت الصيد وأكلت منه شيأ فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه روى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله روى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روى عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى فكل وان أكل منه وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذ صيدا أو المعلم إذا جرح بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا الا أن يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون حلالا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله ابن يزيد انا حيوة أخبرني ربيعة ابن يزيد الدمشقي عن أبي ادريس عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبارض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) ففيه بيان ان ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة أو السهم أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد الداودي انا أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن علوية الجوهري قال انا أبو العباس محمد بن أحمد بن الاثرم المقرئ بالبصرة انا عمر بن شيبة انا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر قال رأيته واضعا قدمه على صفاحهما وذبحهما بيده ويقول بسم الله والله أكبر قوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات) يعني الذبائح على اسم الله عز وجل (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم حلال لكم فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلا تحل ذبيحته ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال ابن عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح قالا يحل فان الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله فاذا غاب عنك

أرسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسيأتي (١) بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه * قوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل أن يراد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة * وقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن علي بن أبي طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعي ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ما سوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد

(١) قوله وسيأتي بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لما ذكره هنا عند الآية الآتية في سورة الانعام اه مصححه

فكل قد أحل الله لك قوله عز وجل (وطعامكم حل لهم) فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان تطعموهم حرام عليكم ان تزوجوهم قوله عز وجل (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هذا راجع الى الاول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم واختلفوا في معنى المحصنات فذهب أكثر العلماء الى أن المراد منهن الحرائر وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة وهو قول مجاهد وقال هؤلاء لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الامة بشرط أن تكون مؤمنة وجوز أكثرهم نكاح الامة الكتابية الحربية وقال ابن عباس لا يجوز وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه وذهب قوم الى أن المراد من المحصنات في الآية العفائف من الفريقين حرائركن أو اماء وأجازوا نكاح الامة الكتابية وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو قول الحسن وقال الشعبي احصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة (اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين) غير معلنين بالزنا (ولا متخذي أخدان) أي غير مسرين تسرونهن بالزنا قال الزجاج حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحله على جهة الاحصان وهو التزوج

أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي أو غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي أو نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى أنه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي أو النصراني وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واغاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم تأكل ولا وجه للنسخ * وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعني ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى أن نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك أن اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت اني أخشى أن أفضحك اني قد بغيت فأتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر أو العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بأنه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب * وقوله تعالى (اذا آتيتموهن أجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذي أخدان) يعني ولا منفردين بيني واحدة قد خادنها وخادنته

(ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) قال مقاتل بن حيان يقول ليس احصان المسلمين اياهن بالذى يخرجهن من الكفر أو يغنى عنهن شيأ وهى للناس عامة ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين قال ابن عباس ومجاهد فى معنى قوله قوله تعالى ومن يكفر بالايمان أى بالله الذى يجب الايمان به وقال الكلبى بالايمان أى بكلمة التوحيد وهى شهادة أن لا اله الا الله وقال مقاتل بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وقيل ومن يكفر بالايمان أى يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين قال ابن عباس خسر الثواب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) أى اذا أردتم القيام الى الصلاة كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا

أردت القراءة وظاهر الآية يقتضى وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام الى الصلاة لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد من الآية اذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد أخبرنا ابو القاسم عبد الله ابن محمد الحنفى انا ابو الحارث طاهر بن محمد الطاهرى انا ابو محمد الحسن بن محمد بن حكيم انا ابو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان انا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سلمان بن بريدة عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه وقال زيد بن أسلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقال بعضهم هو أمر على طريق الندب ندب من قام الى الصلاة أن يجدد لها طهارة وان كان على طهر روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة وقال بعضهم هذا اعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال فاذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلاة أخبرنا ابو القاسم الحنفى انا ابو الحارث الطاهرى انا ابو محمد الحسن بن محمد بن حكيم انا ابو الموجه انا صدقة انا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقول كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فرجع من الغائط فأتى بطعام فقيل له ألا نتوضأ فقال لم أصل فأتوضأ قوله عز وجل (فاغسلوا وجوهكم) وحد الوجه من منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن

واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعنى ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعنى فقد بطل ثواب عمله الذى كان عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة وقيل فى معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعنى نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بيننهن لولا أن الله قد رضى أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى ان تزوج المسلمين اياهن ليس بالذى يخرجهن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم فى الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا أن ذلك غير حاصل لهم فى الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل ان من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد بشئ مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعنى اذا أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا انجرت فانجر فى البر أى اذا أردت التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى أنه يجزى عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بأن المعنى اذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام الى الصلاة أن يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة أخرجه مسلم والقول الاول هو المختار فى معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة فى هذه الآية أربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم)

طولا وما بين الاذنين عرضا يجب غسل جميعه فى الوضوء ويجب أيضا ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة وأما العارض واللحية فان كانت كثيفة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل باطنها فى الوضوء بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهرها استرسل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما لايجب وبه قال ابو حنيفة رضى الله عنه لان الشعر النازل عن حد الرأس لايكون حكمه حكم الرأس فى جواز المسح عليه كذلك النازل عن حد الوجه لايكون حكمه حكم الوجه فى وجوب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لان الله تعالى أمر بغسل الوجه والوجه مايقع به المواجهة من هذا العضو ويقال فى اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه اذا نبتت لحيته قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) أى مع المرافق كما قال الله تعالى ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم وقال من أنصارى الى الله أى مع الله وأكثر العلماء على انه يجب غسل المرفقين وفى الرجل يجب غسل الكعبين وقال الشعبى ومحمد ابن جرير لايجب غسل المرفقين والكعبين فى غسل اليد والرجل لان حرف الى للغاية والحد فلايدخل فى المحدود قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا وقيل الشئ اذا حد الى جنسه يدخل فيه الغاية واذا حد الى غير جنسه لايدخل كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لم يدخل الليل فيه لانه ليس من جنس النهار قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء فى قدر الواجب من مسح الرأس فقال مالك يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه فى التيمم وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس وعند الشافعى رحمه الله يجب قدر مايطلق عليه اسم المسح واحتج من أجاز مسح بعض الرأس بما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن علية عن أيوب السختيانى عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث وبه قال الاوزاعى وأحمد واسحق ولم يجوز أكثر أهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الرأس وقال فى حديث المغيرة ان فرض المسح سقط

واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والوضوء من الاعمال فيجب أن يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة فى هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا انما أوجبنا النية فى الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر مانزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لايجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لايكون حكمه حكم الرأس فى المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لايجب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية فى حكم الوجه الفرض الثانى قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) يعنى واغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين فى الغسل ونقل عن مالك والشعبى وزفر وأبى بكر بن داود الظاهرى انه لايجب ادخال المرفقين فى الغسل واختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذى أمر به أن يبلغ المرفقين فى الغسل لايجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل ولان الحد لايدخل فى المحدود فوجب أن لايجب غسل المرفقين فى الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم ويعضده من السنة ماصح من حديث أبى هريرة انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما فى هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلايدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء فى القدر الذى يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى عنه أنه يجب مسح

والكسائى ويعقوب وحفص وأرجلكم بنصب اللام وقرأ الآخرون وأرجلكم بالخفض فمن قرأ وأرجلكم بالنصب فيكون عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم أى واغسلوا أرجلكم ومن قرا بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم الى انه يمسح على الرجلين وروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة وقال الشعبى نزل جبريل بالمسح وقال الا ترى التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال محمد بن جرير الطبرى يتخير المتوضئ بين المسح على الخفين وبين غسل الرجلين وذهب جماعة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم الى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم كما قال تبارك وتعالى عذاب يوم أليم فالاليم صفة العذاب ولكنه أخذ اعراب اليوم للمجاورة وكقولهم جحر ضب خرب فالخرب نعت الجحر وأخذ اعراب الضب للمجاورة والدليل على وجوب غسل الرجلين ما أخبرنا ابو سعيد أحمد ابن محمد بن العباس الحميدى الخطيب انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو عبد الله محمد بن يعقوب انا يحيى بن محمد بن يحيى انا الحجبى ومسدد قالا أخبرنا ابو عوانة عن أبى بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء

أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربعه وفى رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعى الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعى باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبة أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس الفرض الرابع قوله تعالى (وأرجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضا ويروى عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى أنه قال انما هو المسح على الرجلين ألا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة أن الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة وأصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه أيضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانبارى وأبو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح فى الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما أتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا أن مسح الرأس أخف والذى يدل على ان المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء فى المغسول ولم يجىء فى الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس فى الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد يسبق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

ياليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعنى وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء وأما من جعل كسر اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة فى الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف أما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما فى وجوب غسل الرجلين كما فى قوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف

فى سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار أخبرنا

عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله انا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فافرغ على يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلاثا ثم غسل يده اليسرى الى المرفق ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم غسل رجله اليسرى ثلاثا ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم أراد بقوله وأرجلكم المسح على الخفين كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه انه لم يكن بينهما حائل ويقال قبل فلان رأس الامير ويده وان كان العمامة على رأسه ويده في كمه أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا أبو نعيم زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال أمعك ماء فقلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما قوله تعالى الى الكعبين فالكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

﴿فصل﴾ قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يده ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع أبدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت ان ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك أن الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكرو بيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

﴿فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله﴾ (ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان أن عثمان دعا بانا فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بانا فافرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتى بانا فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمين ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء

. منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما قوله تعالى الى الكعبين فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين وفرائض الوضوء غسل الاعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى ومسح الرأس واختلف أهل العلم في وجوب

النية فذهب أكثرهم الى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر الى النية كسائر العبادات وذهب بعضهم الى انها غير واجبة وهو قول الثوري
واختلفوا في وجوب الترتيب وهو أن يغسل أعضاءه على الولاء كما ذكر الله تبارك وتعالى فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول

مالك والشافعي وأحمد واسحق رحمهم الله ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه واحتج الشافعي بقول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالصفا وقال نبدأ بما بدأ الله به وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلا بما بدأ الله تعالى بذكره وذهب جماعة الى ان الترتيب سنة وقالوا الواوات المذكورة في الآية للجمع لا للترتيب كما قال الله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية واتفقوا على انه لا تجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات الى أهل السهمان ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راعى الترتيب بين أهل السهمان وفي الوضوء لم ينقل انه توضأ الا مرتبا كما ذكر الله تعالى وبيان الكتاب يؤخذ من السنة كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا لما قدم ذكر الركوع على السجود ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعل الا كذلك فكان مراعاة الترتيب فيه واجبة كذلك الترتيب هنا قوله عز وجل (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي اغتسلوا اخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن فيغسل

في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السبابتين في أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي وصححه (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع واحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين أو ثلاثا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال وقد روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فاذا عمر قال اني قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه * وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين اما بخروج المني على أي صفة كان من احتلام أو غيره أو بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله

مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله

قوله تعالى (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فيه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب (ما يريد الله ليجعل عليكم) بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (من حرج) ضيق (ولكن يريد ليطهركم) من الاحداث والجنابات والذنوب (وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) قال محمد بن كعب القرظي اتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال الله تبارك وتعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران ان عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثا ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمران مولى عثمان ان عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على المقاعد يوما فجاءه المؤذن فاذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال والله لأحدثنكم حديثا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلاة الاخرى حتى يصليها قال مالك أراه يريد هذه الآية أقم الصلوة لذكرى ورواه ابن شهاب وقال عروة الآية ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا يحيى بن بكير انا الليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن نعيم المجمر قال رقيت مع أبي هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد فتوضأ قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع أن يطيل منكم غرته فليفعل قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعنى النعم كلها (وميثاقه الذى واثقكم به) عهده الذى عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد ومقاتل يعنى الميثاق الذى أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من خير وشر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) أى كونوا له قائمين بالعدل قوالين بالصدق أمرهم بالعدل والصدق فى أعمالهم وأقوالهم (ولا يجرمنكم) ولا يحملنكم (شنآن قوم) بغض قوم (على أن لا تعدلوا) أى على ترك العدل فيهم لعداوتهم ثم قال (اعدلوا) يعنى فى أوليائكم وأعدائكم (هو أقرب للتقوى) يعنى الى التقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون

فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه فى الماء يخلل بهما أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيده ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله تعالى (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره وأحكامه فى تفسير سورة النساء وفى قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب * وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعنى من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعنى ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون نعمة الله عليكم بأن طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعنى ما أنعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى واذكروا عهده الذى عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذى أخذه عليهم فى يوم ألست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعنى فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو أن يقوم لله بالحق فى كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعنى وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب فى شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأعداءك أقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل فى كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعنى ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وهذا في موضع النصب لان فعل الوعد واقع على المغفرة ورفعها على تقدير أي وقال لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) بالدفع عنكم (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) بالقتل وقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك وأنزل الله صلاة الخوف وقال الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم في أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا انك قد فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى السيف ومرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني (٢٠) يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشام السيف ومضى فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر واقتتلوا فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم فقال أحد النفر قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله أكبر الجنة ورب العالمين فرجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم و بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين قومهما موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي و بين صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات قالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ثم دعا عليا فقال لا تبرح مكانك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك على رضي الله عنه حتى تناهوا اليه ثم تبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال

عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل * قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما واثقهم الله به وأوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل أي شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك) يعني من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم

(فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير الى أريحا من أرض الشام وهي الارض المقدسة وكان لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان وقال يا موسى اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من (٢١) قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمر وا به فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني اسرائيل حتى قربوا من أريحاء بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار و يعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجر بالسحاب و يشرب منه و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله و يروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى عليه السلام وذلك انه جاء وقلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقر الصخرة عن عنقه فوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله وكانت أمه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم الى امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك و روي انه جعلهم في كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال الملك ارجعوا فاخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة أنفس منهم في خشبة و يدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون

و بين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر ففتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف و بني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات وقيل أراد أن يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك أصحابي فمن خرج اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم اتبعوه الى المدينة وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود أن يبسطوا اليكم أيديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف أيديهم عنكم) يعني انه تعالى منعهم مما أرادوه بكم (واتقوا الله) يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة أولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعه بذكر أسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأن يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمر وا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من أريحاء وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار و يعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجر بالسحاب و يشرب من مائه و يتناول الحوت من قعر

أحوالهم وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا

رجلان فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا (وقال الله انى معكم) ناصركم على عدوكم ثم ابتدأ الكلام فقال (لئن أقمتم الصلوة) يامعشر بنى اسرائيل (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) قيل هو اخراج الزكاة وقيل هو النفقة على الاهل (لاكفرن عنكم سيآتكم) لامحون عنكم سيآتكم (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ قصد السبيل يريد طريق الحق وسواء كل شئ وسطه (فبما نقضهم) أى فبنقضهم وما صلة (ميثاقهم) قال قتادة نقضوه من وجوه لانهم كذبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) قال عطاء أبعدناهم من رحمتنا قال الحسن ومقاتل عذبناهم بالمسخ (وجعلنا قلوبهم قاسية) قرأ حمزة والكسائى قسية بتشديد الياء من غير ألف وهما لغتان مثل الذاكية والذكية قال ابن عباس رضى الله عنهما قاسية أى يابسة وقيل غليظة لاتلين وقيل معناه

البحر و يشويه فى عين الشمس و يروى أن الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام احملنى معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى ياعدو الله فانى لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقى عوج النقباء أخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال ألا أطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم فى كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا أن العنقود العنب لايحمله الا خمسة أنفس منهم ينهم فى خشبة و يدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم اذا أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبى الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بنى اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بنى اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما أوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا (وقال الله انى معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء انى معكم يعنى بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بنى اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (لئن أقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهى قوله لئن أقمتم الصلاة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لأكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب * وقوله تعالى (ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلى يعنى جميع رسلى وانما أخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعنى ونصرتموهم وأصل التعزير فى اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بأن تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة فى تفسير هذا القرض بالزكاة * فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر أقرضتم الاقراض * قلت ان قوله قرضا أخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان أقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعنى اذا فعلتم سائر ما أمرتكم به لامحون عنكم سيآتكم وأغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعنى بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعنى فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى أمر باتباعه * قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بنى اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بأن كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعنى جازيناهم على ذلك بأن أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعنى غليظة يابسة لاتلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر

بالكفر ان قلوبهم ليست خالصة للايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القاسية وهى الرديئة المغشوشة

(يحرفون الكلم عن مواضعه) قيل هو تبديلهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل تحريفهم بسوء التاويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) أي وتركوا نصيبا أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أي على خيانة فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل راوية ونسابة وعلامة وحسابة وقيل على فرقة خائنة قال

بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيانتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي نزلت في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز أن يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بأنها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعني اذا عفوت عنهم فانك تحسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق أتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لان الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعني فتركوا ما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعني فألقينا وأوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني أن المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعني ان الله تعالى يخبرهم في الآخرة بأعمالهم التي عملوها في الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يا أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما أخفوا وكتموا من أحكام التوراة والانجيل وذلك انهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفوا عن كثير) يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذلك أنهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعني القرآن (يهدي به الله) يعني يهدي

ابن عباس رضي الله عنهما على خائنة أي على معصية وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوهما من خيانتهم التي ظهرت منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي أعرض عنهم ولا تتعرض لهم (ان الله يحب المحسنين) وهذا منسوخ بآية السيف قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) قيل أراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر أحدهما والصحيح ان الآية في النصارى خاصة لانه قد تقدم ذكر اليهود وقال الحسن فيه دليل على انهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بالاهواء المختلفة والجدال في الدين قال مجاهد وقتادة يعني بين اليهود والنصارى وقال الربيع هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) في الآخرة قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) يريد يا أهل الكتابين (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) أي من التوراة والانجيل مثل صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك (ويعفوا عن كثير) أي يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به (قد جاءكم من الله نور) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام (وكتاب مبين) أي بين وقيل مبين وهو القرآن (يهدي به الله

من اتبع رضوانه) رضاه (سبل السلام) قيل السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد

به طرق السلامة (ويخرجهم من الظلمات الى النور) أي من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) وهو الاسلام قوله تبارك وتعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى (قل فمن يملك من الله شيأ) أي من يقدر ان يدفع من أمر الله شيأ اذا قضاه (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قيل أرادوا ان الله تعالى لنا كالاب في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وقال ابراهيم النخعي ان اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أحبارى فبدلوا يا أبناء أبكارى فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله وقيل معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله قوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) يريد ان كان الامر كما زعمتم انكم أبناؤه وأحباؤه فان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم مقرون انه معذبكم وقيل فلم يعذبكم أي لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير (بل أنتم بشر ممن خلق) كسائر بني آدم مجزيون بالاساءة والاحسان (يغفر لمن يشاء) فضلا (ويعذب من يشاء) عدلا (ولله ملك السموات والارض

الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه وأثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعني بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعني دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعني يقدر أن يدفع (من الله شيأ) يعني من أمر الله شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) يعني يعدم المسيح وأمه (ومن في الارض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع أمر الله اذا أراد اهلاكه واهلاك أمه وغيرها (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الاشياء فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده (يخلق ما يشاء) يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم (والله على كل شئ قدير) يعني ان الله تعالى لا يعجزه شئ أراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال أما اليهود فانهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل اني أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا أياما معدودات وأما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فأما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد وأما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا أنه منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسول الله وأما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح أذهب الى أبي وأبيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا أبانا الذي في السماء لتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها أنه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم الى أن قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه في النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعني بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات

والارض وما بينهما) يعنى انه تعالى يملك ذلك لا شريك له فى ذلك فيعارضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل أن يكون له شبيه من خلقه أو شريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم * قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا أدرى من هو فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان الدمشقى والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم أن يقولوا إلهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فى هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعنى فقد أرسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعنى أنه قادر على بعثة الرسل فى وقت الحاجة اليهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادى الله عندكم وأياديه التى أنعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادى هؤلاء فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عز وجل (اذ جعل فيكم أنبياء) يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبى هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وأيضا كان أنبياء بنى اسرائيل من أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من أكابر الانبياء وأولاد يعقوب وهم الاسباط أنبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فان الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل أنبياء فانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى أيدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك

أبو عثمان النهدى ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبى خمسمائة وأربعون سنة وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع الى زمن عيسى عليه السلام ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا صلى الله عليه وسلم (أن تقولوا) كيلا تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير) قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) أى منكم أنبياء (وجعلكم ملوكا) أى فيكم ملوكا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال أبو عبد الرحمن الجيلى سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الاغنياء

قال فان لى خادما قال فانت من الملوك قال السدى وجعلكم ملوكا أحرارا تملكون أمر أنفسكم بعد ما كنتم فى أيدى القبط يستعبدونكم وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك

(وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعنى عالمى زمانكم قال مجاهد يعنى المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) اختلفوا فى الارض المقدسة قال مجاهد هى الطور وماحوله وقال الضحاك ايليا و بيت المقدس وقال عكرمة والسدى هى أريحاء وقال الكلبى هى دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقال قتادة هى الشام كلها قال كعب وجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من أرضه و بها كنزه من عباده قوله عز وجل كتب الله لكم يعنى كتب فى اللوح المحفوظ انها مساكن لكم وقال ابن اسحاق وهب الله لكم وقيل جعلها لكم وقال السدى أمركم الله بدخولها وقال قتادة أمروا بها كما أمروا بالصلاة أى فرض عليكم (ولا ترتدوا على أدباركم) أعقابكم بخلاف أمر الله (فتنقلبوا خاسرين) قال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) وذلك ان النقباء الذين خرجوا يتجسسون الاخبار لما رجعوا الى موسى وأخبروه بما عاينوا قال لهم موسى اكتموا شأنهم ولا تخبروا به أحدا من أهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه الا رجلان وفيا بما قال لهما موسى أحدهما يوشع بن نون ابن أفراثيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهودا وهما النقباء فعلمت جماعة من بنى اسرائيل ذلك و رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا أو أثقالنا غنيمة عاينوه لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعال نجعل علينا راسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) أصل الجبار المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الايدى اليها وسمى أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم وكانوا من العمالقة و بقية قوم عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى عنهما فى قوله

الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم و روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ما أنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى أنعم الله بها عليهم * قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وماحوله وقيل هى أريحاء وفلسطين و بعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى أرضه و بها أكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن. وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم * فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما * قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى * وقوله تعالى (ولا ترتدوا على أدباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذى أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم أمر الله * قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعنى فى الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدى اليها و يقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعنى أرض الجبارين التى أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام و رجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما

(قال رجلان من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى قرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء وقال الرجلان كانا من الجبارين فآمنا واتبعا موسى (أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة قالا (ادخلوا عليهم الباب) يعني قرية الجبارين (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله منجز وعده وانا رأينا هم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) فأراد بنو اسرائيل أن يرجموهما

عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا أخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا ونتصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعني يخافون الله ويراقبونه (أنعم الله عليهما) يعني بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بأن الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا) يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعني مدة حياتنا (ما داموا فيها) يعني مقيمين فيها (فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما أرادوا بقولهم وربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرّ * قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) أي يا رب (اني لا أملك الا نفسي وأخي) يعني اني لا أملك الا نفسي وأخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا أملك الا نفسي ونفس أخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا أملك الا نفسي وأخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء بأخيه ويحتمل أن يكون معناه وأخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله وأخي ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فأجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة

بالحجارة وعصوهما (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابو نعيم انا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون صاحبه أحب الى مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره ما قال فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم (قال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي) قيل معناه لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا يطيعني الا نفسي وأخي (فافرق) فافصل (بيننا) قيل فاقض بيننا (وبين القوم الفاسقين) العاصين (قال) الله تعالى (فانها محرمة عليهم) قيل ههنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبدا لم يرد به تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى لا حرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولا تيههم في هذه البرية

عليهم أبدا ولم يرد تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بى حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون فى الارض فأما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها أبناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم * وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدارستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم أجمع فاذا أمسوا اذاهم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ماخلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما * فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد * قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى أزمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل أمر بالمكث أربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى وأعطوا من الكسوة ماهى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم فى التيه ومات فى التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحا ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلفوا فى أن موسى عليه السلام مات فى التيه أم خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا فى التيه جميعا

(أربعين سنة) مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة (يتيهون) يتحيرون (فى الارض

﴿ قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام ﴾

فأما هرون فانه كان أكبر من موسى بسنة قال السدى أوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى انى أحب أن أنام على هذا السرير قال نم قال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال لا تخف انى أكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم أنت معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان أخى أفترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى

الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تبتدئ به وتذكره لي ولا يذكره شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال أرسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أي رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال أجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بأجوبة أحدهما أنه لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد والثاني (٣) أن موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة الى فقء عينه لانه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا جواب الامام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري وانقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت فالجواب انه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بني اسرائيل فأخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى أريحاء وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضجوا في الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجميع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي

(٣) قوله والثاني الخ هذا هو الجواب الثالث في شرح النووي على مسلم ونص الجواب الثاني فيه والثاني ان هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ويقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة ويقال عورت الشيء اذا أدخلت فيه نقصا قال وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل أراد رد حجته كان بعيدا والثالث الخ اه

فلا تأس على القوم الفاسقين) أى لا تحزن على مثل هؤلاء القوم فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا عنه وقيل ان موسى وهرون عليهما السلام لم يكونا فيهم والاصح انهما كانا فيهم ولم يكن لهما عقوبة انما كانت العقوبة لاولئك القوم ومات فى التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل أريحاء أحد ممن قالوا انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت الاربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدى من كان الفتح (٣٠) فقال قوم انما فتح موسى أريحاء وكان يوشع على مقدمته فسار موسى عليه السلام اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع فقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى عليه السلام فاقام فيها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى اليه ولا يعلم قبره أحد وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام وقال الآخرون انما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى عليه السلام وقالوا مات موسى وهرون جميعا فى التيه

﴿فصل فى ذكر وفاة هرون﴾

قال السدى أوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه فقال يا موسى انى أحب أن أنام على هذا السرير قال فنم عليه فقال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب علىّ قال له موسى لا ترهب انى أكفيك أمر رب هذا البيت فنم قال يا موسى نم أنت معى فان جاء رب البيت غضب علىّ وعليك جميعا فلما ناما موسى أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هرون قالوا ان موسى قتل هرون وحسده حب بنى اسرائيل له فقال موسى عليه السلام ويحكم كان أخى فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى ونزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال صعد موسى وهرون عليهما السلام الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته فآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل انه قد مات فبرأه الله تعالى مما قالوا ثم ان الملائكة

الحديث الصحيح مايدل على صحة هذا وهو ماروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخارى ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أى لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذى فتح أريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا يا موسى فمكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجز ع بنو اسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان أهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه وستر قصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى (فلا تاس على القوم الفاسقين) يعنى لا تحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم

حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم وأبكم وقال عمرو بن ميمون مات هرون قبل موت موسى عليه السلام فى التيه وكانا قد خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بنى اسرائيل فقالوا قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى عليه السلام الى ربه عز وجل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فانى باعثه فانطلق بهم الى قبره فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكنى مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا وأما وفاة موسى عليه السلام قال ابن اسحق كان موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه قال فيقول له موسى عليه السلام يانبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدئنى به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنيعى انا أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى انا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انا أحمد بن يوسف السلمى انا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى بن عمران فقال له أجب ربك قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك أرسلتنى الى عبدك لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أدنى من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو أنى عنده لاريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الاحمر وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لم تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه (٣١) فقال ان هذا العبد لمن الله له بمنزلة

موسى على ما دعا على قومه أوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أى لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك وأخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به

ما رأيت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة ياصفى الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها

ففبض روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها فكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس انك فى طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا فى طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيدت فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أخذا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر كان قد غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره أمر بنى اسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين سنة قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) وهما هابيل وقابيل ويقال له قابين (اذ قربا قربانا) وكان سبب قربانهما على ما ذكره أهل العلم ان حواء كانت تلد لآدم عليه السلام فى كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدته أربعين ولدا فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله عز وجل فى نسل آدم عليه السلام قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم وحواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض

أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته اقليما فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا حتى ولدتهما ولم ترمعهما دما فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم اذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى فكان الرجل منهم يتزوج أية اخوانه شاء الا توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا وكان بينهما سنتان فى قول الكلبى وأدركوا أمر

﴿ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ﴾

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخوانه شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما وكانت اقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال أبوه آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمره بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر فى نفسه لا أبالى أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أحدا غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقربه وأضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فأضمر لاخيه الحسد الى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت فغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك وردقربانى وتريد أن تنكح أختى الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بأنك خير منى ويفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وماذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الىّ يدك) يعنى لئن مددت الىّ يدك (لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) يعنى ما أنا بمنتصر لنفسى بل أستسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل أن يقتل رجلا تركه ولا

أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل فذكر ذلك آدم لولده فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى أنا أحق بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمره بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا قربانا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر فى نفسه ما أبالى يقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أبدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقرب به وأضمر فى نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما

على الجبل ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل يمتنع

فذلك قوله عز وجل (فتقبل من أحدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد فى نفسه الى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم أتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلنك) قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك وردقربانى وتنكح أختى الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير منى ويفتخر ولدك على ولدى (قال) هابيل وماذنبى (انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت) أى مددت (الىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك

انى أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمر وايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده وهذا فى الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للأجر كما فعل عثمان رضى الله عنه قال مجاهد كتب عليهم فى ذلك الوقت اذا أراد رجل قتل رجل أن يمتنع ويصبر (انى أريد أن تبوء) ترجع وقيل تحتمل (بأثمى وأثمك) أى بأثم قتلى الى أثمك أى أثم معاصيك التى عملت من قبل هذا قول أكثر المفسرين وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال معناه انى أريد أن يكون عليك خطيئتى التى عملتها أنا اذا قتلتنى وأثمك فتبوء بخطيئتى ودمى جميعا وقيل معناه أن ترجع بأثم قتلى وأثم معصيتك التى لم يتقبل لأجلها قربانك أو أثم حسدك فان قيل كيف قال انى أريد أن تبوء بأثمى وأثمك

يمتنع منه وقيل ان المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (انى أخاف الله رب العالمين) والمعنى انى أخاف الله فى بسط يدى اليك أن أبسطها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى أريد أن تبوء بأثمى وأثمك) يعنى ترجع بأثم قتلى الى أثم معاصيك التى عملتها من قبل * فان قلت كيف قال هابيل انى أريد واردة القتل والمعصية من الغير لا تجوز * قلت أجاب ابن الانبارى عن هذا بأن قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى أريد أن تبوء بأثمى وأثمك أى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك أثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فما أنا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى أن يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى أريد أن تبوء بعقاب اثمى وأثمك فحذف المضاف وما باء بأثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من أصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما * قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخاط والديه وبقى بلا أخ وأما آخرته فأسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) قال أصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله أن يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها ووارا ه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها وينثر ترابها

وارادة القتل والمعصية لا تجوز قيل ذلك ليس بحقيقة ارادة ولكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة وقيل معناه انى أريد أن تبوء بعقاب قتلى فيكون ارادة صحيحة لانها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا ارادة للقتل بل لموجب القتل من الاثم والعقاب (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) قوله عز وجل (فطوعت له نفسه) أى طاوعته وشايعته وعاونته (قتل أخيه) فى قتل أخيه وقال مجاهد فشجعته وقال قتادة فزينت له نفسه وقال عمان سهلت له ذلك أى جعلته سهلا تقديره صورت له نفسه ان قتل أخيه طوع له أى سهل عليه فقتله فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن جريج فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين قيل قتل وهو مستسلم وقيل اغتاله وهو فى النوم فشدخ رأسه فقتله وذلك قوله تعالى (فقتله فأصبح من الخاسرين) وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا فى موضع قتله قال ابن عباس رضى الله عنهما على جبل ثور وقيل عند عقبة حراء فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بنى آدم وقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجله حتى مكن له ثم ألقاه فى الحفرة ووارا ه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) فلما رأى قابيل ذلك

(قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى) أى جيفته وقيل عورته لانه قد سلب ثيابه (فأصبح من النادمين) على حمله على عاتقه لا على قتله وقيل على فراق أخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه أسخط والديه وما انتفع بقتله شيأ ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما يشرب الماء فناداه آدم أين أخوك ها بيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال آدم ان دم أخيك لينادينى من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده أبدا وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر (٣٤) وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام قد حدث فى الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال من قال ان آدم عليه السلام قال شعرا فقد كذب على الله ورسوله فان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم عليهم السلام فى النهى عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بنى انك وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبياتا منها

وما لى لا أجود بسكب دمع ... وها بيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما ... فهل أنا من حياتى مستريح

فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا واسمه هبة الله يعنى انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيتا للنار فهو أول من عبد النار وكان لا يمر به أحد من ولده الا رماه فاقبل ابن له أعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده ولطم ابنه

ليريه كيف يوارى سوأة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال يا ويلتا) أى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى سوءة أخى) يعنى فاستر جيفته وعورته عن الاعين (فأصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل أخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك ها بيل فقال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك لينادينى من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا وروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بنى أنت وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبياتا منها

وما لى لا أجود بسكب دمع * وها بيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام

السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصىّ آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد الا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت أباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل علقت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة * قوله تعالى (من أجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة الجناية يقال أجل عليهم شرا أى جنى عليهم شرا (كتبنا) أى فرضنا وأوجبنا (على بنى اسرائيل) * فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل * قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فأصبح من النادمين من أجل ذلك أى من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعانى على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس بموقوف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره فى هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فأصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فأصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حظر فى أنواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أى من أجل ذلك الذى ذكرنا فى أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل * فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى اسرائيل * قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا أن التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وبأصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده * قوله عز وجل (أنه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (أو فساد فى الارض) هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله أو فساد فى الارض

فاخذها وساقها وعلقت منها فهو معلق الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس مادارت عليه فى الصيف حظيرة من نار وفى الشتاء حظيرة من ثلج قال واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من السراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام وبقى نسل شيث اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل انا عمر ابن حفص بن غياث ثنا ابى ثنا الاعمش حدثنى عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل قوله عز وجل (من أجل ذلك) قرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر النون موصولا وقراءة العامة بجزم النون وفتح الهمزة مقطوعا أى من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال أجل يأجل أجلا اذا جنى مثل أخذ يأخذ أخذا (كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس) قتلها فيقاد منه (أو فساد فى الارض)

يريد بغير نفس وبغير فساد فى الارض من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحو ذلك

(فكأنما قتل الناس جميعا) اختلفوا فى تأويلها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى أو امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا قال قتادة أعظم الله اجرها وعظم وزرها معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعا فى الاثم لانهم لا يسلمون منه (ومن أحياها) وتورع عن قتلها (فكأنما أحيا الناس جميعا) فى الثواب لسلامتهم منه قال الحسن فكأنما قتل الناس جميعا يعنى انه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها أى عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعا قال سليمان بن على قلت للحسن يا أبا سعيد أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل قال أى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

(فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى أو امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعنى من غرق أو حرق أو وقوع فى هلكة فكأنما أحيا الناس جميعا يعنى ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعانى قوله ومن أحياها على المجاز لان المحيى هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكأنما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال أى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا * وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعنى بعد مجىء الرسل و بعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (فى الارض لمسرفون) يعنى بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله) قال ابن عباس نزلت فى قوم من أهل الكتاب كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال ابن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبى الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى أثرهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل أن تنزل الحدود وفى رواية للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال أبو قلابة وأى شئ أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية أبى داود ان قوما من عكل أو قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل فى آثارهم فما ارتفع النهار حتى جىء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى

ويسعون فى الارض فسادا) الآية قال الضحاك نزلت فى قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا فى الارض وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال بن عويمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضية فيهم وقال سعيد بن جبير نزلت فى ناس من عرينة وعكل أتوا النبى صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل اخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو قلابة الجرمى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قدم على النبى صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الابل فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ورواه أيوب عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا قال أبو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فسادا واختلفوا فى حكم هؤلاء العرنيين فقال بعضهم هى منسوخة لان المثلة لا تجوز وقال بعضهم حكمه ثابت الا السمل والمثلة وروى قتادة عن ابن سيرين ان ذلك كان قبل أن ينزل الحد وقال أبو الزناد لما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد وعن قتادة قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان التيمى عن أنس انما سمل النبى صلى الله عليه وسلم أعين أولئك لانهم سملوا أعين الرعاة وقال الليث بن سعد نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما منه اياه عفو بتهم وقال انما جزاؤهم هذا الا المثلة ولذلك ما قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا الا نهى عن المثلة واختلفوا فى المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين والمكابرون فى الامصار وهو قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى رحمهم الله وقال قوم المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد وهو قول أبى حنيفة رضى الله عنه وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) فذهب قوم الى ان الامام بالخيار فى أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفى كما هو ظاهر الآية وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعى ومجاهد وذهب الاكثرون الى ان هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير لما اخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قطاع الطريق اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف

رواية له وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله انا كنا أهل ضرع يعنى أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخموا المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عفو بتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم أن المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره المحاربون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثانى معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة أو

فاذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهو قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الرأي رحمهم الله تعالى واذا قتل قاطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم واذا أخذ من المال نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى واذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه انه يقتل ثم يصلب وقيل يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت مصلوبا وهو قول الليث بن سعد وقيل يصلب ثلاثة أيام حيا ثم ينزل فيقتل واذا أخاف السبيل ينفى واختلفوا في النفي فذهب قوم الى ان الامام يطلبه في كل بلد يوجد ينفى عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون لتقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال أهل الكوفة النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن جرير ينفى من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته وقال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد فيؤذيهم (ذلك) الذي ذكرت من الحد (لهم خزي) عذاب وهوان وفضيحة (في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) فمن ذهب الى أن الآية نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليهم وهو قبل ان يظفر به الامام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه وان شاء استتامن واستوفى وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده الى صاحبه روي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن زيد كان خرج محاربا فسفك الدماء واخذ المال ثم جاء تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل عليه علي رضي الله عنه تبعة أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط

المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم في كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا) أي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة * وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا أن الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع وأما المسلم المحارب اذا تاب

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا) اطلبوا (اليه الوسيلة) أى القربة فعيلة من توسل الى فلان بكذا أى تقرب اليه وجمعها وسائل (وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) أخبر ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون و يطلبون المخرج منها كما قال الله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها والثانى انهم يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال الله تعالى اخبارا عنهم ربنا أخرجنا منها (ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) أراد به أيمانهما وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن مسعود وجملة الحكم ان من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم حكى عن ابن الزبير انه كان يقطع فى الشئ القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا فى القدر الذى يقطع فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يقطع فى أقل من ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهو قول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز ابن أحمد الخلال انا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعى انا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القطع فى ربع دينار فصاعدا اخبرنا ابو الحسن السرخسى اخبرنا زاهر بن أحمد انا ابو اسحق الهاشمى انا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم وروى عن عثمان انه قطع سارقا فى أترجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثنى عشر درهما بدينار وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع فى ثلاثة دراهم وذهب قوم الى انه لا تقطع فى أقل من دينار أو عشرة دراهم و يروى ذلك عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم لا يقطع الا فى خمسة دراهم و يروى ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه و به قال ابن أبى ليلى أخبرنا عبد الواحد المليحى انا احمد بن عبد الله النعيمى انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عمر

واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدى هو الكافر اذا آمن لم يطالب بشئ الا اذا أصيب عنده مال بعينه فانه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير أن مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما أصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن أبى طالب فى حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فأمنه على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى أبى موسى الاشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان ابن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الارض بالفساد وانى قد تبت من قبل أن يقدر على فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الارض فسادا وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعى يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بنى آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره وأما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعى و يحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعنى واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة فى نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثانى التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * أى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أى تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا فى سبيله) أى وجاهدوا العدو فى طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تسعدوا بالخلود فى جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعنى ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أيسر من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك أن لا تشرك بى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار و يطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثانى أنهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعنى ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا * قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قال ابن السائب نزلت فى طعمة بن

ابن حفص بن غياث أخبرني أبي انا الاعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وقال الاعمش كانوا يرون انه بيض الحديد والحبل يرون ان منها ما يساوي ثلاثة دراهم ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل وهو عند الاكثرين محمول على ما قاله الاعمش لحديث عائشة رضي الله عنها واذا سرق شيأ من غير حرز كثمر في حائط لا حارس له أو حيوان في برية لا حافظ له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وروى عن ابن جريج عن الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن أو منتهب ولا مختلس قطع واذا سرق ما لا له فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيأ لا قطع عليه واذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع ثم اذا سرق ثانيا تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق ثالثا فذهب أكثرهم الى أنه تقطع يده اليسرى واذا سرق رابعا تقطع رجله اليمنى ثم اذا سرق بعده شيأ يعزر ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق انه ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله وذهب قوم الى انه ان سرق ثالثا بعد ما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع بل يحبس وروى ذلك عن علي رضي الله عنه وقال اني لأستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهو قول الشعبي والنخعي وبه قال الاوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى (جزاء بما كسبا) نصب على الحال والقطع ومثله (نكالا) أي عقوبة (من الله والله عزيز حكيم)

أبيرق وقد مناقصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحد بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وانما قال أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع * وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما أوجبه من قطع يد السارق

﴿ فصل في بيان حكم الآية ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم أخرجه البخاري ومسلم أما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روى عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وقال الرواية الاولى أصح وذهب قوم الى أنه لا قطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير

غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز ﴿المسئلة الثالثة﴾ الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والاوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له أو حيوان في برية ولا راعي له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شئ عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث أنه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي اليه الماشية بالليل عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختاس قطع أخرجه الترمذي والنسائي ﴿المسئلة الرابعة﴾ اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه ﴿المسئلة الخامسة﴾ اذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى أنه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن علي أنه قال اني أستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي * قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعني وأصلح العمل في المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعني لمن تاب (رحيم) به

﴿فصل﴾ وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية المخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخالك سرقت فقال لي فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب اليه فقال النبي صلى الله

فمن تاب من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) العمل (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) هذا فيما بينه وبين الله تعالى فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الاكثرين قال مجاهد السارق لا توبة له فاذا قطعت حصلت التوبة والصحيح ان القطع للجزاء على الجناية كما قال جزاء بما كسبا ولا بد من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه وبالاتفاق ان كان المسروق قائما عنده يسترده وتقطع يده لان القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد فلا يمنع أحدهما الآخر كاسترداد العين

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الجميع وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال السدى والكلبي يعذب من يشاء ممن مات على كفره ويغفر لمن يشاء ممن تاب من كفره وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة (والله على كل شئ قدير) قوله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون

فى الكفر) أى فى موالاة الكفار فانهم لن يعجزوا الله (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون (ومن الذين هادوا) يعنى اليهود (سماعون) أى قوم سماعون (للكذب) أى قابلون للكذب كقول المصلى سمع الله لمن حمده أى قبل الله وقيل معناه سماعون لاجل الكذب أى يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى هم جواسيس يعنى بنى قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر وذلك ان رجلا وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم فى التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل الذى يثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فأرسلوا الى اخوانكم بنى قريظة فانهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم سلوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير فانهم فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فجرا وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو

عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائى بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثورى وأصحاب الرأى لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه أن يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمى فلا يمتنع أحدهما بالآخر والله أعلم * قوله عز وجل (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس أن الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مدبر أمر ما فى السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شئ مما أراده فيهما لان ذلك كله فى ملكه واليه أمره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك فى الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه فى مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة فى قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصى لان الآية دالة على أن التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافى ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى أخبر أن له ملك السموات والارض والمالك له أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض لاحد عليه فى ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه * قوله تعالى (يا أيها الرسول) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبى فى مواضع من كتابه وبيا أيها الرسول فى موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك * وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا تهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعنى المنافقين لانهم أظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) أى وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثانى ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أى ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب أى يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أى لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه * وقوله تعالى (سماعون) يعنى بنى قريظة يعنى انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم أهل خيبر (لم يأتوك) يعنى أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾ قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل يثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس فى كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوا الى اخوانكم بنى قريظة

ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك و بينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الارض بما أنزل الله

سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة قال صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني و بينكم قالوا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة ان كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله قال كنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم الملك فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه فقالوا لا والله لا يرجم حتى يرجم فلان لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنصنع شيأ دون الرجم يكون على الوضيع والشريف فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلى بالقار ثم

فانهم جيرانه وصلحاء معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلان وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن صوريا و وصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني و بينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون و بالذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ان كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في امرأة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته وما كنت لما أتينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدني بالتوراة ولولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ما أخبرته فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم و يجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر

يسود وجههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار و يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم انه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته به فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب مسجده وقال اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه فانزل الله عز وجل يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن أحمد انا أبو اسحاق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم (٤٤) قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها لآية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما فقال عبد الله بن عمر فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة وقيل سبب نزول هذه الآية القصاص وذلك ان بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة يا محمد اخواننا بنو النضير أبونا واحد ودينا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا وأعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد حرا منا وجراحتنا على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله (وان لم

بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة وفي رواية أخرى لهما قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقال لرجل ممن يرضون أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرأيته يحني زاد في رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان أوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وان أمركم بالرجم فاحذروه فأنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا شيأ منها أو أخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه * قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعني يغيرون حدود الله التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه * فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما * قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية * وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني ان أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم

تعالى هذه الآية والاول أصح لان الآية في الرجم قوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب قيل اللام بمعنى الى وقيل هي لام كي أي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله لقوم أي لاجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر (يحرفون الكلم) جمع كلمة (من بعد مواضعه) أي من بعد وضعه مواضعه وانما ذكر الكناية ردا على لفظ الكلم (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه) أي ان أفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد والتحميم فاقبلوا

(وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته) كفره وضلالته قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه (فلن تملك له من الله شيا) فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وفيه رد على من ينكر القدر (لهم في الدنيا خزى) أى للمنافقين واليهود فخزى المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخزى اليهود الجزية أو القتل والسبى أو النفى ورؤيتهم من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيهم ما يكرهون (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) الخلود في النار (سماعون للكذب أكالون للسحت) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائى السحت بضم الحاء والآخرون بسكونها وهو الحرام وأصله الهلاك والشدة قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب نزلت في حكام اليهود كعب بن الاشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وعنه أيضا قال انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقك فاما ان يعطى الرجل الوالى يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك وقال ابن مسعود هو الرشوة في كل شئ قال ابن مسعود من يشفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الرحمن بن أبى شريح انا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد انا ابن أبى ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعنة الله على

(وان لم تؤتوه فاحذروا) يعنى وان لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعنى كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعنى فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه أن يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله أن يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزى) يعنى للمنافقين واليهود أما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبى والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعنى الخلود في النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهى السحت وأصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى في الحكم أخرجه الترمذى وأخرجه أبو داود عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر قال ابن زيد كان حيى بن أخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى دية واحدة لانه كان من بنى النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيى ونتحاكم الى محمد فأنزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

﴿فصل﴾ اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك ان أهل الكتاب

الراشى والمرتشى قال الاخفش السحت كل كسب لا يحل قوله عز وجل (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم ان شاء حكم وان شاء ترك واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال أكثر أهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المائدة حكم منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا وان حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعى والشعبى وعطاء وقتادة وقال قوم يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والآية منسوخة نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة وروى ذلك عن ابن عباس وقال لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله فاما اذا تحاكم الينا مسلم وذمى فيجب علينا الحكم بينهما لا نختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة

قوله (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله على منابر من نور قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التورية) هذا تعجيب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه اختصار أى

وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) وهو الرجم (ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) أى بمصدقين لك قوله عز وجل (انا أنزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) أى أسلموا وانقادوا لامر الله تعالى كما أخبر عن ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وكما قال وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما فى التوراة وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدى أراد محمدا صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال ان ابراهيم كان أمة قانتا وقوله تعالى (للذين هادوا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون وقيل هو على موضعه ومعناه يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا كما قال وان أسأتم فلها أى فعليها وكما قال أولئك لهم اللعنة أى عليهم وقيل فيه حذف كأنه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصارا والزهرى

كانوا اذا ترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا أعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فأما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم * وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد أن ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم * قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التورية) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما أولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين * قوله عز وجل (انا أنزلنا التورية فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل ألوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أى انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن

(والربانيون والاحبار) يعنى العلماء واحدها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر افصح وهو العالم المحكم فى الشئ قال الكسائى وابو عبيدة هو من الحبر الذى يكتب به وقال قطرب هو من الحبر الذى هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى حسنه وهيأته ومنه التحبير وهو التحسين فسمى العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه وقيل الربانيون ههنا من النصارى والاحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود قوله عز وجل (بما استحفظوا من كتاب الله) أى استودعوا من كتاب الله (وكانوا عليه شهداء) انه كذلك (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال قتادة والضحاك نزلت هذه الآيات الثلاث فى اليهود دون من أساء من هذه الامة روى عن البراء ابن عازب رضى الله عنه فى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون كلها فى الكافرين وقيل هى على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم والآخر قال عطاء هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز ابن يحيى الكنانى عن هذه الآيات فقال انها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات وقال العلماء هذا اذا ورد نص حكم

والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعنى لليهود يعنى يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو فى التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا (والربانيون والاحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره فى سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمى به لمكان الحبر الذى يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه فى قلوب الناس وأفعاله الحسنة التى يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى جماله وبهاؤه وانما سمى العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم فى الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار * وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعنى بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بأن يحفظوا كتاب الله فى صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وأن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعنى ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لا تخافوا أحدا من الناس فى اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعنى فى كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا) يعنى ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعنى الرشوة فى الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع فى المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعنى أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت فى الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة

عيانا عمدا اذا ما دن خفي عليه أو أخطأ في تاويل فلا قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي أوحينا على بني اسرائيل في التوراة (أن النفس بالنفس) يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به (والعين بالعين) تفقأ بها (والانف بالانف) يجدع به (والاذن بالاذن) تقطع بها

قال ابن عباس أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس واحدة بواحدة الى آخرها فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقؤن بالعين العينين وخفف نافع الاذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون (والسن بالسن) تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص (والجروح قصاص) فهذا تعميم بعد تخصيص لانه ذكر العين والانف والاذن والسن ثم قال والجروح قصاص أي فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرأ الكسائي والعين وما بعدها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو والجروح بالرفع فقط وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس قوله تعالى (فمن تصدق به) أي بالقصاص (فهو كفارة له) قيل الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتيل أي كفارة للمتصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي انا ابو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري انا عمر بن الخطاب انا عبد الله بن الفضل اخبرنا ابو خيثمة

قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده * قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم وأخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تفقأ بها (والانف بالانف) يعني يجدع به (والاذن بالاذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك * وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكره قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدي من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا أنا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال * وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان أحدهما ان الهاء

في أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه

بقدره من ذنوبه وقال جماعة هي كناية عن الجارح والقاتل يعني اذا عفا المجني عليه عن الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة كما ان القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل قال الله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول ابراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) أي على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه) أي في الانجيل (هدى ونور ومصدقا) يعني الانجيل (لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قرأ الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم أي لكي يحكم وقرأ الآخرون بسكون اللام وجزم الميم على الامر قال مقاتل بن حيان أمر الله الربانيين والاحبار ان يحكموا بما أنزل الله في التوراة وأمر القسيسين والرهبان ان يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن أمر الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى (وأنزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) أي من الكتب المنزلة من قبل (ومهيمنا عليه) روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي شاهدا عليه وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والكسائي قال حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الالباب يريد شاهدا ومصدقا وقال عكرمة دالا وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن أمينا وقيل أصله مؤيمن فعيل من أمين كما قالوا مبيطر من البيطار فقلبت الهمزة هاء كما قالوا أرقت الماء وهرقته وايهات وهيهات ونحوها ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج القرآن أمين على ما قبله من الكتب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن فصدقوا والا فكذبوا وقال سعيد ابن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحافظا والمعاني متقاربة ومعنى الكل ان كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى والا فلا

في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك أن المجروح أو ولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شيء فيه قصاص الا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما أجر العافي فعلى الله تعالى * وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل * قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التورية) هذا ليس بتكرار للاول لان في الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ * قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن * قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل * وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب

الذى لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التى قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك فى القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعنى اذا ترافع أهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذى أنزله الله اليك (ولا تتبع أهواءهم) يعنى ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود فى الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم فى جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعنى ولا تنحرف عن الحق الذى جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط * وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب فى قوله منكم للامم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعنى لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع فى الشئ والشريعة فى كلام العرب المشرعة التى يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هى التى أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس فى قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال على بن أبى طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين فى طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهى قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهى دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعنى ولكن أراد أن يختبركم (فيما آتاكم) يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعنى فبادروا يا أمة محمد بالاعمال الصالحات التى تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعنى فيخبركم فى الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب * قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا

(فاحكم) يا محمد (بينهم) بين أهل الكتاب اذا ترافعوا اليك (بما أنزل الله) تعالى بالقرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أى لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أى سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت فيه فهو شريعة وشرعة ومنه شرائع الاسلام لشروع أهلها فيها وأراد بهذا ان الشرائع مختلفة ولكل أهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فالتوراة شريعة والانجيل شريعة والفرقان شريعة والدين واحد وهو التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى على ملة واحدة (ولكن ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الكتب وبين لكم من الشرائع فيبين المطيع من العاصى والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) فبادروا الى الاعمال الصالحة (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) قوله عز وجل (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) اليك

انه عزيز حكيم) قوله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) قال سعيد بن جبير أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون فنزلت هذه الآية واختلفوا في محل من فقال أكثر المفسرين محله خفض عطفا على الكاف في قوله حسبك معناه حسبك الله وحسب من اتبعك وقال بعضهم هو رفع عطفا على اسم الله معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله تعالى (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حثهم على القتال (ان يكن منكم عشرون) رجلا (صابرون) محتسبون (يغلبوا مائتين)

عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب * قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين * قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشئ بكثرة التزين وتسهيل الخطب فيه كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم (يغلبوا مائتين) يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكأنه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم من الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا فأيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك * قوله تعالى (ما كان لنبي أن تكون له أسرى) روى عن عبد الله

من عدوهم يقهروهم (وان يكن منكم مائة) صابرة محتسبة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) أي ان المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون اذا صدقتموهم القتال خشية ان يقتلوا وهذا خبر بمعنى الأمر وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله عنهم فنزل (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) أي ضعفا في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف وقرأ أبو جعفر ضعفاء بفتح العين والمد على الجمع وقرأ الآخرون بسكون العين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) من الكفار (وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) فرد من العشرة الى الاثنين فان كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا وقال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا قرأ أهل الكوفة وان يكن منكم مائة بالياء فيهما وافق أهل البصرة في الاول والباقون بالتاء فيهما ابن وقرأ عاصم وحمزة ضعفا بفتح الضاد ههنا وفي سورة الروم والباقون بضمها قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) قرأ أبو جعفر وأهل البصرة تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ أبو جعفر أسارى والآخرون أسرى وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال لما كان يوم بدر وجئ بالاسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء قال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك

استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك ياأبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياأبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أوضرب عنق قال عبد الله ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخوف من أن تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل عليه ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذى مختصرا وقال فى الحديث قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى وأخرج مسلم فى افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر ماترون فى هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترى ياابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنيمة لهم قوله أسرى جمع أسير مثل قتلى وقتيل

قوله (حتى يثخن فى الارض) أى يبالغ فى قتل المشركين وأسرهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله عزوجل (والله عزيز حكيم) وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما قال ابن عباس رضى الله عنهما كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله فى الاسارى فامامنا بعد واما فداء فجعل الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى أمر الاسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا أعتقوهم وان شاؤا فادوهم قوله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) قال ابن عباس كانت الغنائم حراما على الانبياء والأمم فكانوا اذا أصابوا شيأ من الغنائم جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون فى الغنائم وأخذوا الفداء فأنزل الله عزوجل لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون الآية وانه لا يأخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من الفداء قبل أن تؤمروا به (عذاب عظيم).

عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبى أن يحبس كافرا قدر عليه وصار فى يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يثخن فى الارض) الاثخان فى كل شئ عبارة عن قوته وشدته يقال أثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الآخرة) يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فامامنا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا أعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فامامنا بعد واما فداء يزيل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

﴿فصل﴾ قد استدل بهذه الاية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الأول ان قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى صريح فى النهى عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان فى الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان فى الارض قتل جميع الناس فدلت الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبى صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان أخذ الفداء كان محرما وأما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما فى علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبى صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم * قوله عزوجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا

قال ابن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ قال يارسول الله كان الاثخان فى القتل أحب الىّ من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منهم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ فقال الله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) روى أنه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل فكلوا مما غنمتم الآية وروينا عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر (٤٣) الزيادى أنا محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن هشام ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا قوله تعالى (ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر من الاسارى بالالف والباقون بلا ألف نزلت فى العباس بن عبد المطلب وكان أسر يوم بدر وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر وكان يوم بدر نوبته وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يامحمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقلت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال أخبرنى به ربى قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابنى أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم (من الاسرى) يعنى الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) يعنى ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعنى من الفداء (ويغفر لكم) يعنى ما سلف

منها جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون فى أخذ الغنائم والفداء فأنزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعنى لولا قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعنى لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يارسول الله كان الاثخان فى القتل أحب الىّ من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ * وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعنى فقد أحللت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا * وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعنى وخافوا الله أن تعودوا وان لم تفعلوا شيأ من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما أقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل فى قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية * قوله سبحانه وتعالى (ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم) نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذ جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيأ وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يامحمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقلت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال أخبرنى به ربى قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابنى أخيه عقيل ونوفل بن الحرث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم (من الاسرى) يعنى الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) يعنى ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعنى من الفداء (ويغفر لكم) يعنى ما سلف

(والله غفور رحيم) قال العباس رضى الله عنه فابدلنى الله عنها عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان عشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب ان لى بها جميع أموال مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عزوجل قوله (وان يريدوا خيانتك) يعنى الاسارى (فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم) ببدر (والله عليم حكيم) قال ابن جريج أراد بالخيانة الكفر أى ان كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم وهذا تهديد لهم ان عادوا الى قتال المؤمنين ومعاداتهم قوله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا) أى هجروا قومهم وديارهم يعنى المهاجرين من مكة (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا) رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه أى أسكنوهم منازلهم (ونصروا) أى نصروهم على أعدائهم وهم الانصار رضى الله عنهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) دون أقربائهم من الكفار قيل فى العون والنصرة وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله عزوجل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ) يعنى فى الميراث (حتى يهاجروا) قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة (وان استنصروكم فى الدين) أى استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا (فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) فى العون والنصرة وقال ابن عباس فى الميراث أى يرث المشركون بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض) قال ابن عباس الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن تكن فتنة فى الارض (وفساد كبير) فالفتنة فى الارض قوة الكفر والفساد الكبير ضعف الاسلام (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

منكم قبل الايمان (والله غفور) يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعنى بأهل طاعته قال العباس فابدلنى الله خيرا مما أخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب ان لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى عزوجل * وقوله تعالى (وان يريدوا) يعنى الاسارى (خيانتك) يعنى أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعنى فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعنى فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعنى حكم بأنه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم فى ذات الله عزوجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى وبذلوا أنفسهم فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعنى المهاجرين والانصار (بعضهم أولياء بعض) يعنى فى العون والنصر دون أقربائهم من الكفار وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقربائهم وذوى أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعنى آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعنى من الميراث (حتى يهاجروا) يعنى الى المدينة (وان استنصروكم فى الدين) يعنى استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعنى فعليكم نصرهم واعانتهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعنى فى النصر والمعونة وذلك أن كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعنى فى الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جريج لا تتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فالفتنة فى الارض هى قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

هم المؤمنون حقا) لا مرية ولا ريب فى ايمانهم قيل حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال فى الدين (لهم مغفرة ورزق كريم) الجنة فان قيل أى معنى فى تكرار هذه الآية قيل المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الاولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة الى المدينة فالمراد من الآية الاولى الهجرة الاولى ومن الثانية الهجرة الثانية قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) أى معكم يريد أنتم منهم وهم منكم (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث الى ذوى الارحام قوله (فى كتاب الله) أى فى حكم الله عز وجل وقيل أراد بكتاب الله القرآن يعنى القسمة التى بينها فى سورة النساء (ان الله بكل شئ عليم)

﴿ سورة التوبة مدنية ﴾

قال مقاتل هذه السورة مدنية كلها الا آيتين من آخر السورة قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة التوبة قال هى الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظنوا انها لم تبق أحدا منهم الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال تلك سورة بدر قال قلت

هم المؤمنون حقا) يعنى لا شك فى ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال فى نصر الدين (لهم مغفرة) يعنى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى فى الجنة * فان قلت ما معنى هذا التكرار * قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر فى هذه الآية ما منّ به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولا ثم أعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر فى هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة فى وصفهم بكونهم محقين فى طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره الى نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثانى قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم فى بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم فى الجنة رزقا لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله فى الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر فى الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) اختلفوا فى قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بأن المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فأما من كان من المؤمنين فى بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه * وقوله تعالى (فأولئك منكم) يعنى انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق * وقوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى فى الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله فى كتاب الله يعنى فى حكم الله وقيل أراد به فى اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بانه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بينه فى سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقى فللعصبات * وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة التوبة ﴾

وهى مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهى المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة لانها تبعثر عن أخبار

سورة الحشر قال قل سورة النضير أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى أنبأ أبو الحسين على بن

محمد بن الحسين الجرجاني أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى ثنا عبيد الله القواريري ثنا يزيد بن زريع ثنا عوف ابن أبي جميلة الاعرابي حدثني يزيد الفارسي حدثني ابن عباس رضي الله عنه قال قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم

المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جموع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بني النضير أخرجاه في الصحيحين

﴿فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة﴾ عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن أبي طالب لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة الشريفة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة * أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم الا انه هو الذي عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا * وقوله سبحانه وتعالى

على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فاذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال مما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة من الله وهي مصدر كالنشاءة والدناءة قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية (فسيحوا

قال الزجاج براءة أي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها اذا نكثوا (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك فكأنهم عاقدوا وعاهدوا

(فسيحوا فى الارض) أى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض وأنتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعنى مدة أربعة أشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر الا أن يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فانما أجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما قال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والقول الاول أصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبى انما كانت الاربعة أشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة أشهر فأتم له الاربعة أشهر فاما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها فى العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسيء ثم صار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض وروى الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الا تلدا * كنت لنا أبا وكنا ولدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * أبيض مثل الشمس يسمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجى أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب ان أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر فى تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

(فسيحوا فى الارض) رجع من الخبر الى الخطاب أى قل لهم سيحوا أى سيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين (أربعة أشهر

واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى غير فائتين ولا سابقين (وأن الله مخزى الكافرين) أى مذلهم بالقتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جماعة هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه الى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله فيقتل حيث يدرك ويؤسر الا أن يتوب وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع الآخر فامامن لم يكن له عهد فانما أجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والاول هو الاصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبى انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر فأتم له أربعة أشهر فامامن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم لى مدتهم قال الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل يعنى البراءة ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقيل نزلت هذه قبل تبوك قال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت فى أهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا

من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أنزل فى شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغى لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلى أما ترضى يا أبا بكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلى بن أبى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن نبيع سألنا عليا بأى شئ بعثت فى الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى حج ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبى هريرة ان أبا بكر بعثه فى الحجة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا فى أهل منى ببراءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ أبو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

﴿ فصل ﴾ قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن أبى طالب ببراءة أول براءة عزل أبى بكر عن الامارة وتفضيله على أبى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم فى تلك السنة أول حديث أبى هريرة المتقدم ان أبا بكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ أبى داود والنسائى قال بعثنى ابو بكر فيمن يؤذن فى يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثنى ابو بكر فيه دليل على ان أبا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان على بن أبى طالب أقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من أبى بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا فى عقد العهود ونقضها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا فى هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبى بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الامام وعلى المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلى المسمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلى فدل ذلك على تقديم أبى بكر على على وفضله عليه والله أعلم * وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزى الله) يعنى ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا فى الارض أربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم فى ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شئ (وأن الله مخزى الكافرين)

الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فقاتلت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لا هم اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا — كنت لنا أبا وكنا ولدا * ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا — فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلق كالبحر يجري مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان سيم خسفا وجهه تربدا — ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالهجير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا — وزعموا أن لست تنجي أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال رسول الله صلى لا نصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع أراد رسول الله صلى ان يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه ار بعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا كرم الله وجهه على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يارسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر انك كنت معي في الغار وانك صاحبي على الحوض قال بلى يارسول الله فسار أبو بكر رضي الله عنه أميرا على الحاج وعلي رضي الله عنه ليؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم سورة براءة وقال زيد بن يثيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في تلك الحجة قال بعثت بأر بع (٤٩) لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه و بين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له مدة فأجله أر بعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع فان قال قائل كيف بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه ثم عزله و بعث عليا رضي الله عنه قلنا ذكر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعزل أبا بكر رضي الله عنه وكان أميرا وانما بعث عليا رضي الله عنه لينادي بهذه الآيات وكان السبب فيه ان العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها ان لا يتولى ذلك الا سيدهم أو رجل من رهطه فبعث عليا رضي الله عنه ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا في نقض العهد والدليل على ان أبا بكر رضي الله عنه كان هو الامير ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسحق ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن شهاب عن عمه أخبرني حميد بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نؤذن بمنى ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد بن عبد الرحمن ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فأمره ان يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فاذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان (وأذان) عطف على قوله براءة أي اعلام ومنه الاذان بالصلاة يقال أذنته فاذن أي أعلمته فعلم وأصله من الاذن أي أوقعته في اذنه (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) اختلفوا في يوم الحج الاكبر روى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وقال جماعة هو يوم النحر روى عن يحيى بن الجزار قال خرج علي رضي الله عنه يوم النحر على بغلة يضاء يريد الجمانة فجاءه رجل وأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الاكبر فقال أليوم مثل هذا خل سبيلها وروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان هذه الحروب دامت أياما كثيرة وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن

يعني بالقتل والعذاب في الآخرة * قوله عز وجل (وأذان من الله ورسوله) الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله و رسوله واصل (الى الناس يوم الحج الاكبر) اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة و يروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال و يروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر أخرجه أبو داود و يروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي و روى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق و يراد به الحين والزمان كقولك يوم

سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين ولم يجتمع قبله ولا بعده واختلفوا في الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران والحج الاصغر افراد الحج وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة قيل لها الاصغر لنقصان أعمالها قوله تعالى (أن الله بري من المشركين (٥٠) ورسوله) أي ورسوله أيضا بري من المشركين وقرأ يعقوب بنصب اللام أي ان الله ورسوله

صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان أعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسيء وجميع أحكام الجاهلية * وقوله سبحانه وتعالى (أن الله بري من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير وأذان من الله ورسوله بان الله بري من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله بري من المشركين ورسوله أيضا بريء الثاني تقديره بريء الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدا * فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار * قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في أولها براءة من الله ورسوله الى يعني بريء اليهم وفي الثانية بريء منهم * وقوله تعالى (فان تبتم) يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) يعني أعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بأن الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعني في الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم * قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعني الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيأ) يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعني ولم يعاونوا (عليكم أحدا) يعني من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل لهم بعد ان أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجملوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوى بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه * قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء

بري ء (فان تبتم) رجعتم من كفركم وأخلصتم التوحيد (فهو خير لكم وان توليتم) أعرضتم عن الايمان (فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين) هذا استثناء من قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم الى الناس الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهذا معنى قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيأ) من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم أحدا) من عدوكم وقرأ عطاء بن يسار لم ينقضوكم بالضاد المعجمة من نقض العهد (فأتموا اليهم عهدهم) فأوفوا لهم بعهدهم (الى مدتهم) الى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه (ان الله يحب المتقين) قوله تعالى (فاذا انسلخ) انقضى ومضى (الاشهر الحرم) قيل هي الاشهر الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد وابن اسحق هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قيل هذا القدر بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع ومعناه مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم

قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى الحل والحرم (وخذوهم) وأسروهم (واحصروهم) أى احبسوهم قال ابن عباس رضى الله عنه يريد ان تحصنوا فاحصروهم أى امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يرقب فيه العدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته يريد كونوا لهم رصدا لتأخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) من الشرك (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) يقول دعوهم فليتصرفوا فى أمصارهم ويدخلوا مكة (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) به وقال الحسين بن الفضل هذه الآية نسخت كل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الاعداء قوله تعالى (وان أحد من المشركين

المشركين والتعرض لهم * فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم * قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعنى فى الحل والحرم وهذا أمر اطلاق يعنى اقتلوهم فى أى وقت وأى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد أن تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلوة) يعنى وأتوا أركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف فى بلادهم (ان الله غفور) يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعنى باوليائه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء * قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع الله) يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعنى ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو الديل قبائل من بنى بكر كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فما استقاموا لكم) يعنى على العهد (فاستقيموا لهم) يعنى ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا استجارك) أى وان استجارك أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم أى استأمنك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله (فأجره) فاعذه وآمنه (حتى يسمع كلام الله) فيما له وعليه من الثواب والعقاب (ثم أبلغه مأمنه) أى ان لم يسلم أبلغه مأمنه أى الموضع الذى يامن فيه وهو دار قومه فان قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة قوله تعالى (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه جحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال جل وعلا (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش

وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال الله تعالى (فما استقاموا لكم) أى على العهد (فاستقيموا لهم) فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأى بلاد شاؤا فاسلموا قبل الاربعة الاشهر قال السدى والكلبى وابن اسحق هم قبائل من بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وهذا القول أقرب الى الصواب لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة فكيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى (ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم) هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد عند الله وان يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) قال الاخفش كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم لا يرقبوا الا يحفظوا وقال الضحاك لا ينتظروا وقال قطرب لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس والضحاك قرابة وقال يمان رحما وقال قتادة ألال الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة الا انه كرر لاختلاف اللفظين وقال (٥٢) أبو مجلز ومجاهد ألال هو الله عز وجل وقال عبيد بن عمير يقرأ جبر إل بالتشديد يعنى عبد الله

وفى الخبر ان ناسا قدموا على أبى بكر من قوم مسيلمة الكذاب فاستقرأهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرأوا فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا الكلام لم يخرج من ال أى من الله عز وجل والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة لا يرقبون فى مؤمن ايلا بالياء يعنى الله عز وجل مثل جبرئيل وميكائيل ولا ذمة أى عهدا (يرضونكم بأفواههم) أى يطيعونكم بالسنتهم خلاف ما فى قلوبهم (وتأبى قلوبهم) الايمان (وأكثرهم فاسقون) فان قيل هذا فى المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال وأكثرهم فاسقون قيل أراد بالفسق نقض العهد ههنا وكان فى المشركين من وفى بعهده وأكثرهم نقضوا فلهذا قال وأكثرهم فاسقون (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وذلك انهم نقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهم اياها أبو سفيان قال مجاهد أطعم أبو سفيان حلفاءه (فصدوا عن سبيله) فمنعوا الناس من الدخول فى دين الله وقال ابن عباس رضى الله عنه ان أهل الطائف أمدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئس (ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) يقول لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا (وأولئك هم المعتدون) بنقض العهد (فان تابوا) من الشرك (وأقاموا الصلوة)

بأى بلاد شاؤا فأسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر وهم خزيمة و بنو مدلج من ضمرة و بنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش و بنو الديل من بنى بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا كما تنقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا و يتقون نقضه (كيف وان يظهروا عليكم) قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) قال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم و يغلبوكم و يعلوا عليكم لا يرقبوا أى لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعنى قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد أولا ختلاف اللفظين وقال أبو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعنى ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) يعنى يطيعونكم بألسنتهم بخلاف ما فى قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) * فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفائدة فى قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون * قلت قد يكون الكافر عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق فى دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد و بالغوا فى العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ فى الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون * وقوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعنى استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذى كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد أطعم أبو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعنى منعوا الناس عن الدخول فى دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل الطائف أمدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين الاسلام (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) يعنى ان هؤلاء المشركين لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم (وأولئك هم المعتدون) يعنى فى نقض العهد * قوله عز وجل (فان تابوا) يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة

وآتوا الزكوة فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الايات) نبين الايات (لقوم يعلمون) قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة قال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضى الله عنه قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة

عليهم بجميع حدودها وأركانها (وآتوا الزكوة) يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم (فاخوانكم فى الدين) يعنى اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى ونبين حججا أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعنى بذلك ماذكره أبو بكر فى حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن أبى هريرة قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله * وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا أيمانهم) يعنى وان نقضوا عهودهم (من بعد عهدهم) يعنى من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا فى دينكم) يعنى وعابوا دينكم الذى أنتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفى هذا دليل على ان الذمى اذا طعن فى دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت فى أبى سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففى قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر فى ذلك الزمان والله أعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا أيمان لهم) جمع يمين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الأمان أى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينتهون) أى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب فى ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم)

حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر رضى الله عنه فوالله ما هو الا رأيت ان الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبا أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمرو بن عباس ثنا ابن مهدى ثنا منصور بن سعد عن ميمون ابن سياه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله قوله تعالى (وان نكثوا أيمانهم) نقضوا عهودهم (من بعد عهدهم) عقدهم يعنى مشركى قريش (وطعنوا) قدحوا (فى دينكم) وعابوه فهذا دليل على ان الذمى اذا طعن فى دين الاسلام ظاهرا لا يبقى له عهد (فقاتلوا أئمة الكفر) قرأ أهل الكوفة والشام أئمة بهمزتين حيث كان وقرأ الباقون بتليين الهمزة الثانية وأئمة الكفر رؤس المشركين وقادتهم من أهل مكة قال ابن عباس نزلت فى أبى سفيان بن حرب وأبى جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول وقال مجاهد هم أهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد (انهم لا أيمان لهم) أى لا عهود لهم جمع يمين قال قطرب لا وفاء لهم بالعهد وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الالف أى لا تصديق لهم ولا دين لهم وقيل هو من الامان أى لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم (لعلهم ينتهون) أى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم وقيل عن الكفر حض المسلمين على القتال فقال جل ذكره (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة

(وهموا باخراج الرسول) من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقال جماعة من المفسرين أراد أنهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) أتخافونهم فتتركون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) فى ترك قتالهم (ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يقتلهم الله بأيديكم (ويخزهم) ويذلهم بالاسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم) ويبرئ داء قلوب قوم (مؤمنين) مما كانوا يلقونه من الاذى منهم وقال مجاهد والسدى أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر عليهم حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بنى بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها ووجدها بمعونة قريش بنى بكر عليهم ثم قال مستأنفا (ويتوب الله على من يشاء) فيهديه الى الاسلام كما فعل بأبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو (والله عليم حكيم) روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر قوله تعالى (أم حسبتم) أظننتم (أن تتركوا) قيل هذا خطاب للمنافقين وقيل للمؤمنين الذين شق عليهم القتال فقال أم حسبتم أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله) ولم ير الله

يعنى نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وهم بدؤكم) يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يعنى أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم (فالله أحق أن تخشوه) يعنى فى ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالتعذيب القتل يعنى يقتلهم الله بأيديكم * فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بأيديكم و بين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم * قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعنى وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعنى الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتالهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويخزهم) يعنى ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعنى بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا يلقونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدى أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا ثارهم منهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعنى ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنى بكر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوى بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله عليم) يعنى بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعنى فى جميع أفعاله * قوله عز وجل (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشئ يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جزم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازى ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء يعنى لا تتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شئ أدخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس

(الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة)

من

بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء وقال أبو عبيدة كل شئ أدخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة فوليجة الرجل من يختص بدخيلة أمره دون الناس يقال هو وليجتى وهم وليجتى للواحد والجمع

(والله خبير بما تعملون) قوله تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي رضي الله عنه ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فأنزل الله عز وجل ردا على العباس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة الى أن المراد منه العمارة المعروفة

من بناء المسجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه قال الحسن ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام قرأ ابن كثير وأهل البصرة مسجد الله على التوحيد وأراد به المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام ولقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام وقرأ الآخرون مساجد الله بالجمع والمراد منه أيضا المسجد الحرام قال الحسن انما قال مساجد لانه قبلة المساجد كلها قال الفراء بما ذهبت العرب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول أخذت في ركوب البراذين ويقال فلان كثير الدرهم والدينار يريد الدراهم والدنانير قوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أرادوهم شاهدون فلما طرحت وهم نصبت قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر وقال الضحاك عن ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لاصنامهم ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى الا بعدا وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو ان النصراني يسأل من أنت فيقول أنا نصراني واليهودي يقول أنا يهودي ويقال للمشرك ما دينك فيقول مشرك قال الله تعالى (أولئك حبطت أعمالهم) لانها لغير الله عز وجل (وفي النار هم خالدون) قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه ما من بطن الا ولدته ثم قال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وأن يفشوا اليهم أسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده * قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله) يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها * وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره * قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا * فان قلت لم يذكر

وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله) ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية غيره (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب أى فأولئك هم المهتدون والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التى تؤدى الى الجنة أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوى ثنا أحمد بن الحسن الحيرى ثنا محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن الفرج الحجازى ثنا بقية ثنا أبو الحجاج المهدى عن عمرو بن الحارث عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا على بن عبد الله ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر حدثنى أبى عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان رضى الله عنه (٥٦) أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا ان يدعه فقال عثمان سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا كهيئته فى الجنة أخبرنا الامام أبو على الحسين ابن محمد القاضى أنا أبو طاهر الزيادى أنا محمد بن الحسن القطان ثنا على بن محمد الدرابجردى ثنا أبو عاصم بهذا الاسناد وقال بنى الله له بيتا فى الجنه قوله (أجعلتم سقاية الحاج) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحى ثنا أبو اسحق أحمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبى ثنا عبيد الله بن حامد بن محمد الوزان ثنا أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادى ثنا أبو داود سليمان ابن الاشعث السجستانى ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبى ثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام عن أبى سلام ثنا النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى ان لا أعمل عملا بعد وعمارة

الايمان برسول الله مع أن الايمان به شرط فى صحة الايمان * قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل فى الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعى الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فأخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة فى عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد كمال الفريضة الواجبة عليه * وقوله تعالى (ولم يخش الا الله) يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعنى وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التى تؤدى الى الجنة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا فى الجنة وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا فى الجنة أخرجه الترمذى عن عمرو بن عنبسة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة أخرجه النسائى * قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج

أن أسقى الحاج وقال الآخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتما فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال العباس حين أسر يوم بدر ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بالله وان الايمان بالله والجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبى ومحمد بن كعب القرظى نزلت فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على ما أدرى ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله عز وجل هذه الاية أجعلتم سقاية الحاج وسقاية معصدر كالرعاية والحماية

قوله (وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه اختصار تقديره أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله وهذا كقوله تعالى والعاقبة للتقوى أي للمتقين يدل عليه قراءة عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام على جمع الساقي والعامر كمن آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل حدثني اسحق بن ابراهيم ثنا أبو أسامة ثنا يحيى بن مهلب عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلعم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلعم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه فقال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه وأشار الى عاتقه أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان عن مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن منهال الضرير ثنا يزيد بن زريع ثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس

وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن أبي شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستوون عند الله) يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغييرا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحمض حرم * قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما ذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على

عند الكعبة فأتاه اعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة بن زيد فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغييرا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة) فضيلة (عند الله) من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

(وأولئك هم الفائزون) الناجون من النار (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون ننشدك بالله ان لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن

الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد (ان استحبوا) اختاروا (الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم) فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد (فأولئك هم الظالمون) وكان فى ذلك الوقت لا يقبل الايمان الا من مهاجر فهذا معنى قوله فأولئك هم الظالمون ثم قال تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة (ان كان آباؤكم) وذلك انه لما نزلت الآية الاولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فنزل قل ان كان آباؤكم (وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) قرأ أبو بكر عن عاصم عشيراتكم بالالف على الجمع والآخرون بلا ألف على التوحيد لان العشيرة واقعة على الجمع ويقوى هذه القراءة ان أبا الحسن الاخفش قال لا نكاد العرب تجمع العشيرة وبعوثه على العشيرات انما تجمعها على العشائر (وأموال اقترفتموها) وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها) أى تستطيبونها يعنى القصور والمنازل (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا) فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) قال عطاء بقضائه وقال مجاهد ومقاتل بفتح مكة وهذا أمر تهديد (والله لا يهدى) لا يوفق ولا يرشد (القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة قوله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن) أى مشاهد (كثيرة

الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله فى الآخرة (وأولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعنى بسعادة الدنيا والآخرة (يبشرهم ربهم) يعنى يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذى يبشرهم به فقال تعالى (برحمة منه ورضوان) وهذا أعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعنى ان نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعنى فى الجنان وفى النعيم (أبدا) يعنى لا انقطاع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعنى لمن عمل بطاعته وجاهد فى سبيله * قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك الله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء يعنى بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا والاقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبرى من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل أهله وأقاربه فى الدين واجبة فالمؤمن لا يوالى الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الايمان) يعنى ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعنى ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال اقترفتموها) يعنى اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) يعنى بغرائكم لها (ومساكن ترضونها) يعنى تستوطنونها راضين بسكناها (أحب اليكم من الله ورسوله) يعنى أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد فى سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وأخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا) أى فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) يعنى بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى بفتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى الخارجين عن طاعته وفى هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا * قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (فى مواطن كثيرة) يعنى أماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه

ويوم حنين) وحنين واد بين مكة والطائف وقال عكرمة الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت معليه أيام من شهر رمضان ثم خرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفى فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلام ابن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف

و بعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره فى الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة فى حديثه قاتل فى ثمان منهن و يقال ان جميع غزواته وسراياه و بعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة (و يوم حنين) يعنى ونصركم الله فى يوم حنين أيضا فأعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتول الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه و بين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزى عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبرى ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان فى جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتى من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا

(ق) عن أبى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد على نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحرث يقوده بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن و بنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطؤن فأقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل

المسلمون قال قتادة وذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن و بنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطؤن فأقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

يقوده فنزل واستنصر وقال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم ورواه محمد بن اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحق وزاد قال فما رؤى من الناس يومئذ أشد منه ورواه زكريا عن أبى اسحق وزاد قال البراء كنا اذا احمر الباس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وروى شعبة عن أبى اسحاق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال آخرون لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غير العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن سرح ثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال

حدثنى كثير بن عباس بن عبد المطلب قال قال عباس شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه و رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار (٦٠) يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا و رب محمد فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين قال سعيد بن جبير أمد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وفى الخبر أن رجلا من بنى نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم الا كهيئة الشامة وما كنا قتلنا الا بأيديهم فأخبروا بذلك النبى صلعم فقال تلك الملائكة قال الزهرى و بلغنى أن شيبة بن عثمان بن طلحة قال استدبرت رسول الله صلعم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلعم على ما فى نفسى فالتفت الىّ وضرب فى صدرى وقال أعيذك بالله يا شيبة فارتعدت فرائصى فنظرت اليه وهو أحب الى من سمعى و بصرى فقلت أشهد أنك رسول الله وأن الله قد أطلعك على ما فى نفسى فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس و بها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على جيش المسلمين الى أوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ

ودعا واستنصر وقال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وزوى شعبة عن أبى اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الا اخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة رميا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه و رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يا بنى الحرث بن الخزرج يا بنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا و رب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حمى الوطيس أى اشتد الحرب قال الخطابى هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبى صلى الله عليه وسلم من العرب وهى مما اقتضبه وأنشأه والوطيس فى اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعنى لا يقطع شيأ (م) عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة

وقتل أمير المسلمين ابو عامر قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه ان أناسا من الانصار قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس (٦١) فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم أحدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كان حديث بلغني عنكم فقال له فقهاؤهم أما ذوو رأينا يارسول الله فلم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويترك الانصار وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أما ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يارسول الله قد رضينا فقال لهم انكم ستترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض وقال يونس عن ابن شهاب فاني أعطي رجالا حديثي عهد بالكفر أتألفهم

فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير أمده الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انهم لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني أن شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال أعيذك بالله ياشيبة فأرعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب الى من سمعي وبصري فقلت أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن أخذ وقتل أبو عامر أميرا المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فأرسل الى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار أما ذوو رأينا يارسول الله لم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي

وقال فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض قالوا سنصبر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ فكأنهم وجدوا اذ لم يصيبوا ما أصاب الناس فخطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلما قال شيأ الله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا وكان من الامر كذا وكذا لاشياء عددها كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال اما ترضون ان يذهب الناس بالشياه والغنم والبعير وتذهبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا

حتى تلقونى على الحوض أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن أبى عمرو المكى ثنا سفيان عن عمرو بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عبادة بن رفاعة عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وفى الحديث ان ناسا من هوازن اقبلوا مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله أنت

خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنبأنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا سعيد بن عفير حدثنى الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان مروان والمسور بن مخرمة أخبراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد اليهم أموالهم وسبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال قالوا فانا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا ندرى من أذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن فارجعوا والامنة حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا وأذنوا فأنزل الله تعالى فى قصة حنين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ أعجبتكم كثرتكم) حتى قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) كثرتكم (شيا) يعنى ان الظفر لا يكون بالكثرة (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى برحبها وسعتها (ثم وليتم مدبرين) منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) بعد الهزيمة (سكينته) يعنى الامنة والطمأنينة وهى فعيلة من السكون

قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يارسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا ان نصبر زاد فى رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ فكأنهم وجدوا اذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال فما منعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضون ان تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا بالنبى الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع * فما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس فى مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معى من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبى وقد كنت استأنيت بكم وفى رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يارسول الله فقال لهم فى ذلك انا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا فهذا الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل فى قصة حنين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ أعجبتكم كثرتكم) يعنى حين قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعنى كثرتكم (شيأ) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضائها (ثم وليتم مدبرين) يعنى منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة

(على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة قيل لا للقتال ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين لانه يروى ان الملائكة لم يقاتلوا الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى العيال وسلب الاموال (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) فيهديه الى الاسلام (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) الآية قال الضحاك وأبو عبيدة نجس قذر وقيل خبيث وهو مصدر يستوى فيه الذكر والانثى والتثنية والجمع فاما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد انما يقال رجس نجس فاذا أفرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم وقال قتادة

والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن * وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب فى هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبى العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى فى الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقى من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم وأطلق سبيهم (والله غفور) لمن تاب (رحيم) بعباده * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام فى الحرم فلا يأذن له فى دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامى ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طيئ وطريق العراق سمى حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشأم قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زاد فى رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر فى خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه

سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن قوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام) أراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وأراد به الحرم لانه أسرى به من بيت أم هانئ قال الشيخ الامام الاجل وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من بلاد الكفار الى الامام والامام فى الحرم لا يأذن له فى دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم والقسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم فيها أكثر من مقام السفر وهو

ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت ان شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضى الله عنه وأجلاهم عمر رضى الله عنه فى خلافته وأجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين الى ريف العراق فى الطول وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم

قوله (بعد عامهم هذا) يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر رضى الله عنه بالناس ونادى على كرم الله وجهه ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة قوله (وان خفتم عيلة) وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) قال عكرمة فاغناهم الله عز وجل بان أنزل عليهم المطر مدرارا فكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها وذلك قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت فى قريظة والنضير من اليهود فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بايدى المسلمين قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله (ولا باليوم الآخر) فان قيل أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الاخر قيل لا يؤمنون كايمان المؤمنين فانهم اذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله لا يكون ذلك ايمانا بالله (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) أى لا يدينون الدين الحق أضاف الاسم الى الصفة أعطوا وقال قتادة الحق هو الله أى لا يدينون دين الله ودينه الاسلام وقال أبو عبيدة معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق (من الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى

وسلم قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب أخرجه مالك فى الموطأ مرسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادى الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم * وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعنى العام الذى حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعنى فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بأن أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة فى الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى فى طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أمله من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شئ وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما فى قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعنى بما يصلحكم (حكيم) يعنى انه تعالى لا يفعل شيأ الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبى نزلت فى قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بايدى المسلمين وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر * فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر * قلت ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن * وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعنى ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن ولا ما حرم رسوله فى السنة وقيل معناه لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذى هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أوتوا الكتاب) يعنى

(حتى يعطوا الجزية) وهي الخراج المضروب على رقابهم (عن يد) عن قهر وذل قال أبو عبيدة يقال لكل من أعطى شيأ كرها من غير طيب نفس أعطاه عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل عن يد أي نقدا لا نسيئة وقيل عن اقرار بانعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم (وهم صاغرون) أذلاء مقهورون قال عكرمة يعطون الجزية عن قيام والقابض جالس وعن ابن عباس قال تؤخذ منه و يوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى صفع في قفاه وقيل يؤخذ بلحيته و يضرب في لهزمته وقيل يلبب و يجر الى موضع الاعطاء بعنف وقيل اعطاؤه اياها هو الصغار وقال الشافعي رحمه الله الصغار هو جريان أحكام الاسلام عليهم واتفقت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى أن الجزية

أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) وهي ما يعطى المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم (عن يد) يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيأ كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم أذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو أن يأخذ بلحيته و يضرب في لهزمتيه و يقال له أد حق الله ياعدو الله وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

﴿ فصل في بيان أحكام الآية ﴾ اجتمعت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في أهل الكتاب العرب و في غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى أن الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم و يدل عليه ما روى عن بجالة بن عبيدة و يقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم

على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من أهل الاوثان بحال واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من أكيدر دومة وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال أبو حنيفة رضي الله عنه تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي

 أنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بجالة يقول لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن ابن عوف أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب وفي امتناع عمر رضي الله عنه عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر دليل على ان رأي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب أم لا فروى عن علي رضي الله عنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا يوما وقد أسري على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين أما من دخل

فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر أن دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل منا كحتهم وذبائحهم وان دخلوا فى دينهم بعد النسخ بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم لا يقرون بالجزية ولا تحل منا كحتهم وذبائحهم ومن شككنا فى أمرهم أنهم دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل منا كحتهم وذبائحهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبنى تغلب أقرهم عمر رضى الله عنه على الجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما قدر الجزية فأقله دينار لا يجوز أن ينقص منه ويقبل الدينار من الفقير والغنى والوسط لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا

عبد الرزاق أنا معمر أنا سفيان عن الاعمش عن أبى وائل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فأمره أن يأخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر فالنبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل حالم أى بالغ دينارا ولم يفصل بين الغنى والفقير والوسط وفيه دليل على انها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النسوان انما تؤخذ من الاحرار العاقلين البالغين من الرجال وذهب قوم الى أنه على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينار ان وعلى كل فقير دينار وهو قول أصحاب الرأى قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله عز وجل وقالت

وهو

اليهود عزير ابن الله قرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين والآخرون بغير تنوين فمن لم ينوّن قال لانه اسم أعجمى ويشبه اسما مصغرا ومن نوّن قال لانه اسم خفيف فوجهه أن يصرف وان كان أعجميا مثل نوح وهود ولوط واختار أبو عبيدة التنوين وقال لان هذا ليس بمنسوب الى أبيه انما هو كقولك زيد ابن الامير وزيد ابن أخينا فمن يرمبتدأ وما بعده خبره وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء وروى عطية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انما قالت اليهود عزير ابن الله من أجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عز وجل وابتهل اليه أن يرد اليه الذى نسخ من صدورهم فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى نزل نور من السماء

فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فاذن في قومه وقال ياقوم ان الله تعالى قد آتاني التوراة ثم ردها الي فعلق به الناس يعلمهم فمكثوا ما شاء الله تعالى ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعدما أماته مائة سنة يقال أنا ملك بأناه فيه ماء فسقاه فتلت التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة فكتبها لهم ثم ان رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى

(٦٧)

أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وكان السبب فيه انهم كانوا على دين الاسلام احدى وثمانين سنة بعدما رفع عيسى عليه السلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقال عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال له النصارى من أنت قال بولص عدوكم فنوديت من

وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان ابن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال انما قالت اليهود ذلك من أجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال ياقوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك بأناء فيه ماء فشرب منه فثبتت له التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني

السماء ليست لك توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا سنة لا يخرج منه ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى بانس ولا بجسم ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب ثم دعا رجلا يقال له ملكان فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا أذبح نفسي فادع الناس الى محلتك ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال انما أفعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى محلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فاختتنوا واقتتلوا فقال الله عز وجل وقالت النصارى المسيح ابن الله

(ذلك قولهم بافواههم) يقولون بألسنتهم من غير علم قال أهل المعانى لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك زورا (يضاهؤن) قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزا والآخرون بضم الهاء غير مهموز وهما لغتان يقال ضاهيته وضاهأته ومعناهما واحد قال ابن عباس رضى الله عنه يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله وقال مجاهد يضاهؤن قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله وقال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال فى مشركى العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقال القتيبى يريد أن من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج أى قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب (أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء واحدها حبر وحبر بكسر الحاء وفتحها والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع واحدها راهب كصاحب وصحبان (أربابا) فان قيل انهم لم يعبدوا الاحبار والرهبان قلنا معناه انهم أطاعوهم فى معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا فاتخذوهم كالارباب روى عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال لى يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته

معصية

فلما انتهيت اليه وهو يقرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا (من دون الله) حتى فرغ منها قلت انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرب عندى ان يقال لعله ذكر لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد فى أتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بأفواههم) يعنى أنهم يقولون ذلك القول بألسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والألسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهؤن) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبى يريد أن من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله (أنى يؤفكون) يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل * قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من دون الله يعنى انهم أطاعوهم فى

معصية الله تعالى وذلك انهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل أنفسهم فأطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدى بن حاتم قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال ياعدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل بدّل الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعنى اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية (وما أمروا) يعنى وما أمروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على ألسنة أنبيائهم (الا ليعبدوا الها واحدا) لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) أى تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك فى العبادة والاحكام وأن يكون له شريك فى الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعنى يريد رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفؤا نور الله بأفواههم) يعنى يريد هؤلاء ابطال دين الله الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهى أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت على يدى النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذى نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الأبد دالة على صدقه وثالثها أن دينه الذى أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعنى ويأبى الله الا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون * قوله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله) يعنى ان الله الذى يأبى الا أن يتم نوره هو الذى أرسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعنى بالقرآن الذى أنزله عليه وجعله هاديا اليه (ودين الحق) يعنى دين الاسلام (ليظهره) يعنى ليعليه (على الدين كله) يعنى على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء فى ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا فى الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن أبى هريرة فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز أو بذل ذليل اما أن يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما أن يذلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يارسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث ريحا طيبة تتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بأن أبان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الامين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون)

الله بأفواههم) أى يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم اياه وقال الكلبى النور القرآن أى يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا (ويأبى الله الا أن يتم نوره) أى يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله) يعنى الذى يأبى الا اتمام دينه هو الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) قيل بالقرآن وقيل ببيان الفرائض (ودين الحق) وهو الاسلام (ليظهره) ليعليه وينصره (على الدين كله) على سائر الاديان كلها (ولو كره المشركون) واختلفوا فى معنى هذه الآية فقال ابن عباس الهاء عائدة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شئ وقال الآخرون الهاء راجعة الى دين الحق وظهوره على الاديان هو أن لا يدان الله تعالى الا به وقال أبو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين الا دخل فى الاسلام وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نزول عيسى عليه السلام قال ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام وروى المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة

الاسلام اما بعز عزيز أو ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون له قلت فيكون الدين كله لله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور ثنا أبو مسلم بن ابراهيم بن عبد الله البلخي ثنا أبو عاصم النبيل ثنا عبد الحميد هو ابن جعفر عن الاسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات (٧٠) والعزى قالت قلت يا رسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعد ما أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال يكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله تعالى ريحا طيبة فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير ثم يبقى من لا خير فيه فيرجع الناس الى دين آبائهم قال الحسين بن الفضل معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة وقيل ليظهره على الاديان التي حول النبي صلى الله عليه وسلم فيغلبها قال الشافعي رحمه الله فقد أظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بأن أبان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله والله أعلم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا

* قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشئ باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبه لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبيح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر علي عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له أعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال

من الأحبار والرهبان) يعني العلماء والقراء من أهل الكتاب (ليأكلون أموال الناس بالباطل) يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم كتبا يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم وهي المآكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم يخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل (ويصدون) ويصرفون الناس (عن سبيل الله) دين الله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة

قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما فوقها كنز ومادونها نفقة وقيل الكنز كل مافضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره دينارا ن فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتا ن كان هذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يانبي الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ماذكرنا عن ابن عمر أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم زيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له يطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين * وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها أغلب أموال الناس (فبشرهم بعذاب أليم) يعني

ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) قال ابن عمر رضي الله عنهما كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وان لم يكن مدفونا ومثله عن ابن عباس أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد ابن سعيد ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم ان أبا صالح ابن ذكوان أخبره انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين

العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة

بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ورو ينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أولم تؤد ومادونها نفقة وقيل ما فضل عن الحاجة فهو كنز أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت فقلت يارسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم وروى عن أبي ذر رضي الله عنه انه كان يقول من ترك بيضاء أو حمراء كوى به يوم القيامة وروى عن أبي امامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره دينار ان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان والقول الاول أصح ان الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وروى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده شيأ فذكر عمر ذلك لرسول الله فقال ان الله عز وجل لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وسئل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال كان ذلك قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للاموال وقال ابن عمر ما أبالي لو أن لي مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه وأعمل بطاعة الله قوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله قيل لم قال ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما وقد ذكر الذهب والفضة جميعا قيل أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها أعم كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة رد الكناية الى الصلاة لانها أعم وكقوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها رد الكناية الى التجارة لانها أعم فبشرهم بعذاب أليم أي أنذرهم (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي تدخل النار فيوقد عليها أي على الكنوز (فتكوى بها) فتحرق بها (جباههم) أي جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) روى عن ابن مسعود قال انه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة وسئل أبو بكر الوراق لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي قال لان الغني صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه كشحه قوله تعالى (هذا ما كنزتم) أي يقال لهم هذا ما كنزتم (لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم وقال بعض الصحابة هذه الآية في أهل الكتاب وقال الاكثرون هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين وبه قال أبو ذر رضي الله عنه

الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت يارسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين * وقوله تعالى (يوم يحمى عليها) يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيأ تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجتمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى (هذا ما كنزتم لانفسكم) أي يقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع

على نعض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال فأدبرفا تبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى (١) قلت من هذا قالوا أبا ذر قال فقمت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيأ سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوّال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالأخذ به (يوم خلق السموات والارض) يعنى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو أن أحدهم لقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فى هذه الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيآت أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذى لا يتغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم وأعيادهم وبياعاتهم وآجال ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد * وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية فى فيهن ترجع الى جميع الاشهر أى لا تظلموا أنفسكم فى

(١) قوله وزاد البخارى الخ هذه الزيادة لمسلم لا للبخارى اه من هامش

المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوّال وذو القعدة وذو الحجة وقوله فى كتاب الله أى فى حكم الله وقيل فى اللوح المحفوظ قرأ أبو جعفر اثنا عشر وتسعة عشر واحد عشر بسكون العين وقرأ العامة بفتحها (يوم خلق السموات والأرض) والمراد منه الشهور الهلالية وهى الشهور التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوما بنقصان الأهلة والغالب انها تكون ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوما (منها أربعة حرم) من الشهور أربعة حرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد (ذلك الدين القيم) أى الحساب المستقيم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل قوله فيهن ينصرف الى جميع شهور السنة أى فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة وقيل فيهن أى فى الاشهر الحرم قال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها

حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا عامة (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة كانه يقول فيهن وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال و بعض ذي القعدة وقال الآخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا فيها وما نسخت قوله تعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) قيل هو مصدر كالسعير والحريق وقيل هو مفعول كالجريح والقتيل وهو من التأخير ومنه النسيئة في البيع يقال أنسأ الله في أجله أي أخر وهو ممدود ومهموز عند أكثر القراء وقرأ ورش عن نافع من طريق البخاري بتشديد الياء من غير همز فقد قيل أصله الهمزة فخفف وقيل هو من النسيان على معنى المنسي أي المتروك ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر الى شهر آخر وذلك ان العرب كانت تعتقد تعظيم الاشهر الحرم وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة (٧٤) أشهر على التوالي وربما وقعت لهم حرب في بعض الاشهر الحرم فيكرهون تأخير حربهم فنسؤا أي

أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمون صفرا و يستحلون المحرم فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه وذلك بعد دهر طويل فخطب النبي صلى الله عليه وسلم في حجته و بين ذلك

كما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف الفربري ثنا محمد بن اسمعيل البخاري ثنا محمد بن سلام ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة الحرام قلنا بلى قال فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد أحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت ألا هل بلغت قالوا وكان قد استمر النسيء بهم فكانوا ربما يحجون في بعض السنين في شهر ويحجون من قابل في شهر آخر قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في شهر ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور فوافقت حجة

جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فياسواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر الحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا * وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال و بعض ذي القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائه * قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف

أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقابل حجة الوداع فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة اليوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمنى وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ماوضع الله عليه حساب الاشهر الحرم يوم خلق الله السموات والارض وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان (٧٥) يكون أميرا على الناس بالموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فقال لا مرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسأ لهم شهرا يغيرون فيه فيقول فان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدركه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم

وفينا ناسئ الشهر القلمس

وكانوا لا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أول من سن النسيء عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندق أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد ابن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق أبا بني كعب وهو يجر قصبه في النار فهذا الذي ذكرنا هو النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال انما النسيء زيادة في الكفر يزيد زيادة كفر على كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرأ حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد كقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى يضل به الذين كفروا الناس وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الضاد لانهم هم الضالون لقوله (يحلونه) يعني النسيء (عاما ويحرمونه عاما

عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ماوضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا أوتارا القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم * وفينا ناسئ الشهر القلمس * وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بأفعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يحلونه عاما ويحرمونه عاما)

ليواطئوا) أي ليوافقوا والمواطأة الموافقة (عدة ما حرم الله) يريد انهم لم يحلوا شهرا من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لئلا يكون الحرم أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة في العدد (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان (والله لا يهدي القوم الكافرين) قوله (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم

انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) الآية نزلت في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الثمار والظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز هائلة وعددا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم أي قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا اخرجوا في سبيل الله اثاقلتم أي تثاقلتم وتباطأتم الى الارض أي لزمتم أرضكم ومساكنكم (أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) أي تخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة (فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة

يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه (ليواطئوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما أحلوا شهرا من المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أثيم لما سبق له في الازل انه من أهل النار * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم أي تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني لزمتم أرضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة (فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى (الا تنفروا) يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يعذبكم عذابا أليما) يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم اهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم لئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضروه شيأ) قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيأ لانه

الا قليل) ثم أوعدهم على ترك الجهاد فقال تعالى (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة وقيل غنى

هو احتباس المطر عنهم في الدنيا وسأل نجدة بن نفيع بن عباس عن هذه الآية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عليه فامسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن (ولا تضروه شيأ) تركك النصير

(والله على كل شئ قدير) قوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) هذا اعلام من الله عز وجل انه المتكفل بنصر رسوله واعزاز دينه أعانوه أو لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ أخرجه الذين كفروا) من مكة حين مكروا به وأرادوا تبييته وهموا بقتله (ثاني اثنين) أي هو أحد الاثنين والاثنان أحدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه (اذ هما في الغار) وهو نقب في جبل ثور بمكة (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه أخبرنا أبو المظفر محمد ابن أحمد التميمي أنبا نا محمد ابن عبد الرحمن بن عثمان أنبأ خيثمة بن سليمان ثنا عبد الله ابن أحمد الدورقي ثنا سعيد ابن سليمان عن علي بن هاشم عن كثير النواء عن جميع بن عمير قال أتيت ابن عمر رضي الله عنه فسمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض قال الحسين ابن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا وقوله عز وجل لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن أبي بكر جبنا منه وانما كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر قال أذكر الطلب فامشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبري الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر رضي الله عنه والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من عمر ومن آل عمر أخبرنا أبو المظفر التميمي أنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النصر أنا خيثمة بن سليمان ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا حبان بن هلال ثنا همام ابن يحيى ثنا ثابت البناني ثنا أنس بن مالك ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم قال نظرت الى أقدام المشركين فوق رؤسنا ونحن في الغار فقلت

غني عن العالمين وانما تضرون أنفسكم بتركيكم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شئ فهو ينصر نبيه ويعزد دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ * قوله عز وجل (الا تنصروه فقد نصره الله) يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فأعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ أخرجه الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر (اذ هما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ أصابني دونك فدخله فكنسه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يارسول الله لوان أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا فقال ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فاخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا

نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض فأعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك ياأبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاءا لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا أحب ان تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق

مالك ياأبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يوم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت ياخليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ياأبا بكر فقال أذكر الطلب فامشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبري الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يارسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الأمة

﴿ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري﴾ عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد ياأبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك ياأبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاءا لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا أحب ان تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق

السمر

عليه نساء المشركين وأبناءهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا بكاءا لا يملك عينيه اذا قرأ القران فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين

لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة رضي الله عنها فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان

السمر هو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا لأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت وأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني الا ان قالا أخف عنا ما استطعت فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير

فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو بذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فبينا نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا لأمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة رضي الله عنها فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله

ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة فلا يسمع أمرا يكتادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص ابن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن ابن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي حاذقا فخرجت به من ظهر البيت فخططت برجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات

في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشأم فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على ظهر أطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله عليه السلام صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه برداءه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد ابن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخره فارحم الانصار والمهاجره فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله ﴿شرح غريب ألفاظ الحديث﴾ قولها لم أعقل أبوي الا وهما يدينان الدين يعني أنهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشئ المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنالك جار أي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار المخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدحمن عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار

فساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني شيأ الا أن قالا أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لامر ينتظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول (٨١) الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه برداءه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر أجر الآخره فارحم الانصار والمهاجره فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب والعنكبوت حتى نسجت بيتا وفي القصة أنبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم عنا فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتنسخ بيت العنكبوت قوله عز وجل (فأنزل الله سكينته عليه) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر رضي الله عنه فان النبي صلى الله

حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزأت فلانا شيأ أي ما أصبت منه شيأ والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيأ وقوله أوفى أي أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أتت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتنسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع بوقرني * ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا تخش شيأ فان الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه بإظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فأنزل الله سكينته عليه) يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه

عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل (وأيده بجنود لم تروها) وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) وكلمتهم الشرك وهي السفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا) الى يوم القيامة قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله وقيل كلمة الذين كفروا ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه وكلمة الله وعد الله أنه ناصره وقرأ يعقوب وكلمة الله بنصب

وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

﴿ فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴾

منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يدي أبي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وأبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى (وأيده بجنود لم تروها) يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فأخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا * قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذان الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره أن يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة

على التاء على انها معطوفة على المفعول الاول لجعل وهو كلمة الذين كفروا والتقدير وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا فكلمة الله معطوفة على المفعول الأول والعليا معطوفة على المفعول الثاني وقرأ الباقون وكلمة الله بالرفع على الاستئناف كانه تم الكلام عند قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ثم ابتدأ فقال وكلمة الله هي العليا على الابتداء والخبر فكلمة الله مبتدأ والعليا خبره (والله عزيز حكيم) قوله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة شبانا وشيوخا وعن ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال أي فقراء وثقالا أي أغنياء وقال ابن زيد الثقيل الذي له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته والخفيف الذي لا ضيعة له ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل الميسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا من السلاح أي مقلين منه وثقالا أي مستكثرين منه وقال الحكم بن عتيبة مشاغيل وغير مشاغيل وقال مرة الهمداني أصحاء ومرضى من وقال يمان بن رباب عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من حاشيتكم وأتباعكم وثقالا مستكثرين بهم وقيل خفافا مسرعين خارجين ساعة سماع النفير وثقالا بعد التروي فيه والاستعداد له

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) قال الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال عطاء الخراسانى عن ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال السدى لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (لو كان عرضا قريبا) واسم كان مضمر أى لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا أى غنيمة قريبة المتناول (وسفرا قاصدا) أى قريبا هينا (لاتبعوك) لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان وقيل الشقة الغاية التى يقصدونها (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) يعنى باليمين الكاذبة (والله يعلم انهم لكاذبون) فى أيمانهم لانهم كانوا مستطيعين (عفا الله عنك) قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب وقيل ان الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لمن يخاطبه اذا كان كريما عنده عفا الله عنك ما صنعت فى حاجتى ورضى الله عنك الا زرتنى وقيل معناه أدام الله لك العفو (لم أذنت لهم) أى فى التخلف عنك

من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعنى من السلاح مقلين منه وثقالا يعنى مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغيره شاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعنى مسرعين فى الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعنى بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعنى على أى حال كنتم فيهما * فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر * قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدى نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا أيوب الانصارى شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له فى ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا وقال الزهرى خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك وان النبى صلى الله عليه وسلم خلف فى المدينة فى تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى أن من كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه (ذلكم) يعنى ذلكم الجهاد (خير لكم) يعنى من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه (ان كنتم تعلمون) يعنى ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعنى غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعنى سهلا قريبا (لاتبعوك) يعنى لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبى عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعنى الى هذه الغزوة (يهلكون أنفسهم) يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكاذبون) يعنى فى أيمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج * قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الطبرى هذا عتاب من الله

عز وجل عاتب الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أى فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب

﴿فصل﴾ استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى رضى الله عنك ماجوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ فى ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الا حرمة * تعود بفضلك ان أبعدا * ألم تر عبدا عدا طوره
ومولى عفا ورشيد اهدى * أقالى أقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

* والجواب عن الثانى أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة أولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض فى كتابه الشفا فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغاط وا من ذهب الى ذلك قال نغطو به وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تكرمة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة * قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى فى أن يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (والله عليم بالمتقين) يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكت قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا

(حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى أعذارهم (وتعلم الكاذبين) فيها أى تعلم من لا عذر له قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ (لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى لا يستاذنونك فى التخلف (والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم) أى شكت ونافقت (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون

(ولو أرادوا الخروج) الى الغزو (لاعدوا له) أى لهيؤاله (عدة) أهبة وقوة من السلاح والكراع (ولكن كره الله انبعاثهم) خروجهم (فثبطهم) منعهم وحبسهم عن الخروج (وقيل اقعدوا) فى بيوتكم (مع القاعدين) يعنى مع المرضى والزمنى وقيل مع النسوان والصبيان قوله عزوجل وقيل أى قال بعضهم لبعض اقعدوا وقيل أوحى الى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان (لوخرجوا فيكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع وضرب

يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا فى الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون فى التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعنى الى الغزو معكم (لاعدّوا له عدّة) لهيؤاله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لوخرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر فى حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه أذن لهم قبل أن يوحى اليه فى أمرهم بالقعود (وقيل اقعدوا مع القاعدين) معناه انهم لما استأذنوه فى القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا فى القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه فى القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بأن ألقى فى قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما فى خروجهم من المفاسد فقال تعالى (لوخرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعنى لوخرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو مازادوكم الا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر فى العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا اوضعوا خلالكم) يعنى ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التى تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم * فان قلت كيف يجوز أن يكون فى المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين * قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما أثر ذلك القول فى قلوب ضعفة المؤمنين فى بعض الاحوال (والله عليم بالظالمين) وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين * وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا صد أصحابك

عبد الله بن أبى على ذى جدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم لوخرجوا يعنى المنافقين فيكم أى معكم (مازادوكم الا خبالا) أى فسادا وشرا ومعنى الفساد ايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر (ولا اوضعوا) أسرعوا (خلالكم) فى وسطكم بايقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض الى البعض وقيل لأوضعوا خلالكم أى أسرعوا فيما يخل بكم (يبغونكم الفتنة) أى يطلبون لكم ما تفتتنون به يقولون لقد جمع لكم كذا وكذا وانكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك وقال الكلبى يبغونكم الفتنة يعنى العنت والشر وقال الضحاك الفتنة الشرك ويقال بغيته الشر والخير أبغيه بغا اذا التمست له يعنى بغيت له (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون اليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة معناه وفيكم مطيعون لهم أى يستمعون كلامهم ويطيعونهم (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا صد أصحابك عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه

(وقلبوا لك الامور) جالوا فيك فى ابطال دينك الرأى بالتخذيل عنك وتشتيت أمرك (حتى جاء الحق) النصر والظفر (وظهر أمر الله) دين الله (وهم كارهون) قوله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى جد بن قيس المنافق وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا أبا وهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومى أنى رجل مغرم بالنساء وانى أخشى ان رأيت بنات بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن وأعينك بمالى قال ابن عباس اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أذنت لك فأنزل الله عز وجل ومنهم يعنى من المنافقين من يقول ائذن لى فى التخلف ولا تفتنى ببنات الاصفر قال قتادة ولا تؤثمنى (ألا فى الفتنة سقطوا) أى فى الشرك والاثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) مطيفة عليهم وجامعة لهم فيها (ان تصبك حسنة) نصرة وغنيمة (تسؤهم) تحزنهم يعنى المنافقين (وان تصبك مصيبة) قتل وهزيمة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) حذرنا أى أخذنا بالحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) أى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا) ويدبروا (وهم فرحون) مسرورون بما نالك من المصيبة (قل) لهم يا محمد (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أى علينا فى اللوح المحفوظ (هو مولانا) ناصرنا وحافظنا وقال الكلبى هو أولى بنا من أنفسنا فى الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسنيين) اما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة وروينا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة (ونحن نتربص بكم) ننتظر بكم احدى السوأيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) فيهلككم كما أهلك الامم الخالية (أو بأيدينا) أو بأيدى المؤمنين ان أظهرتم ما فى قلوبكم (فتربصوا انا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه

يا محمد عن الدين ورد هم عن الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبى ابن سلول يوم أحد حين انصرف بأصحابه عنكم (وقلبوا لك الأمور) يعنى وأجالوا فيك وفى أمرك وفى ابطال دينك الرأى وبالغوا فى تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت أمرك (حتى جاء الحق) يعنى النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومى انى رجل مغرم بحب النساء وانى أخشى ان رأيت بنات بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن وأعينك بمالى قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم يعنى ومن المنافقين من يقول ائذن لى يعنى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم (ألا فى الفتنة سقطوا) يعنى انهم وقعوا فى الفتنة العظيمة وهى النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعنى يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها * قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسؤهم) يعنى ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعنى من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعنى المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعنى أخذنا أمرنا بالجد والحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) يعنى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا أراده لم يقدر له (هو مولانا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا فى الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى جميع أمورهم (قل هل تربصون بنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسنيين) يعنى اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد فى سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فى الآخرة واما أن يقتل فى سبيل الله فتحصل له الشهادة وهى الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفى رواية تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أخرجاه فى الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نتربص بكم) يعنى ونحن ننتظر بكم احدى السوأيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعنى فيهلككم كما أهلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو بأيدينا) يعنى أو يصيبكم بأيدى المؤمنين بأن يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم (فتربصوا انا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من

(قل أنفقوا طوعا أو كرها) أمر بمعنى الشرط والجزاء أى ان أنفقتم طوعا أو كرها نزلت فى جد بن قيس حين استأذن فى التعود قال أعينكم بمالى يقول ان أنفقتم طوعا أو كرها (لن يتقبل منكم انكم) أى لانكم (كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم) قرأ حمزة والكسائى يقبل بالياء لتقدم الفعل وقرأ الباقون بالتاء لان الفعل مسند الى جمع مؤنث وهو النفقات فأنث الفعل ليعلم ان الفاعل مؤنث (نفقاتهم) صدقاتهم (الا أنهم كفروا بالله و برسوله) أى المانع من قبول نفقاتهم كفرهم (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلون لانهم لا يرجون على أدائها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فان قيل كيف ذم الكسل فى الصلاة ولا صلاة لهم أصلا قيل الذم واقع على الكفر الذى يبعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والاعجاب هو السرور بما يتعجب منه يقول لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الاموال والاولاد لان العبد اذا كان من الله فى استدراج كثر الله ماله وولده (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا) فان قيل أى تعذيب فى المال والولد وهم يتنعمون بها فى الحياة الدنيا قيل قال مجاهد وقتادة فى الآية تقديم وتأخير تقديره فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة وقيل التعذيب بالمصائب الواقعة فى المال والولد وقال الحسن يعذبهم بها فى الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة فى سبيل الله وقيل يعذبهم بالتعب فى جمعه والوجل فى حفظه والكره فى انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) أى تخرج (وهم كافرون) أى يموتون على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى على دينكم (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون ان يظهروا ما هم عليه

خالفه (قل أنفقوا طوعا أو كرها) نزلت فى الجد بن قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود عنه وقال أنا أعطيكم مالى فأنزل الله عز وجل ردا عليه قل أى قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله فى النفاق أنفقوا طوعا أو كرها يعنى أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين بالانفاق بالزام الله و رسوله اياكم بالانفاق (لن يتقبل منكم) لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة فى انفاق المنافقين فهى عامة فى حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل بسبب منع القبول بقوله (انكم) أى لانكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر و يدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله و برسوله) أى المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله و برسوله (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعنى متثاقلين فى الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم ولا أولادهم) هذا الخطاب وان كان مختصا بالنبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ و يكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغى للانسان أن لا يعجب بشئ من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل فى استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر و يكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا فى الدنيا وفيهما اللذة والسرور فى الدنيا * قلت قال مجاهد وقتادة فى الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا فى الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق فى تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق فى حفظهما و يزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير فى نظم الآية وأورد على هذا القول بأن هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب فى الدنيا وأجيب عن هذا الايراد بأن المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له فى الدنيا فلم يكن المال والولد فى حقه عذابا فى الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقى ما يحصل له فى الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه فى الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين فى الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما فى الدنيا أخذ الزكاة منهم والنفقة فى سبيل الله غير مثابين على ذلك و ربما قتل الولد فى الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب فى جمعه وحفظه والكره فى انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم فى الآخرة على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) يعنى وتخرج أنفسهم (وهم كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة * قوله عز وجل (و يحلفون بالله) يعنى المنافقين (انهم لمنكم) يعنى على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعنى انهم كاذبون فى أيمانهم (ولكنهم قوم يفرقون) يعنى انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق

(لو يجدون ملجأ) حرزا أو حصنا أو معقلا وقال عطاء مهربا وقيل قوما يأمنون فيهم (أو مغارات) غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي تغور فيه أي تستتر وقال عطاء سراديب (أو مدخلا) موضع دخول يدخلون فيه وهو من أدخل يدخل وأصله مدتخل فنتعل من دخل يدخل قال مجاهد محرزا وقال قتادة سربا وقال الكلبي نفقا في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ يعقوب مدخلا بفتح الميم وتخفيف الدال وهو أيضا موضع الدخول (لولوا اليه) لادبروا اليه هربا منكم (وهم يجمحون) يسرعون في اباء ونفور لا يردون وجوههم شيء ومعنى الآية انهم لو يجدون مخلصا منكم وهربا بالفار قوكم قوله تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) الآية نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب

عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما فيأتيه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك فمن يعدل اذا لم أعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال له دعه ان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد وأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلعم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلعم الذي نعته وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لرسول الله صلعم لم تقسم بالسوية فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات أي يعيبك في أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها يقال لمزه وهمزه أي عابه يعني أن المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يعطي الا من أحب وقرأ يعقوب يلمزك وكذلك يلمزون وفي الحجرات ولا تلمزوا كل ذلك بضم الميم وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يلمز ويلمز مثل يحسر ويحسر ويعكف ويعكف وقال مجاهد يلمزك أي يزورك يعني يختبرك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) قيل ان أعطوا كثيرا فرحوا وان اعطوا قليلا سخطوا (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أي قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ما نحتاج اليه (انا الى الله راغبون) في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف أي لكان خيرا لهم وأعود عليهم

(لو يجدون ملجأ) يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجؤن اليه وقيل لو وجدوا مهربا اليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم (أو مغارات) يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولوا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة وأضيقها لولوا اليه أي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه (وهم يجمحون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فيأتيه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم أعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من يهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا (ولو أنهم رضوا) يعني ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما نحتاج اليه (انا الى الله راغبون) يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال

أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم * قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عز وجل فى هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شيأ فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطمن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال أعطنى من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك أخرجه أبو داود

﴿فصل فى بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل﴾ المسئلة الاولى فى بيان وجه الحكمة فى ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثانى ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فأوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصى المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصى المانع لعياله من ماله (ق) عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذى ينفذ ورما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى أمر له به أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التى بأيدى الاغنياء فأوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء فى ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقى معطلا عن المقصود الذى لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية ﴿المسئلة الثانية﴾ الآية تدل على انه لا حق لاحد فى الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمتى انما تفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفى فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية ﴿المسئلة الثالثة﴾ فى بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثانى المساكين وهم المحتاجون الذين لا بئى خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء فى الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أتقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شئ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأى الفقير أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعى ومن وافقه ان الله سبحانه تعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصالحهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم أشد من حاجة

وروى عن زياد بن الحارث الصدائى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل وقال اعطنى من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك قوله للفقراء والمساكين فأحد أصناف الصدقة الفقراء والثانى المساكين واختلف العلماء فى صفة الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسأل والمسكين الذى يسأل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن من أتقى نفسه وثيابه لا يقدر على شئ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فذلك الفقير وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وروى عن عكرمة أنه قال الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب وقال الشافعى الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير لان الله تعالى قال أما السفينة

فكانت لمساكين أثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة وعند أصحاب الرأى الفقير أحسن حالا من المسكين وقال

القتبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير من له المسكن والخادم والمسكين من لا ملك له وقالوا كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى أنتم الفقراء الى الله والمسكين المحتاج الى كل شيء ألا ترى كيف حض على

اطعامه وجعل طعام الكفارة لهولا فاقة أشد من الحاجة الى سد الجوعة وقال ابراهيم النخعي الفقراء هم المهاجرون والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عبيد الله بن عدي بن الخيار ان رجلين أخبراه أنهما أتيا رسول الله فسألاه عن الصدقة فصعد فيهما وصوب فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلفوا في حد الغنى الذي يمنع أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا ان المسكين أحسن حالا من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير أسوأ حالا من المسكين وحجة أبي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين أبوأ حالا من الفقير قوله أو مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج أيضا بقول الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج أيضا بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج أما قوله أو مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان انهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وهو قول الثوري وابن المبارك وأحمد واسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى

الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهما وقيل أربعون درهما لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا قوله تعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء فيعطون مثل أجر عملهم وقال الضحاك ومجاهد لهم الثمن من الصدقة (والمؤلفة قلوبهم) فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فأما المسلمون فقسمان قسم دخلوا في الاسلام ونيتهم ضعيفة فيه فكان النبي صلعم يعطيهم تألفا كما أعطى عيينة ابن بدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي أو أسلموا ونيتهم قوية في الاسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن

صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أربعين درهما الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا أن الشافعي يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فأراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فأما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي بن حاتم جاء أبا بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب

حاتم والزبرقان بن بدر فكان يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فهؤلاء لا يجوز للامام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة والفيء سهم النبي صلعم وكان النبي صلعم يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بازاء قوم كفار في موضع متناء لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون اما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة ومنهم قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء الى أبي بكر الصديق بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما الكفار من

المؤلفة فهو من يخشى شره منهم أو يرجى اسلامه فيريد الامام أن يعطي هذا حذرا من شره أو يعطي ذلك ترغيبا له في الاسلام فقد كان النبي صلعم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فله الحمد وأغناه أن يتألف عليه رجالا فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط روى ذلك عن عكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت روى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك قوله تعالى (وفي الرقاب) والصنف الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة هذا قول أكثر الفقهاء وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي وقال جماعة يشترى بسهم الرقاب عبيد فيعتقون وهذا قول

الحسن وبه قال مالك وأحمد واسحق قوله تعالى (والغارمين) والصنف السادس هم الغارمون وهم قسمان قسم ادانوا لا نفسهم فى غير معصيته فانهم يعطون من الصدقة اذا لم يكن لهم من المال ما يفى بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا فى المعروف واصلاح ذات البين فانهم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنبأنا زاهر ابن أحمد أنبأنا أبو اسحق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فتصدق على المساكين فأهدى المسكين للغنى أو لعامل عليها رواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه أما من كان دينه فى معصية الله وفساد فلا يدفع شئ اليه قوله تعالى (وفى سبيل الله) أراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة يعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة ولمن كانوا أغنياء ولا يعطى شئ منه فى الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم فى سبيل الله الى الحج و يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وأحمد واسحق قوله تعالى (وابن السبيل) هو والصنف الثامن هم أبناء السبيل فكل من يريد سفرا مباحا و لم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له فى البلد المنتقل اليه مال أو لم يكن وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل الحاج المنقطع

أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع فى المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعى والزهرى والليث بن سعد و يدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذى آتاكم القول الثانى وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد و يعتقون و يدل عليه ما روى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبى حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى عتق رقبة و يعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى التبعيض القول الرابع وهو قول الزهرى ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط فى سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب و يدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال فى الصنف الخامس وفى الرقاب فلابد لهذا الفرق من فائدة وهى أن الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا وأما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول فى الغارمين فيصرف نصيبهم فى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه فى الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه فى سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم فى اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لا نفسهم فى غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفى بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا فى المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغنى أخرجه أبو داود مرسلا لان عطاء بن يسار لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه أما من كان دينه فى معصية فلا يعطى من الصدقات شيأ الصنف السابع قوله تعالى (وفى سبيل الله) يعنى وفى النفقة فى سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبى سعيد الخدرى ولا يعطى من سهم الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و بناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفى سبيل الله عام فى الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا * الى أن شبت واكتهلت لداتى

فكل مريد سفر اباحا و لم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال فى البلد الذى يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل

قوله تعالى (فريضة) أى واجبة (من الله) وهو نصب على القطع وقيل على المصدر أى فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله عليم حكيم) اختلف أهل العلم والفقهاء فى كيفية قسم الصدقات و فى جواز صرفها الى بعض الاصناف فذهب جماعة الى انه لا يجوز صرف كلها الى بعضهم مع وجود سائر الاصناف وهو قول عكرمة و به قال الشافعى قال يجب ان يقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهمانهم ثابتة قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل اذا قسمه بنفسه ثم حصة كل صنف منهم لا يجوز أن تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاث يجوز فان لم يوجد من بعض الاصناف الا واحد صرف حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شئ رده الى الباقين وذهب جماعة الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم يجوز وانما سمى الله تعالى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الاصناف الا ايجابا لقسمها بينهم جميعا وهو قول عمر وابن عباس و به قال سعيد بن جبير وعطاء

هو الحاج المنقطع * وقوله تعالى (فريضة من الله) يعنى ان هذه الاحكام التى ذكرها فى هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله عليم) يعنى بمصالح عباده (حكيم) يعنى فيما فرض لهم لا يدخل فى تدبيره وحكمه نقض ولا خلل ﴿المسئلة الرابعة﴾ فى أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هى الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا فى كيفية قسمتها و فى جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعى قال يجب أن يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سماهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شئ رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس و به قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى وأحمد بن حنبل قال أحمد ابن حنبل يجوز أن يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم النخعى ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام قدمهم وان رآها فى صنف آخر فى عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيأ من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيأ وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعى رضى الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتى درهم فان أعطيته أجزأ فان أعطى من يظنه فقيرا فبان انه غنى فهل يجزئ فيه قولان ولا يجوز أن يعطى

والليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى و به قال أحمد قال يجوز ان يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا جاز وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام أكثر قدمهم وان رآها فى عام فى صنف آخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شئ من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه فاذا حصل أدنى اسم الغنى لا يعطى بعده فان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته ولا يزاد على العامل على أجر عمله والمكاتب على قدر ما يعتق به والغارم على قدر دينه والغازى على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام فى مغزاه وما يحتاج اليه من الفرس والسلاح وابن السبيل على قدر اتيانه مقصده أو ماله واختلفوا فى نقل الصدقة عن بلد المال الى موضع آخر مع وجود المستحقين فيه فكرهه أكثر أهل العلم لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الضبى أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا أبو كريب ثنا وكيع ثنا زكريا بن اسحق المكى ثنا يحيى بن عبد الله بن صيفى عن أبى معبد عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث معاذا الى اليمن فقال انك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه و بين الله حجاب فهذا يدل على ان صدقة أغنياء كل قوم ترد على فقراء ذلك القوم واتفقوا على انه اذا نقل من بلد الى بلد آخر وادعى سقط الفرض عن ذمته الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله

عنه انه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام الى مكانها من خراسان قوله (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي أذن سامعة يقال فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة اذا كان يسمع كل ما قيل له ويقبله وأصله من أذن يأذن أذنا اذا استمع وقيل هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق بن يسار نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلا أزنم ناتئ شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين مشوّه الخلقة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل ابن الحارث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا فأنزل الله تعالى هذه الآية قوله تعالى (قل أذن خير لكم) قرأ العامة بالاضافة أي مستمع خير وصلاح لكم لا مستمع شر فساد وقرأ الاعشى والبرجمي عن أبي بكر أذن خير لكم مرفوعين منونين يعني ان يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم كذبهم فقال (يؤمن بالله) أي لا بل يؤمن بالله (ويؤمن للمؤمنين) أي يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين يقال أمنته وأمنت له بمعنى صدقته (ورحمة) قرأ حمزة ورحمة بالخفض على معنى أذن خير لكم وأذن رحمة وقرأ الآخرون ورحمة بالرفع في أي هو أذن خير وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لانه كان سبب ايمان المؤمنين (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد وودية بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم وسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفوا ان عامرا كذاب

صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدا وان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شئ لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شئ واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزنم ناتئ الشعر أحمر العينين أسفع الخدين مشوّه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقوله هو أذن انه ليس ببعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خيرا لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتم له (ورحمة) أي هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم)

وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون اليه ويحلفون فأنزل الله تعالى هذه الآية يحلفون بالله لكم ليرضوكم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) يخالف الله ورسوله أي يكونوا في جانب وحدّ من الله ورسوله (فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) أي الفضيحة العظيمة (يحذر المنافقون) أي يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم) أي تنزل على المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة هذه السورة تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة للمؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا ان الله مخرج) مظهر (ما تحذرون) قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته وحذيفة يسوق به فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاها فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر محمد وأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا هم الله بالدبيلة أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد قال قلنا لعمار أرأيتكم قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أو عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم

في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويحلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة * قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيأ ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحادد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي فحق أن له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة * قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبئهم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وأثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم (ان الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان

المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمروا له وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا هم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي اثني عشر منا فقالا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم * قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشأم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم أنه أنزل في أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشأم قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء * قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام

قوله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب قال عمر فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكيه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيده عليه قوله (قل) أي قل يا محمد للمنافقين (أبالله وآياته) كتابه (ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) فان قيل كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قيل معناه أظهرتم الكفر بعد ما أظهرتم الايمان

(ان نعف عن طائفة منكم) أى نثب على طائفة منكم وأراد بالطائفة واحدا (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) بالاستهزاء وقرأ عاصم نعف بالنون وفتحها وضم الفاء نعذب بالنون وكسر الذال طائفة نصب وقرأ الآخرون يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وفتح الذال طائفة رفع على غير تسمية الفاعل وقال محمد بن اسحق الذى عفا عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الأشجعى يقال هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم انى لا أزال أسمع آية تقرأ عنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم أحد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى هم على دين واحد وقيل أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق (يأمرون بالمنكر) بالشرك والمعصية (وينهون عن المعروف) أى عن الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) أى يمسكونها عن الصدقة والانفاق فى سبيل الله ولا يبسطونها بخير (نسوا الله فنسيهم) تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته فى الدنيا ومن رحمته فى الآخرة وتركهم فى عذابه (ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين

عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم * قلت معناه أظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد أن كنتم عندهم مؤمنين * وقوله سبحانه وتعالى (ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الأشجعى يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لا أزال أسمع آية تقرأ عنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه * قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعنى انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت منى أى أمرنا واحد لا مباينة فيه (يأمرون بالمنكر) يعنى يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعنى عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعنى عن الانفاق فى سبيل الله تعالى وفى كل خير (نسوا الله فنسيهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقى لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس فى وسع البشر دفعه وأيضا فان النسيان فى حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثانى ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيأ لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته فى الدنيا ومن رحمته فى العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعنى هم الخارجون عن الطاعة (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون فى الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعنى مقيمين فيها (هى حسبهم) يعنى هى كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعنى وأبعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أى دائم لا ينقطع * فان قلت قوله خالدين فيها يغنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه * قلت ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلى بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال فى النار هى حسبهم وذلك يمنع من ضم شئ آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بأن قوله هى حسبهم فى الايلام ولا يمتنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة فى عذابهم الوجه الثانى ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم فى الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم * قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف فى كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين فى عدولهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بأنهم كانوا

(ولهم عذاب مقيم) دائم (كالذين من قبلكم) أى فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن أمر الله فلعنتم كما لعنوا

(كانوا أشد منكم قوة) بطشا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الآخرة (فاستمتعتم بخلاقكم) أيها الكفار والمنافقون (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) وسلكتم سبيلهم (وخضتم) في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين (كالذي خاضوا) أي كما خاضوا وقيل كالذي يعني كالذين خاضوا وذلك ان الذي اسم ناقص مثل ما ومن (٩٨) يعبر به عن الواحد والجمع نظيره قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) أي كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية أبي هريرة فهل الناس الا هم وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنتم أشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غيراني لا أدري أتعبدون العجل أم لا قوله تعالى (ألم يأتهم) يعني المنافقين (نبأ) خبر (الذين من قبلهم) حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم ثم ذكرهم فقال (قوم نوح) أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح (وثمود) بالرجفة (وقوم ابراهيم) بسلب النعمة وهلاك نمرود (وأصحاب مدين) يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط وقراهم (أتتهم رسلهم بالبينات) فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يامعشر الكفار فاحذروا تعجيل النقمة (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في الدين واجتماع الكلمة والعون والنصرة

أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) * فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعادة ذكره في حق الاولين ثالثا * قلت فائدته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم * وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين (أولئك حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني ان أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى انه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن * وقوله تعالى (ألم يأتهم) رجع من الخطاب الى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وثمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشأم والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم (أتتهم رسلهم بالبينات) يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتعجيل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم * قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعدلهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة * فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم

بعضهم من بعض وقال فى وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة فى ذلك * قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة * وقوله سبحانه وتعالى (يأمرون بالمعروف) يعنى بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف فى الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعنى عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلوة) يعنى الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها (ويؤتون الزكوة) يعنى الواجبة عليهم وهو فى مقابلة ويقبضون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعنى فيما يأمرهم به وهو فى مقابلة نسوا الله فنسيهم (أولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرحمهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب فى نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم فى الجنان والسين فى قوله سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عزيز حكيم) وهذا بوجب المبالغة فى الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذى لا يمتنع عليه شئ أراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن أراد وايصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذى يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله فى الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعدلهم فى نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى فى هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التى تجرى من تحتها الانهار البساتين التى يتحير فى حسنها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الأخر هى البساتين التى يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعنى ومنازل يسكنونها طيبة (فى جنات عدن) يعنى فى بساتين خلدوا قامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبرى بسنده عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفى رواية فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم تراها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبرى فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التى أعدها لاوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباده عن أبى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجه البخارى ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن أعلى درجة فى الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام

(يأمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة والخير (وينهون عن المنكر) عن الشرك والمعصية وما لا يعرف فى الشرع (ويقيمون الصلوة) المفروضة (ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) منازل طيبة (فى جنات عدن) أى بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به قال ابن مسعود هى بطنان الجنة أى وسطها قال عبد الله بن عمرو ابن العاص ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن أعلى درجة فى الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الاذفر الابيض

(ورضوان من الله أكبر) أى رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذى هم فيه (ذلك هو الفوز العظيم) روينا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون ربنا وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا قوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف والقتل (والمنافقين) واختلفوا فى صفة جهاد المنافقين قال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وقال لا تلق (١٠٠) المنافقين الا بوجه مكفهر وقال ابن عباس باللسان وترك الرفق وقال الضحاك بتغليظ الكلام وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم ومأواهم) فى الآخرة (جهنم وبئس المصير) قال عطاء نسخت هذه الآية كل شئ من العفو والصفح قوله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا) قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال الكلبى نزلت فى الجلاس ابن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل ان محمدا الصادق وأنت شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس

فخر الدين الرازى حاصل هذا الكلام ان فى جنات عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين فى الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده والقول الثانى أنه صفة للجنة قال الازهرى العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن * وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أكبر) يعنى ان رضوان الله الذى ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده عليكم أبدا * قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار) يعنى بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعنى وجاهد المنافقين واختلفوا فى صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعنى اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبرى وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس فى الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالاتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعنى شدد عليهم بالجهاد والارهاب (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعنى ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها * فان قلت كيف ترك النبى صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم * قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر فى السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه فى الظاهر فى حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك فى الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبى صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم بأحوالهم وهو يجازيهم فى الآخرة بما يستحقون * قوله عز وجل (يحلفون بالله ما قالوا

فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علىّ يا رسول الله وأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذى لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علىّ عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل ان يتفرقوا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله عز وجل قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه وحسنت توبته

ولقد

(ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أى أظهروا الكفر بعد اظهار الايمان والاسلام وقيل هى سب النبى صلى الله عليه وسلم وقيل كلمة الكفر قول الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة الكفر قولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستأتى القصة فى موضعها فى سورة المنافقين (وهموا بما لم ينالوا) قال مجاهد هم المنافقون بقتل المسلم الذى سمع قولهم لنحن شر من الحمير لكى لا يفشيه وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على العقبة فى طريق تبوك ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة لذلك وقال السدى قالوا اذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبى تاجا فلم يصلوا اليه (وما نقموا) وما كرهوا وما أنكروا منهم (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك ان مولى الجلاس قتل فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اثنى عشر ألف درهم فاستغنى وقال الكلبى كانوا قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش فلما قدم عليهم النبى صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت فى الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التى نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل فى القرآن أو ان تصيبنى قارعة أو أن أخلط بخطيئته فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أخلط بخطيئته أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفارى على الجهنى فقال عبد الله بن أبى بن سلول للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فأنزل الله هذه الآية هذه روايات الطبرى وذكر البغوى عن الكلبى قال نزلت فى الجلاس بن سويد وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله على فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذى لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعنى أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هى سب النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هى كلمة الجلاس ابن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هى كلمة عبد الله بن أبى ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستأتى القصة فى موضعها فى سورة المنافقين ان شاء الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (وهموا بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذى سمع مقالته خشية أن يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدى قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبى ابن سلول تاجا فلم يصلوا اليه (وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعنى وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبى صلى الله عليه وسلم أن نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشروا بطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيأ ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

ما نقم الناس من أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا

(فان يتوبوا) من نفاقهم وكفرهم (يك خيرالهم وان يتولوا) يعرضوا عن الايمان (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالخزى (والآخرة) أى وفى الآخرة بالنار (وما لهم فى الارض من ولىّ ولا نصير) قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية أخبرنا أبو سعيد الشريحى ثنا أبو اسحق الثعلبى أنا أبو عبد الله بن حامد الاصفهانى ثنا أحمد بن محمد بن ابراهيم السمرقندى ثنا محمد بن نصر حدثنى أبو الازهر أحمد بن الازهر ثنا مروان بن محمد ثنا محمد بن شعيب ثنا معاذ بن رفاعة عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة الباهلى قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه (١٠٢) ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك فى رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فوالذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهى تنمو كالدود فكان يصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت فنمت فتباعد أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه

وهذا ليس مما ينقم وانما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيأ فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أى ليس فيهم عيب قال الكلبى كانوا قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمر له النبى صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبى دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبنى عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا وفيه نزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرالهم) يعنى فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرالهم فى العاجل والآجل (وان يتولوا) يعنى وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) يعنى بالخزى والاذلال (والآخرة) أى ويعذبهم فى الآخرة بالنار (وما لهم فى الارض من ولىّ ولا نصير) يعنى وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم فى الدنيا والآخرة * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوى بسند الثعلبى عن أبى أمامة الباهلى قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك فى رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة

فسألاه

يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجلا من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا الى ثعلبة حتى أتياه فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الىّ فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآها قالوا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة فمر على الناس فأخذا الصدقة ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيى قال فاقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه قال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمى بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فانزل الله

تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه الصدقة فقال ان الله عز وجل منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها فلما ولي عثمان أتاه فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة أتى ثعلبة مجلسا من الانصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه فوصلت الرحم وأحسنت الى القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما قال فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود وقالا والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله عز وجل بخلا به فقوله عز وجل ومنهم

فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآياها قالا ما هذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فرّا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فانطلقا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن أبي بلتعة (١) كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولنكونن من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيأ (وتولوا) يعني عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد

يعني من المنافقين من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنؤدين حق الله منه (ولنكونن من الصالحين) نعمل بعمل أهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون

(١) قوله ان حاطب الخ لم يذكر البغوي هذا القول وأصاب فان حاطبا مهاجري بدري وفضل آل بدر لا يخفى اه مصححه

فاعقبهم) فاحلقهم (نفاقا فى قلوبهم) اى صير عاقبة امرهم النفاق يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة امره ذلك وقيل عاقبهم بنفاق فلو بهم يقال عاقبته وأعقبته بمعنى واحد (الى يوم يلقونه) يريد حرمهم التوبة الى يوم يلقونه القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى (١٠٤) ثنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى ثنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا اسمعيل ابن جعفر ثنا أبو سهيل نافع ابن مالك عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاثا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) يعنى ما أضمروا فى قلوبهم وما تناجوا به بينهم (وأن الله علام الغيوب) قوله تعالى (الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين فى الصدقات) الآية قال أهل التفسير حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف جعلها فى سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى ماله حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت لما صاعين من تمر فامسكت أحدهما لاهلى وأتيتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره فى الصدقة فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبى عقيل ولكنه أراد أن يذكر فيمن أعطى الصدقة فانزل الله عز وجل الذين يلمزون أى يعيبون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات يعنى عبد الرحمن بن عوف وعاصما

(فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم) يعنى فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا الدامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعنى انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما أخلفوا الله ما وعدوه) يعنى الصدقة والانفاق فى سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعنى فى قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيى الدين النووى هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد فى النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء فى معناه فالذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين فى هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود فى صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق فى الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا هو المختار فى معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا فى أيمانهم فكذبوا وأتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى أمر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا فى خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح ورجع اليه الحسن البصرى بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر وروياه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض واليه مال أكثر أئمتنا وحكى الخطابى قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد فى رجل بعينه منافق وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازى ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالغ فى الاحتراز عنه فاذا عاهد الله فى أمر فليجتهد فى الوفاء به * وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعنى هؤلاء المنافقين (أن الله يعلم سرهم) يعنى ما تنطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعنى ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شئ منها (وأن الله علام الغيوب) وهذا مبالغة فى العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم * قوله عز وجل (الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين فى الصدقات) الآية (ق) عن أبى مسعود البدرى قال

لما نزلت آية الصدقة كنا نحمل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوّعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوّع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الا جهدهم) يعني أبا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز و بالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة و بالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لان الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير أخرج القليل انما أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال غير مرجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل و يقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به * وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة * قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين و بان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه و يقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أولا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أولم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم * وقوله سبحانه

(والذين لا يجدون الا جهدهم) أي طاقتهم يعني أبا عقيل والجهد الطاقة بالضم لغة قريش وأهل الحجاز وقرأ الاعرج بالفتح قال القتيبي الجهد بالضم الطاقة و بالفتح المشقة (فيسخرون منهم) يستهزؤن منهم (سخر الله منهم) أي جازاهم الله على السخرية (ولهم عذاب أليم استغفر لهم أولا تستغفر لهم) لفظ أمر معناه الخبر تقديره استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

(ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون) عن غزوة تبوك والمخلف المتروك (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) قال أبو عبيدة أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر) وكانت غزوة تبوك فى شدة الحر (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعلمون وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن

(فليضحكوا قليلا) فى الدنيا (وليبكوا كثيرا) فى الآخرة تقديره فليضحكوا قليلا وسيبكون كثيرا (جزاء بما كانوا يكسبون) أخبرنا الامام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنبأنا السيد أبو الحسين محمد بن الحسين العلوى قال أنا عبد الله بن محمد الحسين الشرقى ثنا عبد الله ابن هاشم ثنا يحيى بن سعيد ثنا شعبة عن موسى بن أنس رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى دوبة ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث ثنا أبو الحسن محمد ابن يعقوب الكسائى ثنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عمران بن زيد الثعلبى ثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أبكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول ثم تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت

وتعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) يعنى ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعنى فرح المتخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعنى بقعودهم فى المدينة خلاف رسول الله يعنى بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا فى الحر) وكانت غزوة تبوك فى شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد فى الحر ان نار جهنم التى هى موعدهم فى الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك فى الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر فى الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا فى الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه (وليبكوا كثيرا) يعنى مكان ضحكهم فى الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا أن معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم فى الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم فى الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفانى بالنسبة الى الدائم الباقى قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى أن ذلك البكاء فى الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة فى الدنيا (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ورى البغوى بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا أجريت فيها لجرت * قوله سبحانه وتعالى (فان رجعك الله) يعنى فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعنى الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار (فاستأذنوك للخروج) يعنى فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم فى الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا معى أبدا) يعنى فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معى أبدا لا الى غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا معى عدوا انكم) يعنى لانكم (رضيتم بالقعود أول مرة) يعنى انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعنى مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا

فيها لجرت قوله تعالى (فان رجعك الله) أى ردك الله يا محمد من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) يعنى من المخلفين وانما قال — بغير طائفة منهم لانه ليس كل من تخلف من غزوة تبوك كان منافقا (فاستأذنوك للخروج) معك فى غزاة أخرى (فقل) لهم (لن تخرجوا معى أبدا) فى سفر (ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة) فى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى مع النساء والصبيان وقيل مع الزمنى والمرضى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال صاحب خالف اذا كان مخالفا

بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحب خالف اذا كان مخالفا كثيرا الخلاف وفى الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع و بدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات * قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله انى لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لى وساله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه فى قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث فى جلده ودلاه فى قبره فأنزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله أتصلى على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى يا عمر فلما أكثرت عليه قال انى خيرت فاخترت لو أعلم أنى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذى وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعباسا قميصا قال سفيان وقال أبو هرون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذى يلى جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفى رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالاسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبى يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذى ألبسه

﴿فصل﴾ قد وقع فى هذه الاحاديث التى تتضمن قصة موت عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق صورة اختلاف فى الروايات ففى حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفى عبد الله بن أبى ابن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفى حديث عمر بن الخطاب من افراد البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفى حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس فى حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم انه صلى عليه أولا كما فى حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعدما أدخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذى أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبى تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده فى مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلى عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث فى جلده ودلاه فى حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث فى جلده ودلاه فى قبره جملة منقطعة عما قبلها يعنى أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص و بعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبى

وهو مريض فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله انى لم أبعث اليك لتؤنبنى انما بعثت اليك لتستغفر لى وسأله ان يكفنه فى قميصه و يصلى عليه أخبرنا عبد الواحد المليحى ثنا أحمد ابن عبد الله النعيمى ثنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهم انه قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله أتصلى على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى يا عمر فلما أكثرت عليه قال انى خيرت فاخترت لو أعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى ثنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل

ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما أدخل في حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك وروى عن جابر قال لما كان يوم بدر أتي بالاسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فوجد رسول الله قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه عبد الله قال ابن عيينة كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيأ والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه وروى أنه أسلم به ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا (ولا تقم على قبره) لا تقف عليه وقيل لا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره (انهم كفروا بالله و رسوله وماتوا وهم فاسقون) فما صلى النبي صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض

قال عمرو وسمعت جابر بن عبد الله قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما

في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي ابن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم جسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا وكان أبر الناس بأبيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بأبي وان أمرتني أن آتيك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فأعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا لطلبته وقول عمر تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره أن الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذان التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شئ من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعدا بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لأولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما أعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فأجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصا وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أن يكافئه بها ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى انه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها * فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر * قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه

بأن يؤدى الامانة ولا يضمر لاحد سوأ وقد يكون خبيثا فى نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر * قوله تعالى (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية فى مقامين المقام الاول فى وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل أولا وتأكيده وارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقونه فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة فى التحذير من ذلك الشئ الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الالفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء فى قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانه أينما ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بأن يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الأولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (أن) أى بأن (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) * فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل * قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى أن اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله أولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيد كم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة * وقوله سبحانه وتعالى (استأذنك أولوا الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفى تخصيص أولى الطول بالذكر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نكن مع القاعدين) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قيل الخوالف النساء اللواتى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة

قوله تعالى (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) ذوو الغنى والسعة منهم فى القعود والتخلف (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) فى رحالهم (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) يعنى النساء وقيل مع أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم

(وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات) يعني الحسنات وقيل الجواري الحسان في الجنة قال الله تعالى فيهن خيرات حسان جمع خيرة وحكي عن ابن عباس ان الخير لا يعلم معناه الا الله تعالى كما قال جل ذكره فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله تعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) الآية قرأ يعقوب ومجاهد المعذرون بالتخفيف وهم المبالغون في العذر يقال في المثل لقد أعذر من أنذر أي بالغ في العذر من قدم النذارة وقرأ الآخرون المعذرون بالتشديد أي المقصرون يقال عذر أي قصر وقال الفراء المعذرون المعتذرون أدغمت التاء في الذال ونقلت حركة التاء إلى العين وقال الضحاك المعذرون هم رهط عامر ابن الطفيل جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقعد الذين كذبوا الله و رسوله) يعني المنافقين قال أبو عمرو بن العلاء كلا الفريقين كان مسيئا قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وقوم تخلفوا من غير تكلف عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم ذكر أهل العذر فقال جل ذكره (ليس على الضعفاء) قال ابن عباس يعني الزمنى والمشايخ والعجزة وقيل هم الصبيان وقيل النسوان (ولا على المرضى

وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد * قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالمطالب * قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية * قوله سبحانه وتعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذرون من أعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون أي المقصرون يعني أنهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى أن له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله و رسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين و يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا باطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله و رسوله وهم منافقو الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه وتعالى علم أن منهم من سيؤمن و يخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه * قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفا نحيفا و يدل على أن هؤلاء الاصناف هم الضعفاء أن الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد

الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور (حرج) أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي ليس في الآية أنه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كلا وو بالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه انهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الارجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله و رسوله (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه و يستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مخلصا من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع (رحيم) يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله ابن أم مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين أتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك) يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما أتوك (لتحملهم) يعني يسألونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف جرمي بن عمير ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا أجد ما أحملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل ما ذكر قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل (حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يعني على أنفسهم في الجهاد (انما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما توجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك (وهم أغنياء) يعني قادرين على الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) يعني رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم (وطبع الله على قلوبهم) يعني ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما في الجهاد من الخير في

في مغيبهم وأخلصوا الايمان والعمل لله و بايعوا الرسول (ما على المحسنين من سبيل) أي من طريق بالعقوبة (والله غفور رحيم) قال قتادة نزلت في زيد بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) معناه انه لا سبيل على الاولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل المزني أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله لتحملهم قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله عنه في قوله تعالى (قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) وهم يبكون فذلك قوله تعالى تولوا (وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل) بالعقوبة (على الذين يستأذنونك

في التخلف (وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) مع النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم) يروى ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون بالباطل قال الله تعالى (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) فيما سلف (وسيرى الله عملكم ورسوله)

فى المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله

الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو وأما فى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع * قوله سبحانه وتعالى (يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم) يعنى يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعنى من سفركم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البغوى روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (لن نؤمن لكم) يعنى لن نصدقكم فيما اعتذرتم به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) يعنى فى المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد * قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعنى اذا رجعتم من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فأعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعانى ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة (ومأواهم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف للنبى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الآية والتى بعدها (يحلفون لكم لترضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم (فان ترضوا عنهم) يعنى فان رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا * وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبه فى العرب وجمعه العرب ورجل أعرابى اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا قيل له يا عربى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعنى وأخلق وأحرى (ألا يعلموا) يعنى بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعنى لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد أن الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة لانه

لكم اذا انقلبتم اليهم) اذا انصرفتم اليهم من غزوكم (لتعرضوا عنهم) لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم (فأعرضوا عنهم) فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق (انهم رجس) نجس أى ان عملهم قبيح (ومأواهم) فى الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) قال ابن عباس نزلت فى جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف للنبى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الآية (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب) أى أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر (وأجدر) أى أخلق وأحرى (ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن (والله عليم) بما فى قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض من فرائضه لا

(ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) قال عطاء لا يرجون على اعطائه ثوابا ولا يخافون على امساكه عقابا انما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام ما لا يلزم

(ويتربص) وينتظر (بكم الدوائر) يعني صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر وقال يمان بن رئاب يعني يتقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) عليهم بدور البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه الا ما يكرهون وما يسوءهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء ههنا وفي سورة الفتح بضم السين معناه الضر والبلاء والمكروه وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر وقيل بالفتح الرداءة والفساد وبالضم الضر والمكروه (والله سميع عليم) نزلت في اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى فقال (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي أسلم وغفار وجهينة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن عبد الله الظاهري أنبأنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر بن محمد بن زكريا العذافري أنبأنا اسحق بن ابراهيم الدبري أنبأنا

عبد الرزاق ثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد ابن خزيمة وهوازن وغطفان (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) القربات جمع القربة أي يطلب القربة الى الله تعالى (وصلوات الرسول) أي دعاءه واستغفاره قال عطاء يرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (ألا انها قربة لهم) قرأ نافع برواية ورش قربة بضم الراء والباقون بسكونها (سيدخلهم الله في رحمته) في جنته (ان الله غفور رحيم والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار) قرأ يعقوب والانصار رفع عطفا على قوله والسابقون واختلفوا في السابقين قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء ابن أبي رباح هم أهل بدر وقال

لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين أو مراآة لهم ولم يرد بذلك الا نفاق وجه الله وثوابه (ويتربص) يعني وينتظر (بكم الدوائر) يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رئاب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) يعني لأقوالهم (عليم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تبعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له أما اني لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله * وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قربة أي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (ألا انها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله في رحمته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين في سبيله (رحيم) يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة * قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع

الشعبي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية واختلفوا في أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنه خديجة مع اتفاقهم على انها أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قول جابر وبه قال مجاهد وابن اسحق أسلم وهو ابن عشر سنين وقال بعضهم أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول ابن عباس وابراهيم النخعي والشعبي وقال بعضهم أول من أسلم زيد بن حارثة وهو قول الزهري وعروة ابن الزبير وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الاقوال فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن العبيد زيد بن حارثة قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان فيها وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأنونه ويألفونه لغير واحد

من الامر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه فاسلم على يديه فيما بلغني عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (١١٤) وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلموا وصلوا

الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحان الله ألا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فاوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكأني لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح أنه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يديه وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر (١) أسعد ابن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أن الله سبحانه وتعالى ذكرهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وأنصارا وجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار * قوله تعالى (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع

(١) قوله ستة نفر المعدود هنا خمسة والسادس عقبة بن عامر كما في المواهب

فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الدخول في الاسلام أما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا ستة في العقبة الاولى وسبعين في الثانية والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب ابن عمير يعلمهم القرآن فأسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم والانصار أي ومن الانصار هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه (والذين اتبعوهم باحسان) قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعاء وقال أبو صخر حميد بن زياد أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له ما قولك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة محسنهم ومسيئهم فقلت من أين تقول هذا فقال اقرأ قول الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال والذين اتبعوهم باحسان شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة قال أبو صخر فكأني لم أقرأ هذه الآية قط . وروي ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال (رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار) قرأ ابن كثير من تحتها الانهار وكذلك هو في مصاحف أهل مكة (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) وهم من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة يقول من هؤلاء الاعراب منافقون (ومن أهل المدينة) أي ومن أهل المدينة من الاوس والخزرج قوم منافقون (مردوا على النفاق) أي مرنوا على النفاق يقال تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ومنه المريد والمارد وقال ابن اسحق لجوا فيه وأبوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا (لا تعلمهم) أنت يا محمد (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) اختلفوا في هذين العذابين قال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق أخرج ناسا من المسجد وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني عذاب القبر وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وعنه رواية أخرى عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة الدبيلة في الدنيا وعذاب القبر وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الآخرة وعن ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر وقيل أحدهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخر عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم (ثم يردون الى عذاب عظيم) أي عذاب جهنم يخلدون فيه

من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا وفي رواية أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن أحدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة * وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) * قوله سبحانه وتعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من أعراب مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وماذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فانه أطلق القول ولم يعين أحدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وأبوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت (سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام

فى الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هى الدبيلة فى الدنيا وقد جاء تفسيرها فى الحديث بأنها خراج من نار تظهر فى اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هى المصائب فى الاموال والاولاد فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هى مايدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون فيه * قوله عز وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم وأخلصوا وحجة هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم و يعضده ما نقله الطبرى عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت فى جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون فى عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبولبابة و روى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبولبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبولبابة وقيل كانوا ثلاثة أبولبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أنكون فى الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا و يعذرنا فربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد فلما رجع النبى صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فأنزل الله عز وجل هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية فى أبى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت فى أبى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال أبولبابة يارسول الله ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا أبالبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان لفظة من تقتضى التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم أقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهى انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على مافعلوا * فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا * قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على

قوله تعالى (وآخرون) أى ومن أهل المدينة أومن الاعراب آخرون ولا يرجع هذا الى المنافقين (اعترفوا) أقروا (بذنوبهم

خلطوا عملا صالحا) وهو اقرارهم بذنوبهم وتوبتهم (وآخر سيئا) أى بعمل آخر سيئ وضع الواو وموضع الباء كما يقال خلطت الماء واللبن أى باللبن والعمل السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسوارى وقيل غزوانهم مع النبى صلى الله عليه وسلم (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) نزلت هذه الآية فى قوم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك وقالوا نكون فى الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد واللأواء فلما قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فاوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم لانهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فأنزل الله هذه الآية فأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية واختلفوا فى عدد هؤلاء التائبين فروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عطية عنه انهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد ابن أسلم كانوا ثمانية وقال الضحاك وقتادة كانوا سبعة وقالوا جميعا أحدهم أبو لبابة وقال قوم نزلت فى أبى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه قال مجاهد نزلت فى أبى لبابة حين قال لقريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه وقال الزهرى نزلت فى تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسى ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث قالوا جميعا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم قال الحسن وقتادة هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلطوا قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بها من ذنوبهم (وتزكيهم بها) أى ترفعهم من منازل المنافقين الى منازل المخلصين وقيل تنمى أموالهم

تركه فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة * وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن أبى عثمان قال ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم * فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فما المخلوط به * قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فأما قولك خلطته فانما يحسن فى الموضع الذى يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأنكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلا معا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفى القول بالمحابطة وانه بقى كل واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو فى الآية أحسن من الباء لانه أريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط ألا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتى بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعانى لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد * قوله سبحانه وتعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قال ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحباه فأتوا بأموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيأ

منها حتى أمر به فأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فأوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لابد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الأخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلأن يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي خذ يا محمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الائمة فيجوز للامام أو نائبه أن يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب أن تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم أي تنمي أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى (وصل عليهم) يعني ادع لهم واستغفر لهم لان أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة

(وصل عليهم) أي ادع لهم واستغفر لهم وقيل هو قول الساعي للمتصدق اذا أخذ الصدقة منه آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت والصلاة في اللغة الدعاء

(ان صلوتك) قرأ حمزة والكسائي صلاتك على التوحيد ونصب التاء ههنا وفي سورة هود أصلاتك وفي سورة المؤمنين على صلاتهم كلهن على التوحيد وافقهما حفص ههنا وفي سورة هود وقرأ الآخرون بالجمع فيهن وكسر التاء ها هنا وفي سورة المؤمنين ولا خلاف في التي في الانعام وهم على صلوتهم يحافظون ولا التي في الواقع وهم على صلوتهم يحافظون انهما جميعا على التوحيد (سكن لهم) أي ان دعاءك رحمة لهم قاله ابن عباس وقيل طمأنينة لهم وسكون لهم ان الله عز وجل قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم (والله سميع (١٩٩) عليم) واختلفوا في وجوب الدعاء على الامام عند أخذ الصدقة قال بعضهم يجب وقال بعضهم يستحب وقال بعضهم يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم بن أبي اياس ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وقال ابن كيسان ليس هذا في صدقة الفرض انما هو لصدقة كفارة اليمين وقال عكرمة هي صدقة الفرض فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع الى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم فأنزل الله

قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجاه في الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى (ان صلوتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم (والله سميع) يعني لاقوالهم أو لدعائك لهم (عليم) يعني بنياتهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام الا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم اليوم فأنزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق واعلم عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله سبحانه وتعالى (ويأخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو الجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير أو السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربو ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها الفتان المهر أول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى أن ينفصل عنها * وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بأن الله هو التواب الرحيم * قوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا أما رؤية رسول الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أي يقبلها (وأن الله هو التواب الرحيم) أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنبأنا الربيع بن سليمان أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا طيب الا كأنما يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى ان اللقمة لتأتي يوم القيامة وانها لمثل الجبل العظيم ثم قرأ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

ه سترددون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قال مجاهد هذا وعيد لهم قبل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم باعلام الله تعالى اياه ورؤية منين بايقاع المحبة في قلوبهم لاهل الصلاح والبغضة لاهل الفساد قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله حكيم) قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر مرجون بغير همز والآخرون بالهمز والارجاء التأخير مرجون مؤخرون لامر الله لحكم الله عز وجل فيهم وهم الثلاثة الذين (١٢٠) تأتي قصتهم من بعد كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع لم يبالغوا في التوبة والاعتذار

صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على أعمالكم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعني وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خير أو شر فيجازيكم على أعمالكم * قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فأخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) يعني أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضي عليهم * قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلي فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه * وقوله سبحانه وتعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال أبو عامر فأنا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية

كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى شق عليهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت وكانوا من أهل بدر فجعل أناس يقولون هلكوا وآخرون يقولون عسى الله أن يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله فلا يدرون أيعذبهم أم يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة قوله تعالى (والذين اتخذوا) قرأ أهل المدينة والشام الذين بلا واو وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون بالواو (مسجدا ضرارا) نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة ابن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة ابن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان ورجل يقال له بحزج بنوا هذا

المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين (وكفرا) بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون ما في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم مجمع بن حارثة فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله يقال أرصدت له اذا أعددت له وهو أبو عامر الراهب

وكان أبو عامر هذا رجلا منهم وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلعم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام قوله من قبل يرجع الى أبي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن ان أردنا ما أردنا ببنائه (الا الحسنى) الا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم لكاذبون) في قولهم وحلفهم روي انه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ونزل بذي أوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سريعا حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك أنظروني حتى أخرج اليكم بنار من أهلي فدخل أهله فاخذ سعفا من النخل وأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر النبي صلعم ان يتخذ ذلك كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام وحيدا فريدا غريبا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمجمع بن حارثة فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال له مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ فوالله لقد صليت فيه وانا لا أعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن القرآن فصليت فيه ولا أحسب الا انهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فعذره عمر وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء وقال عطاء لما فتح الله على عمر الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا في مدينتهم مسجدين يضار أحدهما صاحبه قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه

ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو عامر أمات الله الكاذب مناطريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد (ان أردنا) يعني ما أردنا ببنائه (الا الحسنى) يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم لكاذبون) يعني في قيلهم وحلفهم روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك أنظروني حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه أن يأذن لمجمع بن جارية أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين أليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب الا انهم يتقربون الى الله ولو أعلم ما في أنفسهم فعذره عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار أحدهما الآخر * وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه

لا تصل فيه منع الله تعالى نبيه صلى ان يصلى فى مسجد الضرار (لمسجد اسس على التقوى) اللام لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد أسس أى بنى أصله على التقوى (من أول يوم) أى من أول يوم بنى ووضع أساسه (أحق أن تقوم فيه) مصليا واختلفوا فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى هو مسجد المدينة مسجد الرسول صلى والدليل عليه ما أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا يحيى بن سعيد عن حميد الخراط قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بى عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال فقلت له كيف سمعت أباك يذكر فى المسجد الذى

لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعنى بنى أصله ووضع أساسه على التقوى يعنى على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعنى من أول يوم بنى ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعنى مصليا واختلفوا فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مسجد المدينة ويدل عليه ما روى عن أبى سعيد الخدرى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أى المسجدين أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصى فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبرى هذا رواتب فى الجنة أخرجه النسائى قوله رواتب يعنى ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفى رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على انهم أهل قباء ما روى عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى أهل قباء فيهم رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية أبى داود والترمذى موقوفا على أبى هريرة ورواه البغوى من طريق أبى داود مرفوعا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية فى أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتى قباء راكبا وماشيا زاد فى رواية فيصلى فيه ركعتين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله أخرج الرواية الاولى والزيادة البخارى ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخارى عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتى هذا المسجد مسجد قباء فيصلى فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائى عن أسد بن ظهير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلاة فى مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذى * وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعنى من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا يناموا بالليل على الجنابة وروى الطبرى بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء انى أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا أن جيرانا لنا من اليهود رأينا هم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد

أسس على التقوى فقال قال أبى دخلت على رسول الله صلى فى بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أى المسجدين الذى أسس على التقوى قال فأخذ كفا من الحصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة قال فقلت أشهد أنى سمعت أباك هكذا يذكره وأخبرنا أبو الحسن الشيرازى أنبأنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو اسحق الهاشمى أنبأنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى قال ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى وذهب قوم الى انه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا موسى بن اسمعيل ثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان النبى صلى يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله بن عمر يفعله وزاد نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى أحسن فيصلى فيه ركعتين قوله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من الأحداث والجنابات والنجاسات وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا يناموا بالليل على الجنابة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشانى أنبأنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى أنبأنا أبو على محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى أنا محمد بن العلاء ثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبى ميمونة عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى قال نزلت هذه الآية فى أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه

الآية (والله يحب المطهرين) أى المتطهرين (أفمن أسس بنيانه) قرأ نافع وابن عامر أسس بضم الهمزة وكسر السين بنيانه برفع النون فيهما جميعا على غير تسمية الفاعل وقرأ الآخرون أسس بفتح الهمزة والسين بنيانه بنصب النون على تسمية الفاعل (على تقوى من الله ورضوان خير) أى على طلب التقوى ورضا الله تعالى خير (أم من أسس بنيانه على شفا) أى على شفير (جرف) قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر جرف ساكنة الراء وقرأ الباقون بضم الراء وهما لغتان وهى البئر التى لم تطو قال أبو عبيدة هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية فيتجرف بالماء فيبقى واهيا (هار) أى هائر وهو الساقط يقال هار يهور فهو هائر ثم يقلب فيقال هار مثل شاك وشائك وعاق وعائق وقيل هو من هار يهار اذا انهدم ومعناه الساقط الذى يتداعى بعضه فى أثر بعض كما ينهار الرمل والشئ الرخو (فانهار به) أى سقط بالبانى (فى نار جهنم) يريد بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم تنهور باهلها فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد صيرهم النفاق الى النار (والله لا يهدى القوم الظالمين) قال قتادة والله ما تناهى ان وقع فى النار وذكر لنا انه حفرت بقعة فيه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر ابن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) أى شكا ونفاقا (فى قلوبهم) يحسبون انهم كانوا فى بنائه محسنين كما حبب العجل الى قوم موسى قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقال الكلبى حسرة وندامة لانهم ندموا على بنائه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة حزازة وغيظا فى قلوبهم (الا أن تقطع قلوبهم) أى تتصدع قلوبهم فيموتوا قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص وحمزة تقطع بفتح التاء أى تتقطع فحذفت احدى التاءين تخفيفا وقرأ الآخرون تقطع بضم التاء من التقطيع وقرأ يعقوب وحده الى ان بتخفيف اللام على الغاية وقرأ الباقون الا ان بتشديد اللام على الاستثناء ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة لا يزالون فى شك منه وندامة الى أن يموتوا فحينئذ يستيقنوا (والله عليم حكيم) قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)

أحسن عليكم الثناء فى الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازى المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصى وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر فى القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعنى أهل قباء بالضد من صفاتهم وماذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصى وهى الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصى وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعنى طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصى وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة * قوله سبحانه وتعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعنى طلب بنائه المسجد الذى بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان البانى لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شئ حرفه ومنه يقال أشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذى أكل الماء تحته فهوالى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أى هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذى تداعى بعضه فى أثر بعض كما ينهار الرمل والشئ الرخو (فانهار به) يعنى سقط بالبانى (فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور بأهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاول قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والبانى الثانى قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) يعنى شكا ونفاقا (فى قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون فى بنائه كما حبب العجل الى بنى اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاى سبب أمر بتخريبه وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغيظا فى قلوبهم (الا أن تقطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم الى أن يموتوا عليها (والله عليم) يعنى بأحوالهم وأحوال جميع عباده (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم * قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

شيأ وأشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم (بأن لهم الجنة) وقرأ الأعمش بالجنة (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي فيقتلون بضم الياء وفتح التاء ويقتلون بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل يعني يقتل بعضهم ويقتل الباقون وقرأ الباقون فيقتلون بفتح الياء وضم التاء ويقتلون بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على فعل المفعول والوجه انهم يقتلون الكفار أولا ثم يستشهدون وهذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر (وعدا عليه حقا) أي ثواب الجنة لهم وعد حق (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب وفيه دليل على ان أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة ثم هنأهم فقال (ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا) ففرحوا (ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) قال عمر رضي الله عنه ان الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك وقال قتادة ثامنهم الله عز وجل فأغلى لهم وقال الحسن اسعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه انه قال ان الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها ثم وصفهم فقال (التائبون) قال القراء استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون الى آخر الآية لهم الجنة أيضا أي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد لان بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد فمن كانت هذه صفته

بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيأ هو له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الأمر أي قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعني فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعته وسبيله (وعدا عليه حقا) يعني ذلك الوعد بأن لهم الجنة وعدا على الله حقا (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعني لا أحد أوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به (وذلك) يعني هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه رابح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فأغلى لهم * قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال القراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين بترك الجهاد وهذا وجه حسن فكأنه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بأمور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون

فله الجنة أيضا وهذا حسن فكأنه وعد الجنة لجميع المؤمنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى فمن جعله تابعا للاول فلهم الوعد الله بالجنة أيضا وان كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات قوله التائبون أي الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق (العابدون) المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل (الحامدون) الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء

(السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما هم الصائمون وقال سفيان بن عيينة انما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ماروى عن عثمان بن مظعون قال قلت يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولابد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره (الآمرون بالمعروف) يعنى يأمرون الناس بالايمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى ألزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بأن له الجنة وان لم يغز * قوله عز وجل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم والد على وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ماروى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبى طالب انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء أخرجاه فى الصحيحين * فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن أبى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولا * قلت الذى نزل فى أبى طالب قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر

الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال عطاء السائحون الغزاة المجاهدون فى سبيل الله وروى عن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أنه قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين (الآمرون بالمعروف) بالايمان (والناهون عن المنكر) عن الشرك وقيل المعروف السنة والمنكر البدعة (والحافظون لحدود الله) القائمون بأوامر الله وقال الحسن أهل الوفاء ببيعة الله (وبشر المؤمنين ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال قوم سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى حدثنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (ولو كانوا أولى قربى

شيأ وأشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم (بأن لهم الجنة) وقرأ الأعمش بالجنة (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي فيقتلون بضم الياء وفتح التاء ويقتلون بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل يعني يقتل بعضهم ويقتل الباقون وقرأ الباقون فيقتلون بفتح الياء وضم التاء ويقتلون بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على فعل المفعول والوجه انهم يقتلون الكفار أولا ثم

بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيأ هو له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الأمر أي قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعني فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعته وسبيله (وعدا عليه حقا) يعني ذلك الوعد بأن لهم الجنة وعدا على الله حقا (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعني لا أحد أوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به (وذلك) يعني هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه رابح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترا الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فأغلى لهم * قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال القراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غيرهم عاندين ولا قاصدين بترك الجهاد وهذا وجه حسن فكأنه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بأمور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون

يستشهدون وهذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر (وعدا عليه حقا) أي ثواب الجنة لهم وعد حق (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب وفيه دليل على ان أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة ثم هنأهم فقال (ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا) ففرحوا (ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) قال عمر رضي الله عنه ان الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك وقال قتادة ثامنهم الله عز وجل فأغلى لهم وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه انه قال ان الله أعطاك الدنيا فاشترا الجنة ببعضها ثم وصفهم فقال (التائبون) قال القراء استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون الى آخر الآية لهم الجنة أيضا أي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد لان بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضا وهذا حسن فكأنه وعد الجنة لجميع المؤمنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى فمن جعله تابعا للاول فلهم الوعد بالجنة أيضا وان كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات قوله التائبون أي الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق (العابدون) المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل (الحامدون) الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء ورونا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء

(السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما هم الصائمون وقال سفيان بن عيينة انما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ماروى عن عثمان بن مظعون قال قلت يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره (الآمرون بالمعروف) يعنى يأمرون الناس بالايمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن أما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى ألزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بأن له الجنة وان لم يغز * قوله عز وجل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) الآية واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم والد على وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ماروى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبى طالب انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء أخرجاه فى الصحيحين * فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن أبى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولا * قلت الذى نزل فى أبى طالب قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر

الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال عطاء السائحون الغزاة المجاهدون فى سبيل الله وروى عن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أنه قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين (الآمرون بالمعروف) بالايمان (والناهون عن المنكر) عن الشرك وقيل المعروف السنة والمنكر البدعة (والحافظون لحدود الله) القائمون بأوامر الله وقال الحسن أهل الوفاء ببيعة الله (وبشر المؤمنين ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال قوم سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى حدثنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى

من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وأنزل فى أبى طالب انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا
عبد الغافر بن محمد أنبأنا (١٢٦) محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى محمد بن حاتم بن ميمون ثنا يحيى بن سعيد
ثنا يزيد بن كيسان حدثنى أبو حازم الاشجعى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله عز وجل انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله ابن يوسف حدثنى الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الله ابن خباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه وقال أبو هريرة وبريدة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر

له فى بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء الآية وفى رواية قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله الآية (ق) عن أبى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه أم دماغه وفى رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار وفى رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة وبريدة لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبرى بسنده عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبرى بسنده عن بريدة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكاك قال مررت بقبر أمى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربى أن أستغفر لها فزجرت زجرا فأبكانى ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحى فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية (ق) عن أبى هريرة قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لأبى كما استغفر ابراهيم لابيه فأنزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العانى ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى والله لأستغفرن لابى كما استغفر ابراهيم لابيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية عن على بن أبى طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائى والترمذى وقال حديث حسن وأخرجه الطبرى وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغى للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى لان النهى عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعنى تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك

ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبى شيبة وتعالى
أنبأنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى عز وجل فى
أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت قال قتادة قال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لابى كما استغفر

ابراهيم لابيه فأنزل الله تعالى هذه الاية ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أنزل الله عز وجل خبرا عن ابراهيم عليه السلام قال لابيه سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك قوله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) قال بعضهم الهاء في اياه عائدة الى ابراهيم عليه السلام والوعد كان من أبيه وذلك ان أباه كان وعده أن يسلم فقال له ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا أسلمت وقال بعضهم الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه وهو قوله سأستغفر لك ربي يدل عليه قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة والدليل على ان الوعد من ابراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الاب قوله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى أن قال الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فصرح ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار وانما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم (فلما تبين له أنه تبين له عدو لله) لموته على الكفر (تبرأ منه)

وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده أما قوله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من أجل موعدة وعدها ابراهيم اياه أن يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لابويك وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان أبا ابراهيم وعد ابراهيم أن يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك أن ابراهيم وعد اباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدو له فتبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فتبرأ منه والقترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والانثى ذيخة * وقوله تبارك وتعالى (ان ابراهيم لاواه حليم) جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن

وقيل فلما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه أي يتبرأ منه وذلك ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن عبد الله حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلعم قال يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم عليه السلام يارب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وفي رواية فيتبرأ منه يومئذ قوله تعالى (ان ابراهيم لاواه حليم) اختلفوا في معنى الاواه جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال عبد الله بن مسعود الاواه الدعاء وعن ابن عباس قال هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال عكرمة هو المستيقن بلغة الحبشة وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم عليه السلام يكثر أن يقول آه من النار قبل أن لا ينفع آه وقيل هو الذي يتأوه من الذنوب وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله تعالى وعن سعيد بن جبير قال الاواه المسبح وروي عنه الاواه المعلم للخير وقال النخعي هو الفقيه وقال عطاء هو الراجع عن كل ما يكره الله وقال أيضا هو الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا يريد أن يكون تضرعه على يقين بالاجابة ولزوم الطاعة قال الزجاج قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه أوه وتأوه والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه كما قال لابيه عند وعيده وقوله لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا سلام عليك سأستغفر لك ربي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الحليم السيد

قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) معناه ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الاوامر و باستغفاركم للمشركين (حتى يبين لهم ما يتقون) يريد حتى يتقدم اليكم بالنهي فاذا بين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة و بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا وذروا وقال الضحاك ما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ولم تكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ (ان الله بكل شئ عليم) ثم عظم نفسه فقال (ان الله له ملك السموات والارض) يحكم بما يشاء (يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي) الآية تاب الله أي تجاوز وصفح ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول ونحوه (والمهاجرين والانصار

وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوّه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخ ثف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه هو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب و يشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو آذاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لأرجمنك فأجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به أنتم في هذه الحالة أيضا * وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به و برسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعني ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم النهي عن ذلك الفعل فأما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية و بين أنه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد أن يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه و يتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة و بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في أمر المنسوخ وذلك أن قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فأنزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شئ عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين و يعلم ما يبين لكم من أوامره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحيي ويميت) يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان و يميته عليه و يحيي من يشاء على الكفر و يميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم و ينصركم عليهم * قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهي كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فأن لله خمسه ومعنى هذا ان

(الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة وكانت عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون ومامعهم الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فضوامع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى أن كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال أبو بكر الصديق يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم من القرب ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر (من بعد ما كاد يزيغ) قرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لقوله كاد ولم يقل كادت وقرأ الآخرون بالتاء والزيغ الميل أى من بعد ما كادت تميل

ذكر النبى بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبى صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله فأن لله خمسه وللرسول فهو تشريف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد ور بما وقع فى قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) فى تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبى صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (فى ساعة العسرة) يعنى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذى سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فضوا مع النبى صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يارسول الله ان الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعا حتى أرسل الله سحابة فمطرت فملؤا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر أسنده الطبرى عن عمر * قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) يعنى من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيغ فى اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر فى قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعنى انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة * فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار * قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله (انه بهم رؤف رحيم) تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا فى المعنى قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة

(قلوب فريق منهم) أى قلوب بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل الى التخلف والانصراف للشدة التى عليهم قال الكلبى هم ناس بالتخلف ثم لحقوه (ثم تاب عليهم) فان قيل كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال فى أول الآية لقد تاب الله على النبى قيل ذكر التوبة فى أول الآية قبل ذكر الذنب وهو محض التفضل من الله عز وجل فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة والمراد منه قبولها (انه بهم رؤف رحيم) قال ابن عباس من تاب الله عليه لم يعذبه أبدا

قوله عزوجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى خلفوا من غزوة تبوك وقيل خلفوا أى أرجئ أمرهم عن توبة أبى لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الانصار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى انا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما اجتمعت عندى قبل ذلك راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله عزوجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيأ فأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فادركهم فيا ليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أنى لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يارسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون

تكون مع الكراهة * قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفى معنى خلفوا قولان أحدهما انهم خلفوا عن توبة أبى لبابة وأصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على أبى لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثانى انهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهرى قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجهم الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فارجع ولم أقض شيأ وأقول فى نفسى أنا قادر عليه اذا أردت فلم يزل يتمادى بى الامر حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيأ فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيأ ثم غدوت ثم رجعت

ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزننى انى لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يارسول الله

ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب بن مالك فلما بلغنى انه توجه قافلا من تبوك حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشئ فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت بلى يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو فيه عقبى الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت ان أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا أحد معى قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا ففيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الىّ واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى حتى جاءنى فدفع الىّ كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه ثقلا انى لا رجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى من عذر والله ما كنت أقوى قط ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله أما هذا فقد صدق قم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك

كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت فى ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله
صلى فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع وأكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل
ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة حسنة فمضيت
حين ذكروهما لى قال ونهى رسول الله صلى المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى

تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى أقبل الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت له يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له الى حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان فقرأته فاذا فيه — بعد

يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها قال وأرسل الى صاحبى مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال ابن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به حركة الى شئ ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون لينهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الىّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمى الذى بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما أنجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فأنزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شرما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما

أما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل فقال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل الى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى بأهلك

وكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن
أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله مابه حركة الى شئ والله مازال يبكى منذ كان من أمره
ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه
فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدرينى مايقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته

بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا
خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر
لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين
خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه اياناوارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل
منه وفى رواية ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين
غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى
أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث
الآخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية بأمرى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذا يحطمكم
الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم ﴿شرح غريب هذا الحديث﴾ قوله حين تواثقنا على
الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل أو الناقة القويان على الحمل والسفر وقوله ورّى
بغيرها يقال ورّى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها
قوله فخلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهبة الجهاز ومايحتاج اليه المسافر قوله فأنا
اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله وتهارط الغزو أى تباعد مابينى وبين الجيش من المسافة
وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفيه اذا كان معجبا بنفسه ويقال
زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو مايظهر للانسان فى البرية فى وقت
الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء لا بس البياض قوله كن أباخيثمة معناه أنت أبوخيثمة وقيل معناه اللهم
اجعله أباخيثمة أى لتوجد ياهذا الشخص أباخيثمة تحقيقة قوله الذى لمزه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه
والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرنى بثى البث أشد الحزن كأنه لشدته يظهر قوله زاح عنى الباطل
أى زال وذهب عنى وأجمعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث
أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فمازالوا يؤنبونى أى
يلومونى أشد اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ
من الارض وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فأما صاحباى فاستكانا يعنى خضعا
وسكنا قوله تسوّرت حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون
وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرته بها أى فقصدت
بالصحيفة التى أرسل بها ملك غسان فأحرقتها فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أتأمم
يعنى أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات
الفرح والسرور قوله أنخلع من مالى أى أخرج منه جميعه وأتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت

فيها وأنا رجل شاب فلبثت
بعد ذلك عشر ليال حتى كملت
لنا خمسون ليلة من حين نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كلامنا فلما صليت صلاة
الفجر صبح خمسين ليلة وأنا
على ظهر بيت من بيوتنا فبينا
أنا جالس على الحال التى ذكر
الله فينا قد ضاقت على نفسى
وضاقت على الارض بما
رحبت سمعت صوت
صارخ أوفى على جبل سلع
يقول بأعلى صوته يا كعب
ابن مالك ابشر فخررت لله
ساجدا وعرفت أنه قد جاء
فرج وآذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتوبة الله علينا
حين صلى صلاة الفجر فذهب
الناس يبشروننا وذهب قبل
صاحبى مبشرون وركض
رجل الى فرسا وسعى ساع
من أسلم فأوفى على الجبل فكان
الصوت أسرع من الفرس
فلما جاءنى الذى سمعت
صوته يبشرنى نزعت له ثوبى
فكسوته اياهما ببشراه والله
ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت
ثوبين فلبستهما وانطلقت
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتلقانى الناس فوجا
فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون
لى لينهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول
حتى صافحنى وهنانى والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من
عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين

يدبه قلت يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر قال فقلت يارسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ووالله ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله وكونوا مع الصادقين (١٣٤) وروى اسحق بن راشد عن الزهري بهذا الاسناد عن كعب قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء أهم الى من أن أموت ولا يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معينة في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) اتسعت (وضاقت عليهم أنفسهم) غما وهما (وظنوا) أي تيقنوا (أن لا ملجأ من الله) لا مفزع من الله (الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) أي ليستقيموا على التوبة فان توبتهم قد سبقت (ما ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال نافع مع محمد وأصحابه وقال سعيد بن جبير مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وقال ابن جريج مع المهاجرين لقوله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبة وكان ابن مسعود يقرأ وكونوا من الصادقين وقال ابن مسعود ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم

أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا أطلق كان في الشر غالبا فاذا أريد به الخير قيد به كما قيده هنا بقوله أحسن مما أبلاني أي أنعم علي قوله أن لا أكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لا زائدة ومعناه أن أكون كذبته وقوله فأهلك هو بكسر اللام وارجاؤه أمرنا أخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس أي يطؤكم ويزدحمون عليكم وأصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا أي أعلم والاذان الاعلام والله أعلم * قوله عز وجل (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت عليهم أنفسهم) يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعني وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ) يعني لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا * وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو التواب) يعني على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعني مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيأ ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي أن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار أنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين * قوله سبحانه وتعالى

صبيه شيأ ثم لا يخجزله اقرؤا ان شئتم هذه الآية قوله تعالى (ما كان لاهل المدينة) ظاهره خبر ومعناه نهى كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (ومن حولهم من الأعراب) سكان البوادى من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار (أن يتخلفوا عن رسول الله) اذا غزا (ولا يرغبوا) أى ولا أن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) فى مصاحبته ومعاونته والجهاد معه وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) فى سفرهم (ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا) أرضا (يغيظ الكفار) وطؤهم اياه (ولا ينالون من عدو نيلا) أى لا يصيبون من عدوهم قتلا أو أسرا أو غنيمة أو هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا على بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا يزيد ابن أبى مريم حدثنا عباية ابن رفاعة قال أدركنى أبو عبس وأنا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار واختلفوا فى حكم هذه الآية قال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعذر فأما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية انها الاول هذه الامة وآخرها وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لا ناوسوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم * وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعنى فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزيهم الله) يعنى يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان

(ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادى من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم أولى (أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعنى ولا أن يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعنى ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه فى حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) فى سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) يعنى مجاعة شديدة (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار) يعنى ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم (ولا ينالون من عدو نيلا) يعنى أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعنى الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قدر تضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن فى عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفى الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيآت الا أن يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعذر فأما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون فى هذه الآية انها الاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا اذا ندبوا أو عينوا لا ناوسوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم * وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعنى فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى تمرة فما دونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزيهم الله) يعنى يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازى فيه وجهان

انها الاول هذه الامة وآخرها وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة قوله تعالى (ولا ينفقون نفقة) أى فى سبيل الله (صغيرة ولا كبيرة) ولو علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) لا يجاوزون واديا فى مسيرهم مقبلين أو مدبرين (الا كتب لهم) يعنى آثارهم وخطاهم (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) روى عن خزيم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلى أنا جرير عن الاعمش عن أبى عمرو الشيبانى عن أبى مسعود الانصارى قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة

الاول ان الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفى الآية دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفى رواية وما فيها (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار (م) عن أبى مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى * قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست فى الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم اذا رجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول لمشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا أتوا قومهم نادوا أن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم ويبشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى فاصابوا من الناس معروفا ومن الحطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبتغون الخير وقعد طائفة (ليتفقهوا فى الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذا رجعوا اليهم لعلهم

كلها مخطومة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة حدثنى بشر بن سعيد حدثنى زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله فى أهله بخير فقد غزا قوله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس فى رواية الكلبى لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين فى غزوة تبوك كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعا الى الغزو ويتركون النبى صلى الله عليه وسلم وحده فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا نفى بمعنى النهى قوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أى فهلا خرج الى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة (ليتفقهوا فى الدين) يعنى فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والاحكام فاذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا أخر فذلك قوله (ولينذروا قومهم) وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به (اذا رجعوا اليهم لعلهم

يحذرون) أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه وقال الحسن هذا التفقه والانذار راجع الى الفرقة النافرة ومعناه هلا نفر فرقة ليتفقهوا أي ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يعادوا النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار وقال الكلبي لها وجه آخر وهو أن أحياء من بني أسد وخزيمة أصابتهم سنة شديدة فأقبلوا بالذراري حتى نزلوا المدينة فأفسدوا طرقها بالعذرات وأغلوا أسعارها فنزل قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أي لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين وقال مجاهد نزلت في ناس خرجوا في البوادي ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية أي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليستمعوا ما أنزل بعدهم ولينذروا قومهم يعني الناس كلهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الله لعلهم يحذرون بأس الله ونقمته وقعدت طائفة يبتغون الخير أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني حدثنا

يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج للغزو لم يتخلف عنه الا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيأ بعد شئ فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن أن يجاب عنه بأنهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو أن يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فأصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بأس الله ونقمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على انه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب

عبد الله بن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن علي الكشميهني حدثنا علي بن حجر حدثنا اسمعيل بن جعفر حدثنا عبد الله بن أبي سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال حدثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم

الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتى أمر الله (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذى وأصل الفقه فى اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها . وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفى الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوى بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب فى مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم أخرجه الترمذى مع زيادة فيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة أخرجه الترمذى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة أخرجه أبو داود الآية المحكمة هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف فى حكمها أو ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هى المستمرة الدائمة التى العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما فى ملكوت السموات وأخرجه الترمذى موقوفا وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة * قوله سبحانه وتعالى (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو أن يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم فى دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم فى الشأم فكان فتح الشأم فى زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما نال منهم من الغنائم على الابعد * وقوله سبحانه وتعالى (وليجدوا فيكم غلظة) يعنى شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعنى بالعون

فى الجاهلية خياركم فى الاسلام (١٣٨) اذا فقهوا والفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض

العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة ان كان له مال وعلم الحج ان وجب عليه . وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فاذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث روى أبو أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد قال الشافعى طلب العلم أفضل من صلاة النافلة قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) الآية أمروا بقتال الأقرب فالأقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس رضى الله عنه مثل بنى قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقيل أراد بهم الروم لانهم كانوا سكان الشأم وكان الشأم أقرب الى المدينة من العراق (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وحمية

والنصرة

قال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة

قوله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) يقينا كان المنافقون يقولون هذا استهزاء قال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يقينا وتصديقا (وهم يستبشرون) يفرحون بنزول القرآن (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادتهم رجسا الى رجسهم) أي كفرا الى كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها قال مجاهد في هذه الآية اشارة الى ان الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن أبي طالب ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود (وماتوا وهم كافرون) قوله (أولا يرون) قرأ حمزة ويعقوب ترون بالتاء على خطاب النبي والمؤمنين وقرأ الآخرون بالياء خبرا عن المنافقين المذكورين (أنهم يفتنون) يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالامراض والشدائد وقال مجاهد بالقحط والشدة وقال قتادة بالغزو والجهاد وقال مقاتل بن حيان يفضحون باظهار نفاقهم وقال عكرمة ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقال يمان ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) من نقض العهد ولا يرجعون الى الله من النفاق (ولا هم يذكرون) أي لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) أي أحد من المؤمنين ان قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحدا يراهم من المؤمنين أقاموا وثبتوا (ثم انصرفوا) عن الايمان بها وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها (صرف الله قلوبهم) عن الايمان قال أبو اسحاق الزجاج أضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) عن الله دينه قال ابن عباس رضي الله عنه لا تقولوا اذا صليتم انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة

والنصرة * قوله عز وجل (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) يعني واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شئ الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا أقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيأ بعد شئ لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتهم) يعني السورة من القرآن (رجسا الى رجسهم) يعني كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر (وماتوا) يعني هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعني وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود * قوله سبحانه وتعالى (أولا يرون) قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعني يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعني بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعني هل أحد من المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحدا يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيأ فيه نفعهم * قوله سبحانه

وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناده الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح كنكاح أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وربيعتها واليمنها فامار بيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان آمنة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهري من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدية من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرفريقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فحمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه * وقوله سبحانه وتعالى (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وأن يهديكم الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) يعني أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لأحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم * قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعني فان أعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفيني الله وينصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه أو يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روى عن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم أنا الثعلبي أنا عبد الله بن حامد حدثنا حامد بن محمد أنا علي ابن عبد العزيز حدثنا محمد بن أبي نعيم حدثنا هشيم حدثني المدني يعني أبا معشر عن أبي الحويرث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم (عزيز عليه) شديد عليه (ما عنتم) قيل ما صلة أي عنتكم وهو دخول المشقة والمضرة عليكم وقال القتيبي ما أعنتكم وضركم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ضللتم وقال الضحاك والكلبي ما أثمتم (حريص عليكم) أي على ايمانكم وصلاحكم وقال قتادة حريص عليكم أي على ضلالكم أن يهديه الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) قيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (فان تولوا) أن اعرضوا عن الايمان وناصبوك (فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) * (تفسير روى عن أبي بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهدا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الر) والمر قرأ أهل الحجاز والشام وحفص بفتح الراء وقرأ الآخرون بالامالة قال ابن عباس والضحاك الر أنا الله أرى والمر أنا الله أعلم وأرى وقال سعيد بن جبير الر وحم ون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام فى حروف التهجى (تلك آيات الكتاب الحكيم) أى هذه وأراد بالكتاب الحكيم القرآن وقيل أراد بها الآيات التى أنزلها من قبل ذلك ولذلك قال تلك وتلك اشارة الى غائب مؤنث والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعل بدليل قوله كتاب أحكمت آياته وقيل هو بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل دليله قوله عزوجل وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس وقيل هو بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وبالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه قوله تعالى (أكان للناس عجبا) العجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وسبب نزول الآية ان الله عزوجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا قال المشركون الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقال تعالى أكان للناس يعنى أهل مكة والالف فيه للتوبيخ عجبا (أن أوحينا الى رجل منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (أن أنذر الناس) أى أعلمهم مع التخويف (و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) واختلفوا فيه قال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس انه قال هو السعادة فى الذكر الاول وقال زيد بن أسلم هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عطاء مقام صدق لا زوال له ولا بؤس فيه وقيل منزلة رفيعة وأضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وحب الحصيد وقال أبو عبيدة كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان

﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهى قوله سبحانه وتعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفى رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هى مكية الا آيتين وهى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والتى تليها وهى مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عزوجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقيل هى اسم للسورة وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هى آيات الكتاب وهو القرآن الذى أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عزوجل وعده أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك للاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هى آيات الكتاب الحكيم وفيه قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القرآن حكاه الطبرى عن قتادة وروى عن مجاهد أنها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة فى هذه السورة هى الآيات المذكورة فى التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التى منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن (الحكيم) يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كأنه هو الحكيم فى نفسه * قوله سبحانه وتعالى (أكان للناس عجبا) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عزوجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قال الله أعظم من أن يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا الآية والهمزة فى أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا (أن أوحينا الى رجل منهم) والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته (أن أنذر الناس) يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان أصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى (و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلف عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم

وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وفى رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال سبقت لهم السعادة فى الذكر الاول يعنى فى اللوح المحفوظ وقال زيد بن أسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم وأضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة فى هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شئ أضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله فى مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم فى الاسلام وقدم فى الخير ولفلان عندى قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس أنها * مع الحسب العادى طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذى العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

وقوله سبحانه وتعالى (قال الكافرون ان هذا لساحر مبين) وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحى وأنذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها ومن قرأ لسحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك * قوله عز وجل (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية * وقوله سبحانه وتعالى (يدبر الامر) قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى أدبار الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته (ما من شفيع الا من بعد اذنه) يعنى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد أن يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد أن يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له فى الشفاعة كان له أن يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق فى جميع العالم (ذلكم الله ربكم) يعنى الذى خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه) أى فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم من النعم العظيمة (أفلا تذكرون) يعنى أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى * قوله سبحانه وتعالى (اليه مرجعكم جميعا) يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع (وعد الله حقا) يعنى وعدكم الله ذلك وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفى هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة أخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة

قدم فى الاسلام وله عندى قدم صدق وقدم سوء وهو يؤنث فيقال قدم حسنة وقدم سيئة وقدم صالحة (قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) قرأ نافع وأهل البصرة والشام لسحر بغير ألف يعنون القرآن وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة لساحر بالالف يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقضيه وحده (ما من شفيع الا من بعد اذنه) معناه ان الشفعاء لا يشفعون الا باذنه وهذا رد على النضر بن الحارث فانه كان يقول اذا كان يوم القيامة تشفعنى اللات والعزى قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى الذى فعل هذه الاشياء ربكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه أفلا تذكرون) تتعظون (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا) صدقا لا خلف فيه نصب على المصدر أى وعدكم الله وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم قراءة العامة انه بكسر الالف على الاستئناف وقرأ أبو جعفر انه بالفتح على معنى بانه أو لانه

(ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) بالعدل (والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء حارا انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء) بالنهار (والقمر نورا) بالليل وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور (وقدره منازل) أي قدر له يعني هيأه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها ولم يقل قدرهما قيل تقدير المنازل ينصرف اليهما غير انه اكتفى بذكر أحدهما كما قال والله ورسوله أحق ان يرضوه وقيل هو ينصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وأسماؤها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فلكل برج منزلان وثلث منزل فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزل ثلاثة عشر يوما وثلث يوم فيكون انقضاء السنة مع انقضائها قوله تعالى (لتعلموا عدد السنين) أي قدر المنازل

الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله سبحانه وتعالى (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) يعني بالعدل لا ينقص من أجورهم شيأ (والذين كفروا لهم شراب من حميم) هو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء) يعني ذات ضياء (والقمر نورا) يعني ذا نور واختلف العلماء أصحاب الكلام في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانهما في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعني ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعني للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية في نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي * اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * أي لم يخفه والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا (ورضوا بالحيوة الدنيا) يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التي حصلت في قلوب الكفار

لتعلموا عدد السنين دخولها وانقضاءها (والحساب) يعني حساب الشهور والايام والساعات (ما خلق الله ذلك) رده الى الخلق والتقدير ولو رده الى الاعيان المذكورة لقال تلك (الا بالحق) أي لم يخلقه باطلا بل اظهارا لصنعه ودلالة على قدرته (يفصل الآيات لقوم يعلمون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب يفصل بالياء لقوله ما خلق وقرأ الباقون نفصل بالنون على التعظيم (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) يؤمنون (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع (ورضوا بالحيوة الدنيا) فاختاروها وعملوا لها (واطمأنوا بها) سكنوا اليها

(والذين هم عن آياتنا غافلون) أي عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن آياتنا عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون معرضون (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الكفر والتكذيب قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) فيه اضمار أي يرشدهم ربهم بإيمانهم الى جنة (تجري من تحتهم الانهار) قال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقيل يهديهم معناه يثيبهم ويجزيهم وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الانهار أي بين أيديهم كقوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجري من تحتهم أي بأمرهم (في جنات النعيم دعواهم) أي قولهم وكلامهم وقيل دعاؤهم (فيها سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه تنزه الله من كل سوء ورونا ان أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة وفي كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا * وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين جعلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيأ قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث * قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعني كاستعجالهم بالخير وكما يحبون أن يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضي اليهم أجلهم) يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل

من الميل الى الدنيا ولذاتها أزالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أي معرضون (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) يعني يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أي بتصديقهم هداهم (تجري من تحتهم الانهار) يعني بين أيديهم ينظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجري بأمرهم (في جنات النعيم) يعني ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا * وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين جعلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيأ قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث * قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعني كاستعجالهم بالخير وكما يحبون أن يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضي اليهم أجلهم) يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل

تقديم

دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد قوله عز وجل (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) قال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله ولا بارك الله فيكم قال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره ان يستجاب معناه ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير أي كما يحبون استعجالهم بالخير (لقضي اليهم أجلهم)

قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف والضاد أجلهم نصب أي لأهلك من دعي عليه وأماته وقرأ الآخرون لقضى بضم القاف وكسر الضاد أجلهم رفع أي لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم

تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما يعجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في تمردهم وعتوهم (يعمهون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة * قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) أي على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته الى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قائما أو قاعدا وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضر مسه) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل أن يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو أن المؤمن اذا ابتلي ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع أحواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل * قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعني أهلكنا الأمم الماضية من قبلكم تخويف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما أشركوا

في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء يدل عليه قوله عز وجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث والحساب (في طغيانهم يعمهون) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران حدثنا أبو علي اسمعيل ابن محمد الصفار أنبأنا أحمد ابن منصور الزيادي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر فيصدر مني ما يصدر من البشر فاي المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة قوله تعالى (واذا مس الانسان الضر) الجهد والشدة (دعانا لجنبه) أي على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) يريد في جميع حالاته لان الانسان لا يعدو احدى هذه الحالات (فلما كشفنا) دفعنا (عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) أي استمر على طريقته الاولى قبل أن يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من

الجهد والبلاء كأنه لم يدعنا الى ضر مسه أي لم يطلب منا كشف ضر مسه (كذلك زين للمسرفين) المجاوزين الحد في الكفر والمعصية (ما كانوا يعملون) من المعاصي قال ابن جريج كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء وقيل معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم قوله عز وجل (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) أشركوا

(وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك) أى كما أهلكناهم بكفرهم (نجزى) نعاقب ونهلك (القوم المجرمين) الكافرين بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم يخوف كفار مكة بعذاب الامم الخالية المكذبة (ثم جعلناكم خلائف) أى خلفاء (فى الارض من بعدهم) أى من بعد القرون التى أهلكناهم (لننظر كيف تعملون) وهو أعلم بهم وروينا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا ان هذه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون قوله عز وجل (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) قال قتادة يعنى مشركى مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله ابن أمية المخزومى والوليد ابن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبيد الله بن أبى قيس العامرى والعاص ابن عامر بن هشام (قال الذين لا يرجون لقاءنا) هم السابق ذكرهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك (أو بدله) فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة أو مكان حرام حلالا أو مكان حلال حراما (قل) لهم يا محمد (ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (ان أتبع الا ما يوحى الىّ) أى ما أتبع الا ما يوحى الى فيما آمركم به وأنهاكم عنه (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبنى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت * قوله سبحانه وتعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى لو شاء الله لم ينزل علىّ هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه

(وجاءتهم رسلهم بالبينات) يعنى فكذبوهم (وما كانوا ليؤمنوا) يعنى هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزى القوم المجرمين) يعنى كما أهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفا فى الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعنى خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله سبحانه وتعالى اظهار اللعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء * قوله سبحانه وتعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (ائت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبيد الله ابن أبى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن نؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدلته لآمنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى) يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الىّ وما ينبغى لى أن أغيره من قبل نفسى ولم أومر به (ان أتبع الا ما يوحى الىّ) يعنى فيما آمركم به أو أنهاكم عنه وما أخبركم الا ما يخبرنى الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندى (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبنى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت * قوله سبحانه وتعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى لو شاء الله لم ينزل علىّ هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه

ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى لو شاء الله ما أنزل القرآن علىّ كان
(ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم الله به قرأ البزى عن ابن كثير ولأدراكم به بالقصر به على الايجاب يريد ولأعلمكم به من غير قراءتى عليكم وقرأ ابن عباس ولأنذرتكم به بمعنى الانذار (فقد لبثت فيكم عمرا) حينا وهو أربعون سنة (من قبله) من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشئ

كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحى وذلك أربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعنى ان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى لا من قبل نفسى (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه الوحى وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحى وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محى الدين النووى ورد فى عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها أنه صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقى عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعنى ضوء الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه بالوحى من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر أنه برص والمراد انه كان أزهر اللون بين البياض والحمرة * قوله عز وجل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم أفتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد فى الدنيا أظلم على نفسه منى من حيث انى افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى وجب أن يقال ليس أحد فى الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم أنكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعنى جحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح المجرمون) يعنى المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) يعنى ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيى ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعنى الاصنام التى يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعانى توهموا أن عبادتها أشد فى تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم فى الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثانى أنها تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت

(أفلا تعقلون) انه ليس من قبلى ولبث النبى صلى الله عليه وسلم فيهم قبل الوحى أربعين سنة ثم أوحى الله اليه فاقام بمكة بعد الوحى ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فاقام بالمدينة عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وروى أنس انه أقام بمكة بعد الوحى عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفى وهو ابن ستين سنة والاول أشهر وأظهر قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أن له شريكا أو ولدا (أو كذب بآياته) يحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (انه لا يفلح المجرمون) لا ينجو المشركون (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان عصوه وتركوا عبادته (ولا ينفعهم) ان عبدوه يعنى الاصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

قل أتنبؤن الله (بما لا يعلم) الله صحته ومعنى الاية أتخبرون الله ان له شريكا وعنده شفيعا بغير اذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكا (فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) قرأ حمزة والكسائى تشركون بالتاء هاهنا وفى سورة النحل موضعين وفى سورة الروم وقرأ الآخرون كلها بالياء قوله تعالى (وما كان الناس الا أمة واحدة) أى على الاسلام وقد ذكرنا الاختلاف فيه فى سورة البقرة (فاختلفوا) وتفرقوا الى مؤمن وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) بان جعل لكل أمة أجلا وقال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب فى الدنيا (لقضى بينهم) بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك مضت فى حكمه انه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فادخل المؤمن الجنة والكافر النار ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة (ويقولون) يعنى أهل مكة (لولا أنزل عليه) أى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) على ما نقترحه (فقل انما الغيب لله) يعنى قل انما سألتمونى الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد لم يفعل ذلك ولا يعلمه الا هو وقيل الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره (فانتظروا) نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل فانتظروا اقضاء الله بيننا بالحق باظهار الحق على المبطل قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس) يعنى الكفار (رحمة من بعد ضراء) أى راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء وقيل القطر بعد القحط (مستهم) أى أصابتهم (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وهو قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون

(قل) أى قل لهم يا محمد (أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض) يعنى أتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور فى العرف فان الانسان اذا أراد نفى شئ حصل فى نفسه يقول ما علم الله ذلك منى مقصوده انه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شريك فى السموات والارض ولا يعلمه * قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا) يعنى فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعنى كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى أن قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى أن غيره عمرو بن لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله وما كان الناس الا أمة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس أمة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع فى أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا أولا على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس أمة واحدة وليس فى الآية ما يدل على أى دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا فى أول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا فى الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام * قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى انه سبحانه وتعالى جعل لكل أمة أجلا وقضى بذلك فى سابق الازل قال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعنى بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعنى مضت فى حكمة الله أنه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا فأدخل المؤمنين الجنة بايمانهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤاخذ أحدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التى سبقت من الله هى قوله ان رحمتى سبقت غضبى ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة فى الدنيا ولكن أخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعنى فى الدنيا (ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعنى هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات (فقل) أى فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعنى ان الذى سألتمونيه هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو (فانتظروا) يعنى نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا اقضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل انى معكم من المنتظرين * قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعنى رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء وضيق فى العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد أى تكذيب واستهزاء وقال مقاتل

ابن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ماروى عن زيد ابن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء أي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد (قل الله أسرع مكرا) أي قل لهم يا محمد الله أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاكهم أسرع اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم * قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيئ لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرا هما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) يعني وجرت السفن بركابها * فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة * قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه أن يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوا بها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك (جاءتها ريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصوف أولا جل ان لفظ الريح قد يذكر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق وقيل المراد من الظن اليقين أي وأيقنوا أنه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء أخلصوا لله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه

(قل الله أسرع مكرا) أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء يريد عذابه في اهلاككم أسرع اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق (ان رسلنا) حفظتنا (يكتبون ما تمكرون) قرأ روح عن يعقوب يمكرون بالياء قوله تعالى (هو الذي يسيركم) يجريكم ويحملكم وقرأ أبو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر وهو البسط والبث (في البر) على ظهور الدواب (و) في (البحر) على الفلك (حتى اذا كنتم في الفلك) أي في السفن تكون واحدا وجمعا (وجرين بهم) يعني جرت السفن بالناس رجع من الخطاب الى الغيبة (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها) أي بالريح (جاءتها ريح) أي جاءت الفلك ريح (عاصف) شديدة الهبوب ولم يقل ريح عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف وقيل الريح يذكر ويؤنث (وجاءهم) يعني ركبان السفينة (الموج) وهو حركة الماء واختلاطه (من كل مكان وظنوا) أيقنوا (أنهم أحيط بهم) دنوا من الهلكة أي أحاط بهم الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحدا سوى الله وقالوا (لئن أنجيتنا) يا ربنا (من هذه) الريح العاصف

الشدائد التى نحن فيها وهى الريح العاصفة والامواج الشديدة (انكونن من الشاكرين) يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التى كانوا فيها (اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق) يعنى انهم أخلفوا الله ماوعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها وأصل البغى مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغى على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة (ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) يعنى ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحيوة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لانتهيأ أن يبغى بعضكم على بعض الا أياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتمثل به فقال

ياصاحب البغى ان البغى مصرعة * فارجع فخير مقال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

*وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعنى يوم القيامة (فننبئكم) أى فنخبركم (بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها * قوله عزوجل (انما مثل الحيوة الدنيا) يعنى فى فنائها وزوالها (كماء أنزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به) أى بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعنى من الحبوب والثمار (والانعام) يعنى ومما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) يعنى حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أى وتزينت (وظن أهلها) يعنى أهل تلك الارض (أنهم قادرون عليها) يعنى على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة (أتاها أمرنا) أى قضاؤنا بهلاكها (ليلا أو نهارا) يعنى فى الليل أو النهار (فجعلناها حصيدا) يعنى محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) يعنى كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غنى فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمتشبثين بالدنيا الراغبين فى زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغى فى الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة لان النبات فى أول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعنى بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشئ وجعلت الارض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولاشك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه فى الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التى ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس

متاع الحياة الدنيا خبرا بتداء مضمر كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أى هذا بلاغ وقيل هو كلام متصل والبغى ابتداء ومتاع خبره ومعناه انما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادا لمعاد لانكم تستوجبون به غضب الله وقرأ حفص متاع بالنصب أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) قوله عزوجل (انما مثل الحيوة الدنيا) فى فنائها وزوالها (كماء أنزلناه) أى بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار (والانعام) من الحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) حسنها وبهجتها وظهر الزهر أخضر وأحمر وأصفر وأبيض (وازينت) أى تزينت وكذلك هى فى قراءة ابن مسعود تزينت (وظن أهلها) أنهم قادرون عليها) على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل ردها الى الغلة وقيل الى الزينة (أتاها أمرنا) قضاؤنا باهلاكها (ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) أى محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) كأن لم تكن بالامس وأصله من غنى بالمكان اذا أقام به وقال قتادة معناه ان المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون

(لنكونن من الشاكرين) لك بالايمان والطاعة (فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض) يظلمون ويتجاوزون الى غير أمر الله عزوجل فى الارض (بغير الحق) أى بالقتال (ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) لان وباله راجع عليها ثم ابتدأ فقال (متاع الحيوة الدنيا) أى هذا

منه ولان المتمسك بالدنيا اذا مال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل فى الحسن الى الغاية القصوى أتته آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات أحياء فى الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصى (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعنى كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب * قوله سبحانه وتعالى (والله يدعوا الى دار السلام) لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التى هى دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة فى آيات كثيرة من كتابه (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى والله يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهار اللحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهار القدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة و بعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعى محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفى رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والأبواب التى على كتفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما روى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة

السلام بمعنى السلامة سميت الجنة دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات وقيل المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام لان أهلها يحيى بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وروينا عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة و بعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فالصراط المستقيم هو الاسلام عم بالدعوة لاظهار الحجة وخص بالهداية استغناء عن الخلق قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أى للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة وزيادة وهى النظر الى وجه الله الكريم هذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وحذيفة وأبو

وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبرى بسنده عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن أبى ابن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبى موسى الأشعرى قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة منادبا ينادى هل أنجز كم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفى رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقى من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة هى النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة فى قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هى الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما فى الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثانى النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التى تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بأن الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى فى الاخرة واذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه بأن المزيد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور فى الآية لفظ الحسنى وهى الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيأ مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بأن الزيادة هى الرؤية والمثبت مقدم على النافى والله أعلم القول الثانى فى معنى هذه الزيادة ما روى عن على بن أبى طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هى الجنة والزيادة ما أعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعنى ولا يغشى وجوه أهل الجنة (قتر) أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولا ذلة) يعنى ولا هوان قال ابن أبى ليلى هذا بعد نظرهم

موسى وعبادة بن الصامت
رضى الله عنهما وهو قول
لحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل
الضحاك والسدى أخبرنا أبو
سعيد أحمد بن محمد بن العباس
لحيدى أنبأنا أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله الحافظ أنبأنا أبو
عباس محمد بن يعقوب الاصم
املاء حدثنا أبو بكر محمد بن
اسحق الصنعانى حدثنا
الاسود بن عامر حدثنا حماد
ن سلمة عن ثابت يعنى البنانى
عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن
هيب رضى الله عنه قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية للذين أحسنوا
لحسنى وزيادة قال اذا دخل
هل الجنة الجنة وأهل النار النار
ادى مناديا أهل الجنة ان لكم
عند الله موعدا يريد أن
ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد
ألم يثقل موازيننا ويبيض
جوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا
من النار قال فيرفع الحجاب
فينظرون الى وجه الله عز
وجل قال فما أعطوا شيأ أحب
ليهم من النظر اليه وروى عن
ابن عباس ان الحسنى هى ان
الحسنة بمثلها والزيادة هى
التضعيف عشر أمثالها الى
سبعمائة ضعف وقال مجاهد
الحسنى حسنة مثل حسنة
والزيادة المغفرة والرضوان
(ولا يرهق) لا يغشى
(وجوههم قتر) غبار جمع
قترة قال ابن عباس وقتادة
سواد الوجه (ولا ذلة)
هوان قال قتادة كآبة قال
ابن أبى ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم

(أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) أى لهم مثلها كما قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم) ومن صلة أى مالهم من الله عاصم (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) جمع قطعة (من الليل مظلما) نصبه على الحال دون النعت ولذلك لم يقل مظلمة تقديره قطعا من الليل فى حال ظلمته أو قطعا من الليل المظلم وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا ساكنة الطاء أى بعضا كقوله بقطع من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم (أنتم وشركاؤكم) يعنى الأوثان معناه ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم ولا تبرحوا (فزيلنا) ميزنا وفرقنا (بينهم) أى بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده (وقال شركاؤهم) يعنى الاصنام (ما كنتم إيانا تعبدون) بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الاصنام (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) أى ما كنا عن عبادتكم إيانا الاغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل قال الله تعالى (هنالك تبلوا) أى تختبر وقيل معناه تعلم وتقف عليه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب تتلوا بتاءين أى تقرأ (كل نفس) صحيفتها وقيل معناه تتبع كل نفس (ما أسلفت) ما قدمت من خير أو شر وقيل معناه تعاين (وردوا الى الله) الى حكمه فينفرد فيهم بالحكم (مولاهم الحق) الذى يتولى ويملك أمرهم فان قيل أليس قد قال وأن الكافرين لا مولى لهم قيل المولى

الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعنى ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدا * قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أعدلهم من الكرامة شرح فى هذه الآية حال من أقدم على السيآت والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيآت يعنى والذين عملوا السيآت والمراد بها الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيآت لان الحسنات يضاعف ثوابها العامل لها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما وأما السيآت فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم (مالهم من الله من عاصم) يعنى مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) يعنى كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعا) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا الموقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعنى أنتم أيها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعنى ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا * فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر فى المستقبل فما وجهه * قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالكائن الآن * قوله (وقال شركاؤهم) يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم أولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب (ما كنتم إيانا تعبدون) تبرأ المعبودون من العابدين * فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهى جماد لا روح فيها ولا عقل لها * قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها فى ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام * فان قلت اذا أحياهم الله فى ذلك اليوم فهل يفنيهم أو يبقيهم * قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله فى شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة * فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها * قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها فى تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون فى يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدونا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك أما قوله سبحانه وتعالى (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) فهو كالتتمة للآية المتقدمة والمعنى فى ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفى قوله تبلو قراآت قرئ بتاءين ولهما معنيان أحدهما انه من تلاه اذا تبعه أى تتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذى يهدى النفس الى الثواب أو العقاب الثانى ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير أو شر وقرئ تبلو بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما أسلفت يعنى انه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزى به (وردوا الى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذى

هناك هو الناصر وههنا بمعنى المالك (وضل عنهم) زال عنهم و بطل (ما كانوا يفترون) فى الدنيا من التكذيب قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) أى من أعطاكم السمع والابصار (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) يخرج الحى من النطفة والنطفة من الحى (ومن يدبر الأمر) أى يقضى الأمر (فسيقولون الله) هو الذى يفعل هذه الأشياء (فقل أفلا تتقون) أفلا تخافون عقابه فى شركك وقيل أفلا تتقون الشرك مع هذا الاقرار (فذلكم الله ربكم) الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم (الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) أى فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به (كذلك) قال الكلبى هكذا (حقت) وجبت (كلمت ربك) حكمه السابق (على الذين (١٥٤) فسقوا) كفروا (أنهم لا يؤمنون) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر كلمات ربك بالجمع ههنا وفى حم المؤمن والآخرون على التوحيد قوله (قل هل من شركائكم) أوثانكم (من يبدأ الخلق) ينشئ الخلق من غير أصل ولا مثال (ثم يعيده) ثم يحييه من بعد الموت كهيئته فان أجابوك والا فـ (قل) أنت (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) فأنى تؤفكون) أى تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى) يرشد (الى الحق) فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل الله يهدى للحق) أى الى الحق (أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى) قرأ حمزة والكسائى ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ الآخرون بتشديد الدال ثم قرأ أبو جعفر وقالون بسكون الهاء وأبو عمرو يروم الهاء بين الفتح والسكون وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء وأبو بكر بكسرهما والباقون بفتحهما ومعناه يهدى فى جميعها فمن خفف الدال قال يقال هديته فهدى أى اهتدى ومن شدد الدال أدغم التاء فى الدال ثم أبو عمرو يروم على مذهبه فى ايثار التخفيف ومن سكن الهاء تركها على حالها كما فعل فى تعدو و يخصمون ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء المدغمة الى الهاء ومن كسر الهاء فلالتقاء الساكنين وقال الجزم يحرك الى الكسر ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الكسرة الى الكسرة قوله تعالى (الا أن يهدى) معنى الآية الله الذى يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذى لا يهتدى الا ان يهدى فان قيل كيف قال الا ان يهدى والصنم لا يتصور أن يهتدى ولا ان يهدى قيل معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال أى انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل وتنقل بين به عجز الاصنام وجواب آخر وهو ان ذكر الهداية على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع و يعقل عبر عنها بما يعبر عمن يعلم و يعقل ووصفت بصفة من يعقل

جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذى هو مالكهم ومتولى أمرهم * فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق * قلت المولى فى اللغة يطلق على المالك و يطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى و بطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه فى الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا * قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعنى المطر والارض يعنى النبات (أم من يملك السمع والابصار) يعنى ومن أعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى و يخرج البيضة الميتة من الطائر الحى وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة (ومن يدبر الأمر) يعنى ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعنى انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك (فقل) أى قل لهم يا محمد (أفلا تتقون) يعنى أفلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعنى فذلكم الذى يفعل هذه الاشياء و يقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواه ضلالا و باطلا (فأنى تصرفون) يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستحيرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) أى كما ثبت أنه ليس بعد الحق الا الضلال (حقت) أى وجبت (كلمت ربك) فى الازل (على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعنى من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أى ثم يعيده بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أى قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعنى أن الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدى للحق) يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى) يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الاصنام

الاصنام التى لا تهتدى الا أن تهدى * فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا أن تهدى فكيف قال الا أن يهدى * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره * وقوله سبحانه وتعالى (فمالكم كيف تحكمون) قال الزجاج فمالكم كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون أن مع الله شريكا وقيل معناه بأى حاكم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أكثرهم الا ظنا) يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيأ) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيأ ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيأ (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين * قوله تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عزوجل ان هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعنى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لا ريب فيه من رب العالمين) يعنى ان هذا القرآن لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعنى أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل أم بمعنى الواو أى ويقولون افتراه (قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعنى بسورة شبيهة به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلى فى الفصاحة والبلاغة * فان قلت قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما * قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم

(فمالكم كيف تحكمون) كيف تقضون حين زعمتم ان لله شريكا قوله تعالى (وما يتبع أكثرهم الا ظنا) منهم يقولون ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم فى الآخرة ظنا منهم لم يرد به كتاب ولا رسول وأراد بالاكثر جميع من يقول ذلك (ان الظن لا يغنى من الحق شيأ) أى لا يدفع عنهم من عذاب الله شيأ وقيل لا يقوم مقام العلم (ان الله عليم بما يفعلون) قوله تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) قال الفراء معناه وما ينبغى لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله كقوله تعالى وما كان لنبى أن يغل وقيل ان بمعنى اللام أى وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله قوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى بين يدى القرآن من التوراة والانجيل وقيل تصديق الذى بين يدى القرآن من القيامة والبعث (وتفصيل الكتاب) تبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون) قال أبو عبيدة أم بمعنى الواو أى ويقولون (افتراه) اختلق محمد القرآن من قبل نفسه (قل فأتوا بسورة مثله) شبه القرآن

(وادعوا من استطعتم) ممن تعبدون (من دون الله) ليعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) ان محمدا افتراه ثم قال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعنى القرآن كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه (ولما يأتهم تأويله) أى عاقبة ما وعد الله فى القرآن انه يؤول اليه أمرهم من العقوبة يريد انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة أمرهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الامم الخالية (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) آخر أمر المشركين بالهلاك (ومنهم من يؤمن به) أى من قومك من يؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيهم (وربك أعلم بالمفسدين) الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يا محمد (فقل لى عملى) وجزاؤه (ولكم عملكم) وجزاؤه (أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) هذا كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لكم دينكم ولى دين قال الكلبى ومقاتل هذه الآية منسوخة بآية الجهاد ثم أخبر ان التوفيق للايمان به لا بغيره فقال (ومنهم من يستمعون اليك) بأسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم (أفأنت تسمع الصم) يريد صمم القلب (ولو كانوا لا يعقلون) ومنهم من ينظر اليك) بأبصارهم الظاهرة (أفأنت تهدى العمى) يريد عمى القلب (ولو كانوا لا يبصرون) وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول انك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تهدى من سلبته البصر ولا أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيأ) لانه فى جميع أفعاله متفضل عادل (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بالكفر والمعصية قراءة حمزة والكسائى ولكن الناس بتخفيف نون لكن ورفع الناس وقرأ الباقون ولكن الناس بتشديد نون لكن ونصب الناس

(وادعوا من استطعتم) ممن تعبدون (من دون الله) ليعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) ان محمدا افتراه ثم قال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعنى القرآن كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه (ولما يأتهم تأويله) أى عاقبة ما وعد الله فى القرآن انه يؤول اليه أمرهم من العقوبة يريد انهم

يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا فى نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعنى مع انسان أمى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه فى عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أى فأتوا بسورة تساوى سور القرآن فى الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعنى ان السورة فى نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعنى وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعنى القرآن أى كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما فى القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك أنكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم تأويله) يعنى انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله * قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن (وربك أعلم بالمفسدين) يعنى الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعنى وان كذبك قومك يا محمد (فقل) أى فقل لهم (لى عملى) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعنى الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبى هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا * قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى بأسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفأنت تسمع الصم) يعنى كما انك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذا لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بأبصارهم الظاهرة (أفأنت تهدى العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدى من سلبته البصر ولا تقدر أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر فى هذه الآية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف فى ملكه لا يكون ظالما وانما قال

ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعنى واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعنى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا فى قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء فى عدم المعرفة بمقدار لبثهم فى القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو أنهم لما لم ينتفعوا بأعمارهم فى الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره فى الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا لان مقامهم فى الدنيا فى جنب مقامهم فى الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعنى يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون فى الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفى بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففى بعضها يعرف بعضهم بعضا وفى بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون فى ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعنى ان من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفانى على الباقى (وما كانوا مهتدين) يعنى الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (وامانرينك) يعنى يا محمد (بعض الذى نعدهم) يعنى ما نعدهم به من العذاب فى الدنيا فذاك (أو نتوفينك) قبل أن نريك ذلك الوعد فى الدنيا فانك ستراه فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فالينا مرجعهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ان الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم فى حال حياته فى الدنيا وقد أراه ذلك فى يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما أعدلهم من العذاب فى الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التى فعلوها فى الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة * قوله عزوجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عزوجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين أن حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعنى قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعنى مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به (فاذا جاء رسولهم) فى هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعنى حكم بينهم بالعدل وفى وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما انه فى الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا أمر الله قضى وبينهم بين رسلهم فى الدنيا فيهلك الكافرين وينجى رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجىء الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثانى ان وقت القضاء فى الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصى جىء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة فى اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى من جزاء أعمالهم شيأ ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (ويقولون) يعنى هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعنى الذى تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تعدوننا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا)

من القبور كمعرفتهم فى الدنيا ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال القيامة وفى بعض الآثار ان الانسان يعرف يوم القيامة من يحبه ولا يكلمه هيبة وخشية (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) والمراد من الخسران خسران النفس ولا شئ أعظم منه قوله تعالى (واما نرينك بعض الذى نعدهم) يا محمد فى حياتك من العذاب (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم) فى الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيجزيهم به وثم بمعنى الواو تقديره والله شهيد قال مجاهد فكان البعض الذى أراه قتلهم ببدر وسائر أنواع العذاب بعد موتهم قوله عزوجل (ولكل أمة) خلت (رسول فاذا جاء رسولهم) وكذبوه (قضى بينهم بالقسط) أى عذبوا فى الدنيا وأهلكوا بالعذاب يعنى قبل مجىء الرسول لا ثواب ولا عقاب وقال مجاهد ومقاتل فاذا جاء رسولهم الذى أرسل اليهم يوم القيامة قضى بينه وبينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويقولون)

أى المشركون (متى هذا الوعد) الذى تعدنا يا محمد من العذاب وقيل قيام الساعة (ان كنتم صادقين) أنت يا محمد وأتباعك (قل لا أملك لنفسى) لا أقدر لها على شئ (ضرا ولا نفعا) أى دفع ضر ولا جلب نفع

(الا ماشاء الله) ان أملكه (لكل أمة أجل) مدة مضروبة (اذا جاء أجلهم) وقت فناء أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أى لا يتأخرون ولا يتقدمون قوله تعالى (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) ليلا (أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) أى ماذا يستعجل من الله المشركون وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فيقول الله تعالى ماذا يستعجل يعنى ايش يعلم المجرمون ماذا يستعجلون و يطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحا ماذا جنيت على نفسك (أثم اذا ما وقع) قيل معناه أهنالك وحينئذ وليس بحرف عطف اذا ما وقع نزل العذاب (آمنتم به) أى بالله فى وقت البأس وقيل آمنتم به أى صدقتم بالعذاب وقت نزوله (آلآن) فيه اضمار أى يقال لكم آلآن تؤمنون حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء قرأ ورش عن نافع آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام الساكنة والقاء حركتها على اللام و يمد الهمزة الأولى على وزن عالان وكذلك الحرف الاخر وروى زمعة بن صالح الان على مثال علان بغير مد ولا همزة بعد اللام وقرأ الباقون آلآن بهمزة ممدودة فى الاول واثبات همزة بعد اللام وكذلك قالون واسمعيل عن نافع (ثم قيل للذين ظلموا) أشركوا (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) فى الدنيا (و يستنبؤنك) أى يستخبرونك يا محمد (أحق هو) أى ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة (قل إى وربى) أى نعم و ربى (انه لحق) لاشك فيه (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) أى أشركت (ما فى الارض لافتدت به) يوم القيامة والافتداء ههنا بذل ما ينجو به من العذاب (وأسروا الندامة) قال أبو عبيدة معناه أظهروا الندامة لانه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا أى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفا من ملامتهم وتعييرهم (لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط) فرغ من عذابهم (وهم لا يظلمون ألا ان لله ما فى السموات والارض

يعنى لا أملك لنفسى دفع ضر أو جلب نفع ولا أقدر على ذلك (الا ماشاء الله) يعنى أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أى مدة مضروبة ووقت معين (اذا جاء أجلهم) يعنى اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذى أجل لهم ولا يتقدمونه (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أو نهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون ما يطلبون و يستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك (أثم اذا ما وقع) يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع (آمنتم به) يعنى آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع (آلآن) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلآن تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال * قوله سبحانه وتعالى (و يستنبؤنك أحق هو) يعنى و يستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة (قل إى وربى) أى قل لهم يا محمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لا شك فيه (وما أنتم بمعجزين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى أشركت (ما فى الارض لافتدت به) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسروا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلة لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء و بمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم و يشدد فى عذاب الظالم (ألا ان لله ما فى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك لله فكيف يفتدى من هو مملوك

ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون) قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة) تذكرة (من ربكم وشفاء لما في الصدور) أي دواء لما في الصدور من داء الجهل وقيل لما في الصدور أي شفاء لعمى القلوب والصدر موضع القلب وهو

غيره بشيء لا يملكه (ألا ان وعد الله حق) يعني ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيي ويميت) يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء * قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني أن القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه (وهدى) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر

* فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي * فالفاء في قوله فاجزعي زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه (هو خير مما يجمعون) يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية وأما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعني من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء (فجعلتم منه) يعني من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعني ما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله أذن لكم) يعني

أعز موضع في الانسان لجوار القلب (وهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) والرحمة هي النعمة على المحتاج فانه لو أهدى ملك الى ملك شيأ لا يقال قد رحمه وان كان ذلك نعمة فانه لم يضعها في محتاج قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) قال مجاهد وقتادة فضل الله الايمان ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في القلب وقال خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته السنن وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة (فبذلك فليفرحوا) أي ليفرح المؤمنون ان جعلهم الله من أهله (هو خير مما يجمعون) أي مما يجمعه الكفار من الاموال وقيل كلاهما خبر عن الكفار وقيل عن المؤمنين وقرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء وتجمعون بالتاء وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء ووجه هذه القراءة ان المراد فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الاموال مختلف عنه خطابا للمؤمنين (قل) يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) عبر عن الخلق

بالانزال لان ما في الارض من خير فما أنزل الله من رزق من زرع وضرع (فجعلتم منه حراما وحلالا) هو ما حرموا من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال الضحاك هو قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله أذن لكم) في هذا التحريم والتحليل

قل لهم يا محمد آلله أذن لكم فى هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعنى بل أنتم كاذبون على الله فى ادعائكم ان الله أمر نا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعنى اذا لقوه يوم القيامة أيحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعنى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان * قوله سبحانه وتعالى (وما تكون فى شان وما تتلوا منه من قرآن) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى ينتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ما شأن فلان أى ما حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذى فى هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد فى شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن فى شأن من شؤن الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعنى قصد الشئ وما تتلو منه من قرآن اختلفوا فى الضمير فى منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شؤنه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله تعالى وما تكون فى شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره فى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلو من القرآن من قرآن يعنى من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير فى منه راجع الى الله والمعنى وما تتلو من الله من قرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون فى الخطاب بين الاولين * وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعنى شاهدين لأعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وهو شاهد عليه (اذ تفيضون فيه) يعنى ان الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون فى ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا انتشروا فيه (وما يعزب عن ربك) يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهى خفيفة الوزن جدا (فى الارض ولا فى السماء) * فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الأرض فى سورة سبأ وما فائدة ذلك * قلت كان حق السماء أن تقدم على الأرض كما فى سورة سبأ الا انه تعالى لما ذكر فى هذه الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء فى هذا الموضع لهذه الفائدة (ولا أصغر من ذلك) يعنى من الذرة (ولا أكبر) يعنى منها (الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ * قوله سبحانه وتعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم اننا نحتاج أولا فى تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولى فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء

(أم) بل (على الله تفترون) وهو يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) قوله عز وجل (وما تكون) يا محمد (فى شأن) عمل من الأعمال وجمعه شؤن (وما تتلوا منه) من الله (من قرآن) نازل وقيل منه أى من الشان من قرآن نزل فيه ثم خاطبه وأمته فقال (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) أى تدخلون وتخوضون فيه الهاء عائدة الى العمل والافاضة الدخول فى العمل وقال ابن الانبارى تندفعون فيه وقيل تكثرون والافاضة الدفع بكثرة (وما يعزب عن ربك) يغيب عن ربك وقرأ الكسائى يعزب بكسر الزاى وكذلك فى سورة سبأ وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (من مثقال ذرة) أى مثقال ذرة ومن صلة والذرة هى النملة الحمراء الصغيرة (فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك) أى من الذرة (ولا أكبر) قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفا على موضع المثقال قبل دخول من وقرأ الآخرون بنصبهما ارادة للكسرة عطفا على الذرة فى الكسرة (الا فى كتاب مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم قال بعضهم هم الذين ذكرهم الله فقال

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال قوم هم المتحابون في الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حصين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم

والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتقاطعونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيد ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شيء فانهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن وأما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وانه صفة لأولياء الله * وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله

من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ورواه عبد الله بن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام قال حدثنا شهر بن حوشب حدثني عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الاخبار المرفوعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال الذين اذا رؤوا ذكر الله ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم قوله تعالى (لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى روى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول

تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب ان أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وقيل البشرى في الدنيا هي الثناء

الحسن وفى الاخرة الجنة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا عبد الرزاق بن ابى شريح أنا أبو القاسم البغوى حدثنا على بن الجعد أنا شعبة عن أبى عمران الجونى قال سمعت عبد الله ابن الصامت قال قال أبو ذر يارسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد ابن زيد عن أبى عمران وقال ويحمده الناس عليه وقال الزهرى وقتادة هى نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله ويبشر برضوان الله وقال الحسن هى ما بشر الله المؤمنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبشر المؤمنين وأبشروا بالجنة وقيل بشرهم فى الدنيا بالكتاب والرسول انهم أولياء الله ويبشرهم فى القبور وفى كتب أعمالهم بالجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لقوله ولا خلف لوعده (ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم) يعنى قول المشركين قرأ نافع ولا يحزنك بضم الياء وكسر الزاى وقرأ الآخرون يحزنك بفتح الياء وضم الزاى وهما لغتان يقال حزنه الشئ يحزنه وأحزنه ثم الكلام ههنا تم ابتدأ فقال (ان العزة لله) يعنى الغلبة والقدرة لله (جميعا) عليهم

عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذى وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ماسألنى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا حملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى أن لا تحمل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى فى قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله فى القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزأ من أجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لا أنها جزء من النبوة وقال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة أقام النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة وأربعين جزأ وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير فى جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبدا فاذا وقع لاحد فى المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزأ من النبوة لا أنه نبى واذا وقع ذلك لاحد فى المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل فى تفسير الآية ان المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا هى الثناء الحسن وفى الآخرة الجنة ويدل على ذلك ماروى عن أبى ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووى قال العلماء معنى هذا البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخرة له فى الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول فى الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا ففيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة فى تفسير البشرى هى نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هى ما بشر الله به المؤمنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى (لا تبديل لكلمات الله) يعنى لا خلف لوعد الله الذى وعد به أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى ألسنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعنى ما وعدهم به فى الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعا) يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك

عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين بإعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) لاقوالكم ودعائكم (العليم) بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية * قوله سبحانه وتعالى (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض) ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض * فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان لله ما في السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك * قلت ان لفظة ما تدل على ما لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظة ما استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له (وان هم الا يخرصون) يعني ان هم الا يكذبون في دعواهم ذلك * قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معايشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

فأضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء * قوله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغني) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غني عنها (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا (لا يفلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في الدنيا ولكن

العزة ولرسوله وللمؤمنين وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله (هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) هو ما استفهام معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وقيل وما يتبعون حقيقة لانهم يعبدونها على ظن انهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون (ان يتبعون الا الظن) يظنون أنها تقربهم الى الله (وان هم الا يخرصون) يكذبون (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) مضيئا يبصر فيه كقولهم ليل نائم وعيشة راضية قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ظلمة وضياء وبصر (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سمع الاعتبار انه مما لا يقدر عليه الا عالم قادر (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) وهو قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه هو الغني) عن خلقه (له ما في السموات وما في الارض) عبيدا وملكا (ان عندكم) ما عندكم (من سلطان) حجة وبرهان ومن صلة تقديره ما عندكم سلطان (بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لا ينجون وقيل لا يبقون في الدنيا ولكن

(متاع) قليل يتمتعون به و بلاغ ينتفعون به الى انقضاء آجالهم ومتاع رفع باضمار أى هو متاع (فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ نوح) أى اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح (اذ قال لقومه) وهم ولد قابيل (ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل عليكم (مقامى) طول عمرى ومكثى فيكم (وتذكيرى) ووعظى اياكم (بآيات الله) بحججه و بيناته فعزمتم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم) أى أحكموا أمركم واعزموا عليه (وشركاءكم) أى وادعوا شركاءكم أى آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وقال الزجاج معناه فأجمعوا أمركم مع شركائكم فلما ترك مع انتصب وقرأ يعقوب وشركاؤكم رفع أى فأجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم وقرأ رويس عن يعقوب فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم والوجه من جمع يجمع والمراد فاجمعوا ذوى أمركم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والمعنى اجمعوا رؤساءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى خفيا مبهما من قولهم غم الهلال على الناس أى أشكل عليهم وخفى (ثم اقضوا الىّ) أى أمضوا ما فى أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا الىّ بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض ما أنت قاض أى اعمل ما أنت عامل (ولا تنظرون) ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز أخبر الله عن نوح أنه كان واثقا بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه علما منه بأنهم وجعلنا وآلهتهم ليس اليهم نفع ولا ضر الا أن يشاء الله (فان توليتم) أعرضتم عن قولى وقبول نصحى (فما سألتكم) على تبليغ الرسالة والدعوة (من أجر) من جعل وعوض (ان أجرى) ما أجرى وثوابى (الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) أى من المؤمنين وقيل من المستسلمين لامر الله (فكذبوه) يعنى نوحا (فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف) أى جعلنا الذين معه فى الفلك سكان الارض خلفاء عن الهالكين

فى النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح فى سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعنى قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى (متاع فى الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا وهى أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعهم) يعنى بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بجلاله * قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وانه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه ياقوم) وهم بنو قابيل (ان كان كبر) يعنى ثقل (عليكم مقامى) يعنى فيكم (وتذكيرى بآيات الله) يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيرى بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله وحججه و بيناته فعزمتم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت) يعنى فهو حسبى وثقتى (فأجمعوا أمركم) يعنى فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من أمركم شيئا الا أحضرتموه (وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها لتجمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) يعنى لا يكن أمركم عليكم خفيا مبهما ولكن ليكن أمركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفى والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (الىّ) بما فى أنفسكم من مكروه وما تعدونى به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون (ولا تنظرون) أى ولا تؤخرونى ولا تمهلونى بعد اعلامكم اياى ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره غير خائف من كيدهم علما منه بانهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه (فان توليتم) يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصحى (فما سألتكم من أجر) يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيأ كان أقوى تأثيرا فى النفس (ان أجرى الا على الله) أى ما ثوابى وجزائى على تبليغ الرسالة الا على الله (وأمرت أن أكون من المسلمين) يعنى انى أمرت بدين الاسلام وأنا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الىّ منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعنى فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجيناه ومن معه فى الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلائف) يعنى

(وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده رسلا) أى من بعد نوح رسلا (الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالدلالات الواضحات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أى بما كذب به قوم نوح من قبل (كذلك نطبع) أى نختم (على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) يعنى أشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم) يعنى جاء فرعون وقومه (الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه (ولا يفلح الساحرون قالوا) يعنى فرعون وقومه لموسى (أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا وقال قتادة لتلوينا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما

الكبرياء) الملك والسلطان (فى الارض) أرض مصر وقرأ أبو بكر ويكون بالياء (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر آلسحر بقطع الالف والمد على الاستفهام وما فى هذه القراءة للاستفهام وليست بموصولة وهى مبتدأ وجئتم به خبرها والمعنى أى شئ جئتم به وقوله آلسحر بدل عنها وقرأ الباقون ما جئتم به السحر بوصل الالف من غير مد وما فى هذه القراءة موصولة بمعنى الذى وجئتم به صلتها وهى مع الصلة فى موضع الرفع بالابتداء وقوله السحر خبره أى الذى جئتم به السحر وتقوى هذه القراءة قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر بغير الالف واللام (ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته) بآياته (ولو كره المجرمون فما آمن لموسى) لم يصدق موسى مع ما آتاهم به من الآيات (الا ذرية من قومه) اختلفوا فى الهاء التى فى قومه قيل هى راجعة الى موسى وأراد بهم مؤمنى بنى اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه قال مجاهد كانوا أولاد الذين أرسل اليهم موسى من بنى اسرائيل هلك الآباء وبقى الابناء وقال الآخرون الهاء راجعة الى فرعون وروى عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطة ابنته وعن ابن عباس رواية أخرى انهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بنى اسرائيل فحمل الرجل يتبع أمه وأخواله وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة من بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا من القتل فنشؤا

وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعدها لكن (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسلا الى قومهم) لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل (فجاؤهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب * قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) يعنى أشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن الايمان بما جاءا به موسى وهرون (وكانوا قوما مجرمين) يعنى مستكسبين للاثم (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا لسحر مبين) يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى (أجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتلوينا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعنى الملك والسلطان (فى الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) يعنى بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر أن ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى ما معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) * قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة

عند القبط وأسلموا فى اليوم الذى غلبت السحرة قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بنى اسرائيل كما يقال لاولاد أهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الا بناء لان أمهاتهم من غير جنس آبائهم (على خوف من فرعون وملئهم) قيل أراد بفرعون آل فرعون أى على خوف من آل فرعون وملئهم كما قال واسئل القرية أى أهل القرية وقيل انما قال وملئهم وفرعون واحد لان الملك اذا ذكر

يفهم منه هو وأصحابه كما يقال قدم الخليفة يراد هو ومن معه وقيل أراد ملأ الذرية فان ملأهم كانوا من قوم فرعون (أن يفتنهم) أى يصرفهم عن دينهم ولم يقل يفتنوهم لانه أخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون (وان فرعون لعال) لمتكبر (فى الارض وانه لمن المسرفين) المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية (وقال موسى لقومه) لمؤمنى قومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا) اعتمدنا ثم دعوا فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بايديهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) قوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا ومضجعا اذا اتخذه وبوأته أنا اذا اتخذته له (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال أكثر المفسرين كانت بنو اسرائيل أراد

الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما آمن معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطة ابنته قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان أمهاتهم من غير جنس الاباء (على خوف من فرعون وملئهم) الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بنى اسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له (أن يفتنهم) أى يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال أن يفتنهم ولم يقل أن يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره (وان فرعون لعال فى الارض) يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعنى من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال موسى) يعنى لقومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يعنى فبه فثقوا ولأمره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعنى ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهرى ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعنى قال قوم موسى مجيبين له (على الله توكلنا) يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يعنى وخلصنا برحمتك من أيدى قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة * قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) يعنى اتخذوا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة أى وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل التفسير فى معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال

لا يصلون الا فى كنائسهم وبيعهم وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأمروا ان يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون هذا قول ابراهيم وعكرمة عن ابن عباس وقال مجاهد خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا معناه واجعلوا وجوه بيوتكم الى القبلة وروى

أراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى مقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها * فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب فى أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه * قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الأنبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا الصلوة) يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم و يصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (و بشر المؤمنين) يعنى بأنه لا يصل اليهم مكروه * قوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحيوة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات و رأى أن القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا و زينتها لا جرم ان موسى لما أخذ فى الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فى الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل و يفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس ازالة أثر الشئ بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهيآتها وقال مجاهد أهلكها وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهى حجارة

و بشر المؤمنين) يا محمد قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) من متاع الدنيا (وأموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا فى هذه اللام قيل هى لام كى معناه آتيتهم كى تفتنهم فيضلوا و يضلوا عن سبيلك كقوله لا سقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقيل هى لام العاقبة يعنى ليضلوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله (ربنا اطمس على أموالهم) قال مجاهد أهلكها والطمس المحو وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة وقال محمد بن كعب جعل صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا قال ابن عباس رضى الله عنه بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا ودعا عمر ابن عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة

منقوشة والجوزة مشقوقة وانها الحجر قال السدى مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع

(واشدد على قلوبهم) أى اقسها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان (فلا يؤمنوا) قيل هو نصب بجواب الدعاء بالقاء وقيل هو عطف على قوله ليضلوا فلا يؤمنوا وقال الفراء هو دعاء ومحله جزم فكانه قال اللهم فلا يؤمنوا (حتى يروا العذاب الأليم) وهو الغرق قال السدى معناه أمتهم على الكفر (قال) الله تعالى لموسى وهرون (قد أجيبت دعوتكما) انما نسب اليهما والدعاء كان من موسى لانه روى ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن والتأمين دعاء وفى بعض القصص كان بين دعاء موسى واجابته أربعون سنة (فاستقيما) على الرسالة

والدعوة وامضيا لامرى الى أن يأتيهم العذاب (ولا تتبعان) نهى بالنون الثقيلة ومحله جزم يقال فى الواحد لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين وبكسر النون فى التثنية لهذه العلة وقرأ ابن عامر بتخفيف النون وقد اختلف الروايات عنه فيه فبعضهم روى عنه تتبعان بتخفيف التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون وبعضهم روى عنه تتبعان بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف النون وبعضهم روى عنه كقراءة الجماعة والوجه فى تخفيف النون ان نون التأكيد تثقل وتخفف (سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) عبرنا بهم (فأتبعهم) لحقهم وأدركهم (فرعون وجنوده) يقال اتبعه وتبعه اذا أدركه ولحقه واتبعه بالتشديد اذا سار خلفه واقتدى به وقيل هما واحد (بغيا وعدوا) أى ظلما واعتداء وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق نزول وخاض البحر فاقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم وهم أولهم ان يخرج انطبق عليهم الماء قوله تعالى (حتى اذا أدركه الغرق) أى غمره الماء وقرب هلاكه (قال آمنت أنه) قرأ حمزة والكسائى انه بكسر الالف أى آمنت وقلت انه وقرأ الآخرون أنه بالفتح على وقوع آمنت عليها واضمار حرف الجر أى آمنت بانه فحذف الباء وأوصل الفعل بنفسه فهو فى موضع النصب (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قدس

وقال السدى مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جاز لموسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعنى الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه قال موسى قبل أن يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل لموسى وهرون (قد أجيبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما (فاستقيما) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لأمرى الى أن يأتيهم العذاب (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة قال الامام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه * قوله عز وجل (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) أى وقطعنا ببنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فأتبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم وأدركهم (بغيا وعدوا) أى ظلما وعدوانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجا فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والمخرج البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأيبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيأ فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه الغرق قال) يعنى فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند

نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لأجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل أن فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى آلآن تتوب وقد أضعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول أشهر ويعضده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفى رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس فى فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

﴿ فصل فى الكلام على هذا الحديث ﴾ لانه فى الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففى الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف فى هذا الحديث لان فى الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره * فان قلت ففى الحديث الثانى شك فى رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبى صلى الله عليه وسلم * قلت ليس بشك فى رفعه انما هو جزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة فى تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدى ابن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك فى تعيينه لم يكن هذا علة فى الحديث وقوله من حال البحر أى من طين البحر كما فى الرواية الاخرى

﴿ فصل ﴾ ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يملأ فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لان فى تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتا أم لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون فى ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذى أورده الامام على هذا الحديث فى كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا فى تلك الحالة أم لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل أن يمنعه من

جبريل فى فيه من حمأة البحر وقال (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فقال جبريل عليه السلام يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فالقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كانه ثور فرآه بنو اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا فذلك قوله

التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان و يدل على ذلك قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا فدس الطين فى فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضله و يطبع على قلبه و يمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه و بينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين فى فيه فانما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فأما قول الامام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما أن يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما أن يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به و يحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر انه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون فى ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذى نسب الى جبريل فائدة فجوابه أن يقال ان للناس فى تعليل أفعال الله قولين أحدهما ان أفعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثانى ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا أوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها أمر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين فى فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها فى وقت لا ينفعه فدس الطين فى فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بأن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين فى فيه ليأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة التى وعد الله موسى بقوله قد أجيبت دعوتكما فيكون سعى جبريل فى تكميل ما سبق فى حكم الله أنه يفعله فيكون سعى جبريل فى مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من أن الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأمور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقنا لأنا مأمورون بازالته بحسب الامكان فلذا أقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا فى حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به وأما من ليس مأمورا كأمرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه وعلى هذا التقدير

فان جبريل لما دس الطين فى فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذ القضاء الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الايمان فجوابه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فجوابه أنه انما فعل ذلك بأمر الله منفذ الامر الله والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله سبحانه وتعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ومعنى قوله ببدنك يعنى نلقيك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كأنه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رأوه فى درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبدا فأظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لنزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان فى غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) * قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) يعنى أسكناهم مكان صدق وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشئ اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفى المراد بالمكان الذى بوؤا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدى فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثانى انه أرض الشأم والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعنى تلك المنافع والخيرات التى رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعنى فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم مقرين به محمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفى كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثانى أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون * وقوله تعالى (ان ربك) يعنى يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من أمرك وأمر نبوتك فى الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار * قوله سبحانه وتعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) الشك فى موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود أمارتين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك فى هذا الامر فمعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب فى قوله فان كنت فى شك أنه للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد فى شك مما أنزلنا اليك يعنى من حقيقة ما أخبرناك به

(فاليوم ننجيك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع وقرأ يعقوب تنجيك بالتخفيف (ببدنك) بجسدك لا روح فيه وقيل ببدنك بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه فى درعه فصدقوا موسى (لتكون لمن خلفك آية) عبرة وعظة (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل) أنزلنا بنى اسرائيل بعد هلاك فرعون (مبوأ صدق) منزل صدق يعنى مصر وقيل الاردن وفلسطين وهى الارض المقدسة التى كتب الله ميراثا لابراهيم وذريته قال الضحاك هى مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات) الحلالات (فما اختلفوا) يعنى اليهود الذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى تصديقه وانه نبى (حتى جاءهم العلم) يعنى القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق ودينه حق وقيل حتى جاءهم معلومهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يعلمونه قبل خروجه فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق خلق قال الله تعالى هذا خلق الله ويقال هذا الدرهم ضرب الأمير أى مضروبه (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من الدين قوله تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) يعنى القرآن

وأنزلناه يعني القرآن (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوّته حتى يسأل أهل الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكا في نبوّة نفسه كان غيره أولى بالشك منه * قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ماذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا ثم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب * اياك أعني واسمعي ياجاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوّته لكان غيره أولى بالشك في نبوّته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك يارب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلته علي من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثاني ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجد وتعالى فان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوّته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا في المسؤل عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا اليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعني بدلائله وبراهينه الواضحة (فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك

(فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فيخبرونك انك مكتوب عندهم في التوراة قيل هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به المؤمنون بدليل انه قال ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل وقال يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل كان الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه ان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان رسولنا محمد فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وأصحابه فسيشهدون على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ويخبرونك بنبوّته قال الفراء علم الله سبحانه وتعالى ان رسوله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده ان كنت عبدي فأطعني ويقول لولده افعل كذا وكذا ان كنت ابني ولا يكون ذلك على وجه الشك (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) من الشاكين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) وهذا كله خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره

قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم) وجبت عليهم (كلمت ربك) قيل لعنته وقال قتادة سخطه وقيل الكلمة هي قوله هؤلاء في النار ولا أبالي (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) دلالة (حتى يروا العذاب الاليم) قال الأخفش أنث فعل كل لانه مضاف الى المؤنث وهي قوله آية ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء قوله تعالى (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) ومعناه فلم تكن قرية لان في الاستفهام ضربا من الجحد أي أهل قرية (آمنت) عند معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) في حالة الباس (الا قوم يونس) فانهم نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على الاستثناء المنقطع تقديره ولكن قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) وهو وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في انهم هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب والاكثرون على انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف يكون بعد الوقوع أو اذا قرب ﴿وقصة الآية﴾ على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل فأرسل الله اليهم يونس يدعوهم الى الايمان فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما أسودها ثلاثة أيام دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك (١٧٣) فطلبوا يونس نبيهم فلم يجدوه وقذف الله

وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شئ * قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) يعني في حال اليأس (الا قوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه ﴿ذكر القصة في ذلك﴾

على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية بنينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم

في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وعجوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر

العذاب وهلاك قومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فقال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق عاتبا على ربه مغاضبا لقومه فأتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فعرفوه فحملوه بغير أجر فلما دخلها توسطت بهم ولجت وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال أهل السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة قالوا ومن هو قال أنا اقذفوني في البحر قالوا ما كنا نطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك واستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فاد حض سهمه والحوت عند رجل السفينة فاغرا فاه ينتظر أمر ربه فيه فقال يونس انكم والله لتهلكن جميعا أو لتطرحنني فيه فقذفوه فيه وانطلقوا وأخذه الحوت وروي ان الله تعالى أوحى الى حوت عظيم حتى قصد السفينة فلما رآه أهل السفينة مثل الجبل العظيم وقد فغر فاه ينظر الى من في السفينة كأنه يطلب شيأ خافوا منه ولما رآه يونس زج نفسه في الماء وعن ابن عباس انه خرج مغاضبا لقومه فأتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها فلما لجت السفينة تكفأت حتى كادوا ان يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق وهكذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري ومن رسمنا ان نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر ولان يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس فقام يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت آخر أكبر منه وابتلع هذا الحوت وأوحى الله الى الحوت لا تؤذ مني منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله طعاما لك وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال نودي الحوت انا لم نجعل يونس لك قوتا انما جعلنا بطنك له حرزا ومسجدا وروي انه قام قبل القرعة فقال أنا العبد العاصي والآبق قالوا من أنت قال أنا يونس بن متى فعرفوه فقالوا لا نلقيك يا رسول الله

ولكن نساهم فخرجت القرعة عليه فالقى نفسه فى الماء قال ابن مسعود رضى الله عنه ابتلعه الحوت فاهوى به الى قرار الارض السابعة وكان فى بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فأجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه تبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون وأردت ان أهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من أنت ياغلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انى لقيت يونس فقال الغلام قد تعلم انه ان لم تكن لى بينة قتلت قال يونس عليه السلام تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فرهما فقال يونس اذا جاء كما هذا الغلام فأشهداله قالتا نعم فرجع الغلام فقال للملك انى لقيت يونس فأمر الملك بقتله فقال ان لى بينة فارسلوا معى فأتى البقعة والشجرة فقال أنشدكما هل أشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهد له الشجرة والارض فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه فى مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان منى فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة قوله تعالى (ولو شاء ربك) يامحمد (لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) هذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان حريصا على ان يؤمن جميع الناس فاخبره الله جل ذكره انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة (وما كان لنفس) وما ينبغى لنفس وقيل ما كانت نفس (أن تؤمن الا باذن الله) قال ابن عباس بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله وقيل بعلم الله (ويجعل)

بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم و بينه الا قدر ثلثى ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسودها ثلاثا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحن الاولاد الى الامهات والامهات الى الأولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده و روى الطبرى بسنده عن أبى الجلد خيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لا حى و ياحى محيى الموتى و ياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيأ فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدونى كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأتى القصة فى سورة والصافات ان شاء الله تعالى * فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته * قلت أجاب العلماء عن هذا بأجوبة أحدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثانى ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم فى التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق فى ايمانه ولا أخلص فلم يقبل منه ايمانه والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يامحمد لآمن بك وصدقك من فى الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ أن يصدقك و يؤمن بك الا من سبقت له السعادة فى الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس و يتابعوه على الهدى فأخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة فى الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الاول وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فأخبره الله أنه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعنى ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعنى وما كان ينبغى لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله * قوله تعالى (ويجعل)

الرجس) قرأ أبو بكر ونجعل بالنون والباقون بالياء أى ويجعل الله الرجس أى العذاب وهو الرجز (على الذين لا يعقلون) عن الله أمره ونهيه (قل انظروا) أى قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا (ماذا فى السموات والارض) من الآيات والدلائل والعبر فى السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها وفى الارض الجبال والبحار والانهار والاشجار وغيرها (وما تغنى الآيات والنذر) الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون (فهل ينتظرون) يعنى مشركى مكة (الا مثل أيام الذين خلوا) مضوا (من قبلهم) من مكذبى الامم قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعم أياما كقوله وذكرهم بأيام الله وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام (قل انتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا) قرأ يعقوب ننجى خفيف مختلف عنه (والذين آمنوا) معهم عند نزول العذاب معناه نجينا مستقبل بمعنى الماضى (كذلك) كما نجيناهم (حقا) واجبا (علينا ننجى المؤمنين) قرأ الكسائى وحفص ويعقوب ننجى بالتخفيف والآخرون بالتشديد ونجا وأنجى بمعنى واحد قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى) الذى أدعوكم اليه فان قيل كيف قال ان كنتم فى شك وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به قيل كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية أو انهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا فى أمرهم

قرئ بالنون على سبيل التعظيم أى ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط (على الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيه * قوله عز وجل (قل انظروا) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعنى انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر (ماذا فى السموات والارض) يعنى ماذا خلق الله فى السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته ففى السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وما تغنى الآيات والنذر) يعنى الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا فى حق أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعنى مشركى مكة (الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعنى من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعم أياما كقوله تعالى وذكرهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب فـ(قل فانتظروا) يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) يعنى من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) يعنى كما أنجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيأ * قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم فى شك من دينى) يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبى صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دينى الذى أدعوكم اليه فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أنتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعنى هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفى لان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بهذه الصفة أن المراد أن الذى يستحق العبادة فأعبده أنا وأنتم هو الذى خلقكم أولا ولم تكونوا شيأ ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقى وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى وأمرنى ربى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) الواو فى قوله وأن أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهى يعنى أقيم نفسك على دين الاسلام حنيفا

وأمر النبى صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يميتكم ويقبض أرواحكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) قوله (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) قال ابن عباس عملك وقيل استقم على الدين حنيفا

يعنى مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه أقم عملك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وأن أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير مائل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو أن من عرف الله عز وجل وعرف جميع أسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغى له أن يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك) يعنى ان عبدته ودعوته (ولا يضرك) يعنى ان تركت عبادته (فان فعلت) يعنى ما نهيتك عنه فعبدت غيرى أو طلبت النفع ودفع الضر من غيرى (فانك اذا من الظالمين) يعنى لنفسك لانك وضعت العبادة فى غير موضعها وهذا الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيأ البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله مالا ينفعك الآية * قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر) يعنى وان يصبك الله بشدة و بلاء (فلا كاشف له) يعنى لذلك الضر الذى أنزله بك (الا هو) لا غيره (وان يردك بخير) يعنى بسعة ورخاء (فلا راد لفضله) يعنى فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعنى بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان و بين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شئ وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفى الآية لطيفة أخرى وهى ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار و يكشفها الا ان الاستثناء من النفى اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعنى ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على رد ها لانه هو الذى يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعنى الساتر لذنوب عباده الرحيم يعنى بهم * قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى على نفسه لان و باله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء فى الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشئ أبدا (وما أنا عليكم بوكيل) يعنى وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعنى الامر الذى يوحيه الله اليك يا محمد (واصبر) يعنى على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعنى ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير الحاكمين) يعنى انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه و بقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾

وهى مكية فى قول ابن عباس و به قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفى رواية عن ابن عباس انها مكية غير آية وهى قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الا قوله سبحانه وتعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنات يذهبن السيآت وهى مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة فى الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

(ولا تكونن من المشركين ولا تدع) ولا تعبد (من دون الله مالا ينفعك) ان أطعته (ولا يضرك) ان عصيته (فان فعلت) فعبدت غير الله (فانك اذا من الظالمين) الضارين لانفسهم الواضعين العبادة فى غير موضعها (وان يمسسك الله بضر) أى يصبك بشدة و بلاء (فلا كاشف له) فلا دافع له (الا هو وان يردك بخير) رخاء ونعمة وسعة (فلا راد لفضله) فلا مانع لرزقه (يصيب به) بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى على نفسه و وباله عليه (وما أنا عليكم بوكيل) بكفيل أحفظ أعمالكم قال ابن عباس نسختها آية القتال (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله) بنصرك وقهر عدوك واظهار دينه (وهو خير الحاكمين) فحكم بقتال المشركين و بالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون

﴿ سورة هود عليه السلام ﴾ مكية الا قوله وأقم الصلوة طرفى النهار وهى مائة وثلاث وعشرون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله عزوجل (الر كتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخ كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل * فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات * قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها آيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فأجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بعضه * وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله (خبير) يعني بأحوال عباده وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (اني لكم منه) أي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (و بشير) يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد (يمتعكم متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عزوجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا باليسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم * فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى * قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيآت وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله * وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في

أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض وقال مجاهد فصلت أي فسرت وقيل فصلت أي أنزلت شيأ فشيأ (من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله) أي في ذلك الكتاب أن لا تعبدوا الا الله ويكون محل ان رفعا وقيل محله خفض تقديره بأن لا تعبدوا الا الله (اني لكم منه) أي من الله (نذير) للعاصين (و بشير) للمطيعين (وأن) عطف على الاول (استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) أي ارجعوا اليه بالطاعة قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو أي وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل أن استغفروا ربكم في الماضي ثم توبوا اليه في المستأنف (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم عيشا حسنا في خفض ودعة وأمن وسعة قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى باليسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) الى حين الموت (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجته في الآخرة في الجنة لان الدرجات تكون بالاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من أهل الاعراف ثم يدخل الجنة بعد وقيل يؤت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله عزوجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته

(وان تولوا) أعرضوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وهو يوم القيامة (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) قوله تعالى (ألا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب و ينطوى بقلبه على ما يكره قوله يثنون صدورهم أى يخفون ما فى صدورهم من الشحناء والعداوة وقال عبد الله بن شداد نزلت هذه الآية فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وحنى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كى لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته و يرخى ستره و يحنى ظهره و يتغشى بثوبه و يقول هل يعلم الله ما فى قلبى وقال السدى يثنون أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى وقيل يعطفون ومنه ثنى الثوب وقرأ ابن عباس يثنونى على وزن يحلولى جعل الفعل للصدور ومعناه المبالغة فى الثنى (ليستخفوا منه) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد ليستخفوا من الله ان استطاعوا (ألا حين يستغشون ثيابهم) يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور) قال الازهرى معنى الآية من أولها الى آخرها ان الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحسن بن محمد بن صباح ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم فقال سألته عنها فقال كان أناس يستحيون مستقرها أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم قوله تعالى (وما من دابة فى الارض) أى ليس دابة ومن صلة والدابة كل حيوان يدب على وجه الارض وقوله (الا على الله رزقها) أى هو المتكفل بذلك فضلا وهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل و بما لم يرزقها حتى تموت جوعا (و يعلم مستقره ومستودعها) قال ابن مقسم و يروى ذلك عن ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه و تستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها الموضع الذى تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه المستقر أرحام الامهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقال عطاء المستقر أرحام

الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته فى الدنيا زادت حسناته ودرجاته فى الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة و بقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده أعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله فى المستقبل لطاعته (وان تولوا) يعنى وان أعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فانى أخاف عليكم) أى فقل لهم يا محمد انى أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعنى عذاب النار فى الآخرة (الى الله مرجعكم) يعنى فى الآخرة فيثيب المحسن على احسانه و يعاقب المسىء على اساءته (وهو على كل شئ قدير) يعنى من ايصال الرزق اليكم فى الدنيا وثوابكم وعقابكم فى الآخرة * قوله سبحانه وتعالى (ألا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب و ينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون ما فى صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كى لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته و يرخى ستره و يحنى ظهره و يتغشى بثوبه و يقول هل يعلم الله ما فى قلبى وقال السدى يثنون صدورهم أى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى (ليستخفوا منه) يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (ألا حين يستغشون ثيابهم) يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم فى كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخارى فى افراده عن محمد بن عياش بن جعفر المخزومى انه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم * وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة فى الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذى أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الادمى وغيره من جميع الحيوانات (الا على الله رزقها) يعنى هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أى من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا (و يعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه فى ليل أو نهار ومستودعها المكان الذى تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود

مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر (كل فى كتاب مبين) أى كل ذلك مثبت فى اللوح المحفوظ قبل خلقها * قوله عز وجل (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعنى قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ماخلق وماهو خالق وماهو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله وبحمده ألف عام قبل ان يخلق شيأ من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء مايدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران ابن حصين قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فأتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى ياأهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يارسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم أتانى رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك قد ذهبت فانطلقت أطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم أقم عن أبى رزين العقيلى قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى وقال قال أحمد يريد بالعماء أنه ليس معه شئ قال أبو بكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء أى فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال تعالى لأصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى هو لا شئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله

الامهات والمستودع أصلاب الآباء ورواه سعيد بن جبير وعلى بن طلحة وعكرمة عن ابن عباس وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر لقوله تعالى فى صفة الجنة والنار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقرا ومقاما (كل فى كتاب مبين) أى كل مثبت فى اللوح المحفوظ قبل ان خلقها قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) قبل ان خلق السماء والارض وكان ذلك الماء على متن الريح قال كعب خلق الله عز وجل ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ماهو خالق وماهو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله وبحمده ألف عام قبل أن يخلق شيأ من خلقه

(ليبلوكم) ليختبركم وهو أعلم (أيكم أحسن عملا) اعمل بطاعة الله وأورع عن محارم الله تعالى (ولئن قلت) يا محمد (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) يعنون القرآن وقرأ حمزة والكسائي ساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) الى أجل محدود وأصل الامة الجماعة فكانه قال الى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى (ليقولن ما يحبسه) أي أي شيء يحبسه يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله تعالى (ألا يوم يأتيهم) يعني العذاب (ليس مصروفا عنهم) لا يكون مصروفا عنهم (وحاق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) أي وبال استهزائهم قوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) نعمة وسعة (ثم نزعناها منه) أي سلبناها منه (انه ليؤس) قنوط في الشدة (كفور) في النعمة (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) بعد بلاء أصابه (ليقولن ذهب السيآت عني) زالت الشدائد عني (انه لفرح فخور) أشر بطر والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه (الا الذين صبروا) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا (وعملوا الصالحات) فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) وهو الجنة (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شيأ وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحي اليه لقول أحد لان تجويز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله وإذا ثبت هذا وجب ان يكون

صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ بريد اتمام خلق المقادير لا أنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شان عن شان فانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون * وقوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعني للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) يعني الى أجل محدود وأصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال سبحانه وتعالى الى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى (ليقولن ما يحبسه) يعني أي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل (ألا يوم يأتيهم) يعني العذاب (ليس مصروفا عنهم) أي لا يصرفه عنهم شيء (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعني ونزل بهم وبال استهزائهم * قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعني يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفورا أي جحودا لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعني ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعني الذي أصابه الخير والسعة (ذهب السيآت عني) يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح فخور) أي انه أشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (وأجر كبير) يعني الجنة * قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شيأ وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما أوحي اليه لقول أحد لان تجويز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله وإذا ثبت هذا وجب ان يكون

المراد

غير هذا ليس فيه سب آلهتنا هم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع آلهتهم ظاهرا فأنزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني سب الآلهة (وضائق به صدرك) أي فلعلك يضيق صدرك

المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيأ آخر سوى ماذكره المفسرون وللعلماء فى ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانبارى قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يترك شيأ مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم فى متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانى ان هذا من حيث سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك فى عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وأن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فأمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحى والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفى الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيأ من الوحى هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أى بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعنى مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعنى يستغنى به وينفقه (أو جاء معه ملك) يعنى يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أمية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فى قولك بأنك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وأنت عزيز عنده مع انك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة فى أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شئ وكيل) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة * قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعنى بل يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما أوحى اليه من القرآن (قل) أى قل لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى شئ وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مختلق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه * فان قلت قد تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز * قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وفى قوله فى سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى فى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بأن يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبى صلى الله

(أن يقولوا) أى لان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) ينفقه (أو جاء معه ملك) يصدقه قاله عبد الله بن أمية المخزومى قال الله تعالى (انما أنت نذير) ليس عليك الا البلاغ (والله على كل شئ وكيل) حافظ (أم يقولون افتراه) بل يقولون اختلقه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فان قيل قد قال فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور فهو كرجل يقول لآخر اعطنى درهما فيعجز فيقول اعطنى عشرة دراهم الجواب قد قيل سورة هود نزلت أولا وأنكر المبرد هذا وقال بل نزلت سورة يونس أولا وقال معنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله أى مثله فى الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم فى سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله فى الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وانما هى مجرد البلاغة (وادعوا من استطعتم) واستعينوا بمن استطعتم (من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم) يا أصحاب محمد وقيل لفظه جمع والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وحده

عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بأنه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعني الذي أنزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل أنتم مسلمون) فيه معنى الامر أي أسلموا وأخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون الترغيب أي دوموا على ما أنتم عليه من الاسلام * قوله عز وجل (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) يعني بعمله الذي يعمله من أعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعني انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجرا في الدنيا وهو أن يصل رحما أو يعطي سائلا أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذي لغير الله نعوذ بالله

(فاعلموا) قيل هذا خطاب مع المؤمنين وقيل مع المشركين (أنما أنزل بعلم الله) يعني القرآن وقيل أنزله وفيه علمه (وأن لا اله الا هو) أي فاعلموا أن لا اله الا هو (فهل أنتم مسلمون) لفظه استفهام ومعناه أمر أي اسلموا قوله تعالى (من كان يريد الحيوة الدنيا) أي من كان يريد بعمله الحياة الدنيا (وزينتها) نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله عز وجل (نوف اليهم أعمالهم فيها) أي نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها (وهم فيها لا يبخسون) أي في الدنيا لا ينقص حظهم (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) أي في الدنيا (وباطل) ماحق (ما كانوا يعملون) اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال مجاهد هم أهل الرياء وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وقيل هذا في الكفار وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى به في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا

من الخذلان قال البغوى وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوى بغير سند *قوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر فى هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم فى الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو فى ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذى أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعنى انه على يقين من ربه انه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا فى الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبى صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنت التالى قال وما تعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما فى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبى صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظامه يشهد للنبى صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وأنت أى آية نزلت فيك فقال على ما تقرأ الآية التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله منه يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لاتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن فى التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن *وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما ورحمة) يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه فى أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة *وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) يعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الاحزاب) يعنى من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنار موعده) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه فى

أى يتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا فى هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر أهل التفسير انه جبريل عليه السلام وقال الحسن وقتادة هو لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك يحفظه ويسدده وقال الحسين بن الفضل هو القرآن ونظمه واعجازه وقيل هو على بن أبى طالب رضى الله عنه قال على ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه آية من القرآن فقال له رجل وأنت أى شئ نزل فيك قال ويتلوه شاهد منه وقيل شاهد منه هو الانجيل (ومن قبله) أى ومن قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل نزول القرآن (كتاب موسى) أى كان كتاب موسى (اماما ورحمة) لمن اتبعها يعنى التوراة وهى مصدقة للقرآن شاهدة للنبى صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون به) يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب (ومن يكفر به) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (من الاحزاب) من الكفار من أهل الملل كلها (فالنار موعده) أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر الزيادى أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه

الامة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قوله تعالى (فلا تك فى مرية منه) أى فى شك منه (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أن له ولدا أو شريكا أى لا أحد أظلم منه (أولئك) يعنى الكاذبين والمكذبين (يعرضون على ربهم) فيسألهم عن أعمالهم (ويقول الاشهاد) يعنى الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم قاله مجاهد وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو قول الضحاك وقال قتادة الخلائق كلهم ورويناعن عبد

الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله) يمنعون عن دين الله (ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين) قال ابن عباس سابقين قال قتادة هاربين وقال مقاتل فائتين (فى الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى أنصارا وأعوانا يحفظونهم من عذابنا (يضاعف لهم العذاب) أى يزاد فى عذابهم قيل يضاعف العذاب عليهم لاضلالهم الغير واقتداء الاتباع بهم قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف مشددة العين بغير ألف وقرأ الباقون يضاعف بالالف مخففة العين

كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بى أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا فى كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب أهل الملل كلها ثم قال سبحانه وتعالى (فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلا تك فى شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثانى انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعنى فلا تك فى شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب فى قوله فلا تك فى مرية للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعنى لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعد الكفار النار * قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى أى الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا وفى الآية دليل على ان الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد فى معرض المبالغة (أولئك) يعنى المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعنى يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم فى الدنيا (ويقول الاشهاد) يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الآخرة لكل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) يعنى يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين * قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم كافرون) يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت وينكرونه (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لم يكونوا معجزين فى الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين فى الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار يمنعونهم من دون الله اذا أرادبهم سوأ أو عذابا (يضاعف لهم العذاب) يعنى فى الآخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا

(ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) الهدى قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وما كانوا يبصرون الهدى قال ابن عباس رضى الله عنهما أخبر الله عز وجل انه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وفى الآخرة قال فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم

(أولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يزعمون من شفاعة الملائكة والاصنام (لا جرم) أى حقا وقيل بلى وقال الفراء لا محالة (أنهم فى الآخرة هم الأخسرون) يعنى من غيرهم وان كان الكل فى الخسار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا) قال ابن عباس خافوا وقال قتادة أنابوا وقال مجاهد اطمأنوا وقيل خشعوا وقوله (الى ربهم) أى لربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) مثل الفريقين) المؤمن والكافر (كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون لان الأعمى والأصم فى حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد لانهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) أى تتعظون قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب أنى بفتح الهمزة أى بانى وقرأ الباقون بكسرها أى فقال انى لان فى الارسال معنى القول انى لكم نذير مبين (أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) أى مؤلم قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعنى الأشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (الا بشرا مثلنا) يعنى آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم

خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما فى الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم (لا جرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (أنهم فى الآخرة هم الاخسرون) لانهم باعوا منازلهم فى الجنة واشتروا عوضها منازل فى النار وهذا هو الخسران المبين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار فى الدنيا وخسرانهم فى الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين فى الدنيا وربحهم فى الآخرة والاخبات فى اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع فى الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهى الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم فى الآخرة بأنهم من أهل الجنة التى لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعنى فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذى لا يهتدى لرشده والاصم وهو الذى لا يسمع شيأ البتة والبصير وهو الذى يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذى يسمع الاصوات ويجيب الداعى فمثل المؤمنين كمثل الذى يسمع ويبصر وهو الكامل فى نفسه ومثل الكافر كمثل الذى لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص فى نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون لان الاعمى والاصم فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع فى حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعنى فتتعظون * قوله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) يعنى ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم انى لكم أيها القوم نذير مبين يعنى بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى (أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعنى مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعنى الأشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (الا بشرا مثلنا) يعنى آدميا مثلنا لا فضل لك علينا الان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم

خمسين سنة وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة قال الله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما أى فلبث فيهم داعيا (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) والملأ هم الأشراف والرؤساء (ما نراك) يا نوح (الا بشرا) آدميا (مثلنا)

(وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) سفلتنا والرذل الدون من كل شئ والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل مثل كلب وأكلب وأكالب وقال فى سورة الشعراء وا تبعك الأرذلون يعنى السفلة وقال عكرمة الحاكة والاساكفة (بادى الرأى) قرأ أبو عمرو بادئ بالهمز أى أول الرأى يريدون انهم اتبعوك فى أول الرأى من غير روية وتفكر ولو تفكروا لم يتبعوك وقرأ الآخرون بغير همز أى ظاهر الرأى من قولهم بدا الشئ اذا ظهر معناه اتبعوك ظاهرا من غير ان يتدبروا و يتفكروا باطنا قال مجاهد رأى العين (وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال) نوح (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة) أى هدى ومعرفة (من عنده فعميت عليكم) أى خفيت والتبست عليكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم أى شبهت ولبست عليكم (أنلزمكموها) أى أنلزمكم البينة والرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها قال قتادة لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ان يلزموا قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا قوله (و ياقوم لا أسألكم عليه مالا) أى على الوحى وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور (ان أجرى) ما ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) هذا دليل على انهم طلبوا منه طرد المؤمنين (انهم ملاقوا ربهم) أى صائرون الى ربهم فى المعاد فيجزى من طردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون و ياقوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من عذاب الله (ان طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) فآتى منها ما تطلبون (ولا أعلم الغيب) فأخبركم بما تريدون وقيل أحوال

وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك و يظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) يعنى سفلتنا والرذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة فى الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الحاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين (بادى الرأى) يعنى انهم اتبعوك فى أول الرأى من غير تثبت وتفكر فى أمرك ولو تفكروا اما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعنى انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا (وما نرى لكم علينا من فضل) يعنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعنى نوحا (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) يعنى على بيان و يقين من ربى بالذى أنذركم به (وآتانى رحمة من عنده) يعنى هديا ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) يعنى خفيت والبست عليكم (أنلزمكموها) الهاء عائدة الى الرحمة والمعنى أنلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعنى انا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأنتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار أى لا أقدر على ذلك والذى أقدر عليه أن أدعوكم الى الله وليس لى أن أضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (و ياقوم لا أسئلكم عليه مالا) يعنى لا أسألكم ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا (ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون (انهم ملاقوا ربهم) فلا أطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) يعنى عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم (و ياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم) يعنى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (أفلا تذكرون) يعنى فتتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى خزائن الله يعنى انى لا يفنيها شئ فأدعوكم الى اتباعى عابها الأعطيكم منها وقال ابن الانبارى الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوى عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وادعوا ان المؤمنين انما اتبعوه فى ظاهر ما يرى منهم وهم فى الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهرونه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله و بين قوله (ولا أعلم الغيب) يعنى ولا أدعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه فى نفوسهم فسبيلى قبول ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمائرهم الا الله (ولا أقول انى ملك) وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا أى لا أدعى انى من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أدعوكم الى الله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم ﴿فصل﴾ استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال ولا أقول انى ملك لان الانسان اذا قال أنا لا أدعى كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشئ أشرف وأفضل من

انهم لما قالوا لنوح ان الذين آمنوا بك انما اتبعوك فى ظاهر ما ترى منهم قال نوح مجيبا لهم لا أقول لكم عندى خزائن غيوب الله التى يعلم منها ما يضمر الناس ولا أعلم الغيب فاعلم ما يسرونه فى نفوسهم فسبيلى قبول ما ظهر من ايمانهم (ولا أقول انى ملك) هذا جواب قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا

(ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أي تحتقرهم وتستصغرهم أعينكم يعني المؤمنين وذلك انهم قالوا لهم أراذلنا (لن يؤتيهم الله خيرا) أي توفيقا وايمانا وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) من الخير والشر مني (اني اذا لمن الظالمين) لو قلت هذا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعني بالعذاب (وما أنتم بمعجزين) بفائتين (ولا ينفعكم نصحي) أي نصيحتي (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) يضلكم (هو ربكم) له الحكم والأمر (واليه ترجعون) فيجزيكم بأعمالكم (أم يقولون افتراه) قال ابن عباس رضي الله عنه يعني نوحا عليه السلام وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (قل ان افتريته فعليّ اجرامي) أي اثمي ووبال جرمي والاجرام كسب الذنب (وأنا بريء مما تجرمون) لا أؤاخذ بذنوبكم قوله تعالى (وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) روى الضحاك عن ابن عباس ان قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في قعر بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله عز وجل روي ان شيخا منهم جاء يتوكأ على عصى ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال له يا أبت أمكني من العصى فأخذ العصى من أبيه فضرب نوحا حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله عز وجل اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يفعلون) فاني مهلكهم ومنتقم منهم فحينئذ دعا نوح عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلما أتى قرن الا كان أخبث من الذي قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيأ فشكا الى الله تعالى فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى ان قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله تعالى اليه

أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وأن الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى في ولا أقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) يعني تحتقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا انهم أراذلنا من الرذالة وهي الخسة (لن يؤتيهم الله خيرا) يعني توفيقا وهداية وايمانا وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) يعني من الخير والشر (اني اذا لمن الظالمين) يعني ان طردتهم مكذبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعني اني ان فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فما أنا من الظالمين (قالوا يا نوح قد جادلتنا) يعني خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) يعني خصومتنا (فأتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في دعواك انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الي انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أنتم بمعجزين) يعني وما أنتم بفائتين ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يغويكم) يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك (هو ربكم) يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (أم يقولون افتراه) أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به (قل ان افتريته) أي اختلقته (فعليّ اجرامي) أي اثم اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله (وأنا بريء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويروى ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم (بما كانوا يفعلون) يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلما يأتي قرن الا كان أخبث من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا

(واصنع الفلك باعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أى بامرنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) بالطوفان قيل معناه لا تخاطبنى فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبنى فى ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وفى القصة ان جبريل أتى نوحا عليه السلام فقال ان ربك عز وجل يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنع ولست بنجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك بعينى فأخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطئ وقيل أوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر قوله تعالى (ويصنع الفلك) فلما أمره الله تعالى ان يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وجعل (١٨٨) قومه يمرون به وهو فى عمله ويسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله ارحام نسائهم فلا يولد لهم ولد وزعم أهل التوراة ان الله أمره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصنعه أزوروان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا ويجعل فيه كوى ففعله نوح كما أمره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها فى عرضها وروى عن الحسن كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل وقيل قال مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يعمل الفلك وقيل غرس الشجر أربعين سنة وجفافه أربعين سنة وعن كعب الاحبار ان نوحا عمل السفينة فى ثلاثين سنة وروى انها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب شكا ذلك الى الله عز وجل فأوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فأكلاه فلما وقع الفار بجوف السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فأكلاه قوله تعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) وذلك انهم كانوا يقولون ان هذا الذى يزعم انه نبى قد صار نجارا وروى انهم كانوا يقولون له يا نوح ماذا تصنع فيقول اصنع بيتا يمشى على الماء فيضحكون منه

فلا يقبلون منه شيأ فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعنى بأمرنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبنى فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبنى فى ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك بأعيننا فأخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (ويصنع الفلك) يعنى كما أمره الله سبحانه وتعالى قال أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه فى عمل الفلك وجعل قومه يمرون وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوى وزعم أهل التوراة أن الله أمره ان يصنع الفلك من خشب الساج وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها فى عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول أشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة فى ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فأقبلوا على الروث فأكلوه فلما أفسد الفأر فى السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهى القطة والقط فأقبلا على الفأر فأكلاه * قوله سبحانه وتعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه) أى جماعة من قومه (سخروا منه) يعنى استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذى كان يزعم انه نبى قد صار نجارا

(قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) اذا عاينتم عذاب الله (كما تسخرون) فان قيل كيف تجوز السخرية من النبي قيل هذا على ازدواج الكلام يعني ان تستجهلونى فانى استجهلكم اذا نزل العذاب بكم وقيل معناه ان تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يهينه (ويحل عليه) يجب عليه (عذاب مقيم) دائم (حتى اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) اختلفوا فى التنور قال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة وروى عن على رضى الله عنه انه قال

وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال أصنع بيتا يمشى على الماء فضحكوا منه (قال) يعنى نوحا لقومه (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) يعنى ان تستجهلونا فى صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه * فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج فى مشاكلة الكلام كما فى قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى فسترون (من يأتيه) يعنى أينا يأتيه نحن أو أنتم (عذاب يخزيه) يعنى يهينه (ويحل عليه عذاب مقيم) يعنى فى الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذى لا انقطاع له * قوله عز وجل (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) يعنى وغلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسى معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور أصله أعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا فى المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور أى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضا وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه * فان قلت الالف واللام فى لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بسفنك ومن معك * قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا احمل فيها) يعنى قلنا لنوح احمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واحمل أهلك وولدك وعيالك (الا من سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واحمل

فار التنور أى طلع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبى انه التنور الذى يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية عن ابن عباس قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار الى نوح عليه السلام فقيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب السفينة أنت وأصحابك واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد والشعبى كان فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء منه علما لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند والفوران الغليان قوله تعالى (قلنا احمل فيها) أى فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر يقال لكل واحد منهما زوج خف وزوج نعل والمراد بالزوجين هنا الذكر والانثى قرأ حفص هنا وفى سورة المؤمنين من كل بالتنوين أى من كل صنف زوجين اثنين ذكره تأكيدا وفى القصة ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه الوحوش والسباع والهوام والطير فجعل يضرب يديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيحملها فى السفينة (وأهلك) أى واحمل أهلك أى ولدك وعيالك (الا من سبق عليه القول) بالهلاك يعنى امرأته واعلة وابنه كنعان (ومن آمن) يعنى واحمل من آمن بك كما قال الله تعالى

(وما آمن معه الا قليل) واختلفوا في عددهم قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجالا وامرأة وبنيه الثلاثة ونسائهم فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان في سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضي

معك من آمن بك من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك علي يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لابد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي وقال الامام فخر الدين الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري أو هوائي فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ * قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة (بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا أراد أن ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسو أي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الامور (وهي تجري بهم في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى

الله عنهما أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فنهض فلم يستطع حتى قال نوح ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله فقال مالك بد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتتا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما فقالتا له احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرتاه قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيأ (وقال اركبوا فيها) أي وقال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة (بسم الله مجريها ومرساها) قرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بفتح الميم ومرساها بضمها وقرأ محمد بن محيصن مجريها ومرساها بفتح الميمين من جرت ورست أي بسم الله جريها ورسوها وهما مصدران وقرأ الآخرون مجراها ومرساها بضم الميمين من أجريت وأرسيت أي بسم الله اجراؤها وارساؤها وهما أيضا مصدران كقوله أنزلني منزلا مباركا وأدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق والمراد منها الانزال والادخال والاخراج (ان ربي لغفور رحيم) قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله جرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله رست (وهي تجري بهم في موج كالجبال) والموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء

(ونادى نوح ابنه) كنعان وقال عبيد بن عمير سام وكان كافرا (وكان فى معزل) عنه لم يركب السفينة (يا بنى ّاركب معنا) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزى عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب اركب باظهار الباء والآخرون يدغمونها فى الميم (ولا تكن مع الكافرين) فتهلك (قال) له ابنه (ساآوى) سأصير وألتجئ (الى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال) له نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى من عذاب الله (الا من رحم) قيل من فى محل الرفع أى لا مانع من عذاب الله الا الله الراحم وقيل من فى محل النصب معناه لا معصوم الا من رحمه الله كقوله فى عيشة راضية أى مرضية (وحال بينهما الموج فكان) فصار (من المغرقين) ويروى أن الماء علا على رؤس الجبال قدر أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا

انه لما كثر الماء فى السكك خافت أم الصبى على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يا بنى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعنى فتهلك معهم (قال) يعنى قال كنعان (ساآوى) يعنى سالتجئ وأصير (الى جبل يعصمنى) يعنى يمنعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لا عاصم) يعنى لا مانع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الا من رحم) يعنى الا من رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما تناهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعى ماءك) أى اشربيه (ويا سماء أقلعى) أى امسكى (وغيض الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الأمر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون فى منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوّق الحمامة بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبى قبيس وهبط نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك * فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم * قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا اهلاك أطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابنى من أهلى) يعنى وقد وعدتنى أن تنجينى وأهلى (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين)

ويروى انه لما كثر الماء فى السكك خشيت أم الصبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا الرحم أم الصبى (وقيل) يعنى بعد ما تناهى أمر الطوفان (يا أرض ابلعى) تشربى (ماءك ويا سماء أقلعى) أمسكى (وغيض الماء) نقص ونضب يقال غاض الماء يغيض غيضا اذا نقص وغاضه الله أى أنقصه (وقضى الامر) فرغ من الامر وهو هلاك القوم (واستوت) يعنى السفينة استقرت (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) وروى أن نوحا عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورق زيتون فى منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد نضب فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوّق الحمامة الخضرة التى فى عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى أن نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه وهبطوا به يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكرا لله عز وجل وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء الى حجزته وكان سبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى) وقد وعدتنى أن تنجينى وأهلى (وان وعدك الحق) لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك

(قال) الله عز وجل (يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بنصب الراء على الفعل أي عمل الشرك والتكذيب وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام وتنوينه غير برفع الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان أنجيه عمل غير صالح (فلا تسألني) يانوح (ماليس لك به علم) قرأ أهل الحجاز والشام فلا تسألني بفتح اللام وتشديد النون ويكسرون نون غير ابن كثير فانه يفتحها وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة وإثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش الياء في الوصل دون الوقف وأثبتها يعقوب في الحالين (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) واختلفوا في هذا الابن قال مجاهد والحسن كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم بذلك نوح ولذلك قال ماليس لك به علم وقرأ الحسن خانتاهما وقال أبو جعفر الباقر كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك الأكثرون انه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه وقال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وقوله انه ليس من أهلك أي من أهل دينك لانه كان مخالفا لنوح في الدين وقوله خانتاهما أي في الدين والعمل لا في الفراش وقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين يعني أن تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر

منه

يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك (قال) يعني قال الله تعالى (يانوح انه) يعني هذا الابن الذي سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقا فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء * فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الأبوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فأجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعني أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي أن أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء

* فانما هي اقبال وادبار * قال الواحدي وهذا قول أبي اسحق يعني الزجاج وأبي بكر بن الانباري وأبي علي الفارسي قال أبو علي ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف (فلا تسألني ماليس لك به علم) وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصراره ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ماليس لك به علم بجواز مسئلته (اني أعظك) يعني أنهاك (أن تكون من الجاهلين) يعني لمثل هذا السؤال (قال) يعني قال نوح (رب اني أعوذ بك) يعني ألجأ اليك وأعتذر اليك (أن أسئلك ماليس لي به علم) يعني انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسئلتي ماليس لي به علم (والا تغفر لي) يعني جهلي واقدامي على سؤال ماليس لي به علم (وترحمني) يعني برحمتك التي وسعت كل شئ (أكن من الخاسرين)

(فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء) وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألني ماليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى اني أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب

قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام منا) أى بأمن وسلامة منا (وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ومنه بروك البعير وقيل البركة ههنا هى ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة (وعلى أمم ممن معك) أى على ذرية أمم ممن كان معك فى السفينة يعنى على قرون تجىء بعدك من ذرية من معك فى السفينة يعنى من ولدك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فيه كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سنمتعهم) هذا ابتداء أى أمم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب أليم) وهم الكافرون وأهل الشقاوة (تلك من أنباء الغيب) من أخبار الغيب (نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) من قبل نزول القرآن (فاصبر) على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح (ان العاقبة) آخر الامر بالسعادة والنصرة (للمتقين) لاهل التقوى قوله تعالى (والى عاد) أى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون) ما أنتم فى اشراككم الا كاذبون (ياقوم لا أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) جعلا (ان أجرى) ما ثوابى (الا على الذى فطرنى) خلقنى (أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار ههنا بمعنى الايمان (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى يرسل المطر عليكم متتابعا مرة بعد أخرى فى أوقات الحاجة (ويزدكم قوة الى قوتكم) أى شدة مع شدتكم وذلك ان الله عز وجل حبس عنهم المطر ثلاث سنين وأعقم أرحام نسائهم فلم يلدن فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون بالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة فى البدن

منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذى وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيآت المقربين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (قيل يانوح اهبط) أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلام) أى بأمن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعنى وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجىء ممن بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سنمتعهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم يمسهم منا عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (تلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب (نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك * فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا * قلت يحتمل أن يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فاصبر) يا محمد على أذى مشركى قومك كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية (للمتقين) يعنى للمؤمنين * قوله عز وجل (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعنى أخاهم فى النسب لا فى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيأ فى العبادة (مالكم من إله غيره) يعنى انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع (ان أنتم الا مفترون) يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (ياقوم لا أسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجرا) يعنى جعلا آخذه منكم (ان أجرى) يعنى ما ثوابى (الا على الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتتعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فأجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فأخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فأحيا به بلادهم كما كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقوكم بالاموال والاولاد وذلك

(ولا تتولوا مجرمين) أى لا تدبروا مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى بقولك (وما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اعتراك أى أصابك بسوء بخبل وجنون وذلك انك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل لا نحمل أمرك الا على هذا (قال) لهم هود (انى أشهد الله) على نفسى (واشهدوا) ياقوم (انى برىء مما تشركون من دونه) يعنى الاوثان (فكيدونى جميعا) فاحتالوا فى مكركم وضرى أنتم وأوثانكم (ثم لا تنظرون) لا تؤخرون ولا تمهلون (انى توكلت) أى اعتمدت (على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) قال الضحاك محييها ومميتها قال الفراء مالكها والقادر عليها وقال بعض العلماء آخذ بناصيتها لا تتوجه الا حيث يلهمها وقال القتيبى يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا بالذلة فتقول ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا سروا انسانا وأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون (ان ربى على صراط مستقيم) يعنى ان ربى وان كان قادرا عليهم فانه لا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى صراط مستقيم وقيل فيه اضمار أى ان ربى يحثكم و يحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) أى تتولوا يعنى تعرضوا عما دعوتكم اليه (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم و يستخلف ربى قوما غيركم) أى ان أعرضتم يهلككم الله عزوجل و يستبدل قوما غيركم أطوع منكم يوحدونه و يعبدونه (ولا تضرونه شيأ) بتوليكم واعراضكم انما تضرون أنفسكم وقيل لا تنقصونه شيأ اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شئ حفيظ) أى لكل شئ حافظ يحفظنى من أن تنالونى بسوء قوله تعالى (ولما جاء أمرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) بنعمة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو الريح التى أهلك بها عادا وقيل العذاب الغليظ عذاب يوم القيامة أى كما نجيناهم

انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا و يعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا نحمل أمرك الا على هذا (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا أنتم أيضا على (انى برىء مما تشركون من دونه) يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم وأصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فما قال لهم هذه المقالة و لم يهبهم و لم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عزوجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (انى توكلت على الله ربى وربكم) يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعنى تدب على الارض و يدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه و يعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربى على صراط مستقيم) يعنى ان ربى وان كان قادرا وأنتم فى قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) يعنى تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) يعنى أنى لم يقع منى تقصير فى تبليغ ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم فى قبول ذلك (و يستخلف ربى قوما غيركم) يعنى انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله و يستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم يوحدونه و يعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيأ) يعنى بتوليكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيأ اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شئ حفيظ) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شئ فيحفظنى من أن تنالونى بسوء * قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعنى باهلاكهم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديما المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعنى الريح التى أهلكت

في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الاخرة (وتلك عاد) رده الى القبيلة (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) يعني هودا وحده ذكره بلفظ الجمع لان من كذب رسولا واحدا كان كمن كذب جميع الرسل (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد والجبار المتكبر والعنيد الذي لا يقبل الحق يقال عند الرجل يعند عنودا اذا أبى ان يقبل الشئ وان عرفه وقال أبو عبيدة العنيد والعاند والعنود والماند المعارض لك بالخلاف (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي أردفوا لعنة تلحقهم اهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام النحسات فأهلكتهم جميعا وأنجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيأ وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أولان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) يعني أردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا ربهم) أي كفروا بربهم (ألا بعدا لعاد) يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة * فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله ألا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه * قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد * فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود * قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود لزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد * قوله عزوجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعني وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) أي وحدوا الله وخصوه بالعبادة (مالكم من اله غيره) يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو أنشأكم من الارض) يعني انه هو ابتدأ خلقكم من الارض وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعمركم من العمرى أي جعلها لكم ما عشتم (فاستغفروه) يعني من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعني من الشرك (ان ربي قريب) يعني من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو أن تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعني الآلهة (وانناني شك مما تدعونا اليه) يعني من عبادة الله (مريب) يعني انا مرتابون في قولك من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في التهمة (قال) يعني قال صالح مجيبا لقومه (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على يقين وبرهان (وآتاني

والطرد عن الرحمة (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة أيضا لعنوا كما لعنوا في الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أي بربهم يقال كفرته وكفرت به كما يقال شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له (ألا بعدا لعاد قوم هود) قيل بعدا من رحمة الله وقيل هلاكا والبعد له معنيان أحدهما ضد القرب يقال منه بعد يبعد بعدا والآخر بمعنى الهلاك يقال منه بعد يبعد بعدا وبعدا قوله تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا) أي وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا في النسب لا في الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله عزوجل (مالكم من اله غيره هو أنشأكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاث مائة سنة الى ألف سنة وكذلك قوم عاد وقال مجاهد أعمركم من العمرى أي جعلها لكم ما عشتم وقال قتادة أسكنكم فيها (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب) من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا) يعني ثمود (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) القول أي كنا نرجوا أن تكون سيدا فينا وقيل كنا نرجوا أن تعود الى ديننا وذلك انهم كانوا يرجون رجوعه الى دين عشيرته فلما اظهر دعاءهم الى الله عزوجل وترك الاصنام زعموا ان رجاءهم انقطع عنه فقالوا (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) من الآلهة (وانناني شك مما تدعونا اليه مريب) موقع الريبة والتهمة يقال أرابته اذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني

منه رحمة) نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) أى من يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه ما تزيدونني غير بصارة فى خسارتكم قال الحسين بن الفضل لم يكن صالح عليه السلام فى خسارة حتى قال فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى ما تزيدونني بما تقولون من الفحش الا نسبتى اياكم الى الخسارة والتفسيق والتفجير فى اللغة هو النسبة الى الفسق والفجور وكذلك التخسير هو النسبة الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال والقطع وذلك ان قوما طلبوا منه ان يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت فى الحال ولدا مثلها وقد بيناه فى سورة الاعراف فهذا معنى قوله هذه ناقة الله لكم آية (فذروها تأكل فى أرض الله) من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تصيبوها بعقر (فيأخذكم) ان قتلتموها (عذاب قريب فعقروها فقال) لهم صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم) أى فى دياركم (ثلاثة أيام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) أى غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب اليوم الرابع قوله تعالى (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) بنعمة منا (ومن خزى يومئذ) أى من عذابه وهوانه قرأ أبو جعفر ونافع والكسائى خزى يومئذ وعذاب يومئذ بفتح الميم وقرأ الباقون بالكسر (ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا) كفروا (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وانما قال أخذو الصيحة مؤنثة لان الصيحة بمعنى الصياح (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) صرعى هلكى الجمع (كأن لم يغنوا فيها) يقيموا ويكونوا (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) قرأ حمزة وحفص ويعقوب ثمود غير منون وكذلك فى سورة الفرقان والعنكبوت والنجم وافق أبو بكر فى النجم وقرأ الباقون بالتنوين وقرأ الكسائى لثمود بخفض الدال والتنوين والباقون بنصب الدال فمن جره فلانه اسم مذكر ومن لم يجره جعله اسما للقبيلة قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أراد بالرسل الملائكة عليهم السلام واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان أقل

منه رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) أى فمن يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته) يعنى ان خالفت أمره (فما تزيدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة فى خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح فى خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتى الى الخسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذروها تأكل) يعنى من العشب والنبات (فى أرض الله) يعنى فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعنى بعقر (فيأخذكم) يعنى ان قتلتموها (عذاب قريب) يعنى فى الدنيا (فعقروها) يعنى فخالفوا أمر ربهم فعقروها (فقال) يعنى فقال لهم صالح (تمتعوا) يعنى عيشوا (فى داركم) أى فى بلدكم (ثلاثة أيام) يعنى ثم تهلكون (ذلك) يعنى العذاب الذى أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) أى هو غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون فى اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب فى اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعنى العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أى بنعمة منا بأن هديناهم الى الايمان فآمنوا (ومن خزى يومئذ) يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ سمى خزيا لان فيه خزى الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد (هو القوى) يعنى هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعنى القاهر الذى لا يغلبه شئ ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظلموا) يعنى أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) يعنى صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أتيته واقمت به (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة فى تفسير سورة الاعراف * قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أراد بالرسل الملائكة واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان أقل

كان جبريل ومعه سبعة وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الوضاء وجوههم بالبشرى بالبشارة باسحق ويعقوب باهلاك قوم لوط

(قالوا سلاما) أى سلموا سلاما (قال) ابراهيم (سلام) أى عليكم سلام وقيل هو رفع على الحكاية كقوله تعالى وقولوا حطة وقرأ حمزة والكسائى سلم ههنا وفى سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف قيل هو بمعنى السلام كما يقال حل وحلال وحرم وحرام وقيل هو بمعنى الصلح اى نحن سلم أى صلح لكم غير حرب (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) والحنيذ المحنوذ وهو المشوى على الحجارة فى خدّ من الارض وكان سمينا يسيل دسما كما قال فى موضع آخر فجاء بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) أى الى العجل

الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) يعنى ان الملائكة سلموا سلاما (قال) يعنى لهم ابراهيم (سلام) أى عليكم أو أمركم سلام (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) يعنى مشويا والحنوذ هو المشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) يعنى أيدى الاضياف (لا تصل اليه) يعنى الى العجل المشوى (نكرهم) يعنى أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعنى ووقع فى قلبه خوف منهم والوجوس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف أن ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة فى أول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامرأته) يعنى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة هاران ابن ناحور اه وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعنى من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل فى السرور المجرد وفى التعجب المجرد أيضا وللعلماء فى تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا فى سبب هذا الضحك فقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال ألا تأكلون فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بأنفسنا نكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرّت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثانى فى معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أى حاضت فى الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال

(نكرهم) أنكرهم (وأوجس) أضمر (منهم خيفة) خوفا قال مقاتل وقع فى قلبه وأصل الوجوس الدخول كان الخوف دخل قلبه وقال قتادة وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامرأته) سارة بنت هاران بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم (فضحكت) قال مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب أى حاضت والأكثرون على ان المراد منه الضحك المعروف واختلفوا فى سبب ضحكها فقيل ضحكت لزوال الخوف عنها وعن ابراهيم حين قالوا لا تخف وقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام اليهم فلم يأكلوا خاف ابراهيم وظنهم لصوصا فقال لهم ألا تأكلون قالوا انا لا

نأكل طعاما الا بثمن قال ابراهيم فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة فى بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا القول يكون الآية على التقديم والتأخير تقديره وامرأته قائمة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

فضحكت وقالت ياويلتى أألد وأنا عجوز قوله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق) أى من بعد اسحق (يعقوب) أراد به ولد الولد فبشرت انها تعيش حتى ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمزة وحفص يعقوب بنصب الباء أى من وراء اسحق يعقوب وقيل باضمار فعل أى ووهبنا له يعقوب وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة وقيل ومن بعد اسحق يحدث يعقوب فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها أى ضربت وجهها تعجبا (قالت ياويلتا) نداء ندبة وهى كلمة يقولها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه أى ياعجبا والاصل ياويلتاه (أألد وأنا عجوز) وكانت ابنة تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد تسعا وتسعين سنة (وهذا بعلى) أى زوجى سمى بذلك لانه قيم أمرها (شيخا) نصب على الحال وكان سن ابراهيم مائة وعشرين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (ان هذا الشئ عجيب قالوا) يعنى الملائكة (أتعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبى من أمر الله فان الله عزوجل اذا أراد شيأ كان (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أى بيت ابراهيم عليه السلام قيل هذا على معنى الدعاء من الملائكة وقيل هذا على معنى الخبر والرحمة النعمة والبركات جمع البركة وهى ثبوت الخير وفيه دليل على ان الأزواج من أهل البيت (انه حميد مجيد) فالحميد المحمود فى أفعاله والمجيد الكريم وأصل المجد الرفعة (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) باسحق ويعقوب (يجادلنا فى قوم لوط) فيه اضمار أى أخذ وظل يجادلنا قيل معناه يكلمنا الا ان ابراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل انما يسأله ويطلب اليه وقال عامة أهل التفسير معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته انه قال للملائكة أرأيتم لو كان فى هذه المدائن

حاضت ليس ذلك تفسير القوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها فى الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد أنكر الفراء وأبو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث فى هذه الآية فضحكت أى طمثت وحكى الازهرى عن بعضهم فى قوله فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ رأتها على الحراب نمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الأرنب ضحكا يعنى حاضت حيضا قال

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقا

يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشر لا كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتهز بعضها على بعض فجعل هزيزها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا * فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك * قلت ان الله عزوجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالله أعلم أى ذلك كان * وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بأنها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت ياويلتا) نداء ندبة وأصلها ياويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل ياعجباه (أألد وأنا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بأمرها سمى بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة فى قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا لشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبى من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيأ كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته (انه حميد) يعنى هو المحمود الذى يحمد على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابى المجيد الواسع الكرم وأصل المجد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم * قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (يجادلنا) فيه اضمار تقديره أخذ يجادلنا أو جعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا فى قوم لوط وكانت

لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قال أو ثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا قال لهم ابراهيم عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله اخبارا عن ابراهيم عليه السلام يجادلنا في قوم لوط (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف فقالت الرسل عند ذلك لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أي أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال (انه قد جاء أمر ربك) أي عذاب ربك وحكم ربك (وانهم آتيهم) نازل بهم (عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا) يعني هؤلاء الملائكة

مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر ربك) يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم * قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه (سيء بهم) يعني أحزن لوط بمجيئهم اليه وساءظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذ لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه أو فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شد به ما أخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه

(لوطا) على صورة غلمان مرد حسان الوجوه (سيء بهم) أي حزن لوط بمجيئهم يقال سؤته فسيء كما يقال سررته فسر (وضاق بهم ذرعا) أي قلبا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه ان يقصدوهم بالفاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال هذا يوم عصيب) أي شديد كانه عصب به الشر والبلاء أي شد قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطا أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم ما بلغكم أمر أهل هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وروى انه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله ثم مر على قوم آخرين فغمزوا فقال مثله ثم مر بقوم فقال مثله ثم مر بقوم آخرين فقال مثله فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى أتى منزله وروى ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط وجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن مشي بين مشيتين قال شمر بن عطية بين الهرولة والجمز

(ومن قبل) أى من قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيآت) كانوا يأتون الرجال فى أدبارهم (قال) لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان (ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) يعنى بالتزويج وفى أضيافه بناته وكان فى ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزا كما زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن الربيع قبل الوحى وكانا كافرين وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبى أبو أمته وفى قراءة أبى بن كعب النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقيل ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فلم يرضوا هذا القول (فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى) أى خافوا الله ولا تخزون فى ضيفى أى لا تسوؤنى ولا تفضحونى فى أضيافى (أليس منكم رجل رشيد) صالح سديد وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال ابن اسحاق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت) يا لوط (مالنا فى بناتك من حق) أى لسن أزواجا لنا فنستحقهن بالنكاح وقيل معناه مالنا فيهن من حاجة وشهوة (وانك لتعلم ما نريد) من اتيان الرجال فـ(قال) لهم لوط عند ذلك (لو أن لى بكم قوة) أراد قوة البدن والقوة بالاتباع (أو آوى الى ركن شديد) أى أنضم الى عشيرة مانعة وجواب لو مضمر أى لقتلتكم وحلنا بينكم وبينهم قال أبو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا فى منعة من عشيرته

وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز (ومن قبل) يعنى ومن قبل مجىء الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعنى الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال فى أدبارهم (قال) يعنى قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا انهم غلمان من بنى آدم (ياقوم هؤلاء بناتى) يعنى أزوجكم اياهن وفى أضيافه بناته قيل انه كان فى ذلك الوقت وفى تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبى أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفى قوله (هن أطهر لكم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أطهر لكم من باب أفعل التفضيل فيقتضى أن يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا اجار مجرى قوله ذلك خير نزلا أم شجرت الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعلى وأجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة * وقوله (فاتقوا الله) يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون فى ضيفى) يعنى ولا تسوؤنى فى أضيافى ولا تفضحونى معهم (أليس منكم رجل رشيد) أى صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) يعنى ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بأزواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا فى بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك (وانك لتعلم ما نريد) يعنى من اتيان الرجال فى أدبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن لى بكم قوة) أى لو انى أقدر أن أتقوى عليكم (أو آوى الى ركن شديد) يعنى أو أنضم الى عشيرة يمنعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لفتكم أو لو وجدت عشيرة لانضممت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا فى منعة من عشيرته (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لأجبته قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد الاركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال فى تلك الحال لو أن لى بكم قوة فى الدفع بنفسى أو آوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتى فى موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل — فلما

أنبأنا أبو اليمان أنبأنا شعيب بن أبى حمزة أنبأنا أبو الزناد عن الاعرج أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط ان كان ليأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم وينا شدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم

(قالوا يالوط) ان ركنك لشديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الارض سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى مناغدا يوعدونه فقالت الملائكة له لا تخف انا أرسلنا لاهلاكهم فقال لهم لوط للملائكة متى موعد اهلاكهم فقالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب ثم قالوا (فأسر) يالوط (بأهلك) قرأ أهل الحجاز فأسر وأن اسر بوصل الالف حيث وقع في القرآن من سرى يسرى وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسرى ومعناهما (٢٠١) واحد وهو السير بالليل (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك) قرأ ابن كثير وأبو عمرو امرأتك برفع التاء على الاستثناء من الالتفات أي لا يلتفت منكم أحد الا امرأتك فانها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه ونهى من معه ممن أسرى بهم ان يلتفت سوى زوجته فانها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وقرأ الآخرون بنصب التاء على الإستثناء من الاسراء أي فأسر بأهلك الا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم وتصديقه قراءة ابن مسعود فاسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد (انه

فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم (قالوا يالوط) ركنك شديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى مناغدا يوعدونه بذلك (فأسر بأهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه (الا امرأتك) فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (انه مصيبها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم ان لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الا امرأته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فأخذتها حجارة فأهلكتها معهم (فلما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وأمطرنا عليها) يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد أولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض

مصيبها ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أي موعد هلاكهم وقت الصبح فقال لوط أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) قوله (فلما جاء أمرنا) عذابنا (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن وفيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وأمطرنا عليها) أي على شذاذها ومسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليها (حجارة من سجيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير سنك كل فارسي معرب وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله عز وجل لنرسل عليهم حجارة من طين قال مجاهد أولها حجر وآخرها طين وقال الحسن كان أصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم السماء الدنيا وقيل هو جبال في السماء قال الله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قوله تعالى (منضود) قال ابن عباس رضي الله عنهما متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض

(مسوّمة عند ربك) صفة للحجارة يعنى معلمة قال ابن جريج عليها سيما لاتشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أى على كل حجر اسم صاحبه الذى يرمى به (وما هى) يعنى تلك الحجارة (من الظالمين) يعنى مشركى مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الأمة والله ما أجار الله منها ظالما بعده وفى بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فأهلكه * قوله عز وجل (والى مدين) يعنى وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالأهم فالأهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص فى الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (انى أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعنى يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) أى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أى ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعنى أموالهم * فان قلت قد وقع التكرار فى هذه القصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة فى هذا التكرار * قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج فى المنع منه الى المبالغة فى التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يأمر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة فى الامر والنهى وأما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرار أيضا لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهى عن التنقيص والامر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عمم الحكم فى جميع الاشياء التى يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) يعنى بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعنى طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعنى ما أبقاه لكم من الثواب فى الآخرة خير لكم مما يحصل لكم فى الدنيا من المال الحرام

وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع قال الحسن والسدى كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمى به (عند ربك وما هى) يعنى تلك الحجارة (من الظالمين) أى من مشركى مكة (ببعيد) وقال قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الأمة والله ما أجار الله منها ظالما بعد وفى بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وروى ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم أين كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما حتى خرج فأصابه فاهلكه قوله عز وجل (والى مدين) أى وأرسلنا الى ولد مدين (أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) أى لا تبخسوا وهم كانوا يطففون مع شركهم (انى أراكم بخير) قال ابن عباس موسرين فى نعمة وقال مجاهد فى خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يحيط بكم فيهلككم (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان (ولا تبخسوا) لا تنقصوا (الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقيت الله خير لكم

ان كنتم مؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقيت الله أي طاعة الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ان ما عند كم من رزق الله وعطائه (وما أنا عليكم بحفيظ) بوكيل وقيل انما قال ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم (قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان قال ابن عباس رضي الله عنهما كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة لذلك قالوا هذا وقال الاعمش يعني أقراءتك (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان وقيل كان شعيب عليه السلام قد نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم زعم انه محرم عليهم فقالوا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء من قطعها (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس رضي الله عنهما أرادوا السفيه الغاوي والعرب تصف الشيء بضده فتقول للديغ سليم وللفلاة مفازة وقيل قالوه على وجه الاستهزاء وقيل معناه الحليم الرشيد بزعمك وقيل هو على الصحة أي انك ياشعيب فينا حليم رشيد لا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم وهذا كما قال قوم صالح عليه السلام قد كنت فينا مرجوا قبل هذا (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة) بصيرة و بيان (من ربي ورزقني منه رزقا حسنا) حلالا وقيل كثيرا وكان شعيب عليه السلام كثير المال وقيل الرزق الحسن العلم والمعرفة (وما

(ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني أحفظ أعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم (قالوا ياشعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به و يقولون هذه المقالة وقال الاعمش أقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يامرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك و يخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين (انك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك ياشعيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية و بيان (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني حلالا قيل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوّة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوّة فهل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو أبخس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لأنت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده و يلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه أي أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا فيها بأنه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناه أني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه انما أختار لكم ما أختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان أريد) يعني ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه (الا الاصلاح) يعني فيما بيني و بينكم (ما استطعت) يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشاء و يضل من يشاء (وما توفيقي الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقي الا بالله (عليه توكلت) يعني على الله اعتمدت في جميع أموري (واليه أنيب) يعني واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه أرجع في معادي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه * وقوله تعالى

أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أي ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه (ان أريد) ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه (الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله) والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة (عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) أرجع فيما ينزل بي من النوائب وقيل في المعاد

(و ياقوم لا يجرمنكم) لا يحملنكم (شقاقى) خلافى (أن يصيبكم) أى على فعل ما أنها كم عنه (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الصيحة (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا حديثى عهد بهلاك قوم لوط وقيل معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود) والودود له معنيان أحدهما انه محب للمؤمنين وقيل هو بمعنى الودود أى محبوب المؤمنين وجاء فى الخبر ان شعيبا عليه السلام كان خطيب الانبياء عليهم السلام (قالوا ياشعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا) وذلك انه كان ضرير البصر فأرادوا ضعف البصر (ولولا رهطك) عشيرتك وكان فى منعة من قومه (لرجمناك) لقتلناك والرجم أقبح القتل (وما أنت علينا) عندنا (بعزيز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله) أمكان رهطى أهيب عندكم من الله أى ان تركتم قتلى لمكان رهطى فالاولى ان تحفظونى فى الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أى نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه (ان ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على تؤدتكم وتمكنكم يقال فلان يعمل على مكانته اذا عمل على تؤدة وتمكن (انى عامل) على تمكنى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه والمخطئ فى فعله فذلك قوله (من يأتيه عذاب يخزيه) يذله (ومن هو كاذب) قيل من فى محل النصب أى فسوف تعلمون الكاذب وقيل بمحله رفع تقديره ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره (وارتقبوا) وانتظروا العذاب (انى معكم رقيب) منتظر

(و ياقوم لا يجرمنكم شقاقى) أى لا يحملنكم خلافى وعداوتى (أن يصيبكم) يعنى عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعنى الغرق (أو قوم هود) يعنى الريح التى أهلكتهم (أو قوم صالح) يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا حديثى عهد بهلاكهم وقيل معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط و بلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعنى من البخس والنقصان فى الكيل والوزن (ان ربى رحيم) يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أودّه اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه و يحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمى هو الوادّ لاهل طاعته أى الراضى عنهم بأعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابى وقد يكون معناه من تودّد الى خلقه (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعى ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون و يفهمون (وانا لنراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج و يقال ان حميرا كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه و يدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) يعنى لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول (وما أنت علينا بعزيز) يعنى بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا الشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا الشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لا لرهطى لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعنى ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لا يلتفت اليه (ان ربى بما تعملون محيط) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بأحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شئ فيجازيكم بها يوم القيامة (و ياقوم اعملوا على مكانتكم) يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر (انى عامل) يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم و يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه المخطئ فى فعله * فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون * قلت ادخال الفاء فى قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى بسبب عمله السيئ أوأينا الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) يعنى فيما يدّعيه (وارتقبوا) يعنى وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه أمرى وأمركم (انى معكم رقيب) أى منتظروا الرقيب بمعنى المراقب

(ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وقيل أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) ميتين (كأن لم يغنوا) أي كأن لم يقيموا ولم يكونوا (فبعدا ألا بعدا) هلاكا (لمدين كما بعدت) هلكت (ثمود) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) حجة بينة (الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) بسديد (يقدم قومه) يتقدمهم (يوم القيامة فأوردهم) فأدخلهم (النار وبئس الورد المورود) أي بئس المدخل المدخول فيه (وأتبعوا في هذه) أي في هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) أي العون المعان وقيل العطاء المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم اللعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم) عامر (وحصيد) خراب وقيل منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف وحصيد أي انمحى أثره وقال مقاتل قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر وحصيد بمعنى محصود (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) عذاب ربك (وما زادوهم غير تتبيب) أي غير تخسير وقيل تدمير (وكذلك) وهكذا (أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد)

المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منا بأن هدينا هم للايمان ووفقناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (ألا بعدا) يعني هلاكا (لمدين كما بعدت ثمود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم * قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض (الى فرعون وملئه) يعني أتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (وما أمر فرعون برشيد) يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فأدخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار (وبئس الورد المورود) يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون وأتباعه فأوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة (وأتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بئس الرفد المرفود) يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة * وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك أخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي أهلكنا أهلها (قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محى أثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود (وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تتبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدمير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا أخذ ربك (اذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائد على القرى والمراد أهلها (ان أخذه أليم شديد) (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا صدقة بن الفضل أنبأنا أبو معاوية انبأنا يزيد بن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة الآية

قوله عز وجل (ان فى ذلك لاية) لعبرة (لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس) يعنى يوم القيامة (وذلك يوم مشهود) أى يشهده أهل السماء والارض (وما نؤخره) أى وما نؤخر ذلك اليوم فلا نقيم عليكم القيامة وقرأ يعقوب وما يؤخره بالياء (الا لأجل معدود)

معلوم عند الله (يوم يأت) باثبات الياء وحذفها (لا تكلم) أى لا تتكلم (نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد) أى فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة أخبرنا أبو سعيد بن عبد الله ابن أحمد الطاهرى أنبأنا جدى أبو سهل بن عبد الصمد ابن عبد الرحمن البزاز أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافرى أنبأنا اسحق بن ابراهيم بن عباد الدبرى أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال خرجنا على جنازة فبينا نحن بالبقيع اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده مخصرة فجاء فجلس ثم نكت بها فى الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو النار والا قد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا يارسول الله وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل الشقاء فسييسرون لعمل أهل الشقاء وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة قال ثم تلا فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قوله (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) قال ابن عباس رضى الله عنهما الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال

القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة وردا لحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظالمى الامم الماضية بل هو عام فى كل ظالم و يعضده الحديث والله أعلم * قوله عز وجل (ان فى ذلك لآية) يعنى ما ذكر من عذاب الأمم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعنى ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله و يخاف عذابه فى الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار فى الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم فى الآخرة اعتبر به فيكون زيادة فى خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعنى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدى رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعنى يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما نؤخره الا لأجل معدود) يعنى وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعنى ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا باذنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى * فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية و بين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار أيضا ندل على الكلام فى ذلك اليوم * قلت يوم القيامة يوم طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففى بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفى بعض الاحوال يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون وفى بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون و يجادلون و ينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس شيأ الا أن يأذن الله لها فى الشفاعة (فمنهم) يعنى فمن أهل الموقف (شقى وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهى السعادة القصوى لانها نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهى الشقاوة القصوى لانها نهايتها النار فالشقى من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد من سبقت له السعادة فى الازل (ق) عن على بن أبى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشئ بتلك المخصرة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقى وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيآته وهم أصحاب الاعراف فى قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيآت فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفى القسم الثالث (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها) أى فى النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال

والشهيق آخره اذا رددده فى جوفه وقال أبو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر (خالدين فيها) لابثين مقيمين فيها (مادامت السموات والارض) قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما وكلما علاك وأظلك فهو سماء وكلما استقرت عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعانى هذا عبارة عن التأبيد على عادة العرب يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون أبدا قوله (الا ماشاء ربك) اختلفوا فى هذين الاستثنائين فقال بعضهم الاستثناء فى أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله من جملة الأشقياء وهذا كما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن

اسمعيل ثنا حفص بن عمر ثنا هشام عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسمعيل أنا مسدد أخبرنا يحيى عن الحسن بن ذكوان أنبأنا أبو رجاء حدثنى عمران ابن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين وأما الاستثناء فى أهل السعادة فيرجع الى مدة لبثهم فى النار قبل دخول الجنة وقيل الا ماشاء ربك من الفريقين من تعميرهم فى الدنيا واحتباسهم فى البرزخ ما بين الموت والبعث قبل مصيرهم الى الجنة أو النار يعنى هم خالدون فى الجنة أو

الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الجوف (خالدين فيها) يعنى لابثين مقيمين فى النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولابد لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلهم وأرض تقلهم فكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعانى هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد * وقوله سبحانه وتعالى (الا ماشاء ربك) اختلف العلماء فى معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور فى أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء فى الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفى رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخارى ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين وفى رواية ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين وأما الاستثناء الثانى المذكور فى أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء فى النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) أن يدخله النار أولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم فى الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة فى النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم فى الدنيا واحتباسهم فى البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالدين فى الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ماشاء ربك سوى ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الا ألفين أى سوى ألفين وقيل الا بمعنى الواو يعنى وقد شاء النار الا هذا المقدار وقيل معنى الا ماشاء ربك سوى ما شاء ربك معناه خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والارض وذلك هو الخلود فيهما كما تقول لفلان على ألف الا ألفين أى سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو أى وقد شاء ربك خلود هؤلاء فى النار وهؤلاء فى الجنة كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى ولا الذين ظلموا وقيل معناه لو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود وقال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان أرى غير ذلك وغزيمتك ان تضربه (ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا) قرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا بضم السين وكسر العين أى رزقوا السعادة وسعدوا أسعد بمعنى واحد وقرأ الآخرون بفتح السين قياسا على شقوا (ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) قال الضحاك الا ما مكثوا فى النار حتى أدخلوا الجنة قال قتادة الله أعلم بثنياه

(عطاء غير مجذوذ) أى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبى هريرة رضى الله عنه مثله ومعناه عند أهل السنة ان ثبت ان لا يبقى فيها أحد من أهل الايمان وانما مواضع الكفار فممتلئة أبدا (فلا تك فى مرية) فى شك (مما يعبد هؤلاء) انهم ضلال (ما يعبدون الا كما يعبد) فيه اضمار أى كما كان يعبد (آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من الجزاء (غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عنهم (لقضى بينهم) أى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة والتهمة (وان كلا) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر وان كلا ساكنة النون على تخفيف ان الثقيلة والباقون بتشديدها (لما) مشدد هنا وفى يس والطارق ابن عامر وعاصم وحمزة وافق أبو جعفر ههنا وفى الطارق وفى لزخرف بالتشديد عاصم وحمزة والباقون بالتخفيف فمن شدد قال الاصل فيه وان كلا لمن ما وصلت من الجارة بما فانقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت لاث ميمات فحذفت احداهن فبقيت لما بالتشديد وما ههنا بمعنى من وهو اسم لجماعة الناس كما قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم أى من طاب لكم والمعنى وان كلا لمن جماعة ليوفينهم ومن قرأ بالتخفيف قال ما صلة والامر زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما والمعنى وان كلا ليوفينهم وقيل ما بمعنى من تقديره لمن ليوفينهم واللام فى لما لام التأكيد التى تدخل على خبر ان وفى ليوفينهم لام القسم والقسم مضمر تقديره والله (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (انه بما يعملون خبير) قوله عز وجل (فاستقم كما أمرت) أى استقم على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك

ربك خلود هؤلاء فى النار وخلود هؤلاء فى الجنة فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أى ولا للذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لاضربنك الا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضربه فهذه الاقوال فى معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال فى حال الفريقين فأما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك فى جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء فى جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول فى جانب الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من أن يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفى جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة فى الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها * وقوله سبحانه وتعالى فى جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبى هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبى هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم * قوله سبحانه وتعالى (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) يعنى فلا تك فى شك يا محمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى انه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم (وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص * قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لقضى بينهم) يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفى شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعملون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين * قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك

(ومن تاب معك) أي ومن آمن معك فليستقيموا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب أخبرنا الامام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أنا والدي املاء ثنا أبو بكر محمد بن اسحق ثنا محمد بن العلاء بن كريب ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم

والامر في فاستقم للتأكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعني ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تطغوا) يعني ولا تجاوزوا أمري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود وأخواتها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا أي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا أي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة اشارة الى تقليله * وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسكم النار) يعني فتصيبكم النار بحرها (وما لكم من دون الله من أولياء) يعني أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضي بأعمالهم أو أحبهم فكيف حال الظلمة في أنفسهم نعوذ بالله من الظلم * قوله عز وجل (وأقم الصلوة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو أطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال أبو اليسر فأتيته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يارسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يارسول الله ألي هذه الآية قال لمن عمل بها من أمتي وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله أرأيت رجلا لقي امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيأ الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فأنزل الله عز وجل وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات

الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل لا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسكم) فتصيبكم (النار وما لكم من دون الله من أولياء) أي أعوان يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) قوله عز وجل (وأقم الصلوة طرفي النهار) أي الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار صلاة الصبح والظهر والعصر

(وزلفا من الليل) صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما طرفا النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قوله وزلفا من الليل أي ساعته واحدتها زلفة وقرأ أبو جعفر زلفا بضم اللام (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات وروى أنها نزلت في أبي اليسر وهو عمرو بن غزية الانصاري قال أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها ان في البيت تمرا أطيب منه فدخلت معي في البيت فأهويت اليها فقبلتها ثم ندمت فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأتيت عمر رضي الله عنه

فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أوحى الله اليه وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنبأنا قتيبة بن سعيد ثنا يزيد ابن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال لجميع أمتي كلهم وأخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني أبو طاهر وهرون بن سعيد الايلي قالا حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن اسحق مولى زائدة حدثه عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي أنبأنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج أنبأنا قتيبة أنبأنا الليث وبكر بن مضر عن ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قوله عز وجل (ذلك) أي ذلك الذي ذكرنا وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى) عظة (للذاكرين) أي لمن ذكره (واصبر) يا محمد على

ذلك ذكرى للذاكرين فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله أهي له خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير فقوله سبحانه وتعالى وأقم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر أن الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعني وأقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن زاد في رواية مالم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر

ما تلقى من الاذى وقيل على الصلاة نظيره وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) فى أعمالهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المصلين قوله عزوجل (فلولا) فهلا (كان من القرون) التى أهلكناهم (من قبلكم) الآية للتوبيخ (أولوا بقية) أى أولو تمييز وقيل أولو طاعة وقيل أولو خير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير معناه فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد

على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى أعمالهم قال ابن عباس يعنى المصلين * قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعنى فهلا كان من القرون التى أهلكناهم (من قبلكم) يعنى يا أمة محمد (أولوا بقية) يعنى أولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) يعنى يقومون بالنهى عن الفساد فى الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد فى الارض فلذلك أهلكناهم (الا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن أنجينا منهم) يعنى من آمن من الامم الماضية وهم أتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعوّدوا به من النعم وايثار اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعنى كافرين (وما كان ربك) يعنى وما كان ربك يا محمد (ليهلك القرى بظلم) يعنى لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعنى فى أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد * قوله عزوجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود قال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمته وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله * وقوله سبحانه وتعالى (الا من رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف الاختلاف وقيل خلق الله عزوجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم

فى الارض وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) أى يقومون بالنهى عن الفساد ومعناه جحد أى لم يكن فيهم أولو بقية (الا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن أنجينا منهم) وهم أتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا) نعمو (فيه) والمترف المنعم وقال مقاتل بن حيان خوّلوا وقال الفراء عوّدوا من النعيم واللذات وايثار الدنيا أى واتبع الذين ظلموا ما عوّدوا من النعيم واللذات وايثار الدنيا على الآخرة (وكانوا مجرمين) كافرين (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أى لا يهلكهم بشركهم (وأهلها مصلحون) فيما بينهم يتعاطون الانصاف ولا يظلم بعضهم بعضا وانما يهلكهم اذا تظالموا وقيل لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون فى أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات قوله عزوجل (ولو شاء ربك لجعل الناس) كلهم

أمة واحدة) على دين واحد (ولا يزالون مختلفين) على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك (الا من رحم ربك) معناه لكن من رحم ربك فهداهم الى الحق فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال أشهب سألت مالكا عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال أبو عبيدة الذى اختاره قول من قال خلق فريقا لرحمته وفريقا لعذابه وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف ومحصول الآية ان أهل

الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف (وتمت كلمة ربك) وتم حكم ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) معناه وكل الذي يحتاج اليه من أنباء الرسل أي من أخبارهم واخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك انزيدك يقينا وتقوى قلبك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه (وجاءك في هذه الحق) قال الحسن وقتادة في هذه الدنيا وقال غيرهما في هذه السورة وهذا قول الأكثرين خص هذه السورة تشريفا وان كان قد جاءه الحق في جميع السور (وموعظة) أي وجاءتك موعظة (وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) أمر تهديد ووعيد (انا عاملون وانتظروا) مايحل بنا من رحمة الله (انا منتظرون) مايحل بكم من نقمة الله (ولله غيب السموات والارض) أي علم ماغاب عن العباد فيهما (واليه يرجع الأمر كله) في المعاد قرأ نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم أي يرد وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم أي يعود الامر كله اليه حتى لا يكون للخلق أمر (فاعبده وتوكل عليه) وثق به (وما ربك بغافل عما تعملون) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب تعملون بالتاء هنا وفي آخر سورة النمل وقرأ الآخرون بالياء فيهما قال كعب خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية * قوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (في هذه الحق) اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الأكثرين * فان قلت جاءه الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر * قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم (انا عاملون) يعني ما أمرنا به ربنا (وانتظروا) يعني ما يعدكم به الشيطان (انا منتظرون) يعني مايحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعني يعلم ماغاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الأشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء (واليه يرجع الامر كله) يعني الى الله يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة (فاعبده) يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعني وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك (وما ربك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شئ فيجزي المحسن باحسانه والمسي ء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام﴾

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال كعب خاتمة التوراة خاتمة سورة هود أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب قوله حدثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله قد شبت فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت ويروى شيبتني هود وأخواتها من المفصل ﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك ايات الكتاب المبين) اى البين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه قال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان اى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر (انا أنزلناه) يعنى الكتاب (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) أى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه (نحن نقص عليك) أى نقرأ عليك (أحسن القصص) والقاص هو الذى يتبع الآثار ويأتى بالخبر على وجهه معناه نبين لك أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها * وقوله تعالى (بما أوحينا اليك) يعنى بايحائنا اليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أى وقد كنت (من قبله) يعنى من قبل وحينا اليك (لمن الغافلين) يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل نحن نقص عليك أحسن القصص الآية فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله * قوله عز وجل (اذ قال يوسف لأبيه) أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لأبيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

* قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فأنزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية فى الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعنى تفهمون أيها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأصله فى اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها * وقوله تعالى (بما أوحينا اليك) يعنى بايحائنا اليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أى وقد كنت (من قبله) يعنى من قبل وحينا اليك (لمن الغافلين) يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله * قوله عز وجل (اذ قال يوسف لأبيه) أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لأبيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم عليهما السلام يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون الا استراح اليها قوله عز وجل (بما أوحينا اليك) ما المصدر أى بايحائنا اليك (هذا القرآن وان كنت) وقد كنت (من قبله) أى من قبل وحينا (لمن الغافلين) لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها قال سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (اذ قال يوسف لابيه) أى اذكر اذ قال يوسف لابيه

ويوسف اسم عبرى ولذلك لا يجرى عليه الصرف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فى يوسف عليه السلام فسمى به أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل قال قال عبد الله بن محمد ثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

(يا أبت) قرأ أبو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير يا أبتاه والوجه ان أصله يا أبتا بالالف وهي بدل عن ياء الاضافة فلما حذفت الالف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الالف كما تبقى الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء وقرأ الآخرون يا أبت بكسر التاء في كل القرآن والوجه ان أصله يا أبتي فحذفت الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة لان باب النداء حذف يدل على ذلك قوله يا عبادي فاتقون وقرأ الآخرون يا أبت بكسر التاء لان أصله يا أبت والجزم يحرك الى الكسر (اني رأيت أحد عشر كوكبا) أي نجما من نجوم السماء ونصب الكوكب على التفسير (والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ولم يقل رأيتها لي ساجدات والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل لانه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه قاله قتادة وقال السدي القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا وقيل رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه (قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك) وذلك ان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب ان اخوته اذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان (فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا في اهلاكك لانهم يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله لك صلة كقوله تعالى لربهم يرهبون وقيل هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) أي بزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال سمعت أبا سلمة قال كنت أرى الرؤيا فتهمني حتى سمعت أبا قتادة يقول كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من أربعين أو ستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت وأحسبه قال لا تحدث بها الا حبيبا أو لبيبا

عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به (يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود * فان قلت ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات * قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء ناطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشيء والاول أصح * فان قلت قد قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار * قلت معنى الرؤيا الاولى أنه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لي ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فلهذا (قال) يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك) يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) أي فيحتالوا في اهلاكك فأمره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في فيكيدوا لك كيدا أكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعني انه بين العداوة قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا

رأى أحدكم مايحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم مايكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لأحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل مايشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور أخر يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علما على مايسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ماهو علم على مايضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيأ والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه مايحب أن يحدث به من يحب واذا رأى مايكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم * قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء أو بعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الأحاديث) يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أمره الى مارأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من اتمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعني بمصالح خلقه (حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شيأ الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بأبويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه يقول الله تعالى (لقد كان في يوسف واخوته) أي في خبره وخبر اخوته وأسمائهم ورويل وقيل رو بين بالنون وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون

قوله عز وجل (وكذلك يجتبيك ربك) يصطفيك يقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام أي كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ربك (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يريد تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤل أمره الى مارأى في منامه والتأويل مايؤل اليه عاقبة الامر (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة (وعلى آل يعقوب) أي على أولاده فان أولاده كلهم كانوا أنبياء (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) فجعلهما نبيين (ان ربك عليم حكيم) وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم الخلة وقيل انجاؤه من النار وعلى اسحق انجاؤه من الذبح وقيل باخراج يعقوب والاسباط من صلبه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه واخوته اليه أربعون سنة وهو قول أكثر أهل التفسير وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضي ان تسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه يقول الله تعالى (لقد كان في يوسف واخوته) أي في خبره وخبر اخوته وأسمائهم رويل وقيل رو بين بالنون وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون

وقيل زبولون وآشر وأمهم ليا بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام وولد له من سريتين له اسم احداهما زلفة والاخرى بلهمة أربعة أولاد دان ونفتالي وقيل نفتولي وجاد واوشير ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل وابن يامين فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلا (آيات) قرأ ابن كثير آية على التوحيد أي عظة وعبرة وقيل عجب وقرأ الآخرون آيات على الجمع (للسائلين) وذلك ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان الى مصر فذكر لهم قصة يوسف جميعها فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها فهذا معنى قوله آيات للسائلين أي دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل آيات للسائلين ولمن لم يسأل كقوله سواء للسائلين وقيل معناه عبرة للمعتبرين فانها تشتمل على حسد اخوة يوسف وما آل اليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه وما حقق الله منها وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن وما آل اليه أمره من الملك وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما آل اليه أمره من الوصول الى المراد وغير ذلك من الآيات (اذ قالوا ليوسف) اللام فيه جواب القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) بنيامين (أحب الى أبينا منا) كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام وكان اخوته يرون منه من الميل اليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة (ونحن عصبة) أي جماعة وكانوا عشرة قادحة

روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيأ فدل ذلك على ان ما أتى به وحي سماوي وعلم قدسي أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين وهما من أم واحدة (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الأربعين وقيل الأصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفي ضلال مبين) يعني لفي خطأ بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه وتقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الأعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير ولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته * فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الأنبياء فما الجواب عنه * قلت هذه الأفعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال

قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل العصبة ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين وقيل جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط (ان أبانا لفي ضلال مبين) أي خطأ بين في ايثاره يوسف وأخاه علينا وليس المراد من هذا الضلال الضلال عن الدين ولو أرادوه لكفروا به بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع له في أمر الدنيا واصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف فنحن أولى بالمحبة منه فهو مخطئ في صرف محبته اليه

(اقتلوا يوسف) اختلفوا فى قائل هذا القول فقال وهب قاله شمعون وقال كعب قاله دان وقال مقاتل رو ويل مبين اقتلوا بضم التنوين قرأها ابن كثير ونافع والكسائى وقرأ الباقون مبين اقتلوا بكسر التنوين (أو اطرحوه أرضا) أى الى أرض تبعد عن أبيه وقيل فى أرض تأكله السباع (يخل لكم) يخلص لكم و يصف لكم (وجه أبيكم) عن شغله بيوسف (وتكونوا من بعده) من بعد قتل يوسف (قوما صالحين) تائبين أى توبوا بعد ما فعلتم هذا يعف الله عنكم وقال مقاتل صالحين يصلح أمركم فيما بينكم و بين أبيكم (قال قائل منهم لا تقتلوا (٢١٧) يوسف) وهو يهوذا وقال قتادة رو يل

قادحة فى عصمة الانبياء * قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) لما قوى الحسد و بلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا بأحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه بأن تفترسه الاسد والسباع أو يموت فى تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة فى ذلك وهى قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك يا يوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعنى من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعنى تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذى عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين فى المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم و بين أبيكم * فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم أنبياء * قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء فى ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة فى عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذى أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه فى ذلك فأشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعنى قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو رو يبل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه فى غيابت الجب) يعنى ألقوه فى أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمى بذلك لانه جب أى قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه فى موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا فى مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو فى أرض الاردن وقال مقاتل هو فى أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التى ذكروها وهى قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشئ من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعنى يأخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحوا منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيأ من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الا بعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف و بين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) بدؤا بالانكار عليه فى ترك

وكان ابن خالة يوسف وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه والاول أصح انه يهوذا نهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة (وألقوه فى غيابت الجب) قرأ أبو جعفر ونافع غيابات الجب على الجمع فى الحرفين وقرأ الباقون غيابت الجب على الواحد أى فى أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشئ وغيبه والجب البئر غير المطوية لانه جب أى قطع ولم يطو (يلتقطه) يأخذه والالتقاط أخذ الشئ من حيث لا يحتسبه الانسان (بعض السيارة) أى بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحوا منه (ان كنتم فاعلين) أى ان عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء بعد وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له وقال محمد بن اسحق

اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله وقال بعض أهل العلم انهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعون وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله تعالى وسئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء قال كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى فلما أجمعوا على التفريق بينه و بين والده بضروب من الحيل (قالوا) ليعقوب (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) قرأ أبو جعفر تأمنا بلا اشمة وهو رواية عن نافع وقرأ الباقون تأمنا باشمام الضمة فى النون الاولى المدغمة وهو اشارة الى الضمة من غير اخلاص ليعلم ان أصله لا تامننا بنونين على تفعلنا فأدغمت النون الاولى فى الثانية بدؤا بالانكار عليه فى ترك ارساله معهم كأنهم قالوا انك لا ترسله معنا أنخافنا عليه

ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا أتخافنا عليه اذا أرسلته معنا (وانا له لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا العاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا يا أبهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزنني أن تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (نرتع) الرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا أنفقه فى شهواته والاصل فى الرتع أكل البهائم فى الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط (وانا له لحافظون) يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى ليحزنني أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام أن ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون * قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) يعنى وعزموا على أن يلقوه فى غيابة الجب

﴿ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

قال وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق أن تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أنسأل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بنى قال نعم يا أبت انى أرى من اخوتى اللين واللطف فأحب أن تأذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فأخذه رو بيل وجلد به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه

يعقوب نرتع بالنون ويلعب بالياء وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين فى يرتع يعنى يوسف وقرأ الآخرون نرتع بالنون ويلعب بالياء والرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا أنفقه فى شهواته يريد ونتنعم ونأكل ونشرب ونلهو وننشط وقرأ أهل الحجاز يرتع بكسر العين وهو يفتعل من الرعى ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أى نتحارس ويحفظ بعضنا بعضا وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء اخبارا عن يوسف أى يرعى الماشية انرعى نحن (وانا له لحافظون) لهم يعقوب (انى ليحزنني أن تذهبوا به) أى يحزنني ذهابكم به والحزن ههنا ألم القلب بفراق المحبوب (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) وذلك ان يعقوب كان رأى فى المنام ان ذئبا شد على يوسف فكان يخاف من ذلك فمن ثم قال أخاف أن يأكله الذئب قرأ ابن كثير واسمعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر الذئب بالهمزة وكذلك أبو عمرو اذا لم يدرج وحمزة اذا لم يقف وقرأ الكسائى وورش عن نافع وأبو عمرو فى الدرج وحمزة فى الوقف الذيب بترك الهمزة قالوا وجه فى الهمز انه هو الاصل لانه من قولهم ذأبت الريح اذا جاءت من كل وجه ويجمع الذئب أذؤبا وذئابا بالهمز والوجه فى ترك الهمز ان الهمزة خففت فقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) عشرة (انا اذا لخاسرون) عجزة ضعفاء (فلما ذهبوا به وأجمعوا) أى عزموا (أن يجعلوه) يلقوه (فى غيابت الجب)

فاستغاث

فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال البأساء كل ما نالهم من الشدة فى أموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكى يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقص عليه من أخبارهم وعرفه سنته فى الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه فى هذه الآية انه قد أرسل رسلا الى أمم أخر فكذبوا رسلهم فأخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجرى تدبيره فى أهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة فى الابدان فأخبر الله تعالى فى هذه الآية انه يأخذ أهل المعاصى والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فأخذناهم بغتة) يعنى أخذناهم فجأة آمن ما كانوا اليكون ذلك أعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعنى بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب * قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى فى هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين فى هذه الآية انهم لو آمنوا يعنى بالله وبرسله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعنى ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى أصل البركة المواظبة على الشئ أى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا) يعنى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل (فأخذناهم) يعنى بأنواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعنى أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة * قوله تعالى (أفأمن أهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام فى كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (أن يأتيهم بأسنا) يعنى عذابنا (بياتا) يعنى ليلا (وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بأمور الدنيا وأمور الدنيا

(الا أخذنا) عاقبنا (أهلها) حين لم يؤمنوا (بالباساء والضراء) قال ابن مسعود الباساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى قول من قال الباساء فى المال والضراء فى النفس وقيل الباساء البؤس وضيق العيش والضراء والضر سوء الحال وقيل الباساء فى الحزن والضراء فى الجدب (لعلهم يضرعون) لكى يتضرعوا فيتوبوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) يعنى مكان الباساء والضراء الحسنة يعنى النعمة والسعة والخصب والصحة (حتى عفوا) أى كثروا وازدادوا أو كثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر قال مجاهد كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء (قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا ولم يكن مامسنا من الضراء عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء قال الله تعالى عز وجل (فأخذناهم بغتة) فجاءة آمن ما كانوا (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) يعنى المطر من السماء والنبات من الارض وأصل البركة المواظبة على الشئ أى تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الاعمال الخبيثة (أفأمن أهل القرى) الذين كفروا وكذبوا يعنى مكة وما حولها (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون كلها أوأمن) قرأ أهل الحجاز والشام أوأمن بسكون الواو والباقون بفتحها (أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أى نهارا والضحى صدر النهار وقت انبساط الشمس (وهم يلعبون) ساهون لاهون

(أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) ومكر الله استدراجه اياهم بما أنعم عليهم فى دنياهم وقال عطية يعنى أخذه وعذابه (أولم يهد) قرأ قتادة ويعقوب نهد بالنون على التعظيم والباقون بالياء على التخريد يعنى أولم يتبين (للذين يرثون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا فيها (أن لو نشاء أصبناهم) أى أخذناهم وعاقبناهم (بذنوبهم) كما عاقبنا من قبلهم (ونطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الايمان ولا يقبلون الموعظة قال الزجاج قوله ونطبع منقطع عما قبله لان قوله أصبناهم ماض ونطبع مستقبل (تلك القرى) أى هذه القرى التى ذكرت لك أمرها وأمر أهلها يعنى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب (نقص عليك من أنبائها) أخبارها لما فيها من الاعتبار (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالآيات والمعجزات والعجائب (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) أى فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب نظيره قوله عز وجل قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال ابن عباس والسدى يعنى فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وقال مجاهد معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم لقوله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال يمان بن رباب هذا على معنى ان كل نبى أنذر قومه بالعذاب فكذبوه يقول ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الامم الخالية بل كذبوا بما كذب أوائلهم نظيره قوله عز وجل كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أى كما طبع الله على قلوب الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كتب ان لا يؤمنوا من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) أى وفاء بالعهد الذى عاهدهم يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم

كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفأمنوا مكر الله) يعنى استدراجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهم فى غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعنى انه لا يأمن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر فى أخراه وهلك مع الهالكين (أولم يهد) يعنى أولم يبين (للذين يرثون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلقوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يعنى لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع) أى نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعنى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضى ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعنى هذه القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعنى نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعنى لاهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعنى جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف أهل التفسير فى معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدى قال السدى آمنوا كرها يوم أخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل بما سبق لهم فى علم الله انهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبى بن كعب كان سبق لهم فى علمه يوم أقروا به بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد ان يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب قول أبى بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق فى علم الله انه لا يؤمن به فسلا يؤمن أبدا وقد كان سبق فى علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم فى هذه السورة انهم لا يؤمنون أبدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به فى سابق علمه قبل مجىء الرسل عند مجيئهم اليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعنى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعنى وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذى

الحسن فطلبوه فاصابوه فباعوه من مالك بن ذعر (قال يا بشراى) قرأ الاكثرون هكذا بالالف وفتح الياء والوجه ان بشراى مضافة الى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فوضعه نصب وقرأ الكوفيون يا بشرى بغير ياء الاضافة على فعلى وأمال الراء حمزة والكسائى وفتحها عاصم والوجه فى افرادها عن ياء المتكلم هو ان بشرى نكرة ههنا فافاداها كما تنادى النكرات نحو قولك يا رجلا و يا راكبا اذا جعلت النداء شائعا فيكون موضعه نصبا مع التنوين الا ان فعلى لا سبيل اليها للتنوين ويجوز أن تكون بشرى منادى تعرف بالقصد نحو يا رجل يريد نادى المستقى رجلا من أصحابه اسمه بشرى فتكون بشرى فى موضع رفع وقيل بشرا المستقى أصحابه يقول أبشروا (هذا غلام) وروى ابن مجاهد عن أبيه ان جدران البئر كانت تبكى على يوسف حين أخرج منها (وأسروه) أى أخفوه (بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء الى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه المشاركة وقيل أرادان أخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هذا عبد لنا أبق منا قال الله تعالى (والله عليم بما يعملون) فاتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده فى البئر فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك وأصحابه نزول فأتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبد أبق منا و يقال انهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أى باعوه (بثمن بخس) قال الضحاك ومقاتل والسدى حرام لان ثمن الحر حرام وسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة وعن ابن عباس وابن مسعود بخس أى زيوف وقال عكرمة والشعبى بثمن قليل (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) ذكر العدد عبارة عن قلتها وقيل انما قال معدودة لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغت أوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين

يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها فى البئر ودلوتها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن و يقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كأحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشراى) يعنى يقول الوارد لاصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد و يقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعنى انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول أصح لان مالك بن ذعر هو الذى أسره بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون) يعنى من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده فى الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولا قريبا من البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد لنا أبق منا و يقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشئ بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شئ واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس أى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس أى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبى بخس أى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو النقص الشئ على سبيل الظلم والبخس والباخس الشئ الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها عددا فاذا بلغت أربعين درهما وهى أوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما

(وكانوا) يعنى اخوة يوسف (فيه) أى فى يوسف (من الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزلته عند الله وقيل كانوا فى الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن انما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف فتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق قال فذهبوا به حتى قدموا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وقيل اطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر يسمى العزيز وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالقة وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات، ويوسف حى قال ابن عباس رضى الله عنهما لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل وهو ابن ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته) واسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمى مثواه) أى منزله ومقامه والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميه فى المطعم والملبس والمقام وقال قتادة وابن جريج منزلته (عسى أن ينفعنا) أى نبيعه بالربح ان أردنا البيع أو يكفينا اذا بلغ بعض أمورنا (أو نتخذه ولدا) أى نتبناه قال ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة العزيز فى يوسف حيث قال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لابيها فى موسى عليه السلام يا أبت استأجره وأبو بكر فى عمر رضى الله عنهما حيث استخلفه (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) أى فى أرض مصر أى كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكنا له فى الارض فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أى مكنا له فى الارض لكى نعلمه من تأويل الاحاديث وهى عبارة عن الرؤيا (والله غالب على أمره) قيل الهاء فى أمره كناية عن الله تعالى يقول ان الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شئ ولا يرد حكمه راد وقيل هى راجعة الى يوسف عليه السلام معناه والله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله الى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما الله به صانع (ولما بلغ أشده) منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته قال مجاهد ثلاثا وثلاثين سنة وقال السدى ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبى الاشد ما بين ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك رحمه الله عن الاشد قال هو الحلم

درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعنى وكان اخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان فى كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشترى قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن شروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقى قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر) يعنى قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمى مثواه) يعنى أكرمى منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميه فى المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعنى ان أردنا بيعه بعناه بربح أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (أو نتخذه ولدا) يعنى نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز فى يوسف حيث قال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وابنة شعيب فى موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر فى عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) يعنى كما منا على يوسف بان أنقذناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكناه فى الارض يعنى أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أى مكناه فى الارض لكى نعلمه من تأويل الاحاديث يعنى عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكناية فى أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شئ وقيل هى راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعنى منتهى شبابه وشدته قال مجاهد ثلاثا وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلاثون سنة وقال

(آتيناه حكما وعلما) فالحكم النبوّة والعلم الفقه فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتاويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء والحكيم الذى يعمل بما يوجبه العلم (وكذلك نجزى المحسنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى امرأة العزيز والمراودة طلب الفعل والمراد ههنا انها دعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) أى أطبقتها وكانت سبعة (وقالت هيت لك) أى هلم وأقبل قرأ أهل الكوفة والبصرة هيت لك بفتح الهاء والتاء جميعا وقرأ أهل المدينة والشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بفتح الهاء وضم التاء والوجه ان فى هذه الكلمة ثلاث لغات هيت وهيت والكل بمعنى هلم وقرأ السلمى وقتادة هئت لك بكسر الهاء وضم التاء مهموزا على مثال جئت يعنى تهيأت لك وأنكره أبو عمرو والكسائى وقالا لم يحك هذا عن العرب والاول هو المعروف عند العرب قال ابن مسعود رضى الله عنه أقرأنى النبى صلى الله عليه وسلم هيت لك قال أبو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران وقعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة هى أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ قال أبو عبيدة ان العرب لا تثنى هيت ولا تجمع ولا تؤنث وانها صورة واحدة فى كل حال (قال) يوسف لها عند ذلك (معاذ الله) أى أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتنى اليه (انه ربى) يريد ان زوجك قطفير سيدى (أحسن مثواى) أى أكرم منزلى هذا قول أكثر المفسرين وقيل الهاء راجعة الى الله تعالى يريد ان الله تعالى ربى أحسن مثواى أى آوانى ومن بلاء الجب عافانى (انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا فخنته فى أهله بعد ما أكرم مثواى فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل لا يفلح الظالمون أى لا يسعد الزناة (ولقد همت به وهم بها) والهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه فهمها عزمها على المعصية والزنا وأما همه فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما

الكلبى الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آتيناه حكما وعلما) يعنى آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوّة وفقها فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتاويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغى والعلم هو العلم النظرى (وكذلك) يعنى وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الأبواب) أى أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية أو أنها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أى هلم وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لأهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هى بالعبرانية وأصلها هيتا لج أى تعال فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتنى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (أحسن مثواى) أى أكرم منزلى فلا أخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجانى (انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة * قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها

انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعن مجاهد قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جيد يوسف وباليد الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيد القاسم بن سلام قد أنكر قوم هذا القول وقالوا هذا لا يليق بحال الانبياء والقول ما قال متقدمو هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله ان يقولوا فى الانبياء من غير علم وقال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت ما أحسن عينك قال هى أول ما تسيل على وجهى فى قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهى امرأة حسناء جميلة حتى لان لها ما يرى من كلفها به وهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذى ذكره وزعم بعض المتأخرين ان هذا لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام وقالوا تم الكلام عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه على التقديم والتأخير أى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها

ولكنه رأى البرهان فلم بهم وأنكره النحاة وقالوا ان العرب لا تؤخر لولا عن الفعل فلا تقول لقد قمت لولا زيد وهو يريد لولا زيد لقمت وقيل همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يوسف أي تمنى أن تكون له زوجة وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم وقال بعضهم ان القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز على الانبياء عليهم السلام وروى أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يذكر ذنوب الانبياء عليهم السلام في القرآن ليغيرهم ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم ولئلا ييأس أحد من رحمته وقيل انه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية وقيل ليجعلهم أئمة لاهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الاياس من المغفرة والعفو وقال بعض أهل الحقائق الهم هما ن هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا تحدث عبدي بأن على يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها سيئة قوله عز وجل (ولولا أن رأى برهان ربه) اختلفوا في ذلك البرهان قال قتادة وأكثر المفسرين انه رأى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت

لولا أن رأى برهان ربه) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هم المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشيء اذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به أي أرادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابئ البرجمي

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها قال البغوي وأما همه بها فروى عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر عن جسدي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل على خدي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط لنا فقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها ما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين الهم هما ن فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله له عليه سيئة واحدة زاد في رواية أو يمحاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء المحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا وأما

على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها وأتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لأتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك أيضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود الذي شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وأما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاش ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه عن ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام * فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه فائدة * قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف انه لو هم بدفعها لقتلته فأعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت

فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف تواقعها اذا مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ومثلك ان تواقعها مثل اذا مات وقع في الارض لا يستطيع أن يدفع نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وهم بها قال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوبا عليها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر ورأى تلك الكف مكتوبا عليها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام عاضا على أصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب

عند الله في الأنبياء و روى انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله وقال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه الى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وروى عطية عن ابن عباس في البرهان انه رأى مثال الملك وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه و بين ما يسخط الله عز وجل وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يراني على المعصية فقال يوسف أتستحيين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا أحق ان أستحيي من ربي وهرب قوله عز وجل لولا أن رأى برهان ربه جواب لولا محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) فالسوء الاثم وقيل السوء القبيح والفحشاء الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام حيث كان اذا لم يكن بعده ذكر الدين زاد الكوفيون مخلصا في سورة مريم عليها السلام ففتحوا ومعنى المخلصين المختارين للنبوة دليله انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقرأ الآخرون بكسر اللام أي المخلصين لله الطاعة والعبادة (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى باب البيت هاربا وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها حتى لا يخرج (وقدت قميصه من دبر) أي شقته من خلف فلما خرجا وجدا زوج المرأة لدى الباب (قالت) سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) يعني الزنا ثم خافت عليه أن يقتله فقالت

هي الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فاذا المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدي يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا في حائط فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يراني على معصية فقال لها يوسف أتستحيين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيأ فانا أحق أن استحيي من ربي فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله تعالى في قلبه حالت بينه و بين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعني كما أريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء) يعني الاثم (والفحشاء) يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (انه) يعني يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل * قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعني شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها لدى الباب) يعني فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) يعني الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها حتى لا يخرج (وقدت قميصه) أي شقته (من دبر) أي من خلف فلما خرجا وذلك لدى العزيز وهو قوله (وألفيا سيدها لدى الباب) أي وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لها يقال فلما رأته هابته و (قالت) سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) يعني الزنا ثم خافت عليه أن يقتله فقالت

(الا أن يسجن) أي يحبس (أو عذاب أليم) أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها (قال هي راودتني عن نفسي) يعني طابت مني الفاحشة فابيت وفررت منها وقيل ما كان يريد يوسف أن يذكرها فلما قالت المرأة ما جزاء من أراد بأهلك سوأ ذكره فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد) وحكم حاكم (من أهلها) اختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله عز وجل

وذلك لشدة حبها له فقالت (الا أن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أراد أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طابت مني الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد فأنطقه الله عز وجل وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأي وقال السدي هو ابن عم المرأة فحكم فقال (ان كان قميصه قد من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يديه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزينت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى قميصه قد من دبر) يعني فلما رأى قطفير زوج المرأة قميص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها قطفير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) * فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء * قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف (أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعني توبي الى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو بري عنها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلي زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين حين خنت

وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكلم في المهد أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام وقيل كان ذلك الصبي ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأي وقال السدي هو ابن عم راعيل فحكم فقال (ان كان قميصه قد من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) فلما رأى (قميصه قد من دبر) عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام (قال) لها (انه) أي ان هذا الصنيع (من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقيل ان هذا من قول الشاهد ثم أقبل قطفير على يوسف فقال (يوسف) أي يا يوسف (أعرض عن هذا) أي عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وقيل معناه لا تكترث به فقد بان عذرك وبراءتك ثم قال لامرأته (واستغفري لذنبك) أي توبي الى الله (انك كنت من الخاطئين) من المذنبين وقيل ان هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل وأراد بقوله واستغفري لذنبك أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك انك كنت من الخاطئين من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عمن يفعل ذلك تقديره من القوم الخاطئين كقوله تعالى وكانت من القانتين بيانه قوله تعالى انها كانت من قوم كافرين

قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة) الاية يقول شاع أمر يوسف والمرأة فى المدينة مدينة مصر وقيل مدينة عين الشمس وتحدثت النساء بذلك وقلن وهن خمس نسوة امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة الخباز وامرأة الساقى وامرأة صاحب السجن قاله مقاتل وقيل هن نسوة من أشراف مصر (امرأت العزيز تراود فتاها) أى عبدها الكنعانى (عن نفسه) أى تطلب من عبدها الفاحشة (قد شغفها حبا) أى علقها حبا قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه وقيل أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها أى داخل قلبها قال السدى الشغاف جلدة رقيقة على القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب وقرأ الشعبى والاعرج شعفها بالعين غير المعجمة معناه ذهب الحب بها كل مذهب ومنه شعف الجبال وهو رؤسها (انا لنراها فى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر وقيل معناه انها تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) بقولهن (٢٢٨) وحديثهن قاله قتادة والسدى وقال ابن اسحق انما قلن ذلك مكرا بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله وقيل انها أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك فلذلك سماه مكرا (أرسلت اليهن) قال وهب اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتى عيرنها (وأعتدت) أى أعدت (لهن متكأ) أى ما يتكأ عليه وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ أى طعاما سماه متكأ لان أهل الطعام اذا جلسوا يتكؤن على الوسائد فسمى الطعام متكأ على الاستعارة يقال اتكأنا عند فلان أى طعمنا ويقال المتكأ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام ويقرأ فى الشواذ متكأ بسكون التاء واختلفوا فى معناه فقال ابن عباس هو الاترج وقد روى عن مجاهد مثله وقيل هو الاترج بالحبشية وقال الضحاك هو الرماورد وقال عكرمة هو كل شئ يقطع بالسكين وقال أبو زيد الانصارى كل ما يحز بالسكين فهو عند العرب متك والمتك والبتك باللام والباء القطع فزينت المأدبة بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة (وآتت) أعطت (كل واحدة منهن سكينا) فكن يأكلن اللحم حزا بالسكين (وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) وذلك انها كانت أجلسته فى مكان آخر فخرج عليهن يوسف قال عكرمة كان فضل يوسف على سائر الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر قال اسحق بن أبى فروة كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه قال أبو العالية حضن لهن أمره وبهتن وقيل أكبرنه أى حضن لاجله من جمله ولا يصح

زوجك ورميت يوسف بالنهمة وهو برىء وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين * قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيأ سواه (انا لنراها فى ضلال مبين) يعنى فى خطأ بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (أرسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتى عيرنها (وأعتدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن نمارق ومسانيد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاما وانما سمى الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة زينت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته فى مكان آخر (فلما رأينه) يعنى النسوة (أكبرنه)

(وقطعن) أى حززن بالسكاكين التى معهن (أيديهن) وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما أحسن الا بالدم وقال قتادة انهن أبن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعا بلا ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن حاش لله ماهذا بشرا) أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا حاشا لله باثبات الالف فى الحرفين قرأهما أبو عمرو فى الوصل على الاصل وقرأ الآخرون

يعنى أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال اسحق بن أبى فروة كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هالهن أمره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناله وجعلنا الهاء فى قوله أكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فزعت فربما أسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وماهالهن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى أنه يحتمل وجها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلاجرم أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعنى وجعان يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الاترج ولم يجدن الألم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما أحسن الا بالدم وقال قتادة أبن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة قال وهب مات جماعة منهن (وقلن) يعنى النسوة (حاش لله ماهذا بشرا) أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الا ملك كريم) يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز فى النفوس أن لا شئ أحسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك * قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) يعنى قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها الكنعانى حبا وانما قالت فذلكن الخ بعد ما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعنى وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) أى ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أى يارب (السجن أحب الى مما يدعوننى اليه)

بحذف الالف فى الحرفين لكثرة دورها على الالسن واتباع الكتاب وقوله ما هذا بشرا نصب بنزع حرف الصفة أى ببشر (ان هذا) أى ماهذا (الا ملك) من الملائكة (كريم) على الله (قالت) يعنى راعيل (فذلكن الذى لمتننى فيه) أى فى حبه ثم صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع وانما صرحت به لانها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته فقالن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) ولئن لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) أى ليعاقبن بالحبس (وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء ونون التوكيد تثقل وتخفف والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة وعلى قوله وليكونا بالالف لانها مخففة وهى شبيهة نون الاعراب فى الاسماء كقولك رأيت رجلا واذا وقفت قلت رأيت رجلا بالالف ومثله لنسفعا بالناصية فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة (قال رب) أى يارب

(السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) قيل كان الدعاء منها خاصة ولكنه أضاف اليهن خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن قرأ يعقوب وحده السجن بفتح السين وقرأ الآخرون بكسرها واتفقوا على كسر السين فى قوله دخل معه السجن وقيل لو لم يقل السجن أحب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالمرء أن يسأل الله العافية

قوله تعالى (والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن) أمل اليهن وأنا بعهن يقال صبا فلان الى كذا يصبو اصبوا وصبوا وصبوة اذا مال واشتاق اليه (وأكن من الجاهلين) فيه دليل على ان المؤمن اذا ارتكب ذنبا يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) السميع لدعائه العليم بمكرهن (ثم بدا لهم) يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض ثم بدا لهم أن يحبسوه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن (ليسجننه حتى حين) الى مدة يرون فيه رأيهم وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس قال عكرمة سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي أن أخرج فأعتذر الى الناس واما أن تحبسه فحبسه وذكر ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف عليه السلام من همه بالمرأة قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال للاخوة انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قوله تعالى (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للريان ابن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما أحضر الطعام والشراب قال الساقي لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراءيا له رؤيا فسألا دمن غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيأ انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا

قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا أولانه كان بحضرتهن قال بعضهم لو لم يقل السجن أحب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية (والا تصرف عني كيدهن) يعني ما أردن مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فأجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بأنه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد عن الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به * قوله عز وجل (ثم بدا لهم) يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم بأني قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر الى الناس واما أن تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الآيات) يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) أي ليحبسن يوسف في السجن (حتى حين) يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن شروان العمليق ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من أشراف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيأ انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا

فقال أحدهما) وهو صاحب الشراب (انى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا سمى العنب خمرا باسم ما يؤل اليه كما يقال فلان يطبخ الآجر أى يطبخ اللبن للآجر وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رأيت كانى فى بستان فاذا أنا بأصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجئتها وكان كاس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) وذلك انه قال انى رأيت كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز والوانا من الاطعمة وسباع الطير ينهشن و ينهبن منه (نبئنا بتأويله) أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤل اليه أمر هذه الرؤيا (انا نراك من المحسنين) أى العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان بمعنى العلم و روى ان الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله انا نراك من المحسنين ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان فى السجن عاده وقام عليه واذا ضاق (٢٣١) عليه المجلس وسع له واذا احتاج الى شئ جمع له شيأ وكان مع هذا يجتهد فى العبادة و يقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم وجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا فيقولون بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك فتمكن فى أى بيوت السجن حيث شئت و روى ان الفتيين لما رأيا يوسف قالا له لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على بلاء ثم أحبنى أبى فألقيت فى الجب وأحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته فى العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله فى الاسلام و يخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قيل أراد به فى النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه فى نومكما الا أخبرتكما خبره فى اليقظة وقيل أراد به اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعنى تطعمانه وتأكلانه الا نبأتكما بتأويله يعنى أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعنى قبل أن يصل اليكما أى طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا

على مارأيتما فقصا عليه ما رأياه فذلك قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) يعنى عنبا سمى العنب خمرا باسم ما يؤل اليه يقال فلان يطبخ الآجر أى يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كأنى فى بستان واذا فيه أصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبئنا بتأويله) أى أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل اليه أمر هذه الرؤيا (انا نراك من المحسنين) يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا استاج أحد جمع له شيأ وكان مع هذا يجتهد فى العبادة يصوم النهار و يقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم و يقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رأيا يوسف قالا انا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من ذلك بلاء وأحبنى أبى فألقيت فى الجب وأحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته فى العلم أعلى وأعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله فى الاسلام و يخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قيل أراد به فى النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه فى نومكما الا أخبرتكما خبره فى اليقظة وقيل أراد به اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعنى تطعمانه وتأكلانه الا نبأتكما بتأويله يعنى أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعنى قبل أن يصل اليكما أى طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا لا هذا من فعل العرافين والكهنة فأين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن وانما

ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فأين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذى أخبرهما به (ذلكما مما علمنى ربى) يعنى ان هذا الذى أخبرتكما به وحى من الله أوحاه الى وعلم علمنيه (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) * فان قلت ظاهر قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك فى قوله تركت * قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثانى وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوّة وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت النبوّة وان آباءه كلهم كانوا أنبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوّة والرسالة ولهم الدرجة العليا فى الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوّة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا بالنبوّته واصطفانا بالرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغى لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصصنا بها قال الواحدى لفظة من فى قوله من شئ زائدة مؤكدة كقولك ماجاءنى من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شئ أى شئ كان من ملك أوجنى أوانسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعنى ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعنى بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته و بين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعنى ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التى أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (ياصاحبى السجن) يريد ياصاحبى فى السجن فاضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة و يجوز أن يريد ياساكنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعنى أآلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام أعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابى الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل هو الذى انقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لا مثل له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابى القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لا يغلبه شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شئ ألبتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية فى المخاطبة لانه أراد جميع من فى السجن من المشركين (الا أسماء سميتموها) يعنى سميتموها آلهة وأربابا وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآباؤكم) يعنى من قبلكم سموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا

(ذلكما) العلم (مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) وتكرارهم على التأكيد (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) أظهر انه من أولاد الانبياء (ما كان لنا) ما ينبغى لنا (أن نشرك بالله من شئ) معناه ان الله قد عصمنا من الشرك (ذلك) التوحيد والعلم (من فضل الله علينا وعلى الناس) ما بين لهم من الهدى (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ثم دعاهما الى الاسلام فقال (ياصاحبى السجن) جعلهما صاحبى السجن لكونهما فيه كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار (أأرباب متفرقون) أى آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى متباينون لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) الذى لا ثانى له القهار غالب على الكل ثم بين الاصنام فقال (ما تعبدون من دونه) أى من دون الله وانما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لانه أراد جميع أهل السجن وكل من هو على مثل حالهما من أهل الشرك (الا أسماء سميتموها) آلهة وأربابا خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الاسماء (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان

(ان الحكم) ما القضاء والامر والنهى (الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم فسر رؤياهما فقال (ياصاحبى السجن أما أحدكما) وهو صاحب الشراب (فيسقى ربه) يعنى الملك (خمرا) والعناقيد الثلاثة ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام ويرده الى منزلته التى كان عليها (وأما الآخر) يعنى صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام والسلال الثلاث ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرجه فيأمر به (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى فرغ من الامر الذى عنه تسألان ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا (وقال) يعنى يوسف عند ذلك (للذى ظن) علم (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) يعنى سيدك الملك وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك تقديره فأنساه الشيطان ذكره لربه وقال ابن عباس وعليه الاكثرون أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان (فلبث) فمكث (فى السجن بضع سنين) واختلفوا فى معنى البضع فقال مجاهد ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس ما دون العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع فى هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملة اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وعذب بختنصر فحول فى السباع سبع سنين قال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة ولن أعود وقال الحسن دخل جبريل على يوسف فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المنذرين مالى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل ياطاهر بن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت منى ان استشفعت بالآدميين فوعزتى وجلالى لأطيلن حبسك فى السجن بضع سنين فقال يوسف وهو فى ذلك عنى راض قال نعم قال اذا لا أبالى وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله عز وجل قال فمن حببك الى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استشفعت بآدمى مثلك فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذا السبع سوى الخمسة التى كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان فدخلن فى بطونهن فلم يرمنهن شيأ ولم يتبين على العجاف منهن شئ ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت

بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهى لله تعالى لا شريك له فى ذلك (أمر ألا تعبدوا الا اياه) لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى سميتموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا) يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خمرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هى ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يدعو به الملك ويرده الى منزلته التى كان عليها (وأما الآخر فيصلب) يعنى صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) يعنى فرغ من الامر الذى سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به رأيتما شيأ أم لم تريا (وقال) يعنى يوسف (للذى ظن) يعنى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعنى ساقى الملك (اذكرنى عند ربك) يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فى هاء الكناية فى فأنساه الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا الا ان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عزوجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضر جائزة الا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين * فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه * قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه * وقوله سبحانه وتعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) اختلفوا فى قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها فى السجن خمس سنين

فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التى قالها ما لبث فى السجن ما لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبى مرسلا و بغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل ياطاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين و يقول لك أما استحييت منى أن استغثت بالآدميين فوعزتى وجلالى لأطيلن فى السجن بضع سنين قال يوسف وهو فى ذلك عنى راض قال نعم قال اذا لا أبالى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بادمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس سنين التى كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يرمنهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التى رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) يعنى يا أيها الاشراف أخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعنى ان كنتم تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفى غيره (قالوا) يعنى قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعنى أخلاط مشتبهة واحدها ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التى يراها الانسان فى منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فاعجزالله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذى نجا منهما) يعنى وقال الساقى الذى نجا من السجن وانقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وادكر بعد أمة) يعنى أنه تذكر قول يوسف اذكرنى عند ربك بعد أمة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعنى أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا (فأرسلون) فيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن فى المدينة (يوسف) أى يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلى

والمعبرين وقص عليهم رؤياه فذلك قوله تعالى (وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فقال لهم (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام) أخلاط أحلام مشتبهة أهاويل واحدها ضغث وأصله الحزمة من أنواع الحشيش والاحلام جمع الحلم وهو الرؤيا والفعل منه حلمت أحلم بفتح اللام فى الماضى وضمها فى الغابر حلما وحلما مثقلا ومخففا (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) وقال الذى نجا) من القتل (منهما) من الفتيين وهو الساقى (وادكر) أى تذكر قول يوسف اذكرنى عند ربك (بعد أمة) أى بعد حين وهو سبع سنين (أنا أنبئكم بتأويله) وذلك ان الغلام جثا بين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا يعبر الرؤيا (فأرسلون) وفيه اختصار تقديره فارسلنى أيها الملك اليه فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن فى المدينة فقال (يوسف) يعنى يا يوسف (أيها الصديق) والصديق الكثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلى

أرجع الى الناس) يعنى أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم (قال) يعنى قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أى ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعنى عادتكم فى الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بالجد والاجتهاد (فما حصدتم فذروه فى سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة فى سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعنى ادرسوا قليلا من الحنطة لاكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعنى سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعنى يفنين (ما قدمتم لهن) يعنى يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع فى الكلام (الا قليلا مما تحصنون) يعنى تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشئ فى الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أى يمطرون من الغيث الذى هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثنى من الغوث (وفيه يعصرون) يعنى يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب فى الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب * قوله عزوجل (وقال الملك ائتونى به) وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لا محالة فقال ائتونى به حتى أبصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤيا بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعنى قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعنى الى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما لها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى أخرجه الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث فى السجن وراسل الملك فى كشف أمره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء * وقوله (ان ربى بكيدهن عليم) يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن فى هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة

أرجع الى الناس) أهل مصر (لعلهم يعلمون) تأويل الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم فقال لهم يوسف معبرا ومعلما أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات فالسنون المجدبة فذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف (قال تزرعون سبع سنين دأبا) هذا خبر بمعنى الامر يعنى ازرعوا سبع سنين على عادتكم فى الزراعة والدأب العادة وقيل بجد واجتهاد وقرأ عاصم برواية حفص دأبا بفتح الهمزة وهما لغتان يقال دأبت فى الامر أدأب دأبا ودأبا اذا اجتهد فيه (فما حصدتم فذروه فى سنبله) أمرهم بترك الحنطة فى السنبلة لتكون أبقى على الزمان ولا تفسد (الا قليلا مما تأكلون) أى تدرسون قليلا للاكل أمرهم بحفظ الاكثر والاكل بقدر الحاجة (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) سمى السنين المجدبة شدادا لشدتها على الناس (يأكلن) أى يفنين ويهلكن (ما قدمتم لهن) أى يؤكل فيهن ما أعددتم لهن من الطعام أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتدخرون للبذر (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) أى يمطرون من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استغثت فلانا فاغاثنى (وفيه يعصرون) قرأ حمزة والكسائى تعصرون بالتاء لان الكلام كله على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء ردا الى الناس ومعناه يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا وأراد به كثرة النعم والخير وقال أبو عبيدة يعصرون أى ينجون من الكروب والجدب والعصر والعصرة المنجا والملجأ (وقال الملك ائتونى به) وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه وعرف الملك ان الذى قاله كائن قال ائتونى به (فلما جاءه الرسول) وقال له أجب الملك أبى أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم (قال) للرسول (ارجع الى ربك) يعنى سيدك الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما قال النبى صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعى (ان ربى بكيدهن عليم) أى ان الله بصنيعهن عالم وانما أراد يوسف بذكرهن بعد طول المدة حتى لا ينظر اليه الملك بعين التهمة والخيانة ويصير اليه بعد زوال الشك عن أمره فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز

وامرأة العزيز معهن و (قال) لهن (ماخطبكن) أى ماشأنكن وأمركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعنى النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعنى معاذ الله (ماعلمنا عليه من سوء) يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعززنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعنى فى قوله هى راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ماقلت فى حضرته ثم بالغت فى تأكيد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم انى افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردّى رسول الملك اليه ليعلم يعنى العزيز أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم أتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملأ فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو فى السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثانى انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى مافعله يقول ذلك الذى فعلته من ردّى الرسول ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى لم أخن العزيز فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدى كيد الخائنين يعنى انى لو كنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لا يهدى أى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا فى قوله (وما أبرئ نفسى) من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وكذبى عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه أكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسى لان الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففى قوله وما أبرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس فى مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فأراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات المقربين (ان النفس لأمارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل مايهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية

(قال) لهن (ماخطبكن) ما شأنكن وأمركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) خاطبهن والمراد امرأة العزيز وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعا (قلن حاش لله) معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) خيانة (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعززنها فأقرت وقيل خافت ان يشهدن عليها فأقرت وقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فلما سمع ذلك يوسف قال (ذلك) أى ذلك الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه) فى زوجته (بالغيب) أى فى حال غيبته (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) فقوله ذلك ليعلم من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز لمعرفة السامعين وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره معناه ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قيل لما قال يوسف هذه المقالة قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى قال السدى انما قالت له امرأة العزيز ولا حين جللت سرا ويلك يا يوسف فقال يوسف (وما أبرئ نفسى) من الخطا والزلل فازكيها (ان النفس لامارة بالسوء) بالمعصية

(الا ما رحم ربي) أي الا من رحم ربي فعصمه وما بمعنى من كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم أي من طاب لكم وهم الملائكة عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة وقيل الا ما رحم ربي اشارة الى حالة العصمة عند رؤية البرهان (ان ربي غفور رحيم) فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه وذلك معنى قوله تعالى اخبارا عنه (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أي أجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فجاء الرسول يوسف فقال له أجب الملك الآن روى انه قام ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسانا وقصد الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال هذا لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين اللسانين قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية فاعجب الملك ما رأى منه مع حداثة سنه وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فاجلسه و (قال انك اليوم لدينا مكين) المكانة في الجاه (أمين) أي صادق وروى ان الملك قال له اني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فقال له يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كالكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمشش مخهن فبينما أنت تنظر وتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع أخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء

والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس أمارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة * وقوله (الا ما رحم ربي) قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم * قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني يوسف أستخلصه لنفسي أي أجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيأ أسبابه فألهم الملك ذلك فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بلا معاودة فأجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلواء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصره الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال هذا لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين اللسانين قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية فاعجب الملك ما رأى منه ذلك أعجبه ما رأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها

خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت فانتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجيبة بأعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال يوسف عليه السلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علفا للدواب والحب طعاما للناس وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي للميرة فتبيع منهم الطعام وتاخذ ثمنه فيجتمع عندك

من الكنوز ما لم يجتمع لاحد فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني الشغل فيه فـ(قال) يوسف (اجعلني على خزائن الارض) الخزائن جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والاموال والارض أرض مصر أي خزائن أرضك وقال الربيع بن أنس أي على خراج مصر ودخله (اني حفيظ عليم) أي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل حفيظ عليم أي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن أعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال له الملك ومن أحق به منك فولاه ذلك وقال له انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين على الخزائن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين ابن محمد الفنجوي ثنا مخلد ابن جعفر الباقرجي ثنا الحسن ابن علوية ثنا اسمعيل بن عيسى ثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فاقام في بيته سنة مع الملك وباسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما انصرمت السنة من اليوم الذي سأل الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه ووضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من استبرق وطول السرير ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض

مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن محهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى والماء اذ هبت الريح فذرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيأ فما شأن هذه الرؤيا وان كان عجبا فما هو بأعجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياي أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني العمل فيه فعند ذلك (قال) يعني يوسف (اجعلني على خزائن الارض) يعني على خزائن الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أي اجعلني على خزائن أرضك التي تحت يدك وقال الربيع بن أنس اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها (اني حفيظ عليم) أي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة * فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهي عنها مع كراهية طلبها الصحيح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أوتيتها من غير مسئلة أعنت عليها أخرجاه في الصحيحين * قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه

طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فأما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله أو بغيره ورتب ما قضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب * فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم * قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم فى تزكية النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين * قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكما أنعمنا على يوسف بأن أنجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزينا ه فى عين الملك حتى قربه وأدنى منزلته كذلك مكنا له فى الارض يعنى أرض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوّأ منها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مارياوضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوّض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاءه نافذا قالوا ثم ان قطفير هلك فى تلك الليالى فزوّج الملك ليوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتنى نفسى وقويت على شهوتى ولم أملك عقلى فى محبتى فيك فقرب منها يوسف فوجدها عذراء فاصابها فولدت له ولدين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل وأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) يعنى أرض مصر ملكناه (يتبوّأ) أى ينزل أى (منها حيث يشاء) ويصنع فيها ما يشاء قرأ ابن كثير وحده نشاء بالنون ردا على قوله مكنا وقرأ الآخرون بالياء ردا على قوله يتبوّأ

اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قاله ابن اسحاق وقال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاءه نافذا قالوا ثم ان قطفير هلك فى تلك الليالى فزوّج الملك ليوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتنى نفسى وقويت على شهوتى ولم أملك عقلى فى محبتى فيك فقرب منها يوسف فوجدها عذراء فاصابها فولدت له ولدين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل وأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) يعنى أرض مصر ملكناه (يتبوّأ) أى ينزل أى (منها حيث يشاء) ويصنع فيها ما يشاء قرأ ابن كثير وحده نشاء بالنون ردا على قوله مكنا وقرأ الآخرون بالياء ردا على قوله يتبوّأ

(نرفع درجات من نشاء) بالعلم والحكمة كما رفعنا يوسف (وفوق كل ذى علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم من خلق الله عليم حتى ينتهى العلم الى الله عز وجل فانه فوق كل عليم وقال الحسن وفوق كل ذى علم من المخلوقين عليم من الخالقين وقال مقاتل فوق كل عالم فى الدنيا عالم حتى ينتهى العلم الى الله عز وجل فانه فوق كل عالم وقيل فوق كل عالم من هو أعلم منه وقيل فوق كل ذى علم عليم هو الله عز وجل لا علم فوق علمه (ولما جاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مارياوضرب له عليه كلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوّض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوّج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول أوان القحط فهلك فى السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه فى السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بأيدى الناس عبد ولا أمة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيد ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقد ل يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خوّلنى فما ترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم

(نصيب برحمتنا) أي بنعمتنا (من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس ووهب يعني الصابرين قال مجاهد وغيره فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فهذا في أمر الدنيا (ولأجر الآخرة) ثواب الآخرة (خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام باحسن التدبير وبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام السنين المجدبة وأنفق بالمعروف حتى خاتت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله وروى انه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط ففي السنة الاولى من سنين الجدب هلك كل شيء أعدوه في السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق في يد أحد عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى استرقهم لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في ذلك فقال له الملك الرأي رأيك والامر اليك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك اني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وروى ان يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت ان أنسى (٢٤٠) الجائع وأمر يوسف عليه السلام طباخي الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك بان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال وقصد الناس مصر من كل النواحي يبتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتزاحم الناس عليه فاصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة ونزل بيعقوب ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لامه فذلك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين بغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشاء فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال يا بني بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له فاذهبوا فاشتروا منه الطعام فارسلهم فقدموا مصر (فدخلوا عليه) على يوسف (فعرفهم) يوسف عليه السلام قال ابن عباس ومجاهد وعرفهم باول ما نظر اليهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم يعرفوه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في البئر وبين ان دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك وقيل لانه كان بزي ملوك مصر عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله فقال وكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمه فابونا يتسلى به فقال فمن يعلم ان الذي تقولون حق وصدق قالوا أيها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد من أهلها فقال لهم يوسف فاتوني باخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا فان أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني بأخيكم الذي من أبيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله عز وجل

وارسل

وردت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت أن أنسى الجائع وأمر يوسف طباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا (ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولاجر الآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير) يعني أفضل من أجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر وثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك * قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه وأبيه

(ولما جهزهم بجهازهم) أى حمل لكل واحد بعيرا بعدتهم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) يعنى بنيامين (ألا ترون أنى أوفى الكيل) أى أتمه ولا أبخس الناس شيأ فازيدكم حمل بعير لاجل أخيكم وأكرم منزلتكم وأحسن اليكم (وأنا خير المنزلين) قال مجاهد أى خير المضيفين وكان قد أحسن ضيافتهم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) أى ليس لكم عندى طعام أكيله (ولا تقربون) أى لا تقربوا دارى و بلادى بعد ذلك وهو جزم على النهى (قالوا سنراود عنه أباه) أى نطلبه ونسأله ان يرسله معنا (وانا لفاعلون) ما أمرتنا به (وقال لفتيانه) قرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه بالالف والنون وقرأ الباقون لفتيته بالتاء من غير ألف يريد لغلمانه وهما لفتان مثل الصبيان والصبية (اجعلوا بضاعتهم) ثمن طعامهم وكانت دراهم وقال الضحاك عن ابن عباس كانت النعال والادم وقيل كانت ثمانية جرب من سويق المقل والاول أصح (فى رحالهم) أوعيتهم وهى جمع رحل (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا) انصرفوا (الى أهلهم لعلهم يرجعون) واختلفوا فى السبب الذى فعله يوسف من أجله قيل أراد ان يريهم كرمه فى رد البضاعة وتقديم الضمان فى البر والاحسان ليكون أدعى لهم الى العود لعلهم يعرفونها

وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بأول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين أن قذفوه فى الجب و بين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع فى القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم أخبرونى من أنتم وما أمركم فانى قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخو الذى هلك لامه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا أيها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فائتونى باخيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه فى وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم فى النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه فى سفرهم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين (ألا ترون أنى أوفى الكيل) يعنى انى أتمه ولا أبخس منه شيأ وأزيدكم حمل بعير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك (وأنا خير المنزلين) يعنى خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا بعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتونى به) يعنى بأخيكم الذى من أبيكم (فلا كيل لكم عندى) يعنى لست أكيل لكم طعاما (ولا تقربون) يعنى ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادى وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سنراود عنه أباه) يعنى سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده (وانا لفاعلون) يعنى ما أمرتنا به * قوله عز وجل (وقال لفتيانه) يعنى وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذى أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهى الاوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعنى يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى اذا رجعوا الى أهلهم (لعلهم يرجعون) الينا واختلفوا فى السبب الذى

أى كرامتهم علينا وقيل رأى أو ما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وقال الكلبى تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم

من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف أن لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى ان أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم فى رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها فى رحالهم لانهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) انا قد منا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثانى انه سيمنع منا الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فأرسل معنا أخانا) يعنى بنيامين (نكتل) قرئ بالياء يعنى يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعنى نكتل نحن جميعا واياه معنا (وانا له لحافظون) يعنى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعنى يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم كرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم وانا له لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالله خير حافظا) يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه فى جميع الامور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهدما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه الى ذلك * قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعنى الذى حملوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعنى انهم وجدوا فى متاعهم ثمن الطعام الذى كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس فى متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغى) يعنى ماذا نبغى وأى شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أى شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل وردعلينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا) يقال مار أهله يمير هم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ أخانا) أعطى باسم كل واحد منا حملا و يمنع منا الكيل لبنيامين والمراد بالكيل الطعام لانه كان يكال (فارسل معنا أخانا) بنيامين (نكتل) قرأ حمزة والكسائى يكتل بالياء يعنى يكيل لنفسه كما نحن نكتال وقرأ الآخرون نكتل بالنون يعنى نكتل نحن وهو الطعام وقيل نكتل له (وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه) يوسف (من قبل) أى كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم (فالله خير حافظا) قرأ حمزة والكسائى وحفص حافظا بالالف على التفسير كما يقال هو خير رجلا وقرأ الآخرون حفظا بغير ألف على المصدر يعنى خير كم حفظا يقول حفظه خير من حفظكم (وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم) الذى حملوه من مصر (وجدوا بضاعتهم) ثمن الطعام (ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) أى ماذا نبغى وأى شئ نطلب وذلك انهم ذكروا ليعقوب عليه السلام احسان الملك اليهم وحثوه على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا يا أبانا ما نبغى يعنى (هذه بضاعتنا ردت الينا) أى شئ نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل وردعلينا الثمن أرادوا تطييب نفس أبيهم (ونمير أهلنا) أى نشترى لهم الطعام فنحمله اليهم يقال مار أهله يمير ميرا اذا حمل اليهم الطعام من بلد آخر ومثله امتار يمتار امتيارا (ونحفظ أخانا) بنيامين أى مما نخاف عليه

(ونزداد) على احمالنا (كيل بعير) أى حمل بعير يكال لنا من أجله لانه كان يعطى باسم كل رجل حملى بعير (ذلك كيل يسير) أى ما حملناه قليل لا يكفينا وأهلنا وقيل معناه نزداد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة وقال مجاهد البعير هنا هو الحمار كيل بعير أى حمل حمار وهى لغة يقال للحمار بعير وهم كانوا أصحاب حمر والاول أصح انه البعير المعروف (قال) لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) يعنى لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتون عهدا لله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه (لتأتننى به) دخلت اللام هنا لأجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندى لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت على وفوضت أمرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فأرسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره اليه * قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يابنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابنى لا تدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدى أراد الطرق لا الابواب يعنى من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين أخرجه أبو داود قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا فى كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى و بينا فساد القول بالطبائع و بينا ان المحدث لا يفعل فى غيره شيأ فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال و باطل أن يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسدا البعض باولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم أن قالوا لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية ألجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد و يهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وجاء فى الاثر ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن ابراهيم النخعى انه قال ذلك لانه كان يرجو أن يروا يوسف فى التفرق والاول أصح ثم قال

(وما أغنى عنكم من الله من شئ) معناه ان كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن والحذر لا ينفع عن القدر (ان الحكم) ما الحكم (الا لله) هذا تفويض يعقوب أموره الى الله (عليه توكلت) اعتمدت (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى من الابواب المتفرقة وقيل كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة أبواب فدخلوها من أبوابها (ما كان يغنى) يدفع (عنهم من الله من شئ) صدق الله تعالى يعقوب فيما قال (الا حاجة) مرادا (فى نفس يعقوب قضاها) أشفق عليهم اشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الامر عليه (وانه) يعنى يعقوب عليه السلام (لذو علم) يعنى كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل (لما علمناه) أى لتعليمنا اياه وقيل انه لعامل بما علم قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما وقيل انه لذو حفظ لما علمناه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف) قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون جزاء ذلك عندى ثم أنزلهم فاكرم منزلتهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف أتقد بقى أحدكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرلهم بمثل وقال لينم كل أخوين منكم على مثال فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معى على فراشى فنام معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح وجعل يروبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم انى أرى هذا الرجل ليس معه ثان فسأضمه الى فيكون فراش منزله معى ثم أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى (آوى اليه أخاه) أى ضم اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المتكل وذلك انه لما ولد هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل قال راحيل بنت من قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين قال أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك فقال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عند ذلك وقام اليه وعانقه وقال

ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من أطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد أخطأ فى قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطا وأما صفة وضوء العائن فمذكورة فى كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة انه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم فى أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا أن الله تعالى لم يأذن له فى اظهاره ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه أن يصل بنيامين الى أخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من الله من شئ) يعنى ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعنى وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب فى أموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعنى عليه اعتمدت فى أمورى كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعنى من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شئ) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شئ (الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الاول فى شئ ومعناه لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهو أنه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف ان لا يردوا عليه فأشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعنى يعقوب (لذو علم) يعنى صاحب علم (لما علمناه) يعنى لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشئ الذى علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه * قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فأنا أجلسه معى فأخذه فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على

(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى لا تحزن (بما كانوا يعملون) بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله تعالى قد أحسن الينا ولا تعلمهم شيأ مما أعلمتك ثم أوفى يوسف لاخوته الكيل وحمل لهم بعيرا بعيرا ولبنيامين بعيرا باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل بنيامين قال السدى

فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم انى أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الى فيكون معى فى منزلى ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال رو بيل ما رأينا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعنى ضمه وأنزله معه فى منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لامك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و (قال) له (انى أنا أخوك) يعنى يوسف (فلا تبتئس) يعنى لا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعنى فلا تحزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفالهم فأراد أن يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشئ مما أعلمتك به ثم انه أوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت فى رحل أخيه بنيامين قال السدى وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد أن أشهرك بامر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه) وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت فى وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعنى نادى مناد وأعلم معلم والاذان فى اللغة الاعلام (أيتها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير والبغال وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد أصحاب العير (انكم لسارقون) فقفوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء * فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهل لا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها * قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لاخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم

جعلت السقاية فى رحل أخيه والاخ لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى بى واذا حبستك ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى ما لا يجمل قال لا أبالى فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما تريد فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه) وهى المشربة التى كان الملك يشرب منها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب منها والسقاية والصواع واحد جعلت فى وعاء طعام بنيامين ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيتها العير)

وهى القافلة التى فيها الاحمال قال مجاهد كانت العير حميرا وقال القراء كانوا أصحاب ابل (انكم لسارقون) فقوا قيل قالوه من غير أمر يوسف وقيل قالوه بأمره وكان هفوة منه وقيل قالوه على تأويل انهم سرقوا يوسف من أبيه فلما انتهى اليهم الرسول قال لهم ألم تكرم ضيافتكم

ونحسن منزلتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم مالم تفعل بغيركم قالوا بلى قالوا وماذاك قالوا سقاية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله عز وجل (قالوا وأقبلوا عليهم) عطفوا على المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) ما الذى ضل عنكم والفقدان ضد الوجدان (قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وأنا به زعيم) كفيل بقوله المؤذن (قالوا) يعنى اخوة يوسف (تالله) أى والله وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء فى اليمين دون سائر أسماء الله تعالى (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض) انسرق فى أرض مصر فان قيل كيف قالوا لقد علمتم

ومن أين علموا ذلك قيل قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض فانا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحدا شيأ فاسألوا عنا من مر بنا به هل ضررنا أحدا وقيل لانهم ردوا البضاعة التى جعلت فى رحالهم قالوا فلو كنا سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا دخلوا مصر كتموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيأ من حروث الناس (وما كنا سارقين قالوا) يعنى المنادى وأصحابه (فما جزاؤه) يعنى ما جزاء السارق (ان كنتم كاذبين) فى قولكم وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) أى فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق و يغرم ضعفى قيمة المسروق فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم (كذلك نجزى الظالمين) الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول عند ذلك لا بد من

طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم قالوا بلى وماذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حمل بعير) يعنى من الطعام (وأنا به زعيم) أى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى قوله الحميل غارم والحميل الكفيل * فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيأ * قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة أو لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى اخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما انهم ما جاؤا لاجل الفساد فى الارض والثانى انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع وأما الثانى وهو انهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر أن يضرب السارق و يغرم ضعفى قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه فى السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعنى هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزى الظالمين) يعنى مثل هذا الجزاء وهو أن يسترق السارق سنة نجزى الظالمين ثم قيل ان هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى السارقين * قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أقروا ان جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان

لا تفتيش أمتعكم فأخذ فى تفتيشها وروى انه ردهم الى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) لازالة التهمة (قبل وعاء أخيه) فكان يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء الا استفظر الله تأثما مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذه فقال اخوته والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك ولا نفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله تعالى

(ثم استخرجها من وعاء أخيه) وانما أنث الكناية فى قوله ثم استخرجها والصواع مذكر بدليل قوله ولمن جاء به حمل بعير لانه رد الكناية ههنا الى السقاية وقيل الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين وقالوا ما الذى صنعت فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فاهلكتموه فى البرية والله قد وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم فاخذوا بنيامين رقيقا وقيل ان ذلك الرجل أخذ برقبته ورده الى يوسف كما يرد السراق (كذلك كدنا ليوسف) والكيد ههنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا فى الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف فيكيدوا لك كيدا فكدنا ليوسف فى أمرهم والكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق وقيل كدنا ألهمنا وقيل دبرنا وقيل أردنا ومعناه صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته (ما كان ليأخذ أخاه) فيضمه الى نفسه (فى دين الملك) أى فى حكمه قاله قتادة وقال ابن عباس فى سلطانه (الا أن يشاء الله) يعنى ان يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه فى حكم الملك لولا ما كدناه بلطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما أجرى على ألسنة الاخوة ان جزاء السارق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقرأ يعقوب برفع و يشاء بالياء فيهما واضافة درجات الى من فى هذه السورة والوجه ان الفعل فيهما مسند الى الله تعالى وقد تقدم ذكره فى قوله الا أن يشاء الله أى يرفع الله درجات من يشاء وقرأ الباقون بالنون فيهما الا ان الكوفيين قرؤا درجات بالتنوين ومن سواهم بالاضافة أى نرفع به نحن والرافع أيضا هو الله تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم

لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استفرتأ مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيأ قال اخوته والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) انما أنث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر و يؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه و يقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بنى راحيل ما زال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فأخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فى حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد ههنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل و بحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معتاد فى أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة و يخلص بانه وقع بمن يكيده تدبيرا يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئته بالذى يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق سترعنه ما ينويه و يضمره له من الذى يقع به من الكيد فهو من الله تعالى أستراذ هو ما ختم الله به عاقبته والذى وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص أبيهم له بعده وكل ذى جرى بتدبير الله تعالى وخفى لطفه سماه كيدا لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبيره اخوته من غير أن يشعروا بذلك وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق يضرب و يغرم ضعفى قيمة المسروق يعنى فى حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده فى حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا أن يشاء الله) يعنى أن ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفى هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم و بما ألهمه على وجه الهداية والصواب فى الامور كلها (وفوق كل ذى علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعليم وفى الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانبارى يجب أن يتهم العالم نفسه و يستشعر التواضع

(قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يريدون أخاله من أمه يعنون به يوسف واختلفوا في السرقة التي وضعوها بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبي أمه صنم يعبده فأخذه سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبد وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها وقال يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة قالت لا والله فقال والله ما أنا بتاركه فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلي عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة لاسحق كانوا يتوارثونها بالكبر فكانت عندها لانها كانت أكبر ولد اسحق فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق اكشفوا أهل البيت فكشفوا

فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لي فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته حتى ماتت فذلك الذي قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (فأسرها) أضمرها (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) وانما أنث الكناية لانه عنى بها الكلمة وهي قوله (قال أنتم شر مكانا) ذكرها سرا في نفسه ولم يصرح بها يريد أنتم شر مكانا أي منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف لانه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) تقولون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في القصة انهم غضبوا غضبا شديدا لهذه الحالة وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ واذا صاح ألقت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها وكان مع هذا الصلاة اذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه وقيل كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب وروى انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر فقالوا عشرة فقال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو أكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل لنردن علينا أخانا أولا صيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الا ألقت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب روبيل فمسه وروى خذ يده فأتني به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان ها هنا لبذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أتريا معشر الصبرانيين تظنون ان لا أحد

لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه * قوله تعالى (قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا أختاه سلمي الى يوسف فوالله ما أقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلي عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم شر مكانا) روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون * قوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه

أشد منكم فلما صار أمرهم الى هذا رأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا يحبه (فخذ أحدنا مكانه) بدلا منه (انا نراك من المحسنين) فى أفعالك وقيل من المحسنين الينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة وردا البضاعة وقيل يعنون ان فعلت ذلك كنت من المحسنين (قال) يوسف (معاذ الله) أعوذ بالله (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل (٢٤٩) الا من سرق تحرزا من الكذب (انا اذا لظالمون) ان أخذنا بريئا بمجرم (فلما استيأسوا منه) أى أيسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سألوه وقال أبو عبيدة استيأسوا استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) أى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم والنجى يصلح للجماعة كما قال هاهنا ويصلح للواحد كقوله وقربناه نجيا وانما جاز للواحد والجمع لانه مصدر جعل نعتا كالعدل والزور ومثله النجوى يكون اسما ومصدرا قال الله تعالى واذهم نجوى أى متناجون وقال ما يكون من نجوى ثلاثة وقال فى المصدر انما النجوى من الشيطان (قال كبيرهم) يعنى فى العقل والعلم لا فى السن قال ابن عباس والكلبى هو يهوذا وهو أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم فى السن وهو الذى نهى الاخوة عن قتل يوسف (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم) قصرتم (فى يوسف

الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعى هذا يخبرنى انكم اثنا عشر رجلا لأب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفونى أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفونى أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا أخانا أولأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى له فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا يعنى فى السن ويحتمل أن يكون كبيرا فى القدر لانه نبى من أولاد الانبياء (فخذ أحدنا مكانه) يعنى بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (انا نراك من المحسنين) يعنى فى أفعالك كلها وقيل من المحسنين الينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة وردا البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف أعوذ بالله معاذا (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق (انا اذا لظالمون) يعنى ان أخذنا بريئا بذنب غيره * فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أبيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة أن يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله * قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها انه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لا عن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عباده * قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) يعنى أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيهم ان يرد عليهم وقال أبو عبيدة استيأسوا أى استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى فى العقل والعلم لا فى السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فى يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن أباكم) يعنى يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعنى عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) يعنى قصرتم فى أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أبرح الارض) يعنى الارض التى أنا فيها وهى أرض مصر والمعنى فلن أخرج

واختلفوا فى محل ما قيل هو نصب بايقاع العلم عليه يعنى ألم تعلموا من قبل تفريطكم فى يوسف وقيل هو فى محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله من الله ثم قال ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف وقيل ما صلة أى ومن قبل هذا فرطتم فى يوسف (فلن أبرح الارض) التى أنا بها وهى أرض مصر

(حتى يأذن لى أبى) بالخروج منها ويدعونى (أو يحكم الله لى) برد أخى الىّ أو بخروجى وترك أخى وقيل أو يحكم الله لى بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخى (وهو خير الحاكمين) أعدل من فصل بين الناس (ارجعوا الى أبيكم) يقول الاخ المحتبس بمصر لاخوته ارجعوا الى أبيكم (فقولوا يا أبانا ان ابنك) بنيامين (سرق) وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها يعنى نسب الى السرقة كما يقال خونته أى نسبته الى الخيانة (وما شهدنا الا بما علمنا) يعنى ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه وما شهدنا الا بما علمنا أى ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمنا وليست (٢٥٠) هذه شهادة منا انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب عليه السلام ما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم فقالوا ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق الا بما علمنا وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وعن ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقال عكرمة وما كنا للغيب حافظين فلعلها دست بالليل فى رحله (واسأل القرية التى كنا فيها) أى أهل القرية وهى مصر قال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر (والعير التى أقبلنا فيها) أى القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب قال ابن اسحق عرف الاخ المحتبس بمصر ان اخوته أهل مة عند أبيهم لما كانوا صنعوا فى أمر يوسف فأمرهم أن يقولوا هذه المقالة لابيهم (وانا لصادقون) فان قيل كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه بل

من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لى أبى) يعنى فى الخروج من أرض مصر فيدعونى اليه (أو يحكم الله لى) برد أخى على أو بخروجى معكم وترك أخى أو يحكم الله لى بالسيف فأقاتلهم حتى أسترد أخى (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى فى اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى أبيكم) يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا أبانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الامر لا فى حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا الا بما علمنا) يعنى ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق فى زعم الملك وأصحابه لا انا شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أى نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناها ان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هى الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعنى وما قلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم أن ابنك سرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لا نعلم بذلك (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى واسأل أهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور فى كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التى أقبلنا فيها) يعنى واسأل القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا لصادقون) يعنى فيما قلناه وانما أمرهم أخوهم الذى أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى ازالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم فى سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل

وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة قيل قد أكثر الناس فيه والصحيح انه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى أمره به ليزيد فى بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر ويلحقه فى الدرجة بآبائه الماضين وقيل انه لم يظهر نفسه لاخوته لانه لم يأمن أن يدبروا فى أمره تدبيرا فيكتموه عن أبيه والاول أصح (قال بل سولت لكم) زينت (أنفسكم أمرا) وفيه اختصار معناه فرجعوا الى أبيهم وذكروا لابيهم ما قال كبيرهم فقال يعقوب بل بل سولت لكم أنفسكم أمرا أى حمل أخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل

بل سوّلت يعنى بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره فى أول السورة * وقوله (عسى الله أن يأتينى بهم جميعا) يعنى يوسف و بنيامين والاخ الثالث الذى أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجرى عليه وعلى بنيه من أول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله أن يأتينى بهم جميعا (انه هو العليم) يعنى بحزنى ووجدى عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه * قوله تعالى (وتولى عنهم) يعنى وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الاسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك

يقول أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

فأجاب بأن الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف و بنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام فى قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا الى الله لا منه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا الهى ارحم أسفى أو أنت رائى أسفى أو هذا أسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواه فى المعنى ولا ما نع اذا لم ينطلق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى أشكو الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) أى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ ستين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ أكرم على الله منه وقال ثابت البنانى ووهب ابن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهرك الارض والسجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال له انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر

(فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا) يعنى يوسف و بنيامين وأخاهم المقيم بمصر (انه هو العليم) بحزنى ووجدى على فقدهم (الحكيم) فى تدبير خلقه قوله تعالى (وتولى عنهم) وذلك ان يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم (وقال يا أسفا) يا حزنا (على يوسف) والاسف أشد الحزن (وابيضت عيناه من الحزن) يعنى عمى بصره قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين (فهو كظيم) أى مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه وقال قتادة تردد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب

(قالوا) يعنى أولاد يعقوب (تالله تفتؤا تذكر يوسف) أى لا تزال تذكر يوسف لا تفتر من حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أى ما زال يفعل ولا محذوفة من قوله تفتؤ يقال ما فتئ يفعل كذا أى ما زال كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق فاسد الاعقل لك والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم ومعنى الآية حتى تكون ذنف الجسم مخبول العقل وأصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن والهرم أو العشق أو الهم يقال رجل حرض وامرأة حرض ورجلان وامرأتان حرض ورجال ونساء كذلك يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر وضع موضع الاسم (أو تكون من الهالكين) أى من الميتين (قال) يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) والبث أشد الحزن سمى بذلك لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أى يظهره قال الحسن بثى أى حاجتى وروى انه دخل على يعقوب جارله وقال يا يعقوب ما الذى غير حالك مالى أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك قال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى فقال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وروى انه قيل له يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك فقال أذهب بصرى بكائى على يوسف وقوس ظهرى حزنى على أخيه فأوحى الله اليه أتشكونى فوعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيأ وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه من المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وروى انه كان بعد ذلك اذا تغدى أمر من ينادى من أراد الغداء فليأت يعقوب واذا أفطر أمر من ينادى من أراد أن يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وعن وهب بن منبه قال لما أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا الهى قال لانك شويت عناقا وقمت على جارك وأكلت ولم تطعمه وروى ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى أمه وهى تخور وقال وهب والسدى وغيرهما أتى جبريل الى يوسف فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال أرى صورة طاهرة وريحا طيبة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين قال فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله تعالى يطهر البيوت بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين قال جبريل لانه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك لذلك سماك الله فى الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال له يوسف هل لك علم يا يعقوب أيها الروح الامين قال لم

الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلاء قال فما له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال أفترانى لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيته * قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم (تالله تفتؤا تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أى ما زال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد الاعقل له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم وأصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون ذنف الجسم مخبول العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعنى من الاموات * فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا * قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عند مارأى قولهم له وغلظتهم عليه (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) أصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا استبد الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزنى العظيم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحى أن تشكو الى غيرى فقال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جارله فقال له يا يعقوب ما الى أراك قد تهشمت بالضعف وفنيت ولم تبلغ

يهب الله له الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما ذا له من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال أفترانى لاقيه قال نعم فطابت نفسه وقال ما أبالى بما لقيت ان رأيته قوله تعالى (وأعلم من الله مالا تعلمون) يعنى أعلم من حياة يوسف مالا تعلمون روى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدى فى الارواح قال لا فسكن يعقوب وطمع فى رؤيته وقال واعلم ان رؤيا يوسف صادقة وانى وأنتم سنسجد له وقال السدى لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف فقال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه وروى عن عبد الله بن يزيد بن أبى فروة ان يعقوب عليه السلام كتب كتابا الى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخ بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من البكاء عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به

من السن ما بلغ أبواك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ثم قال أى رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وقوست ظهرى فارددد على ريحانتى أشممها شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك أتدرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عندآل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى أمر منادیا ينادى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أفطر أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لانك شويت عناقا وقمت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى أمه وهى تخور فلم يرحمها * فان قلت هل فى هذه الروايات ما يقدح فى عصمة الانبياء * قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى فى النار فصبر ولم يشك الى أحد واسمعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمى بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيأ مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل فى الدنيا والدرجات العلا فى الآخرة مع من سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس وقوله (وأعلم من الله مالا تعلمون) يعنى أنه تعالى من رحمته واحسانه يأتى بالفرج من حيث لا أحتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يا يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف فى الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته فذلك قال وأعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وأنتم سنسجد له وقال السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعنى يعقوب (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون فى الخير وبالجيم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس

وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره فاظهر نفسه على ما نذكره ان شاء الله تعالى (يا بنى اذهبوا فتحسسوا) تخبروا واطلبوا الخبر (من يوسف وأخيه) والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر الا ان التجسس بالحاء فى الخير وبالجيم فى الشر والتحسس هو طلب الشئ بالحاسة قال ابن عباس معناه التمسوا

التمسوا قال ابن الانبارى يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لانه أتم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبى فروة أن يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الىّ فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وعيل صبره وأظهر نفسه لاخوته على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يابنىّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك * قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع وأصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكيل) يعنى أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى انا نريد أن تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردىء (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردىء ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانبارى وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علىّ فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل علىّ وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد أخينا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب

(فلما دخلوا عليه) وفيه اضمار تقديره فخرجوا راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع فيها وأصل الازجاء السوق والدفع وقيل للبضاعة مزجاة لانها غير نافقة وانما تجوز على دفع من أخذها واختلفوا فيها فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والأقط وقال الكلبى ومقاتل كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال (فأوف لنا الكيل) أى أعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافى (وتصدق علينا) أى تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردىء ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا برد أخينا الينا (ان الله يجزى) يثيب (المتصدقين) وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مؤمن وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام فقال سفيان ألم تسمع قوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين يريد ان الصدقة كانت حلالا لهم وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علىّ فقال ان الله لا يتصدق

الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من أجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته رقة على اخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه بيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يتمالك أن بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون * فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا أرادوا ذلك * قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ أنتم جاهلون) هذا يجرى مجرى العذر لهم يعنى انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل اليه أمر يوسف * قوله عز وجل (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قال ابن عباس أيضا فى رواية أخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها وليسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم فى قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكأنه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان ألقيتمونى فى الجب ثم بعتمونى بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون فكانت تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا أخى) وهم يعرفونه لانه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت أنا وهو الى ما ترون وهو قوله (قد من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والاخرة وقيل من علينا

رحمهم وبكى وقال ذلك القول وقيل قاله حين قرأ كتاب أبيه الذى كتب اليه فلم يتمالك البكاء فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ فرقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم اذ أنتم جاهلون بما يؤل اليه أمر يوسف وقيل مذنبون وعاصون وقال الحسن اذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب فان قيل كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم الى أخيه شئ وهم لم يسعوا فى حبسه قيل قد قالوا له فى الصاع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا وقيل لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرأ ابن كثير وأبو جعفر انك على الخبر وقرأ الآخرون على الاستفهام قال ابن اسحاق كان يوسف يتكلم من وراء ستر فلما قال يوسف هل علمتم ما فعلتم كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب فعرفوه وقال الضحاك عن ابن عباس لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقال عطاء عن ابن عباس ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحاق مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف وقيل قالوه على التوهم حتى (قال أنا يوسف وهذا أخى) بنيامين (قد من الله علينا) أنعم الله علينا بأن جمع بيننا

(انه من يتق) باداء الفرائض واجتناب المعاصي (و يصبر) عما حرم الله عز وجل عليه قال ابن عباس يتقي الزنا و يصبر عن العزوبة وقال مجاهد يتقي المعصية و يصبر على السجن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا) معتذرين (تالله لقد آثرك الله علينا) أي اختارك الله وفضلك علينا (وان كنا لخاطئين) أي وما كنا في

صنيعنا بك الا مخطئين مذنبين يقال خطئ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد (قال) يوسف

بالسلامة في ديننا ودنيانا (انه من يتق و يصبر) يعني يتقي الزنا و يصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتقي المعصية و يصبر على السجن وقيل يتقي الله بأداء فرائضه و يصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه (تالله لقد آثرك الله علينا) أي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا أي اختارك و يستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بأن اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا لخاطئين) يعني وما كنا في صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما أن يقال خطئ خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز أن يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآي لان خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تثريب عليكم) يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم و يبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم و يبتدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال أبي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقي في النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد رأسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقي يوسف في البئر عريانا أتاه جبريل وأخرج ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فأمره أن يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله اليه ذلك و يمكن أن يقال ان يوسف لما علم ان أباه قد عمي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه و ينشرح صدره و يفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف و يقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل * وقوله (وأتوني بأهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان

وكان حليما (لا تثريب عليكم اليوم) لا تعيير عليكم ولا أذكركم ذنبكم بعد اليوم (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدي قالوا ذهبت عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه ثم قال (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) أي يعد مبصرا وقيل يأتيني بصيرا لانه كان قد دعاه قال الحسن لم يعلم انه يعود بصيرا الا بعد أن أعلمه الله عز وجل قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وعن مجاهد قال أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم عليه السلام وذلك انه جرد من ثيابه وألقي في النار عريانا فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عريانا جاءه جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص منه (قال) وألبسه اياه ففي هذا الوقت جاء جبريل عليه السلام الى يوسف عليه السلام وقال له ارسل الى أبيك ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال ألقوه على وجه أبي يأت بصيرا (وأتوني بأهلكم أجمعين) لما فصلت العير) أي خرجت من عريش مصر متوجهة الى كنعان

(قال أبوهم) أى قال يعقوب لولده ولذته (انى لأجد ريح يوسف) روى ان ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير قال مجاهد أصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وحكى عن ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح الصبا فصفقت القميص فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس فى الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف قبل البشير (لولا أن تفندون) تسفهونى وعن ابن عباس تجهلونى وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله وقيل تضعفونى وقال أبو عبيدة تضللونى وأصل الفند الفساد (قالوا) يعنى أولاده (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى خطئك السابق من ذكرك ليوسف لا تنساه والضلال هو الذهاب عن الطريق الصواب فان عندهم ان يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر عن يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن

(قال أبوهم) يعنى قال يعقوب لولده ولذته (انى لأجد ريح يوسف) قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم أنه ليس فى الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف (لولا أن تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن الانبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا أن تفندونى أى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما هو يهوذا قال السدى قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حى فأفرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعنى فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى أن يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة * قوله تعالى (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعنى قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به و يوسف استغفر لنا أى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعنى فى صنيعنا (قال سوف أستغفر لكم ربى) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فأستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى

عباس هو يهوذا قال أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فانا أذهب اليه اليوم بالقميص فأخبره ان ولده حى فأفرحه كما أحزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا وقيل البشير مالك بن ذعر (ألقاه على وجهه) يعنى ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) فعاد بصيرا بعد ما كان أعمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (قال) يعنى يعقوب عليه السلام (ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى انه قال للبشير كيف تركت يوسف قال انه ملك مصر

فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) مذنبين (قال سوف أستغفر لكم ربى) قال أكثر المفسرين أخر الدعاء الى السحر وهو الوقت الذى يقول الله تعالى هل من داع فأستجيب له فلما انتهى يعقوب الى الموعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما سوف أستغفر لكم ربى يعنى ليلة الجمعة قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقال طاوس أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وعن الشعبى قال سوف أستغفر لكم ربى قال أسأل يوسف ان عفا عنكم أستغفر لكم ربى

(انه هو الغفور الرحيم) روى ان يوسف كان قد بعث مع البشير الى يعقوب ماتتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب وأهله وأولاده فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه فخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يايهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأه بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الاحزان وروى انهما نزلا وتعانقا وقال الثورى لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بنى ولكن فارقتك وأنت صغير فخشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) أى ضم اليه (أبويه) قال أكثر المفسرين هو أبوه وخالته ليا وكانت أمه راحيل قد ماتت فى نفاس بنيامين وقيل هو أبوه وأمه وكانت حية وفى بعض التفاسير ان الله عز وجل أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) فان قيل فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه فكيف قال ادخلوا مصر بعد ما أخبر انهم دخلوها وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول قيل ان يوسف انما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر وفى الآية تقديم وتأخير والاستثناء يرجع الى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل الاستثناء يرجع الى الأمن من الجواز لانهم كانوا لا يدخلون مصر قبله الا بجواز من ملوكهم يقول آمنين من الجواز ان شاء الله كما قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل ان ههنا بمعنى اذ يريد اذ شاء الله كقوله تعالى وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم مؤمنين (ورفع أبويه على العرش) أى على السرير أجلسهما والرفع هو النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود

عنه واغفر لاولادى ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف أستغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه ماتتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يايهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وقبلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (أبويه) قال أكثر المفسرين هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت أمه قد ماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمه وكانت حية بعد وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول فى قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى الاستيطان بها أى ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الأمن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل أن يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة

السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة * فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصبا في النبوّة والشيخوخة * قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي أن يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خرّوا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك أبلغ في التواضع * فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خرّوا له سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام * قلت يحتمل أن يكون المعنى وخرّوا لله وسجدوا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسراركتابه (وقال) يعني وقال يوسف عند ما رأى ذلك (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أربعون سنة وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقي في الجب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن بي) يعني أنعم علي يقال أحسن بي والي بمعنى واحد (اذ أخرجني من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان الجب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني أفسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا الا ترى يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا نثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لا فساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لمن يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي حسن

عباس انه قال معناه خرّوا لله عز وجل سجدا بين يدي يوسف والاول أصح (وقال) يوسف عند ذلك (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) هو قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (وقد أحسن بي) أي أنعم علي (اذ أخرجني من السجن) ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالا للكرم لكيلا يخجل اخوته بعد ما قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن أعظم لانه بعد الخروج من الجب صار الى العبودية والرق وبعد الخروج من السجن صار الى الملك ولان وقوعه في البئر كان لحسد اخوته وفي السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلة كانت منه (وجاء بكم من البدو) والبدو بسيط من الارض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم وكانوا أهل بادية ومواشي يقال بدا يبدو بدوا اذا صار الى البادية (من بعد أن نزغ) أفسد (الشيطان بيني وبين اخوتي) بالحسد والبغض (ان ربي لطيف) أي ذو لطف (لما يشاء) وقيل معناه لمن يشاء وحقيقة اللطيف الذي يوصل الاحسان الى غيره بالرفق

(انه هو العليم الحكيم) قال أهل التاريخ أقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعا وعشرين سنة في أغبط حال وأهنا عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه اسحق ففعل يوسف ذلك ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف الى مصر وقال سعد بن جبير تنقل يعقوب عليه السلام في تابوت من ساج الى بيت المقدس فوافق ذلك موت العيص فدفنا في قبر واحد وكانا ولدا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم ان نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال (رب قد آتيتني من الملك) يعني ملك مصر والملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر) أي يا فاطر (السموات والارض) أي خالقهما (أنت ولي) أي معيني ومتولي أمري (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) يقول اقبضني اليك مسلما (وألحقني بالصالحين) يريد بآبائي النبيين قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف وفي القصة لما جمع الله شمله وأوصل اليه أبويه وأهله اشتاق الى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قال الحسن عاش بعد هذا سنين كثيرة وقال غيره لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه فقال الكلبي اثنتان وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وقال الحسن ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولادا افرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب المبتلى عليه السلام وقيل عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر واختلفت الاقاويل فيه وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب أهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فرأوا ان يدفنوه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان جميعا الى ان أخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام

الاستخراج تنبيها على ما أوصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بأبيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعا وعشرين سنة في أهنأ عيش وأنعم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشأم فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشأم فوافق ذلك موت العيص أخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بأبيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أي يا رب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه (أنت ولي) يعني معيني ومتولي أمري (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) أي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفي والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجمل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى وقوله (وألحقني بالصالحين) أراد به بدرجة آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل الى

(ذلك) الذي ذكرت (من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم) أي ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) أي عزموا على القاء يوسف في الجب (وهم يمكرون) بيوسف (وما أكثر الناس) يا محمد (ولو حرصت بمؤمنين) على ايمانهم وروي ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون وان حرصت على ايمانهم (وما تسألهم عليه) أي على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله تعالى (من أجر) جعل وجزاء (ان هو) ما هو يعني القرآن (الا ذكر) عظة وتذكير (للعالمين وكأين) وكم (من آية) عبرة ودلالة (في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة * قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه اليك) يعني الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحي أوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعلم بذلك ان الذي أتى به هو وحي الهي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قائمة الى آخر الدهر * وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) يعني حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب (وهم يمكرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له (وما تسئلهم عليه من أجر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من أجر يعني أجرا وجعلا على ذلك (ان هو) أي ما هو يعني القرآن (الا ذكر) يعني عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعني وكم من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يمرون عليها) يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أي لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بأعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعني ان من ايمانهم أنهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عنه أيضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بقيامها قال ابن عباس تهييج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعني طريقتي التي (أدعوا) اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدي الى الله عز وجل والى الثواب والجنة (الى الله) يعني الى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) يعني من آمن بي وصدق بما جئت به

لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فكان من ايمانهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل القطر قالوا الله ثم مع ذلك يعبدون الاصنام ويشركون وعن ابن عباس انه قال انها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء كما قال الله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين الآية واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وغير ذلك من الآيات (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أي عقوبة مجللة قال مجاهد عذاب يغشاهم نظيره قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم الآية قال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بقيامها قال ابن عباس تهييج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها (سبيلي) سنتي ومنهاجي وقال مقاتل ديني نظيره قوله ادع الى سبيل ربك أي الى دينه (أدعوا الى الله على بصيرة) على يقين والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) أي ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو الى الله هذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعني يقول اني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني قال ابن عباس يعني

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الامة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه (٢٦٢) ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على اثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم قوله تعالى (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله تنزيها له عما أشركوا به (وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك) يا محمد (الا رجالا) ملائكة (نوحي اليهم) قرأ أبو جعفر وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء (من أهل القرى) يعني من أهل الامصار دون أهل البوادي لان أهل الامصار أعقل من أهل البوادي لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا في الارض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة) آخر أمر (الذين من قبلهم) يعني الامم المكذبة فيعتبروا (ولدار الاخرة خير للذين اتقوا) يقول جل ذكره هذا فعلنا بأهل ولايتنا وطاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب وما في الدار الآخرة خير لهم فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه قوله ولدار الآخرة قيل معناه ولدار الحال الآخرة خير وقيل هو اضافة الشئ الى نفسه كقوله ان هذا لهو حق اليقين وكقولهم يوم الخميس ورحبع الآخر (أفلا تعقلون) فتؤمنون (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا

أيضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استانف على بصيرة أنا ومن اتبعني يعني أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم * وقوله (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعني تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أنا من المشركين) يعني وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره * قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحي اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك (من أهل القرى) يعني من أهل الامصار والمدن لا من أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم (أفلم يسيروا في الارض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني فعلنا هذا بأوليائنا وأهل طاعتنا اذا أنجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا تعقلون) يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون * قوله عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أي لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس أنه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حتى حدثتهم بأنهم لا ينصرون أو رجاؤهم

كقولهم

جاءهم نصرنا) اختلف القراء فى قوله كذبوا فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وكانت عائشة تنكر هذه القراءة وقرأ الاخرون بالتشديد فمن شدده قال معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أى أيقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا ان من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النصر ومن قرأ بالتخفيف قال معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أى ظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم فى وعيد العقاب وروى عن ابن عباس ان معناه ضعف قلوبهم يعنى وظنت الرسل انهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا ما تلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله جاءهم أى جاء الرسل نصرنا (فنجى من نشاء) قرأ العامة بنونين أى نحن ننجى من نشاء وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله لانها مكتوبة فى المصحف بنون واحدة مضمومة فيكون محل من رفعا على هذه القراءة وعلى القراءة الاولى يكون نصبا

كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعدواة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وأيقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا ان من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر أتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لا أنهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك من ربها قلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبونهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة * وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فننجى المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين * قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم) يعنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) أى موعظة (لأولى الالباب) يعنى يتعظ بها أولوا الالباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من

فنجى من نشاء عند نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) أى المشركين (لقد كان فى قصصهم) أى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) عظة (لأولى الالباب

الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال فى أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى و يختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وأنه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعنى ان فى هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شئ تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد فى أمر دينهم ودنياهم (وهدى) يعنى الى كل خير (ورحمة) يعنى أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تم الجزء الثالث من تفسير الخازن و يليه الجزء الرابع وأوله سورة الرعد ﴾

ما كان) يعنى القرآن (حديثا يفترى) أى يختلق (ولكن تصديق الذى) أى ولكن كان تصديق الذى (بين يديه) من التوراة والانجيل (وتفصيل كل شئ) مما يحتاج العباد اليه من الحلال والحرام والامر والنهى (وهدى ورحمة) يا لها ونعمة (لقوم يؤمنون)

﴿ فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

٢ ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾
١٤ فصل في حكم الفرار عند الزحف
٤٢ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والرد عليهم في ذلك
٤٥ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾
٤٦ فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة
٤٨ فصل قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل الخ
٦٥ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ
٧٨ ذكر سياق حديث الهجرة
٨٢ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ الدالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
٨٤ فصل استدل بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
٨٩ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل
١٠٧ فصل قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات الخ
١٤١ ﴿ تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام ﴾
١٦٩ فصل في الكلام على هذا الحديث أي قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت الخ لانه في الظاهر مشكل
١٦٩ فصل في وجه اشكال الحديث المذكور
١٧٣ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٧٦ ﴿ تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام ﴾
١٨٦ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول اني ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
١٩٢ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل غير صالح الخ
٢١٢ ﴿ تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ﴾
٢١٨ ذكر قصة ذهاب اخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى ﴾
﴿ الذى بهامش الخازن ﴾

صحيفة

٢ سورة الانفال
٤٥ سورة التوبة
١٤١ سورة يونس عليه السلام
١٧٣ ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٧٦ سورة هود عليه السلام
٢١٢ سورة يوسف عليه السلام

﴿ تمت ﴾

RR 1691

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

لائبریری

جامعہ ملیہ اسلامیہ

۱۔ اراکین عملہ کی تعداد تین سے زیادہ نہ ہوگی۔

۲۔ سماعت دو ماہ غیر حاضری پر کتاب ضبط کر لی جائے گی۔

۳۔ طلبا کتب جو ضبط شدہ ہو جائیں یا نہ لوٹائیں تو ان سے ۔۔۔

۴۔ ۔۔۔

۵۔ ۔۔۔

۶۔ ۔۔۔

۷۔ ۔۔۔

۸۔ ۔۔۔

۹۔ ۔۔۔

۱۰۔ ۔۔۔